لغة

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب

الثعالبي

ثمار القلوب

في المضاف والمنسوب

تأليف أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)

قرأه وضبط نصه

د . يحيى مراد

المقدمة

أما بعد حمد الله الذي أقل نعمه يستغرق أكثر الشكر، والصلاة على نبيه المصطفى محمد وآله ما نطق لسان بالذكر، فإن هذا الكتاب مترجم بـ"ثمار القلوب في المضاف والمنسوب"، خدمت فيه خزانة كتب الأمير السيد أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي عمرها الله تعالى بطول عمره، وعلو أمره؛ وإن كنت في ذلك كمهدي العود، إلى الهنود، وناقل المسك إلى أرض الترك، وجالب العنبر إلى البحر الأخضر؛ ولكن ما على الناصح إلا جهده؛ ولي أسوة في ابن طباطبا العلوي، إذ قال:

لا تنكرن إهداءنا لك منطقـا … منك استفدنا حسـنه ونظامـه
فالله عز وجل يشكر فعل مـن … يتلو عليـه وحيـه وكلامـه

وأنشدني أبو الفتح علي بن محمد البستي لنفسه:

لا تنكرن إذا أهديت نحوك من … علومك الغر أو آدابـك اللطفـا
فقيم الباغ قد يهـدي لمالكـه … برسم خدمته من باغه التحفـا

وبناء هذا الكتاب على ذكر أشياء مضافة ومنسوبة إلى أشياء مختلفة يتمثل بها، ويكثر في النثر والنظم وعلى ألسن الخاصة والعامة استعمالها، كقولهم: غراب نوح، ونار إبراهيم، وذئب يوسف، وعصا موسى، وخاتم سليمان، وحمار عزير، وبردة النبي محمد ﷺ.

وكقولهم: كنـز النطف، وقوس حاجب وقرطا مارية، وصحيفة المتلمس وحديث خرافة، ومواعيد عرقوب، وجزاء سنمار، ويوم عبيد، وعطر منشم، ونسر لقمان، وعير أبي سيارة.

وكقولهم: سيرة أزدشير، وعدل أنوشروان، وإيوان كسرى، ورمي بهرام.

وكقولهم: سيرة العمرين، ودرة عمر، وقميص عثمان، وفضائل علي، وصدق أبي ذر، وحلم الأحنف، وزهد الحسن، وعنـز الأعمش، وجامع سفيان.

وكقولهم: حنين الإبل، وخيلاء الخيل، وأخلاق البغال، وصبر الحمار وداء الذئب، وزجر الكلب، ونوم الفهد، وروغان الثعلب، وقبح القرد.

وكقولهم: أفاعي سجستان، وثعابين مصر، وعقارب نصيبين، وجرارات الأهواز، وحمى خيبر، وطحال البحرين، ودماميل الجزيرة.

وكقولهم: تفاح الشام، وأترج العراق، وسكر الأهواز، وورد جور، وعود الهند، ومسك تبت، وعنبر الشحر، وطُرف الطين.

كقولهم في الاستعارات: رأس المال، ووجه النهار، وعين الشمس، وأنف الجبل، ولسان الحال، وناب النوائب، وأذن الحائط، وقلب العسكر، وكبد السماء، وصدر الأمر.

وقد خرجتها في أحد وستين بابا؛ ينطق كل منها بذكر ما يشتمل عليه أولا، ويفصح عن الاستشهاد وسياق المراد آخرا، وما منها إلا ما يتعلق من المثل بسبب، ويوفي من اللغة والشعر على طرف، ويضرب في التشبيهات والاستعارات بسهم، ويأخذ من الأخبار والأنساب بقسم، ويجيل في خصائص البلدان والأماكن قدحا، ويجري في أعاجيب الأحاديث شوطا، وهذا ترتيب الأبواب، والله الموفق للصواب.

* * *

الباب الرابع والثلاثون: في سائر الحشرات والهوام.
الباب الخامس والثلاثون: في النعام.
الباب السادس والثلاثون: في الطير.
الباب السابع والثلاثون: في عتاق الطير.
الباب الثامن والثلاثون: في الغراب
الباب التاسع والثلاثون: في الحمام.
الباب الأربعون: في سائر أصناف الطير.
الباب الحادي والأربعون: في البيض.
الباب الثاني والأربعون: في الذباب والبعوض وما يجانسهما.
الباب الثالث والأربعون: في الأرض وما يضاف وينسب إليها.
الباب الرابع والأربعون: في الدور والأمكنة والأبنية.
الباب الخامس والأربعون: فيما يضاف وينسب إلى البلدان والأماكن من فنون شتى.
الباب السادس والأربعون: فيما يضاف وينسب إليها من الأعراض.
الباب السابع والأربعون: في الجبال والحجارة.
الباب الثامن والأربعون: في المياه وما يضاف وينسب منها وإليها.
الباب التاسع والأربعون: في النيران وما يضاف وينسب إليها.
الباب الخمسون: في الشجر والنبات.
الباب الحادي والخمسون: في اللباس والثياب.
الباب الثاني والخمسون: في الطعام وما يتصل به وما يذكر معه.
الباب الثالث والخمسون: في الشراب وما يتصل به ويذكر معه.
الباب الرابع والخمسون: في السلاح وما يجانسه.
الباب الخامس والخمسون: في الحلي وما أشبهها.
الباب السادس والخمسون: في الليالي المضافة.
الباب السابع والخمسون: في الأزمان والأوقات.

الباب الثامن والخمسون: في الآثار العلوية سوى ما تقدم منها.

الباب التاسع والخمسون: في الأدب وما يتعلق به.

الباب الستون: في فنون مختلفة الترتيب على توالي حروف الهجاء.

الباب الحادي والستون: في الجنان.

وهو آخر الأبواب، جعلها الله -تعالى- أبوابا مفتوحة للأمير السيد إلى أمنيته، وعرفه من بركا ا ما يربي على عدد سطورها - بل حروفها - برحمته.

وبعد، فحقيق على من تصفح هذا الكتاب فرتع في رياضه، وجنى من ثماره، أن يدعو للآمر به، والداعي إلى إيجاد أسبابه؛ بطول البقاء، ودوام النعماء؛ ورغد العيش، وسكون الجأش؛ وطول اليد، وعلو الجد؛ وكفاية المهم، ودفاع الملم.

فأما أنا فأستوفق الله الفرض خدمته، وشكر نعمته، وأسأله مسألة المتضرع لديه، الرافع يديه، بأن يسوق جمل السعود إليه، ويوفر أقسام السعادات عليه؛حتى تجتمع له حظوظ الدنيا والآخرة، ومصالح العاجلة والآجلة، وأن يقر عين ا د ببقاء الأمراء النجباء من أولاده، ويريه فيهم وفي كل ما يسمو إليه بآماله غاية محبته و اية مراده، من حيث لا تدي النوائب إلى عِراصه، ولا تطمع الحوادث في انتقاصه.

الباب الأول

فيما يضاف إلى اسم الله تعالى عز ذكره

أهل الله. بيت الله. رسول الله. كتاب الله. خليل الله. روح الله. أرض الله. أسد الله. سيف الله. قوس الله. رمح الله. كلب الله. نار الله. شمس الله. ظل الله. سعد الله. ناقة الله. ـر الله. خاتم الله. رحمه الله. ستر الله. يد الله. عمال الله. سبيل الله. باب الله. نور الله. حراس الله. أمان الله. ميزان الله. خالصة الله. موائد الله. عين الله. أمر الله. طراز الله. خلافة الله. لعنة الله. سجن الله. بنيان الله. صبغة الله. وفد الله.

الاستشهاد

١- (أهل الله): كان يقال لقريش في الجاهلية: أهل الله؛ لما تميزوا به من سائر العرب من المحاسن والمكارم، والفضائل والخصائص، التي هي أكثر من أن تحصى.

فمنها مجاور م بيت الله تعالى، وإيثارهم سكن حرمه على جميع بلاد الله، وصبرهم على لأواء مكة وشد ا، وخشونة العيش ا.

ومنها ما تفردوا به من الإيلاف والوفادة والرفادة، والسقاية والرياسة واللواء والندوة.

ومنها كو م على إرث من دين أبويهم إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- من قرى الضيف، ورفد الحاج والمعتمرين، والقيام بما يصلحهم، وتعظيم الحرام، وصيانته عن البغي فيه والإلحاد، وقمع الظالم، ومنع المظلوم.

ومنها كو م قبلة العرب، وموضع الحج الأكبر، ويؤتون من كل أوب بعيد، وفج عميق، فترد عليهم الأخلاق والعقول والآداب والألسنة واللغات والعادات والصور والشمائل عفوا بلا كلفة ولا غرم، ولا عزم ولا حيلة فيشاهدون ما لم تشاهده قبيلة؛ وليس من شاهد الجميع كمن شاهد البعض ولا ا ـرب كالغمر، ولا الأريب كالعتل، فكثرت الخواطر، واتسع السماع، وانفسحت الصدور بالغرائب التي تتخذ، والأعاجيب التي تحفظ فثبتت تلك الأمور في صدورهم وأضمرت، وتزاوجت فتناتجت وتوالدت وصادفت قريحة جيدة، وطينة كريمة؛ والقوم في الأصل مرشحون للأمر الجسيم، فلذلك صاروا أدهى العرب، وأعقل البرية، وأحسن الناس

بيانا، وصار أحدهم يوزن بأمة من الأمم؛ وكذلك ينبغي أن يكون الإمام؛ فأما الرسول ﷺ فقد كان يزن جميع الأمم.

ومنها ثبات جودهم وجزيل عطاياهم، واحتمالهم المؤن الغلاظ في أموالهم المكتسبة من التجار؛ ومعلوم أن البخل والنظر في الطفيف مقرون بالتجارة التي هي صناعتهم، والتجار هم أصحاب التربيح والتكسب والتدنيق والتدقيق؛ وكان في اتصال جودهم العالي على الأجواد من قوم لا كسب لهم من التجارة عجب من العجب.

وأعجب من ذلك أ م من بين جميع العرب دانوا بالتحمس والتشدد في الدين، فتركوا الغزو كراهية للسبي واستحلال الأموال، فلما زهدوا في الغصوب لم يبق مكسبة سوى التجارة، فضربوا في البلاد إلى قيصر بالروم، والنجاشي بالحبشة، والمقوقس بمصر، وصاروا بأجمعهم تجارا خلطاء؛ فكانوا مع طول ترك الغزو إذا غَزوا كالأسود على فرائسها؛ مع الرأي الأصيل، والبصيرة النافذة.

فهذا يسير من كثير خصائصهم في الجاهلية؛ ولما جاء الله تعالى بالإسلام وبعث منهم خير خلقه وأفضل رسله محمدا رسول الله ﷺ، تظاهر شرفهم، وتضاعف كرمهم، وصاروا على الحقيقة أهلا لأن يدعوا أهل الله، فاستمر عليهم وعلى سائر أهل مكة وعلى أهل القرآن هذا الاسم؛ حيث قال النبي ﷺ: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**». وقال لعتاب بن أسيد لما بعثه إلى مكة: «**هل تدري على من استعملتك؟ استعملتك على أهل الله**».

وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه نافع بن عبد الحارث الخزاعي حين قدم عليه من مكة: من استخلفت على مكة؟ قال: ابن أبزى، قال: استخلف على أهل الله مولى! قال: إنه أقرؤهم لكتاب الله تعالى؛ قال: "إن الله تعالى يرفع بالقرآن أقواما".

قال بعض السلف: حسبك من قريش أ م أهل الله، وأقرب الناس بيوتا من بيت الله، وأقر م قرابة من رسول الله، ولم يسم الله -تعالى- قبيلة باسمها غير قريش؛ وصار فيهم ولهم الخصال الأربع التي هي أشرف خصال الإسلام: النبوة، والخلافة، والشورى، والفتوح؛ فليس اليوم على ظهر الأرض وممالك العرب والعجم وفي جميع

الأقاليم السبعة ملك في نصاب نبوة، وإمامة في مغرس رسالة، إلا من قريش.

وقال النبي ﷺ: «**الأئمة من قريش**». وقال عليه السلام: «**قدموا قريشا ولا تتقدموها، وتعلموا منها ولا تعلموها**». وينشد:

إن قريشا هي من خير الأمم لا يضعون قدما على قدم

أي يتبعون ولا يتبعون.

وقال الأعشى وهو يعاتب رجلا ويخبر أنه مع شرفه لم يبلغ مبلغ قريش:

فما أنت من أهل الحجون ولا الصفا ولا لك حق الشرب في **ماء زمزم**

وسيمر بك في هذا الكتاب من نكت فضائلهم، وغرر غرائبهم ما تكثر فائدته، وتطيب ثمرته وإن كان لا مزيد على وصف الجاحظ لهم ومدحه إياهم، وتخصيصه بني هاشم منهم، فإنه -رحمه الله- ألقى جمة فصاحته واستنزف بحر بلاغته، في فصل له، وهو قوله:

العرب كالبدن وقريش روحها، وهاشم سرها ولبها، وموضع غاية الدين والدنيا منها. وبنو هاشم ملح الأرض، وزينة الدنيا، وحلْي العالم، والسنام الأضخم، والكاهل الأعظم، ولباب كل جوهر كريم، وسر كل عنصر لطيف، والطينة البيضاء، والمغرس المبارك، والنصاب الوثيق، ومعدن الفهم، وينبوع العلم، وثهلان ذو الهضبات في الحلم، والسيف الحسام في العزم، مع الأناة والحزم، والصفح عن الجرم، والإغضاء عن العثرة، والعفو عند القدرة، وهم الأنف المتقدم، والسنام الأكوم، والعزم المشمخر. والصياتة والسر، وكالماء الذي لا ينجسه شيء، وكالشمس لا تخفى بكل مكان، وكالنجم للحيران، والماء البارد للظمآن؛ ومنهم الثقلان والطيبان والسبطان والشهيدان، وأسد الله وذو الجناحين، وسيد الوادي، وساقي الحجيج، وحليم البطحاء، والبحر والحبر، والأنصار أنصارهم، والمهاجر من هاجر إليهم أو معهم والصديق من صدقهم، والفاروق من فرق بين الحق والباطل منهم، والحواري حواريهم، وذو الشهادتين؛ لأنه شهد لهم، ولا خير إلآهم أو فيهم أولهم أو معهم أو انضاف إليهم؛ وكيف لا يكونون كذلك ومنهم رسول رب العالمين، وإمام الأولين والآخرين، وسيد المرسلين، وخاتم النبيين! الذي لم تتم لنبي نبوة إلا بعد التصديق به؛

والبشارة بمجيئه؛ الذي عم برسالته ما بين الخافقين وأظهره الله على الدين كله ولو كره المشركون، فقال: ﴿**نَذِيرا للْبشَر**﴾[1] وقال: ﴿**قُلْ يَا أَيهَا الناس إني رَسولُ اللهِ إلَيكُم جَمِيعا**﴾ [2].

وقال عليه السلام: «**بعثت إلى الأحمر والأسود، وإلى الناس كافة**».

وقال: «**نصرت بالرعب من مسيرة شهر، وأعطيت جوامع الكلم وعرضت علي مفاتيح خزائن الأرض**».

وقال: «**أنا أول شافع ومشفع، وأول من تنشق عنه الأرض**».

وقد أقسم الله -سبحانه وتعالى- بحياته في القرآن، فقال: ﴿**لَعَمرُكَ إنهم لَفِي سَكْرَتِهِم يَعمَهونَ**﴾[3]، وقال: ﴿**ن والْقَلَمِ**﴾[4] استفتاح وقسم، ثم قال: ﴿**وَمَا يَسطُرونَ**﴾، فأكد القسم، وفسر المعنى، ثم قصد نبيه فقال: ﴿**وإنكَ لَعَلَى خلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ ولا عظيم أعظم ممن عظمه الله، كما أنه لا صغير أصغر ممن صغره الله.

فأي ممدوح أعظم وأفخر، وأسنى وأكبر، من ممدوح مادحه الله وناقل مديحه وراوية كلامه جبريل، والممدوح محمد ﷺ!

قال مؤلف الكتاب: وكما سمتهم العرب أهل الله، سمي محمد بن عبد الملك ابن صالح الهاشمي ابن آل الله، وكان يطلب مهاجاة محمد بن يزيد المسلمي، من ولد مسلمة بن عبد الملك بن مروان: وكان المسلمي يأبى ذلك؛ويقول: لا أهاجي رجلا في دولته. وكان إذا فخر في قصيدة نقض عليه محمد، فمن ذلك قول المسلمي:

* **أما صفاتي فلها شانُ** *

وهي طويلة يفخر فيها بني أمية؛ فقال محمد بن عبد الملك على وزنها قصيدة أولها:

أنا ابن آل الله من هاشم **حيث نمى خير وإحسان**

من نبعة منها نبي الهدى **مونقة والفرع فينان**

(١) سورة المدثر ٣٦
(٢) سورة الأعراف١٥٨
(٣) سورة الحجر ٧٢
(٤) سورة القلم ١، ٢

منا علي بن أبي طالب — ومنك مروان وسفيان
مولاك في الإيمان لا تنسه — إن كان في قلبك إيمان
آمن بالله وآياته — وأنتم صم وعميان

وأول من قال لهم: " عترة الله" إبراهيم بن المهدي فإنه لما أغارت الروم بعد انصراف المعتصم على المسلمين، وأسرت خلقا كثيرا منهم، دخل على المعتصم، وأنشد قصيدة يحضه ا على جهادهم، فمنها قوله:

يا عترة الله قد عاينت فانتقمي — تلك النساء وما منهن يرتكب
هب الرجال على إجرامها قتلت — ما بال أطفالها بالذبح تستلب!

وقبل إبراهيم قد جعلهم الحارث بن ظالم المري قرابين الله، يتقرب إليه م، لأ م هم، فقال:

إذا فارقت ثعلبة بن سعد — وإخوم نسبت إلى لؤي
إلى نسب كريم غير وغد — وحي هم أكارم كل حي
وإن تعصب م نسبي فمنهم — قرابين الإله بنو قصي

وفي المناسبة بين العترة والقرابين خفاء.

٢- (بيت الله): كما أن أهل مكة أهل الله، والحجاج زوار الله، فالكعبة بيت الله الذي جعله الله مثابة للناس، وحطة للخليل، وحلة للذبيح، وقبلة لسيد ولد آدم وخاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكعبة لأمته التي هي خير الأمم وقد كانت العرب في الجاهلية لا تبني بنيانا مربعا تعظيما للكعبة؛ وقد كانت تحلف ببيت الله، كما قال زهير:

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله — رجال بنوه من قريش وجرهم

وقال النابغة:

فلا ورب الذي قد زرته حججا — وما هريق على الأنصاب من جسد

وقال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿**رَبَّنَا إني أسكنت مِن ذُرِيتِي**

بِوَادٍ غَير ذِي زَرعٍ عِندَ بَيتِكَ المُحَرمِ رَبنَا لِيقِيموا الصلاةَ فَاجعَلْ أَفْئِدَةً منَ الناسِ تَهوي إلَيهِم وارزُقْهم منَ الثمَرَاتِ لَعَلهم يَشكُرونَ ﴾[١].

فمن خصائص الحرم أنه بواد غير ذي زرع ولا شجر، ويوجد فيه كل ثمرات الأشجار والزرع وغيرها.

ومن خصائصه أن الذئب يريغ الظبي ويعارضه ويصيده، فإذا دخل الحرم كف عنه.

ومن خصائصه أنه لا يسقط على الكعبة حمام إلا وهو عليل؛ عرف ذلك من امتحنه وتعرف حاله، ولا يسقط عليها ما دام صحيحا.

ومن خصائصه أن الطير إذا حاذت الكعبة انفرقت فرقتين ولم تعلها ومن خصائصه أنه لا يراه أحد ممن لم يكن رآه إلا ضحك أو بكى.

ومنها أنه إذا أصاب المطر الباب الذي من شق العراق كان الخصب في تلك السنة بالعراق، وإذا أصاب الذي من شق الشام كان الخصب بالشام، وإذا عم جوانب البيت كان الخصب عاما في البلدان.

ومنها أن الجمار ترمى في ذلك المرمى منذ يوم حج الناس البيت على طول الدهر، ثم كانت إلى اليوم على مقدار واحد، ولولا أنه موضع الآية والعلامة والأعجوبة التي فيها لقد كان كالجبال، هذا من غير أن تكسحه السيول أو يأخذه الناس.

ومن سننهم أن من علا الكعبة من العبيد فهو حر لا يرون الملك على من علاها، ولا يجمعون بين عز علوها وذل الرق. وبمكة رجال من الصلحاء لم يدخلوها قط إعظاما لها.

ومن يستطيع أن يدعي الإحاطة بفضائل بيت الله وخصائصه!

ومن بارع التمثل به قول بعض المحدثين في الحسن بن مخلد، وقد خلع عليه:

أبا محمد المسعود طالعه فت البرية طرا أيما فوت
زهت بك الخلعة الميمون طائرها كزهو خلعة بيت الله بالبيت

وقال آخر:

---

(١) سورة إبراهيم ٣٧.

*** وكعبة الله لا تكسى لإعواز ***

٣- (رسول الله): قال الله عز وجل: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾(١)

ومن تمثل به فأحسن جدا ابن الرومي حيث قال في التمثيل لتفضيل الولد على الوالد:

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم ... كلا لعمري ولكن منه شيبان

وكم أب قد علا بابن ذرا شرف ... كما علا برسول الله عدنان

وقال آخر في تفضيل الأخير على الأول:

كذاك رسول الله آخر مرسل ... وما مثله فيما تقدم مرسل

وقال الطائي في الاعتذار من اختيار غير الخيار، واصطناع من لا يصلح للصنيعة:

هذا رسول الله صفوة ربه ... من بين بادٍ في الأنام وقار

قد خص من أهل النفاق عصابة ... وهم أشد أذى من الكفار

واختار من سعد لعين بني أبي ... سرح لوحي الله غير خيار

حتى استضاء بشعلة السور التي ... رفعت له سجفا عن الأسرار

٤- (كتاب الله): قال ابن الرومي متمثلا به:

وكأنما يمناي حين تناولت ... يمناك إذ صافحتني بكتاب

أخذت كتاب الله وهو مبشر ... بكرامة الرضوان يوم حساب

٥- (خليل الله): أتخذ الله إبراهيم خليلا، واتخذ محمدا حبيبا، والحبيب أخص من الخليل في الشائع المستفيض من العادات، ألا تراه -تعالى- قال له ﷺ: ﴿**مَا ودعَكَ رَبكَ وَمَا قَلى**﴾ (٢)، بمعنى أحبك! ومقتضى هذه اللفظة أنه اتخذه حبيبا؛ ومما يؤيد ذلك ويؤكده أنه -تعالى- لا يحب أحدا ما لم يؤمن بمحمد ويتبعه، وألا تسمعه

---

(١) سورة الأحزاب ٢١

(٢) سورة الضحى ٣.

يقول: ﴿**قُلْ إن كُنتم تحِبونَ اللهَ فَاتِبعوني يحِببكُم الله**﴾ (١).

ومن ملح في التمثيل بخليل الله الأصمعي حين استقرضه صديق له من خلص أصدقائه فقال: نعم وكرامة! ولكن سكن قلبي برهن يساوي ضعف ما تلتمسه؛ فقاله: يا أبا سعيد، ألست واثقا بي! فقال: بلى، ولكن هذا خليل الله كان واثقا بربه حين قال: ﴿**رَب أَرِني كَيفَ تحيِي المَوتَى قَالَ أَولَم تؤمِن قَالَ بَلى ولَكِن لّيطْمَئِن قَلْبِي**﴾ (٢).

٦- (روح الله): قال تعالى في ذكر عيسى عليه السلام: ﴿**وكَلِمَته أَلْقَاهَا إلَى مَريَمَ وروح منه**﴾(٣)، فلذا قيل له: روح الله، كما قيل لإبراهيم: خليل الله، ولموسى: كليم الله؛ وعليهم الصلاة والسلام، والأرواح كلها منه وله، وإنما أضيفت روح الله إليه على سبيل الاختصاص.

ومما يستملح لأبي أحمد بن أبي بكر الكاتب قوله لعلي بن عيسى الوزير، - يروى لابن بسام، وهو بقوله أشبه:

لست روح الله عيسى ... إنما أنت ابن عيسى
كلم الناس فإن الله ... قد كلم موسى

٧- (أرض الله): قد أكثر الناس في الحث على السير في الأرض لطلب الرزق، قال منصور بن ماذان:

فسر في بلاد الله والتمس الغنى ... فما الكرج الدنيا ولا الناس قاسم

وقال البحتري:

شرق وغرب فعهد العاهدين بما ... طالبت في ذملان الأينق الذمل
ولا تقل أمم شتى ولا فرق ... فالأرض من تربة والناس من رجل

وقال سعيد بن محمد الطبري:

---

(١) سورة آل عمران ٣١.
(٢) سورة البقرة ٢٦٠.
(٣) سورة النساء ١٧١.

سـأغنى بالهبيـد وباللبيـد وبالفلوات عن قصر مشـيد
فـأرض الله واسـعة أمـامي إذا ضاق الفضاء على البليد

ومعنى الهبيد الحنظل، واللبيد الجوالق؛ أي: أستغنى بالحنظل ومرعى البر عن استصحاب زاد.

وكأن أحسن ما قيل في ذلك مقتبس من قوله- عز ذكره: ﴿**أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا**﴾ [1].

٨- (أسد الله): كان يقال لحمزة بن عبد المطلب: أسد الله، لتقدم قدمه في الحرب، وشدة إقدامه على أعداء رسول الله ﷺ.

ولما قال حمزة يوم حرب بدر: أنا أسد الله، وأسد رسول الله، قال له عتبة بن ربيعة: أنا أسد الحلفاء.

قال الزبير بن بكار: لم يعرف لعتبة رفث إلا هذه الكلمة وكلمة أخرى قالها يوم بدر أيضا لأبي جهل، وهي قوله في كلام جرى بينهما:

يامصفر استه. ولست أدري أي رفث في قوله: أنا أسد الحلفاء!

٩- (سيف الله): خالد بن الوليد بن المغيرة أبو سليمان؛ سماه النبي ﷺ سيف الله، لحسن آثاره في الإسلام، وصدقه في قتال المشركين، فكان النبي ﷺإذا نظر إليه وإلى عكرمة بن أبي جهل قرأ: ﴿**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ**﴾[2]؛ لأ ما من خيار الصحابة، وأبواهما أعدى عدو لله ورسوله.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ نظر إلى خالد رضي الله عنه لابسا درعه فقال: «**نعم المرء خالد!**».

وكان على مقدمة رسول الله ﷺ يوم حنين، وهو الذي تولى كسر أكثر الأصنام وهدم جل الأوثان التي كانت قريش تعبدها، وتسمع من أجوافها همهمة نحو أصوات البقر حتى فتنت ا. ولما هدم عزى رمته بالشرر حتى أحرقت عامة فخذه، فعاده النبي ﷺ.

---

(١) سورة النساء ٩٧.
(٢) سورة الروم ١٩.

قال الجاحظ: وما أشك في أنه قد كانت لسدنة الأوثان حيل وكمين، ولو سمعت أو رأيت بعض ما أعد الهند من هذه المخاريق في بيوت عبادا م، لعلمت أن الله -تعالى- قد من على جملة المسلمين بالمتكلمين الذين نشئوا فيهم.

وقال في موضع آخر: وما زالت السدنة تحتال للناس من جهة النيران بأنواع الحيل، كاحتيال رهبان كنيسة الرها لمصابيحها، حتى إن زيت قناديلها ليستوقد لهم من غير نار في بعض ليالي أعيادهم، وبمثل هذا احتيال السادن لخالد بن الوليد حتى حين رماه بالشرر؛ ليوهمه أن ذلك من الأوثان عقوبة على ترك عباد ا وإنكارها والتعرض لها حين قال:

يا عز كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

قال: وجعلت قريش وقد أهوى خالد بسيفه إلى العزى تصيح: يا عزى خبليه، يا عزى عزريه؛ وليس ينثني من اويلهم، وعلاها بالسيف حتى كسرها.

وفي بعض الروايات أن العزى كانت ثلاث شجرات من سمر، فأرسل النبي ﷺ خالدا رضي الله عنه ليعضدها، فمضى خالد وعضد أكبرها، وترك اثنتين، فلما انصرف إلى النبي ﷺ قال: أفعلت يا خالد؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: فما رأيت شيئا؟ قال: لا، قال: فارجع إليها فاعضدها، فرجع فعضد الكبرى منهما، ثم أقبل ليعضد الصغرى فإذا جنية قد خرجت عليه من جوفها ناشرة شعرها، واضعة كفها على كعبها تصرف بأنيا ا، فشد عليها خالد، وهو يقول:

يا عز كفرانك لاسبحانك إني رأيت الله قد أهانك

ثم ضر ا ضربة فلق رأسها، وانصرف إلى رسول الله ﷺ فأخبره بالذي رأى، فقال: تلك جنية العزى، ولا عزى للعرب بعدها.

ولما قتل خالد بن الوليد بني جذيمة - وهم من كنانة - بالغميصاء، وجاء الخبر إلى رسول الله قال: «**اللهم إني أبرأ إليك من فعل خالد**»، ووداهم ﷺ.

ولما توفي رسول الله ﷺ وكانت أيام الردة، حسن بلاء خالد فيها، وكان عميدا عند أبي بكر رضي الله عنه، فبعثه إلى طليحة، فهزمه، وصالح أهل اليمامة، ونكح ابنة مجاعة. وكان إذا صار إليه المال قسمه في أهل الغزو ولم يرفع إلى أبي بكر

رضي الله عنه حسابا. وكان يقدم على أشياء لا يراها أبو بكر رضي الله عنه، كقتله مالك ابن نويرة ونكاحه امرأته من غير أن ترجع عن رد ا، وكان أبو بكر يهب سيئاته لحسناته، ويقول إذا كلمه عمر أو غيره في عزله: إني لأكره أن أغمد سيفا سله رسول الله. ثم إنه استعمله على الشام، فلم يزل ا حتى عزله عمر رضي الله عنه.

ولما اعتل خالد علة الموت جعل يقول: لقيت كذا وكذا زحفا، فما في جسدي موضع إلا وفيه ضربة بسيف، أو طعنة برمح، أورمية بسهم، وهأنذا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت الْعير، فلا نامت أعين الجبناء!

ولما توفي لم تبق امرأة من بني المغيرة إلا وضعت لمتها على قبره.

ولما ارتفعت أصوات النساء عليه أنكرها بعض الناس، فقال عمر رضي الله عنه، دع نساء بني المغيرة يبكين أبا سليمان، ويرقن من دموعهن سجلا أو سجلين، ما لم يكن نقع أو لقلقة.

وكان الحجاج يقول لأبناء المهلب: هم سيوف من سيوف الله.

وكتب بعض البلغاء: ما أظنك بسيوف الله -تعالى- في أيدي أوليائه، وقد نصره من سمائه على أعدائه!

١٠- (قوس الله): هي التي يقال لها: قوس قزح، ويشبه ا ما يقل لبثه، ولا يدوم مكثه، كما قال العلوي الحمامي:

فشـبهت سـرعة أيـامهم بسرعة قوس يسمى قـزح

تلون معترضـا في السـماء فما تم ذلك حتى نـزح

في الخبر: "لا تقولوا قوس قزح، ولكن قولوا قوس الله، فإن قزح من أسماء الشياطين".

ويجوز أن تكون سميت ذا الاسم وأضيفت إلى الله -تعالى- لأ ا من فعل الله، وسائر القسي من بري الناس وفعلهم، وقد سماها الوأواء الدمشقي قوس السماء في قوله.

أحسن بيوم ترى قوس السماء به والشمس مسفرة والبرق خـلاس

كأ ا قـوس رام والـبروق لهـا رشق السهام وعين الشمس برجاس

وسماها سيف الدولة قوس السحاب في قوله، وأنشدنيه أبو الحسن الأفريقي

المتيم، قال: أنشدني سيف الدولة لنفسه، وهو أحسن ما قيل في وصفها:

وساق صبيح للصبوح دعوتـه فقام وفي أجفانه سنة الغمـض
يطوف بكاسات العقار كـأنجم فمن بين منقض علينا ومـنفض
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفا على الجود كنا والحواشي على الأرض
تطرزها قوس السحاب بـأحمر على أصفر في أخضر إثر مبيض
كأذيال خود أقبلت في غلائـل مصبغة والبعض أقصر من بعض

١١- (رمح الله): كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا ذكر الكوفة قال: هي رمح الله، وفيها جمجمة العرب، وكنـز الإيمان؛ كأنه أراد أن أهلها سلاح على أعداء الله في المحاربة.

١٢- (كلب الله): قال الجاحظ: يروى أن النبي ﷺ قال لعتبة بن أبي لهب: "**أكلك كلب الله**"؛ فأكله الأسد. وفي هذا الخبر فائدتان:

إحداهما: أنه ثبت بذلك أن الأسد كلب الله.

والثانية: أن الله تعالى لا يضاف إليه إلا العظيم من جميع الأشياء من الخير والشر؛ أما الخير فقولهم: بيت الله، وأهل الله، وزوار الله، وكتاب الله، وأرض الله، وخليل الله، وروح الله، وأشباه ذلك. وأما الشر فكقولهم: دعه في لعنة الله تعالى وسخطه وأليم عذابه، ودعه في نار الله وسقره.

١٣- (نار الله): قال الجاحظ: كل شيء أضافه الله تعالى إلى نفسه فقد عظم شأنه، وشدد أمره، وقد فعل ذلك بالنار فقال: ﴿**نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ**﴾(١).

وحكى أبو منصور العبدوني الكاتب قال: تنجزت جوازا لرجل قبيح الخلقة، وخش الصورة، غاية في الدمامة والسماجة، فلم يقدر الكاتب على تمليته، فكتب: يأتيك ـذا الجواز آية من آيات الله ونذره، فدعه يذهب إلى نار الله وسقره.

وقرأت في أخبار أبي دلامة زيد بن الجون أنه أخذ ليلة وهو سكران فَخرق طيلسانه وحبس، فكتب من الغد إلى المنصور أبياتا، منها:

(١) سورة الهمزة ٦.

أمن صهباء صـافية المـزاج كأن شعاعها ضـوء السـراج
وقد طبخت بنار الله حـتى لقد صارت من النطف النضاج
أقاد إلى السجون بغير جـرم كأني بعـض عمـال الخـراج
أمير المؤمنين فدتك نفسـي علام حبستني وخرقت ساجي!
ألا إني وإن لاقيــت شــرا لخيرك بعد هـذا الشـر راج

فاستدعاه و استنشده الأبيات، فأنشده إياها، فأمر له بألف درهم، فلما ولي ليخرج قال الربيع: أفهم أمير المؤمنين معنى قوله: "وقد طبخت بنار الله"؟ قال: قد فهمت، فما عنى ا؟ قال: عنى ا الشمس، فقال: علي به فلما جاء قال: يا عدو الله ما عنيت بنار الله؟ قال: ﴿**نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ**﴾ على فؤادِ من أخبرك يا أمير المؤمنين؛ فضحك منه وأمره بالإنصراف.

١٤- (شمس الله): عهدي بالأمير السيد أدام الله تأييده ينشدني فائية ديك الجن من أولها إلى آخرها، وهي فائقة رائقة، يزداد حسنها لجريها على لسانه، وتكتسي شعارا أنيقا من عباراته، ومنها:

وصفراوين من جلب الأماني إذا جليت ومن حلب القطاف
أدرا منهما فلكـا وشمسـا وشمس الله مسرجة الغـلاف

١٥- (ظل الله): يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «**السلطان ظل الله في أرضه**». وأنشدني أبو الفتح علي بن محمد البستي لنفسه:

يا قوم أرعـوني أسمـاعكم حتى أؤدي واجب الفـرض
أشهد حقـا أن سـلطانكم لـيس بظـل الله في الأرض

١٦- (سعد الله): قال الأصمعي: من أمثال العرب:

* **أسعد الله أكثر أم جذام** *

وهما حيان بينهما فضل بين لا يخفى إلا على جاهل لا يعرف شيئا، قال الشاعر:

لقد أفحمت حتى لست تدري أسعد الله أكثر أم جذام

وضمن الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد معظم هذا البيت شعرا له كتب به في صباه إلى بعض إخوانه، فمنه:

كتبت وقد سبت عقلي المدام وساعدني على الشرب الندام

وأسرفنا فما ندري لسكر أسعد الله أكثر أم جذام!

وسعد من بين قبائل العرب مخصوصة بالفصاحة وحسن البيان، وكان النبي ﷺ مسترضعا فيهم، وظئره حليمة السعدية هي التي تسلمته من عبد المطلب فحملته إلى المدينة، فكانت ترضعه وتحسن تربيته، ولما ردته إلى مكة، نظر إليه عبد المطلب وقد نما نمو الهلال وهو يتكلم بفصاحة، فامتلأ سرورا وقال: جمال قريش، فصاحة سعد، وحلاوة يثرب.

وكان النبي ﷺ يقول: «**أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، ونشأت** في بني **سعد بن بكر، فأنى يأتيني اللحن!**».

وكان شبيب بن شبة من أفصح الخطباء، وهو من بني سعد وفيه يقول أبو نخيلة:

إذا عدت سعد على شبيبها على فتاها، وعلى خطيبها

من مطلع الشمس إلى مغيبها عجبت من كثرتها وطيبها

١٧- (ناقة الله): النوق وغيرها من المخلوقات كلها لله، ولكن هذه الناقة لما كانت آية من آيات الله تعالى، ومعجزة لنبيه صالح عليه السلام، خصت بالإضافة إلى الله تعالى، كما قال: ﴿**نَاقَةَ اللهِ وسُقْيَاهَا**﴾[1]؛ وذلك أن ثمود قالوا لصالح: إن أردت أن نؤمن لك فأخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشراء تبرك بين أيدينا، وتمخض كما تمخض النوق الحوامل، وتنتج سقبا منها. فصلى صالح ركعتين ودعا الله تعالى فانشقت الصخرة عن ناقة عظيمة الخلق، حسنة الصورة فبركت بين أيديهم

---

(١) سورة الشمس ١٣.

وتمخضت، ونتجت سقبا مثل أمه في عظم الخلقة، فقال لهم صالح عن الله تعالى: ﴿**هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرب وَلَكُم شِرب يَومٍ معلُومٍ**﴾(١).

فاقتسموا الماء، فكان لهم يوم وللناقة يوم، فإذا كان يوم الناقة توسعوا في اللبن ما شاءوا، وإذا كان يومهم لم يكن للناقة ماء، فنفسوا عليها بشرب يومها، وتآمروا في عقرها، فقال لهم صالح: ﴿**هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُم آيَةً فَذَروهَا تَأكُلْ فِي أرضِ اللهِ وَلا تَمَسوهَا بِسوءٍ فَيَأخذَكُم عَذَاب أَلِيم**﴾(٢)، فانبعث أشقاها، وعقرها بأمر ثمود، فرفع السقب رأسه إلى السماء ورغا بحنين وأنين، فقال لهم صالح عليه السلام: ﴿**تَمَتعوا فِي دَارِكُم ثَلاثَةَ أيامٍ**﴾(٣). ثم جاء العذاب في اليوم الرابع، وأخذ م الرجفة، فأصبحوا في دارهم جاثمين؛ وصارت ناقة الله مثلا سائرا على وجه الدهر. وربما قيل لها: ناقة صالح، وصار عاقرها مثلا في الشقوة والشؤم، وهو أحمر ثمود، وصارت ثمود مثلا في الفناء والهلاك.

ومن ظريف التمثيل ذه القصة قول والي اليمامة في خطبته: أيها الناس، لا تجترئوا على الله، فإنه لا يقر على المعاصي عباده، ولقد أهلك أمة عظيمة من أجل ناقة قيمتها ثلاثمائة درهم؛ فسمي مقوم الناقة.

وقد أكثر الناس من ضرب المثل ذه الناقة، ومن مليح ذلك قول بعضهم في العتاب و الاقتضاء:

حوائج الناس كلها قضـيت **وحـاجتي لا أراك تقضـيها**
أناقة الله حـاجتي عقـرت **أم نبت الحرف في حواشيها**

وضرب ا ابن الرومي المثل فقال وهو يصف إنسانا بشدة الأكل:

شبه عصا موسى ولكنـه **لم يخلـق الله لهـا فاهـا**
رفقا بزاد القوم لا تفنـه **يـا ناقـة الله وسـقياها**

---

(١) سورة الشعراء ١٥٠.
(٢) سورة الأعراف ٧٣.
(٣) سورة هود٦٤.

١٨-(ر الله): من أمثال العامة والخاصة: "إذا جاء ر الله بطل ر معقل"، و"إذا جاء ر الله بطل ر عيسى"؛ و ر معقل بالبصرة و ر عيسى ببغداد، وعليهما أكثر الضياع الفاخرة، والبساتين النـزهة ببغداد. وإنما يريدون بنهر الله البحر والمطر والسيل، فإ ا تغلب سائر المياه والأ ار وتطم عليها، ولا أعرف را مخصوصا ذه الإضافة سواهما.

قلت: ومما يجري مجرى المثل المذكور قول الشاعر:

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والساحر

١٩- (خاتم الله): يراد بذلك ثلاثة أشياء: اثنان منها للخاصة، وواحدة للعامة، أما اللذان للخاصة فقولهم للدراهم والدنانير خاصة: خاتم الله. وفي الخبر "كنوز الله في أرضه، فمن أرادها فليأ ا بخاتمه"، وقولهم في الكناية عن العذرة: خاتم الله، قال ابن الرومي في فتنة البرقعي:

كم رضيع هنـاك قـد فطمـوه بشبا السيف قبل وقت الفطـام

كـم فتـاة بخـاتم الله بكـر فضحوها جهـرا بغـير اكتتـام

وأما الذي للعامة فقولهم للصوم: الصوم خاتم الله، وقولهم عند الحلف بالله على الصوم:

*** لا والذي خاتمه على فمي ***

٢٠- (رحمة الله): قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم الأعرج- وقد خوفه عذاب الله في موعظة له حتى أبكاه: فأين رحمة الله؟ فقال أبو حازم: ﴿**قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾.

وكان بالبصرة جارية تسمى رحمة الله، يشبب ا بشار بن برد، فقال أبو نواس يذكرها بشارا، وضمن شعره بيتا له جرى فيه مجرى المثل لحسنه وسلامته:

أحببت من شعر بشـار لحـبكم بيتا لهجت به من شـعر بشـار

يـا رحمـة الله حلـي في منازلنـا وجاورينا فدتك النفس من جار

٢١-(ستر الله): في مناجاة بعض الصالحين: يا رب غرني سترك المرخى علي،

فعصيتك لجهلي؛ فالآن من عذابك من يستنقذني! وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني!

وفي الدعوات المأثورة: اللهم استرنا بسترك الجميل، وأظلنا بظلك الظليل.

وقرئ مكتوب على ستر من ستور الموصل: هذا ستر حسن، وستر الله أحسن.

فأما قول الشاعر:

رمتني وستر الله بيني وبينها ونحن بأكناف الحجاز رميم

فقد اختلفت أقوال أصحاب المعاني فيه، فمن قائل إنه أراد به الإسلام، وقائل إنه أراد به الشيب، وثالث قال: إنه أراد به الكعبة.

ولما أراد الحسن البصري الحج قال له ثابت البناني: يا أبا سعيد، بلغني أنك تريد الحج، فأحببت أن نصطحب؛ فقال: ويحك! دعنا نتعايش بستر الله إني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه.

٢٢- (يد الله): قال الله تعالى: ﴿**يد الله فوق أيديهم**﴾ [١].

ومن أبيات التمثيل والمحاضرة قول من اقتبس من قوله تعالى فقال:

وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

وسمعت أبا نصر سهل بن المرزبان يقول: قال أبو العيناء: كان لي خصوم ظلمة؛ فشكوتهم إلى أحمد بن أبي دواد، وقلت له: إن القوم قد تضافروا علي، وصاروا يدا واحدة علي، فقال: ﴿**يد الله فوق أيديهم**﴾، فقلت: إن لهم مكرا، فقال: ﴿**ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله**﴾[٢]، فقلت: إنهم كثيرون وأنا واحد، فقال: ﴿**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين**﴾[٣].

وأنشدت ببخارى للمرادي في بكر بن مالك لما قلد سياسة الجيش بخراسان:

قلد الجيش سيد هو جيش على حده

---

(١) سورة الفتح ١٠.

(٢) سورة فاطر ٤٣.

(٣) سورة البقرة ٢٤٩.

يــد بكــر وســيفه ويـــد الله واحـــده

٢٣- (عمال الله): هم الذين يعملون لله، فإما يشتغلون بعبادته، وإما يجاهدون في سبيله.

ويروى أن النبيﷺ مر بقوم يربعون حجرا، فقال: «**عمال الله أقوى من هؤلاء**»، وفي بعض الروايات أنه قال: «**ألا أخبركم بأشدكم؟**». قالوا: بلى، قال: «**من ملك نفسه عند الغضب**».

٢٤- (سبيل الله): قال الله –تعالى: ﴿**إن اللهَ يحِب الذِينَ يقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنهم بنيَانٌ مرصوص**﴾ [1]. وقال النبي ﷺ: «**ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دم في سبيله، أو قطرة دمع في جوف الليل من خشيته**».

٢٥- (باب الله): قلت في كتابي المبهج: سبحان من بابه غير مرتج لمرتج. وقال علي بن الجهم:

وأفــنــية الملــوك محجبات ويـاب الله مبذول الفناء

٢٦- (نور الله): قال النبي ﷺ: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**».

٢٧- (حراس الله): عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن النبيﷺ أنه قال: «**إن لله تعالى حراسا في السماء وفي الأرض، فحراسه في السماء الملائكة، وحراسه في الأرض الذين يأخذون الديوان**».

٢٨- (أمان الله): عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تطرقوا الطير في أوكارها، فإن الليل أمان الله**».

وفي بعض الأخبار أنه ى عن البيات، وقال: «**الليل أمان الله عز وجل**».

٢٩- (ميزان الله): قال بعض الحكماء: العدل ميزان الله، فلذلك هو مبرأ من كل ميل وزيل.

عن بعض السلف: العدل ميزان الله، والجور مكيال الشيطان.

٣٠- (خالصة الله): عون بن عبد الله: كان يقول: من كان في صورة حسنة،

---

(١) سورة الصف ٤.

ومنصب لا يشينه، ووسع عليه في الرزق، كان من خالصة الله تعالى.

٣١- (موائد الله): يروى عن الحسن البصري -رحمه الله-: الأسواق موائد الله تعالى في أرضه، فمن أتاها أصاب منها.

٣٢- (عين الله): قلت في كتابي المترجم بالمبهج: الملك العادل مكنوف بعون الله، محروس بعين الله. وقلت في قصيدة في السلطان الماضي:

يا قاهر الملك ويا خاتم ال أملاك بين الأخذ والصفح

عليك عين الله من فاتح للأرض مستول على النجح

راياته تنطق بالنصر بل تكاد تملى كتب الفتح

٣٣- (أمر الله): الرياشي، قال: ما اعتراني هم فأنشدت قول أبي العتاهية:

هي الأيام والغير وأمر الله ينتظر

أتيئس أن ترى فرجا فأين الرب والقدر

إلا سري عني، وتنسمت ريح الفرج. وسمعت أبا بكر الخوارزمي يقول: لم أسمع في وصف الطفيلي أبلغ من قول الحمدوني:

أراك الدهر تطرق كل دار كأمر الله يحدث كل ليله

٣٤- (طراز الله): قرئ على عصابة بعض جواري الخلفاء: "مما عمل في طراز الله"، فاستعمل الصاحب هذه الاستعارة المليحة في شعره، حيث قال:

هذا علي على في محاسنه كأنما حسبه أن يبلغ الأملا

وكم أقول وقد أبصرت طلعته هذا الذي في طراز الله قد عملا

وقال أيضا:

رأيت عليا في كمال جماله فشاهدت منه الروض ثاني مزنه

ولما تبدى لي طراز عذاره رأيت طراز الله في ثوب حسنه

وقال بعض أهل العصر:

ديباجة الوجه من علي معمولة في طراز ربي

فحسنه مـلء كـل عـين وحبـه مـلء كـل قلب

٣٥- (خلافة الله): كان أبو الفتح البستي يستحسن قولي في كتابي المبهج: الملك خلافة الله في عباده وبلاده، ولن يستقيم أمر خلافته مع مخالفته.

وكان يقول: بودي أن لي بعض كلامه.

٣٦-(لعنة الله): أنشدني أبو بكر الخوارزمي لبعضهم:

لعنة الله والرسول وأهل الـ ـأرض طرا على بـني مظعـون

بعت في الصيف قبة الخيش فيهم ورهنت الكـانون في كـانون

وبلغني عن الصاحب أنه كان يقول: لم أسمع جوابا أطرف وأوقع وأبلغ من جواب عبادة، فإنه قال لرجل: من أين أقبلت؟ قال: من لعنة الله؛ فقال: رد الله عليك غربتك.

٣٧- (سجن الله): عن النبي ﷺ: «**الحمى رائد الموت وسجن الله في أرضه، وقطعة من النار**». وفي خبر آخر: «**الحمى سجن الله في أرضه، يحبس فيه عباده إذا شاء، ويطلقهم إذا شاء**».

٣٨- (بنيان الله): قال النبي ﷺ: «**من هدم بنيان الله فهو ملعون**»؛ يعني من قتل نفسا، وهذه من استعاراته التي لا شيء أحسن منها، ﷺ.

٣٩- (صبغة الله): قال الله عز وجل:﴿**صِبغَةَ اللهِ وَمَن أَحسَنُ مِنَ اللهِ صِبغَةً**﴾[1].

وقلت في كتابـي المبهج: تعالى الله ما أبدع صنعته، وأحسن صبغته، وألطف صيغته!

٤٠- (وفد الله): كتب الصاحب أبو القاسم: الحجيج وفد الله، وهم له متاجرون، وفي طلب ثوابه مسافرون، وإلى بيته الحرام سائرون، ولقبر نبيه ﷺ زائرون.

وقلت في كتابي المبهج: بشر وفد الله بفوائد الدارين.

(١) سورة البقرة ١٣٨.

الباب الثاني
فيما يضاف وينسب
إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

وصي آدم. شهرة آدم. سفينة نوح. غراب نوح. عمر نوح. مقام إبراهيم. نار إبراهيم. صحف إبراهيم. ضيف إبراهيم. تحفة إبراهيم. وعد إسماعيل. ناقة صالح. رؤيا يوسف. ذئب يوسف. قميص يوسف. حسن يوسف. سنو يوسف. ريح يوسف. عصا موسى. نار موسى. يد موسى. بقية قوم موسى. لطمة موسى. خليفة الخضر. صبر أيوب. حوت يونس. درع داود. نغمة داود. مزامير داود. خاتم سليمان. جن سليمان. سير سليمان. ملك سليمان. حمار عزير. طب عيسى. دم يحيى بن زكريا. بردة النبي ﷺ. داء الأنبياء. فقر الأنبياء.

الاستشهاد

٤١- (وصي آدم): إذا كان الإنسان فضوليا داخلا فيما لا يعنيه، متكلفا ما لا يلزمه من التطفل على أمور الناس، والتهالك في الاشتغال ا، قيل: فلان وصي آدم. وقد توضع هذه الصفة مكان المدح، كما قال الشاعر:

وكأنّ آدم حين حم حمامـه ... أوصاكَ وهو يجود بالحوبـاء
ببنيه أن ترعاهم فرعيتـهم ... وكَفَيتَ آدم عيلـة الأبنـاء

ومنه أخذ أبو العيناء معنى كلامه في الحسن بن سهل، وقد سأله عنه محمد ابن عبد الله بن طاهر فقال: خلف آدم عليه السلام في ولده فهو يسد خلتهم، وينقع غلتهم، وقد رفع الله تعالى للدنيا من شأ ا إذ جعله من سكا ا وذوي الأمر فيها.

ولما نعي الحسن إليه قال: لئن أتعب المادحين، لقد أطال بكاء الباكين؛ ولقد كان بقية وفي الناس بقية، فكيف الآن وقد أودت البرية!

٤٢- (شهرة آدم): يضرب ا المثل وحقت، قال أبو عبد الله بن الحجاج من أبيات كتب ا إلى بعض الرؤساء وهو يشكو بوابا له أنكره ولم يأذن له:

خادمكم يشكو وقد جاءكم غلظـة بـوابكم الخـادم
أنكرني عنكم علـى زعمـه فلم أزل في عجـبٍ دائـم
لأنـني بـين بـني أدم مذ خلقوا أشـهر مـن آدم

٤٣- (سفينة نوح): قال النبي ﷺ: «**إن عترتي كسفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن تأخر عنها هلك**»، وأخذ هذا المعنى أبو عثمان الخالدي، فقال من قصيدة:

أعاذل إن كسـاء التقـى كسانيه حبي لأهل الكسـاء
سفينة نـوح فمـن يعتلـق بحبلـهم يعتلـق بالنجـاء

وقد تضرب سفينة نوح مثلا للشيء الجامع؛ لأن نوحا حمل فيها من كل زوجين اثنين؛ كما يضرب المثل في ذلك المعنى بجامع سفيان، قال بعض العصريين

يا طبيبـا منجمـا وفقيهـا شاعرا شعره غذاء الـروح
فهو طورا كمثل جامع سفيا ن وطورا يحكي سفينة نوح

وقال الجاحظ: قال أبو عبيدة: زعم بعض المفسرين وأصحاب الأخبار أن أهل سفينة نوح كانوا قد تأذوا من الفأر، فعطس الأسد عطسته فخرج من منخريه زوج سنانير؛ فلذلك السنور أشبه شيء بالأسد. وسلح الفيل زوج خنازير، فلذلك الخنـزير أشبه شيء بالفيل.

قال كيسان لأبي عبيد: ينبغي أن يكون ذلك السنور هو آدم السنانير وتلك السنورة حواءها؛ فقال أبو عبيدة، وضحك منه: ألم تعلم أن لكل جنس من الحيوانات آدم وحواء! فضحك القوم من ذلك.

٤٤- (غراب نوح): يضرب مثلا للرسول الذي لا يعود أو يبطئ عن ذي الحاجة من غير إنجاح، وذلك أن نوحا عليه السلام أرسل الغراب من السفينة ليأتيه بخبر الماء، فاشتغل بميتة وجدها ولم يعد إلى نوح حتى أرسل مكانه الحمامة، فجاءته بالخبر.

وقال الجاحظ: يقال في المثل: فلان لا يرجع حتى يرجع غراب نوح، كما يقول أهل البصرة: حتى يرجع نشيط من مرو، وكما يقول أهل الكوفة: حتى يرجع

مصقلة من سجستان. وكما تقول العرب حتى يئوب القارظ العنزي.

وقال بعض الشعراء في قصة له:

وندمان بعثت به رسولا … فأهمل حاجتي كغراب نوح

رأى في الدير بدرا مستنيرًا … فساعده على دين المسيح

٤٥- (عمر نوح): يضرب مثلا في الطول، قال وهب بن منبه: كان عمر نوح عليه السلام ألف سنة، لأنه بعث إلى قومه وهو ابن خمسين سنة، ولبث يدعوهم إلى أن مضت تسعمائة وخمسون سنة، فذلك قوله تعالى: ﴿**فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إلا خَمسِينَ عَاما**﴾[1].

ويروى أنه عاش ثلاثة قرون، وعمر فيهم وهم لا يجيبونه، ولا اتبعه منهم إلا القليل، كما ذكره عز ذكره، قال: ﴿**وَمَا آمَنَ مَعَه إلا قَلِيلٌ**﴾[2].

وقد أكثر الناس التمثيل بعمر نوح نظما ونثرا، قال محمد بن مكرم لأحمد ابن إسرائيل:

قل لابن إسرائيل يا أحمد … عمرك في العالم لا ينفد

إن زمانا أنت مستوزر … فيه زمان عسر أنكد

يا لبد الدهر ويا عوجه … أنت كنوح عمره سرمد

وقال آخر:

يحتاج راجي نوالهم أبدا … إلى ثلاث بغير تكذيب

كنوز قارون أن تكون له، … وعمر نوح، وصبر أيوب

وقال أبو العتاهية:

لتموتن وإن عمـ … ـرت ما عمر نوح

فعلى نفسك نح إن … كنت لا بد تنوح

---

(١) سورة العنكبوت ١٤.

(٢) سورة هود ٤٠.

وقرأت للصاحب فصلا من كتاب له إلى أبي محمد العلوي علق بحفظي منه في ذكر نوح صاحبه - وكان بعث به رسولا إليه: وأما صلته ولي بره بوسميه، وإنفاذه للتهنئة نوحا أبقى الله سيدي بقاء سميه فقد أطاع فيه خلقا طالما وردنا حياضه فارتوينا من كرم غمر، وقصدنا رياضه فرعينا من شرف دثر.

٤٦- (مقام إبراهيم): يضرب مثلا لكل مكان شريف ومقام كريم قال الله تعالى: ﴿**وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**﴾[(١)]؛ ويروى أنه كان فيه أثر عقبيه وأصابعه، فما زالت الأمة تمسحه حتى خفي الأثر.

ومن أحسن ما سمعت في ضرب المثل به ما أنشده أبو إسحاق الصابي لعلي بن هارون بن علي بن يحيى المنجم في ابن أبي الحواري، وقد عرفت له سقطة وثئت رجله[(٢)] منها:

كيف نال العثار من لم يزل منـ	**ـه مفيدا في كل خطب جسيم**
أو ترقى الأذى إلى قدم لم	**تخط إلا إلى مقام كريم**
لمقام النبي أحمد أو مثـ	**ـل مقام الخليل إبراهيم!**

٤٧- (نار إبراهيم): يضرب بها المثل في البرد والسلامة، ويروى أن إبراهيم عليه السلام لما قذف في النار بعث الله له ملك الظل، فكان يحدثه ويؤنسه، فلم تصل النار إلى أذاه مع قربه من طباع ذلك الملك، قال عز ذكره: ﴿**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ**﴾ [(٣)].

وقد شبه بها ابن الرومي الخمر فقال:

وعاتقة زفت لنا من قرى كوثي	**تلقب أم الدهر بل بنته الكبرى**
رأيت نار إبراهيم أيام أوقدت	**وصارت من الأوصاف أوصافها الحسنى**
حكت نورها في برد وسلامها	**وباتت بطيب لا يوازي ولا يحكى**

(١) سورة البقرة ١٢٥.
(٢) وثئت رجله: كسرت.
(٣) سورة الأنبياء ٦٩.

وتعاطى ابن المعتز هذا التشبيه فأوجز حيث قال:

ومشمولة قد طال بالقنص لبثها   حكت نار إبراهيم في اللون والبرد

ولنار إبراهيم مكان آخر من باب النيران في هذا الكتاب.

٤٨- (صحف إبراهيم): قال وهب بن منبه: أنزل الله على إبراهيم عشرين صحيفة كلها أمثال وعبر وتسبيح وتحميد، وكان مما فيها: أيها الملك المسلط، المغرور المبتلى، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض، ولتبني المدائن والحصون، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردها ولو كانت من كافر. وفي بعض الروايات: إنها ردت إلى السماء فلم يبق في أيدي الناس منها شيء.

وقد يضرب بها المثل في الشيء المتروك المنسي، كما قال الصاحب في رسالة له إلى بعض إخوانه: ونسيتني وما كان حقي أن أنسى، وطويتني في صحف إبراهيم وموسى.

٤٩- (ضيف إبراهيم): يضرب مثلا للضيف الكريم، لأن الله تعالى يقول في قصته: ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ**﴾[1]، قال المفسرون: إنما قال ذلك لأن إبراهيم قام عليهم بنفسه، ثم ما لبث أن جاء بعجل سمين فقربه إليهم وقال ألا تأكلون!

ومن كرامة الضيف تعجيل قراه، قال الشاعر:

أسأتم وأبطأتم على الضيف بالقرى   وخير القرى للنازلين المعجل

وقرأت في أخبار الحسين الجمل المصري أنه دخل على قادم من مكة وعنده قوم يهنئونه، وبين أيديهم أطباق من الحلوى، وليس يمد أحد منهم يده إليها، فقال والله يا قوم لقد ذكرتموني ضيف إبراهيم، قالوا: وكيف؟ فقرأ: ﴿**فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً**﴾[2]، ثم قال: كلوا رحمكم الله! فضحكوا من قوله وأكلوا وأكل معهم.

٥٠- (تحفة إبراهيم): هي اللحم، ويحكى أن الشعبي دخل على صديق له

---

(١) سورة الذاريات ٢٤.

(٢)سورة هود ٦٩، ٧٠.

فتحدثا ساعة، فلما أراد القيام قال له: لا نتفرق إلا عن ذواق، فقال الشعبي: أتحفني بما عندك ولا تتكلف لي مالا يحضرك؛ فقال: أي التحفتين أحب إليك؟ تحفة إبراهيم أم تحفة مريم! قال الشعبي: أما تحفة إبراهيم فعهدي ا الساعة، وأريد تحفة مريم، فدعا له بطبق من رطب وإنما عني بتحفة إبراهيم اللحم لأن في قصته: ﴿**فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ**﴾[1]، ﴿**فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ**﴾[2]، وعنى بتحفة مريم الرطب؛ لأن في قصتها: ﴿**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**﴾[3].

٥١- (وعد إسماعيل): يضرب به المثل في الصدق، لأن الله -عز ذكره- أثنى عليه بصدق الوعد، فقال: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا**﴾[4].

وكان العلاء بن صاعد وعد البحتري مائة دينار يصله ا، فلما حصل منها على الخلف كتب إليه أبياتا، منها:

المائة الـ ـدينار مـ ـنسية	**في عـ ـدة أوسـ ـعتها خلفـ ـا**
لا صدق إسماعيل فيهـ ـا ولا	**وفـ ـاء إبـ ـراهيم إذ وفى**
إن كنت لا تنوي نجاحا لهـ ـا	**فكيـ ـف لا تجعلـ ـها ألفـ ـا!**

٥٢- (ناقة صالح): هي ناقة الله التي تقدم ذكرها في الباب الأول، ويقال لها: ناقة صالح، وكثيرا ما يضرب المثل ا من ينبه على براءة ساحته أو خفة جرمه فيقول: "إني لم أعقر ناقة صالح".

٥٣- (رؤيا يوسف): تضرب مثلا للرؤيا الصحيحة الصادقة، إذ كان عليه السلام رأى في المنام - وهو ابن اثنتي عشرة سنة - أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له سجدا، فلما قصها على أبيه يعقوب عليه السلام قال له: ﴿**يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ**

---

(١)سورة هود ٦٩، ٧٠.
(٢) سورة الذاريات ٢٧.
(٣) سورة مريم ٢٥.
(٤) سورة مريم ٥٤.

عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[١]، فلما كان من شأنه ما كان، وملك مصر ودخل عليه إخوته وأبواه خروا له سجدا قال: ﴿**يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا**﴾ [٢].

ولما قال المهدي لعبيد الله بن أبي عبيد الله الكاتب - وكان متهما بالزندقة: قد رأيت لك رؤيا قبيحة، فقال: يا أمير المؤمنين، وليست برؤيا يوسف، فغضب المهدي وأنشد:

ومطلع من نفسه مـا يسـره ... عليه من اللحظ الخفي دليـلُ
إذا المرء لم يبد الذي في ضميره ... ففي اللحظ والألفاظ منه رسول

٥٤- (ذئب يوسف): يضرب مثلا لمن يرمى بذنب جناه غيره؛ وهو بريء الساحة منه، قال أبو عبيد الله بن الحجاج الكاتب:

قد أذنب القـوم وألزمتـه ... كـمـا ٍّم أولاد يعقـوب
إذ جعلوا يوسـف في جبـه ... وأوقعوا الذنب على الذيب

قال الجاحظ: قال أبو علقمة: إن اسم الذئب الذّي أكل يوسف رغمون، فقيل له: إنّ يوسف لم يأكله الذئب، وإنمـا كـذبوا عليـه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿**وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ**﴾[٣]، قال: فهذا اسم الذئب الذي لم يأكله قبل! فينبغي أن يكون هذا الاسم لجميع الذئاب؛ فإن الذئاب كلها لم تأكله.

وللبديع الهمذانيّ من فصل له: "كذب القميص؛ لا ذنب للذيب، في تلك الأكاذيب".

٥٥- (قميص يوسف): أجرى الله -تعالى- أمر يوسف من ابتدائه إلى انتهائه على ثلاثة أقمصة: أولها قميصه المضرج بدم كذب والثاني قميصه الذّي قد من دبر، والثالث قميصه الذّي ألقي على وجه أبيه فارتد بصيرا، ولكلّ من هذه الأقمصة

---

(١) سورة يوسف: ٥.
(٢) سورة يوسف ١٠٠.
(٣) سورة يوسف ١٨.

موضع من ضرب المثل وإجراء النادرة.

فيروى أنّ إخوة يوسف لمّا قالوا لأبيهم: ﴿**إنا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يوسفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَه الذئْب**﴾[1]، قال لهم: أروني قميصه، فأروه إياه مضرجا بالدم غير ممزق، فقال: تالله ما رأيت ذئبا أحلم من هذا وأرفق؛ أكل ابني ولم يمزق قميصه!

وأنشدني أبو عبيد الله المرزباني في كتابه، كتاب "المستنير"[2] لأبي الشيص:

وقائلة وقد بصرت بدمع ... على الخدين منهمر سكوب!
أتكذب في البكاء وأنت خلو ... قديما ما جسرت على الذّنوب
جفونك والدموع تجول فيها ... وقلبك ليس بالقلب الكئيب
نظير قميص يوسف يوم جاءوا ... على لباته بدم كذوب
فقلت لها: فداك أبي وأمي ... رجمت لسوء ظنك بالغيوب

وأما القميص الثاني فلأبي الحارث جميز فيه نادرة طريفة، وهي: أنه رئي في ثياب متخرقة، فقيل له: ألا يكسوك محمد بن يحيى؟ فقال: لو كان له بيت مملوء إبرا، وجاءه يعقوب ومعه الأنبياء شفعاء والملائكة ضمنا يطلب منه إبرة ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما أعاره إياها، فكيف يكسوني! ونظم هذه المعنى من قال:

لو أنّ دارك أنبتت لك واحتشت ... إبرا يضيق بها فناء المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك إبرة ... ليخيط قد قميصه لم تفعل

وقال العباس بن الأحنف:

وقد زعمت جمل بأني أردتها ... على نفسها، تبا لذلك من فعل
سلوا عن قميصي مثل شاهد يوسف ... فإن قميصي لم يكن قد من قبل

وأما القميص الثالث فهو مثل سائر في لطف الموقع، كما قال أبو الطيب

---

(١) سورة يوسف ١٧.

(٢) كتاب المستنير في أخبار الشعراء المحدثين؛ أولهم بشار بن برد وآخرهم ابن المعتز، ذكره القفطي في إنباه الرواة ٣: ١٨٢.

المتنبي:

كأن كل سؤال في **مسامعه** **فميص يوسف** في **أجفان يعقوب**

وقال أبو عثمان الخالدي للوزير المهلبي - وذكر معز الدولة:

إن غبت أودعك الإله حياطة **وإذا قدمت أباحك الترحيبا**

ويكون من مقة كتابك عنده **كقميص يوسف إذ أتى يعقوبا**

ولبلغاء المترسلين- لاسيما أهل العصر منهم - في التمثيل بهذا القميص نكت وغرر؛ ومن أحسنها فصل للأمير السيد أبي الفضل من رسالة إلى أبيه: وصل كتاب مولانا فعددت يوم وروده عيدا، أعاد عهد السرور جديدا، ورد طرف الحسود كليلا وقد كان حديدا، ولم أشبهه في إهداء الروح ورد الشفاء وتلاقي الروح بعد أن أشفت على المكروه كل الإشفاء إلا بقميص يوسف حين تلقاه يعقوب من البشير، وألقاه على وجهه فنظر بعين البصير، فكم أوسعته لثما واستلاما، والتقطت منه بردا وسلاما، حتى لم يبق في الصدر غلة إلا برد ا ولا غمة في النفس إلى طرد ا، ولا شريعة من الأنس إلا رويت منها وقد ورد ا.

ومنها فصل لأبي العباس الضبي: وصل كتاب مولانا فكان رحمه الله عند أيوب، وقميص يوسف عند أجفان يعقوب.

٥٦- (حسن يوسف): يضرب به المثل في شعراء العرب والعجم.

وفي الخبر أن يوسف أعطي نصف الحسن، فكان النصف له والنصف لسائر الناس، وما الظن عن النسوة لما ﴿**رَأَيْنَه أَكْبَرْنَه وقَطعنَ أَيدِيَهن وقُلْنَ حَاشَ لِلهِ مَا هَذَا بَشَرا إنْ هَذَا إلا مَلَك كَريم**﴾[1].

وكان أبو عيسى بن الرشيد أحسن أهل زمانه؛ حتى أنه كان أحسن من أخيه محمد الأمين، وهو المضروب به المثل في الحسن، فكان يقال لأبي عيسى: يوسف الزمان ؛ وسيمر ذكره في موضع الكتاب.

٥٧- (سنون يوسف): يضرب ا المثل في القحط والشدة، وكانت سبعا

(١) سورة يوسف ٣١.

متواترة؛ قال النبي ﷺ: «**اللهم اشدد وطأتك على مصر، وابعث فيهم سنين كسني يوسف**»، فاستجاب الله دعاءه حتى شووا الجلد وأكلوا القد.

ومن قصة سني يوسف أنه كان عليه السلام قد أعد في سني الخصب من الحنطة والشعير وسائر الحبوب في الأهراء والخزائن وما يسع أهل مصر وغيرهم فلما كانت تلك السنون الشداد جعل يوسف يبيعهم في السنة الأولى بالدراهم والدنانير، حتى استغرق دراهم مصر ودنانيرها، ثم باعهم في الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس شيء منها؛ ثم باعهم في الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها كلها، ثم باعهم في الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق لأحدهم عبد ولا أمة، ثم باعهم في الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى جمع بين ملك مصر وملكها، ثم باعهم في السادسة بأولادهم حتى استرقهم، ثم باعهم في السابعة برقا م حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة إلا صار عبدا وصارت أمة له؛ ثم إنه عليه السلام قال: إني لم أملك مصر لأملك أهلها ولم أبرهم لأجفوهم، فأعتقهم كلهم، ورد عليهم أموالهم وأملاكهم وأولادهم، فذلك قول الله- عز ذكره: ﴿**وكَذَلِكَ مَكنا لِيوسفَ فِي الأَرض**﴾[1].

٥٨- (ريح يوسف): يضرب مثلا فيما يحس به من أثر الشيء السار، كما يحكى أن آدم بن عمر بن عبد العزيز استأذن على يعقوب بن الربيع وهو على شراب، فأمر برفعه وأذن له، فلما دخل قال: ﴿**إني لأجِد رِيحَ يوسفَ لَولا أن تفَندون**﴾[2]، فضحك يعقوب وأمر برد الشراب، ونادمه يومه.

٥٩- (عصا موسى): قال الله عز وجل: ﴿**ومَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا موسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتوَكأُ عَلَيهَا وأهش بِهَا عَلَى غَنَمِي ولِيَ فِيهَا مَآرِب أخرَى**﴾[3].

قال الجاحظ: من يستطيع أن يدعي الإحاطة بما في قول موسى: ﴿**ولِيَ فِيهَا مَآرِب أخرَى**﴾ إلا بالتقريب وذكر ما خطر على البال! ولكنني سأذكر جملا تدخل في باب الحاجة إلى العصا، فمنها: أ ا تحمل للحية والعقرب والذئب والفحل الهائج

---

(١) سورة يوسف ٢١.
(٢) سورة يوسف ٩٤.
(٣) سورة طه ١٧.

في زمن هيج الفحول، ويتوكأ عليها الشيخ الدالف، والسقيم المدنف، والأقطع الرجل، والأعرج، فإ ا تقوم مقام الرجل الأخرى، وتنوب للأعمى عن قائده، وتتخذ محراكا للتنور، وهي لدق الجص والحشيش والسمسم، ولخبط الشجر، وهي للقصار والمكاري، فإ ما يتخذان المخاصر من عصي قصار، فإذا طال الشوط وبعدت الغاية استعانا في عدوهما وهرولتهما في أضعاف ذلك لاعتمادها على وجه الأرض، وهي تعدل من ميل المفلوج، وتقيم من ارتعاش المحموم ويتخذها الراعي لغنمه، وكل راكب لمركبه، ويدخل الرجل عصاه في عروة المزود ويمسك بيده الطرف الآخر، وربما كان أحد طرفيها في يد رجل، والطرف الآخر في يد صاحبها وعليها حمل ثقيل. وتكون إن شئت وتدا في حائط، وإن شئت ركز ا في الفضاء قبلة، وإن شئت جعلتها مظلة، وإن شئت جعلت فيها زجا فكانت عنـزة، وإن زدت فيه فجعلته سنانا كانت عكازة، وإن زدت فيها شيئا كانت مطردا، وإن زدت فيها شيئا كانت رمحا، وإن أردت كانت سوطا وسلاحا ومخصرة.

ومن ضرب المثل بعصا موسى فأحسن وأبدع ابن الرومي، حيث قال:

مديحي عصا موسى وذلـك أنـني ضربت به بحر الندى فتضحضحا
فياليت شعري إن ضربت به الصفا أيبعث لي منه جـداول سـيحا!
كتلك التي أندت ثرى الأرض يابسا وأبدت عيونا في الحجارة سـفحا
سأمدح بعـضَ البـاخلين لعلّـه إن اطرد المقيـاس أن يتسـمحا

ولو لم يفترع غير هذا المعنى البكر لكان أشعر الناس، إذ شبه مديحه بعصا موسى التي ضرب ا البحر فيبس، وضرب ا الحجر فانبجس، وذلك أن ابن الرومي مدح جوادا فبخل، فقال: سأمدح بخيلا، فلعله أن يجود على هذا القياس.

ومن مليح ما قيل في عصا موسى قول أبي الطيب الشعيري من أهل الشام:

قـل لمن يحـمل العـصا حـيث أمـسى وأصبـحا
مـا حوَ ْـا يـد امـرئ بـعـد موسى فأفلحـا

وظرف من قال:

عَلمتَ يا مشاجع بـن حارثـه   **أن العصا** في **الوحل رِجل ثالثه**

٦٠- (نار موسى): تضرب مثلا للشيء الهين اليسير يطلب فيوجد بسببه العلق النفيس والغنيمة الباردة.

قال ابن عائشة: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فإن موسى ذهب يقتبس النار، فكلمه الملك الجبار. وقد أعدت ذكر هذه النار في باب النيران من هذا الكتاب.

٦١- (يد موسى): يشبه ا ما يوصف بحسن البياض وشعاع النور، لقول الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿**اسلُك َيدَكَ ِفي جَيِبكَ َتخرج َبيضَاءَ ِمن غَير سوءٍ**﴾(1).

قال بعض أهل العصر في الغزل:

لك صدغ كأنه قلب فرعو   **ن ووجه كأنه يـد موسـى**
وفم قد أتى ببرهان عيسـى   **فهو بالطيب منه** يحيي **النفوسا**

واخترع ابن طباطبا العلوي في ذكر هذا البياض معنى آخر أحسن فيه على إساءته، قال لأبي علي بن رستم:

أنت أعطيت من دلائل رسل الله   **آيـا ـا علـوتَ الرءوسـا**
جئت فردا بـلا أب وبيمنـا   **ك بياض فأنت عيسى ومـوسى**

٦٢- (بقية قوم موسى): يضرب م المثل في الملال وقلة الصبر لأ م لم يصبروا على طعام واحد، كما قال الشاعر:

وقوم موسى في **الزمان البائـد**   لم **يصبروا على طعـام واحـد**

وقال أبو نواس:

أتيت فؤادها أشـكو إليـه   **فلم أخلص إليه من الزحـام**
فيامن ليس يكفيهـا خليـل   **ولا ألفا خليل كـل عـام**

---

(١) سورة القصص ٣٢.

أراك بقية من قوم موسـى فهم لا يصبرون على طعـام

وقال العباس بن الأحنف:

يا قوم لم أهجـركم لملالـة حدثت ولا لمقال واش حاسد

لكنني جربتكم فوجـدتكم لا تصبرون على طعام واحـد

٦٣- (لطمة موسى): تضرب مثلا لما يسوء أثره، وفي أساطير الأولين أن موسى سأل ربه أن يعلمه بوقت موته ليستعد لذلك، فلما كتب الله له سعادة المحتضر أرسل إليه ملك الموت وأمره بقبض روحه بعد أن يخبره بذلك، فأتاه في صورة آدمي، وأخبره بالأمر، فما زال يحاجه ويلاجه، وحين رآه نافذ العزيمة في ذلك لطمه لطمة فذهبت منها إحدى عينيه، فهو إلى الآن أعور وفيه قيل:

يا ملك الموت لقيت منكـرا لطمة موسى تركتك أعـورا

وأنا بريء من عهدة هذه الحكاية.

٦٤- (خليفة الخضر): يقال للرجل إذا كان جوالا في الأسفار، جوابا للآفاق: فلان خليفة الخضر، كما قال أبو تمام في نفسه:

خليفة الخضر من يأوي إلى الوطن في بلدة فظهور العيس أوطـاني

ثم قال:

بالشام قومي وبغداد الهوى وأنا بالرقّتين وبالفسـطاط إخـواني

وما أظن النوى ترضى بما صنعت حتى تسافر بي أقصى خراسـان

وقال القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز: أما الخضر فالناس في أمره فريقان: منكر ومكذب، ومقر ومصدق. ومعظم أهل الشرائع والنبوات يثبت عينه وإن اختلف في نعته، وإنما ينكره خواص من متكلمي الإسلام ومتخصصي الملل، فأما عوام ملتنا والسواد الأعظم من أهل الكتابيين وا ـوس فهم على افتراق المذاهب ـم في اسمه وصفته، وفي زمانه ومدته، مطبقون على إثبات عبد لله صالح حي على الدهر، ممدود له في الأجل، جوال في الأرض، مغيب الشخص عن الأبصار، وربما تجاوز جهال هذه الأمم إلى تثبيت أمور هي أبعد من العقول، وأذهب في طريق

الاستحالة كاستتاره عن العيون وهو حاضر وقصورها عنه وهو شاهد، وقطعه الأمكنة البعيدة في الأزمنة اليسيرة، وتصوره عند ذكر كل من ذكره، ومثوله بحضرة كل من دعا باسمه، وإن اختلفت م الأماكن، وتباعدت بينهم المسافة، حتى إنه ليكن في أقصى المشرق وعند منتهى العمارة وفي منقطع الترب ومسقط الشمس من آخر المغرب في وقت واحد.

وربما طوي ما بينهما في قدر رجع البصر، وزمان امتداد الطرف؛ إلى أكاذيب شنيعة، وحماقات عجيبة.

ورب سفيه ماجن، وخليع مارد، قد استغوى ضعفه قوم فأعد لهم أثرا في صخرة، أو موطئ قدم على صفحة أرض، فادعى أن رجلا حسن الهيئة والشارة، جميل الرواء والسحنة، عطر الثوب والبزة، قد ظهر في موضع كذا، أو على جبل كذا، ثم أراهم ذلك الأثر، فلم يشك القوم أن الخضر ظهر له، وأن نعمة من الله أهديت إليه، وكرامة من كراماته أفيضت عليه، فاتخذوا ذلك الماجن إماما، وتلك البقعة مشهدا ومثابا.

وأكثر الرواة والعلماء على أنه صاحب موسى الذي قال له موسى: ﴿**هَلْ أتبِعكَ عَلى أن تَعلَمَن مِما علمتَ رشدا**﴾[1].

وقال بعضهم: إنما كان السبب في امتداد عمره وتأخر يومه والعلة في خلوده واتصال حياته، أنه كان على مقدمة ذي القرنين، ثم اقتحم الظلمات،، طالبا فيه عين الحياة، التي من جرع من مائها جرعة عاش مخلدا، ولم يذق الموت أبدا.

قالوا: فبينما هم بين أطباق الظلمات، وفي جو لا تتخلله الأنوار، إذ هجم الخضر على تلك العين فشرب منها حتى اكتفى، ولحق ذو القرنين العين وقد غارت فلم يجد لها أثرا، فانكفأ راجعا، وغاب عنه الخضر سائحا. والله أعلم.

٦٥- (صبر أيوب): قصته في البلاء والصبر عليه مشهورة، والمثل ا سائر، قال ابن لنكك:

نحن من الدهر في **أعاجيــب** **فنســأل الله صــبر أيــوب**

(١) سورة الكهف٦٦.

أقفرت الأرض من محاسـنها فابك عليها بكاء يعقـوب

٦٦- (حوت يونس): يشبه به النهم الأكول الجيد الالتقام والالتهام، كما يشبه بعصا موسى.

كما كتب أبو الخطاب الصابي إلى عز الدولة أبو منصور بختيار على سبيل المطايبة؛ وأمره أن يتخير من أطايب ما يقرب إليه، ولا يتعذر هضمه، ولا يبطئ استمراؤه، وأن يعتمد صدور الدجاج وخواصر الحملان، ويتجنب شحوم الكلى فإنها تمنع من الإمعان، وأن يحاكي حوت يونس في جودة الالتقام، وثعبان موسى في سرعة الالتهام، ويبادر الطرف باستراطه، ويسبق النفس بازدراده.

٦٧- (درع داود): قال الله -عز وجل- في قصة داود: ﴿**وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ**﴾[1]، قال المفسرون: كان الحديد في يده كالعجين في يد أحدكم؛ وقالوا في قوله: ﴿**وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ**﴾، أي: لا تضيق ثقب مسامير الدروع فتخرق، ولا توسعها فتفلق.

قالوا: ولم يكن قبل داود دروع، وإنما كانت صفائح من حديد مضروبة؛ وهو أول من عملها ولبسها وألبسها؛ قال أبو ذؤيب:

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أمتن من سوابغ تبـع

وأحسن السلامي في قوله من قصيدة لعضد الدولة:

ألبستهم نسج داود فنلت بهـم ملك ابن داود إذ دانت له الأمم

٦٨- (نغمة داود): يضرب بها المثل في الطيب وكان عليه السلام إذا قام في محرابه يقرأ الزبور، عكفت عليه الوحش والطير تصغي إليه، ولذلك قال ابن الرومي في ذم صياد يرمي بقوس البندق ولا يخطئ بإصابته:

تستأنس الطير إلى قوسـه كأنهـا محـراب داود

وقال أبو علي البصير في جارية قارئة واسمها سكر:

أسكرتني سكرا بغـير شـراب وأتت إذ أتت بـأمر عجـاب

---

(١) سورة سبأ ١١.

لم ترجع بآية من كتاب الله ... ـه حتى نسيت أم الكتاب
أذكرتني بصوتها صوت داود يقري الزبور في المحراب

وقال بعض العرب:

لها حكم لقمان وصورة يوسف ... ونغمة داود وعفة مريم
ولي سقم أيوب وغربة يونس ... وأحزان يعقوب ووحشة آدم

٦٩- (مزامير داود): حدث أبو عاصم، عن ابن جريج، قال: سألت عطاء عن قراءة القرآن على ألحان الغناء والحداء، فقال: لا بأس، فقد حدثني عبيد الله ابن عمير الليثي أنه كان لداود عليه السلام مزامير يزمر بها إذا قرأ الزبور، فكان إذا اجتمع عليه الإنس والجن والوحش والطير أبكى من حوله؛ قال ابن الحجاج:

هذا ومعشوقتي مجنجنة ... أطيب من جنجن بطنبور
لها غناء أشجى إذا نغمت ... من صوت داود بالمزامير

وقال المبرد: مزامير آل داود، كأنها ألحانهم وأغانيهم.

وقال غيره: إن طيب صوته ونعمة نغمته شبهها بالمزامير، ولا مزامير ولا معازف هناك؛ والله أعلم.

٧٠- (خاتم سليمان): يضرب به المثل في الشرف والعلو ونفاذ الأمر، وذلك أن ملكه زال عنه بعدمه، وعاوده مع عوده، والقصة فيه معروفة سائرة؛ ويقال: إنه كان معجزة له، كما كانت عصا موسى من معجزاته، وبه اقتدى الملوك بعده في اتخاذ خواتم الملوك، ودواوين الخاتم.

٧١- (جن سليمان): لما سخر الله تعالى لسليمان عليه السلام الجن والشياطين وجعلهم يصدرون عن رأيه، ويتصرفون عن أمره، أضيفوا إليه، فقيل: جن سليمان، وشياطين سليمان، كما قال البحتري:

كأن جن سليمان الذين ولوا ... إبداعها فأدقوا في معانيها

وقال غيره لبعض الملوك:

شيدت قصرا عاليا مشرفا ... بطالعي سعد ومسعود

كأنمـــا يرفـــع بنيانـــه جن سـليمان بـن داود
لا زلت مسرورا به باقيا على اختلاف البيض والسود

وأنشد الجاحظ للنابغة:

إلا سليمان إذ قال المليك لـه قم في البرية فاحددها عـن الفنـد
وخيس الجن إني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمـد

ثم قال: وأهل تدمر يزعمون أن ذلك البناء بني قبل زمن سليمان بأكثر من قدر ما بيننا اليوم وبين زمن سليمان.

قالوا: ولكنكم إذا رأيتم بنيانا عجيبا وجهلتم موضع الحيلة فيه أضفتموه إلى الشياطين، ولم تعانوه بالفكر، وأنشد للعرجي:

سدت مسامعها لقرع مراجل من نسج جن مثله لا ينسج

وقال الأصمعي: السيوف المأثورة هي التي يقال إنها من عمل الجن والشياطين لسليمان فأما القوارير والحمامات فذلك ما لا شك فيه. وقال البعيث:

بني زياد لذكر الله مصـنعة من الحجارة لم تعمل من الطين
كأنها غير أن الإنس ترفعهـا مما بنت لسليمان الشـياطين

وأحسن ماحوضر به عن شياطين سليمان قول أبي القاسم غانم بن أبي العلاء الأصفهاني في مرثية الصاحب:

ياكافي الملك ما وفيت حقك مـن مدح وإن طال تقـريظ وتـأبين
فت الصفات فما يرثيك من أحـد إلا وتزيينـــه إيـــاك تهجـــين
ما مت وحدك بل قد مات من ولدت حواء طرا بل الدنيا بل الـدين
هذي نواعي العلا مذ مـت نادبـة من بعد ما ندبتك الحور والعـين
تبكي عليك العطايا والصلات كما تبكي عليك الرعايا والسـلاطين
قام السعاة فكان الخوف أقعـدهم واستيقظوا بعد ما نام الملاعـين
لا يعجب الناس منهم إن هم انتشروا مضى سليمان فانحل الشـياطين

٧٢- (سير سليمان): يضرب به المثل في السرعة؛ لأن الله -تعالى- يقول: ﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ**﴾[1].

ويروى أنه كان يسير في يوم واحد من إصطخر فارس إلى بيت المقدس، وبه ضرب المثل سلم بن عمرو حيث قال للهادي وقد ركب البريد من جرجان إلى بغداد لما بلغه وفاة المنصور:

لما أتت خير بني هاشم ... خلافة الله بجرجان

أسرع في الأرض وقد سارها ... يحكي لنا سير سليمان

ومن المسير المذكور في العرب مسير حذيفة بن بدر، وسيمر ذكر ذلك في الكتاب في مكانه إن شاء الله تعالى.

٧٣- (ملك سليمان): يضرب به المثل في الاتساع والانبساط، وذلك أنه ملك ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، وفي عودة إليه بعد ذهابه وزواله يقول الشاعر:

قد زال ملك سليمان فعاوده ... والشمس تنحط في المجرى وترتفع

٧٤- (حمار عزير): يجري ذكره في عدة مواضع؛ فمنها أنه يضرب مثلا للمنكوب فينتعش، لأن الله تعالى أحياه بعد مائة عام من موته.

قال الصاحب في أبي محمد عبد الله بن محمد بن عزير لما استوزر بعد النكبة: حمار عزير ذاك لا ابن عزير.

ونظر الفضل بن عيسى الرقاشي إلى حمار فاره تحت سلم بن قتيبة، فقال: قعدة نبي، وبذلة جبار؛ ذهب إلى حمار عزير وعيسى عليه السلام.

وقال بعض المتعصبين للحمار والقائلين بفضله: كيف لا أحب شيئا أحياه الله بعد موته قبل الحشر! يعني حمار عزير.

وحكى الجاحظ عن مقاتل بن سليمان، قال: قال موسى للخضر عليهما السلام: أي الدواب أحب إليك؟ قال: الفرس والحمار؛ لأنهما من مراكب الأنبياء. وقال الجاحظ: أما الفرس فمركب أولي العزم من الرسل وكل من أمره تعالى بحمل

---

(١) سورة سبأ ١٢.

السلاح وقتال الكفار؛ وأما البعير فمركب هود وصالح وشعيب ومحمد ﷺ، وأما الحمار فمركب عزير وعيسى- عليهما السلام.

٧٥- (طب عيسى): يضرب به المثل لأنه كان يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله.

ومن أمثال العرب: فلان يتطبب على عيسى بن مريم، قال المتنبي:

فآجرك الإله على عليل بعثت إلى المسيح به طبيبا

وقال أبو بكر الخوارزمي:

وما كنت في تركيك إلا كتارك طهورا وراض بعده بالتيمم
وراوي كلام يقتفي إثر باقل ويترك قسا جانبا وابن أهتم
وذي علة يأتي طبيبا ليشتفي به وهو جار للمسيح بن مريم

٧٦- (دم يحيى بن زكريا): قال أبو عمرو بن العلاء: قيل لنا: في دار فلان ناس قد اشتملوا على سوءة لهم وهم جلوس على خمرة وعندهم طنبورة؛ فدخلنا عليهم في جماعة من رجال الحي؛ فإذا فتى جالس في وسط الدار وأصحابه حوله، وهو بيض اللحى، وإذا هو يقرأ عليهم دفتر شعر، فقال الذي كان سعى بهم: السوءة في ذلك البيت، فإن دخلتموه عثرتم عليها، قال: فقلت: لا والله لا كسفت فتى أصحابه شيوخ وفي يده دفتر علم؛ ولو كان في ثوبه دم يحيى بن زكريا عليه السلام.

اختلفوا في مقتل يحيى؛ هل هو بالمسجد الأقصى أو بغيره؟

وعن سعيد بن المسيب: قدم بخت نصر دمشق، فإذا هو بدم يحيى بن زكريا يغلي، فسأل عنه فأخبروه، فقتل على دمه سبعين ألفا، فسكن؛ وقد طعن في صحة هذا القول.

٧٧- (بردة النبي): يضرب بها المثل في البلى والحلوقة، فيقال: أعتق من الحنطة، ومن بردة النبي ﷺ، وهي التي كساها رسول الله ﷺ كعب بن زهير رضي الله عنه لما أنشده قصيدته التي منها:

نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

فاشتراها معاوية منه بستمائة دينار، فلم يزل الخلفاء يتداولو ا تبركا ا إلى يومنا هذا.

ومن ظريف التمثيل ا قول جعيفر الموسوس في رجل استوهبه جعيفر دراعة له فقال: قد لبسها أبي، وأنا أكره أن يلبسها أحد بعده:

سـألـتـه دراعة **لباسها** يحسـ**ـن** بي
فقال لي: **أكره أن** **تلبسها بعـد** أبي
وقد رأى البردة من **يلبسها بعد** النبي

٧٨- (داء الأنبياء): قال الجاحظ: ومن المفاليج إدريس النبي ﷺ. وروي أن الفالج من أمراض الأنبياء. قال: ولا أعرف إسناد هذين القولين، ومثل هذا يحتاج فيه إلى الرواية عن الثقات، إلا ما حدث به عباد بن كثير الخزاعي، عن الحسن ابن ذكوان، عن عبد الواحد بن قيس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**داء الأنبياء الفالج واللقوة**» (١).

قال الجاحظ: وأكثر ما يعتري الفالج المتوسطين في الأسنان، لأن الشباب كثير الحرارة، والشيخوخة كثيرة اليبس، فأكثر ما يعتري بين هذين السنين.

٧٩- (فقر الأنبياء): يقال ذلك لأن فقراءهم أكثر من أغنيائهم، والفقر شعار الصالحين.

ويروى أن نبيا من الأنبياء شكا الله تعالى الفقر، فأوحى الله تعالى إليه: هكذا أجري أمرك عندي، أفتريد أن أعيد الدنيا من أجلك!

على أنه لا يجوز وصف الأنبياء بالفقر كما صرحوا به؛ لأن تركهم الدنيا عن قدرة، وحديث الفقر لا أصل له.

وقال البحتري:

---

(١) اللقوة: داء في الوجه.

فقر كفقر الأنبيــاء وغربــة وصبابة ليس البلاء بواحــد

الباب الثالث

فيما يضاف وينسب إلى الملائكة والجن والشياطين

خط الملائكة. طاوس الملائكة. غسيل الملائكة. قوط الملائكة. سيرة الملائكة. جناح الملائكة. جناح جبريل. حربة أبي يحيى. سحر هاروت. رماح الجن. ديك الجن، كلاب الجن، ذبائح الجن. جند إبليس. إبليس الأباليس. صديق إبليس. قبح الشيطان. خطوات الشيطان. أصابع الشيطان. رق الشيطان. مكيال الشيطان. ظل الشيطان. لطيم الشيطان. مخاط الشيطان. بريد الشيطان. وكر الشيطان. حبائل الشيطان. خمر الشيطان. رءوس الشياطين.

الاستشهاد

٨٠- (خط الملائكة): يكنى به عن الخط الرديء، ولما وصف الله الملائكة بالكتابة فقال: ﴿**كِرَاما كَاتِبِينَ**﴾[(١)] وقال: ﴿**ورسلُنا لَدَيهم يَكْتبونَ**﴾[(٢)]، ولما كان خطهم غير بين للناس، وأجود الخط أبينه، قيل في الكناية عن الخط الرديء: خط الملائكة.

وسمعت أبا القاسم الطهماني الفقيه يقول: سمعت أبا محمد يحيى بن محمد العلوي يقول: إنما شبه الخط الرديء بخط الملائكة لأن أردأ الخط الرقم، وخط الملائكة رقم، كما قال الله تعالى: ﴿**كِتَاب مرقُوم * يَشهَده المُقَربونَ** ﴾[(٣)].

٨١- (طاوس الملائكة): كان عندنا بنيسابور شيخ يقال له: أبو بكر الفارسي المذكر، يقص ويذكر، وكان تفسير ابن الكلبي على طرف لسانه، وبسبب الإسراع فيه وفي القراءة كان يقال: هو بحذاء القرآن؛ كناية عن حفظه له. وكان إذا ذكر جبريل عليه السلام قال له: طاوس الملائكة، وما أشك في أنه ليس أبا عذرة هذا اللقب، وإنما هو أخذ خلفا عن سلف. والله أعلم.

---

(١) سورة الانفطار ١١.
(٢) سورة الزخرف ٨٠.
(٣) سورة المطففين ٢١، ٢٢.

٨٢- (غسيل الملائكة): هو حنظلة بن أبي عامر الأنصاري، غسلته الملائكة، وذلك أنه خرج يوم أحد فأصيب، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا صاحبكم قد غسلته الملائكة**»، فسئلت عن ذلك امرأته فقالت: إنه كان معي على ما يكون عليه الرجل مع امرأته، فأعجلته حطمة بالمسلمين منعته عن الاغتسال، فخرج فأصيب، وفيه يقول الأحوص[1] - وكان حنظلة خال أبيه:

غسلت خالي الملائكـة الأبـرا ... ر ميتاً أكرم به مـن صـريع

وقد ذكر المبرد نفرا ممن كان بينهم وبين الملائكة سبب، فمنهم سعد بن معاذ، هبط لموته سبعون ألف ملك لم يهبطوا إلى الأرض قبلها، وقبض رسول الله ﷺ رجله وهو يمشي في جنازته لئلا يطأ على جناح ملك، واهتز لموته عرش الله، وفي ذلك يقول حسان:

وما اهتز عرش الله من موت هالك ... سمعنا به إلا لمـوت أبي عمـرو

وكبر عليه رسول الله ﷺ تسعا كما كبر على حمزة، وشم من تراب قبره ريح المسك.

ومنهم حسان بن ثابت، قال له رسول الله ﷺ: «**اهجهم وروح القدس معـك**». وقال في حديث آخر: «**إن الله مؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن نبيه**». وكان يوضع لحسان منبر في مؤخر المسجد يقوم عليه فينافح عن رسول الله ﷺ

ومنهم عمران بن حصين، كانت تصافِحه الملائكة وتعوده، ثم افتقدها، فأتى رسول الله ﷺ، فقال يا رسول الله، إن رجالا كانوا يأتونني لم أر أحسن وجوها، ولا أطيب أرواحا منهم، ثم انقطعوا عني؛ فقال رسول الله ﷺ : أصابك جرح فكنت تكتمه؟ فقال: أجل، قال ثم أظهرته؟ قال: قد كان ذاك، قال: «**أما لو و الله أقمت على كتمانه لزارتك الملائكة إلى أن تموت**». وهذا جرح أصابه في سبيل الله.

ومنهم جرير بن عبد الله البجلي، قال رسول الله ﷺ: «**يطلع عليكم من هذا الفج خير ذي يمن، فإن عليه مسحة ملك**».

ومنهم دحية بن خليفة الكلبي، كان جبريل يهبط في صورته، فمن ذلك يوم

---

(١) في الكامل: "الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح حمى الدبر".

بني قريظة لما انصرف رسول الله ﷺ من الخندق، هبط عليه جبريل عليه السلام، فقال: يامحمد، أقد وضعت سلاحك وما وضعت الملائكة أسلحتها بعد؟! إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة، وهأنذا سائر إليهم فمزلزل بهم. فأمر رسول الله ﷺ الناس ألا يصلوا العصر إلا في بني قريظة وجعل يمر بالناس فيقول: أمر بكم أحد؟ فيقولون: مر بنا دحية بن خليفة على بغلة، وعليه قطيفة خز، نحو بني قريظة، فيقول: ذاك جبريل، ثم مر بهم دحية بعد ذلك، وكان لا يزال بعد ذلك اليوم ينـزل على صورته كما ظهر إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني، وفي صورة الشيخ النجدي يوم دار الندوة حين أشار بأن تجتمع قريش فتضرب رسول الله ﷺ بسيف واحد. والله -سبحانه وتعالى- أعلم.

٨٣- (قوط الملائكة): قرأت وسمعت أن بقرب باب آمد صخرة عظيمة فيها صدع؛ يخرج منه عين ماء يشرب منه الناس والأنعام، ويقال لذلك الصدع: قوط الملائكة؛ والقوط بلغتهم الفرج.

٨٤- (سيرة الملائكة): أنشدني أبو الفتح البستي لنفسه في أبي سعد بن ملة الهروي:

أما الكريم أبـو سـعد وهمتـه **فقد غدا في العلا أعجوبة الفلك**
لو استعار الورى إكسير سيرته **لكان أجودهم في سيرة الملـك**

٨٥- (جناح الملائكة): قال الله -تعالى- في وصف الملائكة: ﴿**أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ**﴾[(١)].

٨٦- (جناح جبريل): وقد ضرب المثل بجناح جبريل في البركة والشفاء بعض أهل العصر، فقال في وصف رقعة في العيادة وردت عليه:

أرقعـة في عيـادتي وردت **أم رقية قد شفت لتعجيـل**
أم عوذة عن نبينا صـدرت **أم مسحة من جناح جبريل!**

٨٧- (حربة أبي يحيى): أبو يحيى هو ملك الموت، وإنما كني بهذه الكنية كناية عن الموت، كما كني عن اللديغ بالسليم، وعن المهلكة بالمفازة؛ قال الصاحب في

(١) سورة فاطر ١.

أخوين مليح وقبيح، واسم المليح منهما يحيى.

أخ حكى وجـه أبي يحـيى **حلو المحيا ولكـن لـه** يحيى

وحربة أبي يحيى يراد بها مقدمة من مقدمات الموت على جهة التمثيل والاستعارة، قال بعض أهل العصر:

عذيري من الأيام مدت صروفها **إلى وجه من أهوى يد النسخ والمحو**

وأبدت بوجهي طالعات أرى بها **سهام أبي يحـيى مسـددة نحـوي**

فذاك سواد الخط ينهى عن الهوى **وهذا بياض الوخط يأمر بالصـحو**

٨٨- (سحر هاروت): يضرب به المثل، وينسب إليه السحر دون صاحبه ماروت، لأن الله -تعالى- بدأ به فقال: ﴿**وَمَا أُنـزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ**﴾[1]، وكذلك يقال: أقصر من يأجوج، ولا يقال: من مأجوج، قال ابن برد:

وكان رجع حـديثها **قطع الرياض كسين زهرا**

وكأن تحـت لثامهـا **هاروت ينفث منه سحرا**

وقال عبد الله بن المعتز:

أسترزق الله عطف الحب من رشا **يشوب تذكير عينيـه بتأنيـث**

كأن في طرفه هاروت يقصدني **منه بسحر إلى الأحشاء منفوث**

وقال الصاحب:

لقد ظن بدر التم نقص جمالـه **فبعدا لوجه البدر مع سوء ظنه**

ولو أن هاروتا رأى سحر عينه **تعلم كيف السحر من حد جفنه**

٨٩- (رماح الجن): العرب تسمي الطاعون رماح الجن، وجاء في الحديث: «**إنه وخز أعدائكم من الجن**».

ولما كان طاعون عمواس قام عمرو بن العاص في الناس خطيبا، فقال : يأيها الناس، إن هذا الطاعون قد ظهر، وإنما هو وخز من الشياطين، ففروا منه في الشعاب

(١) سورة البقرة ١٠٢.

وبلغ ذلك معاذ بن جبل، فأنكر عليه هذا القول ثم لم يلبث أن مات فيه.

قال الجاحظ: وقد كانت الطواعين تقع كثيرا فتصير تواريخ، كطاعون عمواس، وطاعون العذارى، وطاعون الأشراف وغيرها. ولما ملك بنو العباس رفع الله ببركتهم الطواعين والموتان الجارف عن بني آدم، فإ ا كانت تحصد فيهم حصدا، وفي ذلك يقول العماني للرشيد:

قد أذهب الله رماح الجـن وأذهب التعليق والـتجني

يريد أن ما كان بنو مروان يفعلونه من مطالبة الناس بالأموال، وتعذيب عمال الخراج بالتعليق والتجريد، قد ذهب.

وقالت امرأة قُتل ابنها غير أكفائه:

لعمرك ما خشيت على عدي رماح بني مقيـدة الحمـار

ولـكني خشيت على عـدي رماح الجن أو إياك حـار

كأ ا قالت: إنما كنت أخشى على ابني طواعين الشام، أو الحارث بن مالك الغساني، فأما من يرتبط الحمير ولا يرتبط الخيل فلم أكن أخشاه.

وقال المنصور يوما لأبي بكر بن عياش: من بركتنا أن رفع عنكم الطاعون، فقال: لم يكن الله ليجمعكم علينا والطاعون.

قال الصولي: لما كانت سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وقع طاعون عظيم في الناس ببغداد وما جاورها.

٩٠- (ديك الجن): هو عبد السلام بن رغبان الحمصي، شاعر مفلق في المحدثين، أدرك زمان المتوكل حتى قال من قصيدة له:

حتى حسبت أنو شروان من خدمي وخلت أن نديمي عاشـر الخلفـا

ولست أعرف سبب تلقيبه بديك الجن، ويشبه أن يكون قال بيتا يشتمل على ذكر ديك الجن فلقب بذلك؛ كما لقب كثير من الشعراء بأقوال تجرى لهم مجرى الشواذ والنوادر.

٩١- (كلاب الجن): قال الجاحظ: أما قول عمرو بن كلثوم:

وقد هرت كلاب الجن منا   وشذبنا قتادة من يلينا

فإ م يزعمون أن كلاب الجن هم الشعراء.

٩٢- (ذبائح الجن): في الحديث أنه ى عن ذبائح الجن؛ وهي أن يشتري الرجل الدار أو يستخرج العين وما أشبههما فيذبح لها ذبيحة الطيرة، ويضيف جماعة.

٩٣- (جند إبليس): يقال ذلك للمجان والخلعاء، قال الشاعر:

وكنت فتى من جند إبليس فارتقت   بي الحال حتى صار إبليس من جندي

٩٤- (إبليس الأباليس): قال جرير من قصيدته التي فيها:

وابن اللبون إذا مالز في قـرن   لم يستطع صولة البزل القناعيس

إني ليلقي علي الشعر مكتـهل   من الشياطين إبليس الأبـاليس

وكانت الشعراء تزعم أن الشياطين تلقي على أفواهها الشعر، وتلقنها إياه وتعينها عليه. وتدعي أن لكل فحل منهم شيطانا يقول الشعر على لسانه، فمن كان شيطانه أمرد كان شعره أجود.

وبلغ من تحقيقهم وتصديقهم ذا الشأن أن ذكروا لهم أسماء، فقالوا: إن اسم شيطان الأعشى مسحل، واسم شيطان الفرزدق عمرو، واسم شيطان بشار شنقناق. وفي مسحل يقول الأعشى:

وما كنت ذا قول ولكن حسبتني   إذا مسحل يبري لي القول أنطق

خليلان فيما بيننا مـن مـودة   شريكان جني وإنـس موفـق

وقال يذكره:

حباني أخي الجني نفسي فـداؤه   بأفيح جياش العشـيات مـرجم

وقال أيضا فيه:

دعوت خليلي مسحلا ودعوا له   جهنام جدعا للـهجين المـذمم!

وقال حسان بن ثابت:

إذا ما ترعـرع منـا الغـلام   فليس يقال لـه: مـن هـوه!

إذا لم يسـد قبـل شـد الإزار — فـذلك فينـا الـذي لا هـوه

ولي صاحب من بني الشيصبان — فحينـا أقـول وحينـا هـوه

شيصبان وشنقناق: رئيسان عظيمان من الجن - بزعمهم.

ولما ادعى بشار أن شنقناق يرغب في مصاحبته ومعاونته قال:

دعاني شنقناق إلى خلف بكرة — فقلت: اتركاني فالتفرد أحمد

يقول: أحمد لي في الشعر ألا يكون عليه معين؛ فقال أعشى بني سليم، فرد عليه:

إذا ألف الجني قردا مشنفا — فقل لخنازير الجزيرة أبشري

فجزع بشار لذلك كجزعه من قول حماد عجرد فيه:

ويا أقبح مـن قـرد — إذا ما عمـي القـرد

لأنه كان يعلم مع تغزله أن وجهه وجه قرد. وفي زعمهم أن مع كل شاعر شيطان؛ يقول أعشى بني سليم:

وما كان جـني الفـرزدق قـدوة — وما كان فيها مثل فحل المخبل

وما في الخوافي مثل عمرو وشـيخه — ولا بعد عمرو شاعر مثل مسحل

وقال الفرزدق وهو يمدح أسد بن عبد الله القسري:

ليبلغن أبا الأشبال مـدحتنا — من كان بالغور أو مروي خراسان

كأ ا الذهب الإبريز حبرهـا — لسان أشعر خلـق الله شـيطانا

وقال أبو النجم:

إني وكل شاعر من البشـر — شيطانه أنثى وشيطاني ذكـر

فما يراني شاعر إلا اسـتتر — فعل نجوم الليل عاين القمـر

وقال آخر:

إني وإن كنت صغير السـن — وكان في العين نبـو عـني

فإن شـيطاني أمـير الجـن — يذهب بي في الشعر كل فن

وقال ابن ميادة:

ولما أتاني ما تقـول محـارب تغنت شياطيني وجن جنو نا

وقال منظور بن رواحة:

فما أتاني ما يقول ترقصـت شياطين رأسي وانتشين من الخمر

وقال الزفيان العوافي:

أنا العوافي فـمن عـاداني أذقتـه بـوادر الهـوان

حتى تراه مطرق الشـيطان وعلمني الشـعر معلمـان

- يعني معلما من الإنس ومعلما من الجن.

وقال أبو السمط لعلي بن الجهم:

إن ابن جهم في المغيب يعيـبني ويقول لي حسـنا إذا لاقـاني

ويكون حين أغيب عنه شـاعرا ويضل عنه الشعر حين يـراني

وإذا التقينا ذاد شعري شـعره ونـزا على شيطانه شـيطاني

إن ابن جهم ليس يـرحم أمـه لو كان يرحمهـا لمـا عـاداني

وكان الفرزذق يقول: شيطان جرير هو شيطاني، إلا أنه من فمي أخبث

وقيل لجعفر بن يحيى: لو قلت الشعر! فقال: شيطانه أخبث من أن أسلطه على عقلي.

٩٥- (صديق إبليس): هو عبد الله بن هلال، الذي يقال له الساحر، وكان في زمن الحجاج، وكان صاحب شعبذة ونيرنجات؛ ولما قال الحجاج ليحيى بن سعيد ابن العاص: أخبرني عبد الله بن هلال صديق إبليس عليه اللعنة، أنك تشبه إبليس، قال: وما ينكر الأمير أن يكون سيد الإنس يشبه سيد الجن! فعجب من قوة جوابه.

٩٦- (قبح الشيطان): بلغني عن الصاحب أنه كان يستملح قول أبي علي البصير في أبي هفان ويستطرفه، وكثيرا ما كان ينشده ويردده:

لي صديق في خلقة الشيطان وعقول النساء والصـبيان

من تظنونه؟ فقـالوا جميعـا ليس هـذا إلا أبـا هفـان

قال الجاحظ: إنا وإن كنا لم نر شيطانا قط ولا صوره لنا صادق، ففي إجماع العرب والمسلمين وكل من لقيناه، على ضرب المثل بقبح الشيطان دليل على أنه في الحقيقة أقبح من كل قبيح: والكتاب إنما نـزل على الذين ثبت هذا في طبائعهم غاية الثبات.

قال: وربما قالوا فلان شيطان، على معنى الشهامة والنفاذ، لذلك قالوا لأبي حنيفة: شيطان خرج من البحر.

قال مؤلف الكتاب: قلت في كتاب "يتيمة الدهر" في أبي الحسن اللحام: هو من شياطين الإنس، ورياحين الإنس.

٩٧- (خطوات الشيطان): قال الله تعالى: ﴿**ولا تتبعوا خطوات الشيطان**﴾[1]، وقال الزجاج: خطوات الشيطان طرقه التي يسلكها، أي لا تسلكوا الطرق التي يدعوكم الشيطان إليها. وقال غيره: أراد: لا تقتفوا آثاره.

قال الشاعر:

يـا نابـذا لوصـايا إلهـه خلـف ظهـره
وتابعا خطوات الشيـ طـان في كـل أمـره
أراك لم تـر ميتـا يهـوي إلى قعـر قـبره

٩٨- (أصابع الشيطان): كان يقال: من والاه السلطان، صبعه الشيطان، قال الشاعر:

قد كنت أكرم صاحب وأبره حتى دهتك أصابع الشيطان
جذ الإله بنانها وأبانها كم غيرت خلقا من الإنسان

٩٩- (رقى الشيطان): هي الشعر، قال جرير لما مدح عمر بن عبد العزيز فلم يعطه:

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطاني من الشعر رافيا

وأما قول الشاعر:

ماذا يضر سليمى أن يلـم بهـا مرجلُ الرأس ذو بردَين وضـاح

---

(١) سورة البقرة ١٦٨.

خز عمامتـه، حلـو فكاهتـه في **كفه من رقى إبليس مفتـاح**

فإنه عنى بـ"رقى" إبليس كلمات التغزل والخلابة والتجميش وما يجري مجراها في معاشرة النساء.

١٠٠- (مكيال الشيطان): قال بعض الحكماء: العدل ميزان الباري، والجور مكيال الشيطان؛ كأنه أراد ما يجري في الكيل من ا ازفة عند الأخذ، ومن التطفيف لدى الأداء، فنسب ذلك إلى الشيطان.

١٠١- (ظل الشيطان): العرب تقول للمتكبر الضخم: ظل الشيطان.

قال الحجاج لمحمد بن سعد بن أبي وقاص: بينا أنت ياظل الشيطان أشد الناس كبرا، إذا صرت مؤذنا لفلان.

١٠٢- (لطيم الشيطان): يقال لمن به لقوة أوشتر: يالطيم الشيطان وكان عمرو بن سعيد بن العاص يلقب بذلك.

ولما بلغ عبد الله بن الزبير خبر فتك عبد الملك بن مروان بعمرو بن سعيد قال في خطبته: بلغنا أن أبا الذبان، قتل لطيم الشيطان، ﴿**وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾(١)، وكان عبد الملك يكنى أبا الذبان لشدة بخره وموت الذبان إذا دنت من فمه.

١٠٣- (مخاط الشيطان): الخيوط التي تتراءى في الهواء عند شدة الحر يقال لها: مخاط الشيطان، ولعاب الشمس، وخيط باطل، ويشبه به مالا حاصل له، وما لا طائل فيه.

وكان مروان بن الحكم يقال له: خيط باطل؛ لأنه كان طويلا مضطربا، قال الشاعر:

لحا الله قوما أمروا خيط باطل **على الناس يعطي من يشاء ويمنع**

١٠٤- (بريد الشيطان): الوزغ، ذكر الجاحظ عن شريك النخعي عن جرير، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: الوزغ بريد الشيطان.

وفي بعض الأخبار: من قتل وزغة حط الله عنه ا سبعين خطيئة، ومن قتل سبعا

(١) سورة الأنعام ١٢٩.

كان كمن أعتق رقبة.

١٠٥- (وكر الشيطان): قال النبي ﷺ: «**إياكم والأسواق، فإن الشيطان قد باض فيها وفرخ**»، على سبيل الاستعارة والتمثيل، وقد حذا الصاحب على تشبيهه فقال في وصف بعض مواطن الشر: عش من أعشاش العدوان، ووكر من أوكار الشيطان.

١٠٦- (حبائل الشيطان): قال بعض السلف: احذروا النساء فإ ن حبائل الشيطان.

وجاء في بعض الأشعار:

*** إن النساء حبائل الشيطان ***

١٠٧- (خمر الشيطان): قال يحيى بن معاذ الرازي: الدنيا خمر الشيطان، فمن شرب منها لم يفق من سكر ا إلا وهو في عسكر الموتى خاسرا نادما والله أعلم.

١٠٨- (رءوس الشياطين): يشبه ا ما يستقبح ويستهول، قال الله تعالى: ﴿**إنهَا شَجَرَةٌ َتخرج ِفي أصل الجَحِيمِ * طَلْعهَا كَأنه رءُوس الشيَاطِينِ**﴾(١)؛ قال الجاحظ: ليس من الناس من رأى شيطانا قط على صورته، ولكن لما كان الله قد جعل في طبائع جميع الأمم استقباح صورة الشيطان واستسماجه وكراهته، وأجرى هذا على ألسنة جميعهم، ضرب المثل به وفي ذلك، رجع بالإيحاش والتنفير وبالإخافة والتفزيع إلى ما جعله في طبائع الأولين والآخرين والشيوخ والصبيان والرجال والنساء

وهذا التأويل أشبه من قول من زعم من المفسرين أن رءوس الشياطين نبات ينبت باليمن، وقول بعضهم: إن الشياطين هاهنا الحيات.

وحدث الصولي بإسناد له عن أبي عبيدة أنه قال: لما قدمت من البصرة وصلت إلى الفضل بن الربيع، فسلمت عليه بالوزارة، فضحك إليّ واستدناني، حتى جلست بين يدي فرشه، ثم سألني ولاطفني واستنشدني، فأنشدته عيون أشعار أحفظها جاهلية، فقال: قد عرفت أكثر هذه، وأريد من مليح الشعر، فأنشدته منها، فطرب لها وضحك، وزاد نشاطه، ثم دخل رجل في زي الكتاب، له هيئة، فأقعده إلى جانبي وقال له: أتعرف هذا؟ قال: لا، قال: هذا علامة أهل البصرة أبو عبيدة، أقدمناه لنستفيد منه ومن علمه، فدعا له الرجل وقرظه لفعله هذا، وقال لي: والله إني كنت

(١) سورة الصافات ٣٦، ٣٧.

مشتاقًا إليك، وقد سئلت عن مسألة، أفتأذن لي أن أعرفك إياها؟ قلت: هات، قال: قال الله عز وجل: ﴿**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾ [1]، وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله، وهذا لم يعرف، فقلت: إنما كلمهم الله تعالى بما يعرفون، وعلى كلام العرب أما سمعت قول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول، ولكن لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل، فعزمت منذ ذلك الوقت أن أضع كتابا لمثل هذا وأشباهه، فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته "كتاب ا از" وسألت عن الرجل فقيل: هو من كتاب الوزير وجلسائه، يقال له: إبراهيم بن إسماعيل بن داود الكاتب العبرتاني.

---

(١) سورة الصافات: ٦٥.

الباب الرابع

فيما يضاف وينسب إلى القرون الأولى

أحلام عاد. ريح عاد. أحمر ثمود. صاعقة ثمود. أكل لقمان. نخوة فرعون. صرح هامان. كنوز قارون. سد الإسكندر. نوم أصحاب الكهف. جور سدوم. جوف حمار.

الاستشهاد

١٠٩- (أحلام عاد): العرب تضرب المثل بأحلام عاد لما تتصور من عظيم خلقها، وتزعم أن أحلامها على مقادير أجسامها، قال الشاعر يمدح قوما:

وأحلام عاد لا يخاف جليسهم ... وإن نطقوا العوراء غرب لسان

وقال آخر:

كأنما ورثوا لقمان حكمته ... علما كما ورثوا الأحلام عن عاد

١١٠- (ريح عاد): تضرب مثلا في الإهلاك والإفناء، لقوله تعالى: ﴿**وأما عَاد فَأهلِكُوا بِريحٍ صَرصَرٍ عَاتِيَةٍ**﴾[١] الآية، وقال تعالى: ﴿**وفي عَادٍ إذْ أرسَلْنَا عَليهم الريحَ العَقِيمَ**﴾[٢].

١١١- (أحمر ثمود): هو قدار بن سالف، عاقر ناقة الله، يضرب به المثل في الشؤم والشقوة، وقد غلط زهير في قوله:

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم ... كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

وكأنه سمع بعاد وثمود، فنسب الأحمر إلى عاد على ما توهم، وهو من ثمود، وكان قدار أحمر أزرق، وهو الذي ذكره الله تعالى فقال: ﴿**إذِ انبَعَثَ أشقَاهَا**﴾[٣].

وعن عمار بن ياسر قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات العشيرة فلما قفلنا نـزلنا منـزلا، فخرجت أنا وعلي بن أبي طالب ننظر إلى قوم يعتملون،

---

(١) سورة الحاقة ٦.

(٢) سورة الذاريات ٤١.

(٣) سورة الشمس١٢.

فنعسنا، فسفت علينا التراب، فما نبهنا إلا رسول الله ﷺ، فقال لعلي رضي الله عنه: يا أبا تراب - لما عليه من التراب: أتعلم من أشقى الناس؟ فقال: خبرني يا رسول الله؟ فقال: «**أشقى الناس أحمر ثمود الذي عقر ناقة الله، وأشقاها الذي يخضب هذه -ووضع يده على لحيته -من هذا-ووضع يده على قرنه**»؛ فكان علي رضي الله عنه كثيرا ما يقول عند الضجر بأصحابه: ما يمنع أشقاها أن يخضب هذه من هذا!

١١٢- (صاعقة ثمود): هي الصيحة التي أخذ م، فأصبحوا في دارهم جاثمين، وإ ا كانت صيحة جبريل عليه السلام؛ تضرب مثلا في الإبادة والإفناء، كريح عاد.

ولما قيل: إن الحجاج من بقية ثمود قال في خطبة له: أتزعمون أني من بقية ثمود، والله تعالى يقول: ﴿**وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى**﴾(١)! صدق الله العظيم وكذبتم أنتم.

ودعا أبو الفرج الببغاء على القرامطة فقال: صب الله عليهم طوفان نوح، وحجارة لوط، وريح عاد، وصاعقة ثمود.

١١٣- (آكل لقمان): هو لقمان العادي صاحب النسور، تضرب به العرب المثل في الأكل، فتقول: آكل من لقمان. وتزعم أنه كان يتغذى بجزور ويتعشى بمثله.

١١٤- (نخوة فرعون): أنشدني الخوارزمي لنفسه في اللحام:

رأيت اللحام في حلقـه ... للشـعر تطبيقـا وتجنيسـا

نخوة فرعـون ولكنـه ... جانس في حمل العصا موسى

وغش إبليس ولكنـه ... خالف في السجدة إبليسـا

١١٥- (صرح هامان): بناه لفرعون من الآجر، وهو أول من استعمله، كما حكى الله تعالى عن فرعون إذ قال: ﴿**مَا عَلِمتُ لَكُم مِن إِلَهٍ غَيرِي فَأَوقِد لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجعَل لِي صَرحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الكَاذِبِينَ**﴾(٢).

ويقال: إنه جلب الفعلة لبناء الصرح من الآفاق وأكثرهم من الخوز، حتى بنوا ما يضرب به المثل للأبنية الشاهقة الحصينة.

(١) سورة النجم ٥١.
(٢) سورة القصص ٣٨.

ومن أحسن ما يحاضر به من ذلك قول أبي القاسم الزعفراني في تهنئة الصاحب بداره الجديدة، من قصيدة أولها:

سرك الله بالبنـاء الجديـد نلت حال الشكور لا المستزيد
هذه الدار جنة الخلد في الدنـ ـيا فاغتنمها وأختها في الخلود

ومنها أيضا:

ألزم الإنس كل جاف شديد عمل الجن كل جاف مريـد
فابتنوا ما لو أن هامان يدنو منه لم يرض صرحه للصعود

أي: للصعود إلى السماء في زعمه لظهور حقارته عنده.

وقرأت في كتاب الجوابات المسكتة لابن أبي عون أن عبد الله بن خازم قال يوما لقهرمانه: إلى أين تمضي يا هامان؟ قال: أبني لك صرحا، فعجب من جوابه؛ لأنه أشار إلى أنه فرعون إن كان هو هامان.

١١٦- (كنوز قارون): يضرب بها المثل فيما يستعظم قدره من نفائس الأموال لقوله تعالى: ﴿**آتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ**﴾[1].

وقرأت فصلا للخوارزمي من رسائله القديمة: لو كنا نعمل على قدر النية، لحملنا إليك خراج فارس، وعشر الأهواز، ودخل البصرة، وتاج كسرى، وإكليل شيرين، وكنوز قارون، وعرش بلقيس.

١١٧- (سد الإسكندر): هو سد يأجوج الذي جاء ذكره في القرآن وتولى بناءه ذو القرنين، وهو الإسكندر عند أكثر الناس، يضرب به المثل في الحصانة والوثاقة، قال المتنبي:

كأني دحوت الأرض من خبرتي بها كأني بنى الإسكندر السد من عزمي

وقد ضرب به المثل ابن طباطبا العلوي أيضا فقال وهو يهجو أبا علي ابن رستم، ويذكر بناءه سور أصبهان ويرمي حرته بآزريون غلامه:

يا رستمي اسـتعمل الجـدا وكـدنا في حظنـا كـدا

(١) سورة القصص ٧٦.

فإنــك المــأمول والمرتجــى ... ون الخطــب إذا اشــتدا
أحكمت من ذا السور مالم تجد ... والله مــن إحكامــه بــدا
فخلفه نســل كــثير لهــن ... أصفت لآزريو ــا الــودا
وهم كيأجوج ومــأجوج إن ... عــدد م لم تحصــهم عــدا
وأنت ذو القرنين في عصرنا ... جعلتــه مــا بينــهم ســدا

١١٨- (نوم أصحاب الكهف): يضرب مثلا للنوم الكثير، لأن الله -تعالى- يقول في قصتهم: ﴿**فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا**﴾ [1]، قال ابن الحجاج:

قوموا فأهل الكهف مع ... عبود عندكم صراصر

وقصة عبود ستمر في مكا ا من الكتاب إن شاء الله تعالى.

١١٩- (جور سدوم): سدوم كان ملكا في الزمن الأول جائرا، وله قاض أجور منه، يضرب به المثل، فيقال: أجور من قاضي سدوم.

قال أبو الليث في موسى بن خلف، صاحب ابن الفرات:

أف من دولة بموسى تقــوم ... ما نراها مع الــبلاء تــدوم
ما قضى مثل ما به النذل يقضي ... في جميع الأمور قط ســدوم

وقال آخر:

لا تبــع عقــدة مــال ... خيفــة الجــار الغشــوم
واصطبر للفلــك الجــا ... ري على كــل ظلــوم
فهــو الــدائر بالأمــ ... ــر علــى آل ســدوم

١٢٠- (جوف حمار): من أمثال العرب: هو أكفر من حمار، وأخلى من جوف حمار؛ وهو رجل من عاد، يقال له حمار بن مويلع، وجوفه واد له طويل عريض، لم يكن ببلاد العرب أخصب منه، وفيه من كل الثمرات، فخرج بنوه يتصيدون؛ فأصابتهم صاعقة فهلكوا، فكفر وقال: لا أعبد من فعل هذا ببني، ودعا

(١) سورة الكهف ١١.

قومه إلى الكفر فمن عصاه قتله؛ فأهلكه الله تعالى وأخرب واديه؛ فضرب العرب به المثل في الخراب والخلاء، قال الأفوه الأودي:

وبشؤم البغي والغشم قديما قد خلا جوف ولم يبق حمار

وقال امرؤ القيس:

وواد كجوف العير قفر قطعته به الذئب يعوي كالخليع المعيل

الباب الخامس

فيما يضاف وينسب

إلى الصحابة والتابعين رضي الله عنهم

سيرة العمرين. درة عمر. قميص عثمان. فضائل علي. صدق أبي ذر. مشية أبي دجانة. دهاء معاوية. فقه العبادلة. وليمة الأشعث. حلم الأحنف. زكن إياس. زهد الحسن. ورع ابن سيرين. سجع المختار. شجة عبد الحميد.

الاستشهاد

١٢١- (سيرة العمرين) : هما أبوبكر وعمر رضي الله عنهما، يضرب بسير ما المثل إذ لا عهد بمثلهما بعد النبي ﷺ.

وكان عبد الملك بن مروان يقول : أنصفونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر، ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر!. نسأل الله أن يعين كُلّاً على كُلّ.

وقال البحتري :

إن الرعية لم تزل في سـيرةٍ عمَرية مذ ساسـها المتوكـلُ

وقال بعض البلغاء وقد ذكر بعض الملوك : رأيت صورة قمرية، وسيرة عمرية.وقال آخر : رأيت بفلان نور القمرين، وعدل العمرين.

١٢٢- (درة عمر) : قال الشعبي : كانت درة عمر أهيب من سيف الحجاج.

ولما جيء بالهرمزان ملك خوزستان أسيرا إلى عمر رضي الله عنه، وافق ذلك غيبته عن منـزله، فما زال الموكل بالهرمزان يقتفي أثر عمر حتى عثر عليه في بعض المساجد نائما متوسدا درته، فلما رآه الهرمزان قال : هذا والله الملك الهنيء، عدلت فأمنت فنمت. والله إني قد خدمت أربعة من ملوك الأكاسرة أصحاب التيجان، فما هبت أحدا منهم هيبتي لصاحب هذه الدرة.

١٢٣- (قميص عثمان) : هو قميصه المضرج بالدم الذي قتل فيه، يضرب به المثل للشيء يكون سببا للتحريش، وذلك أن عمرو بن العاص رضي الله عنه، لما أحس من

عسكر معاوية بصفين فتورا في المحاربة، أشار عليه بأن يبرز لهم قميص عثمان، ليستأنفوا جدا جديدا في الانتقاض والمنازعة، ففعل ذلك معاوية، فحين وقعت أعين القوم على القميص ارتفعت ضجتهم بالبكاء والنحيب، وتحرك منهم الساكن، وثار من حقودهم الكامن، فعندها قال عمرو: حرك لها حوارها تحن.

وعلى ذكر هذا القميص، فإن المتوكل لما قتله الأتراك بمواطأة المنتصر وأفضى الأمر بعده وبعد المنتصر والمستعين إلى المعتز، لم تزل أمه قبيحة تحرضه على الإيقاع بقتلة أبيه وتلومه على ميله لهم دون طلب الثأر منهم،وكان المعتز يعدها ويمنيها، وهو يعلم أنه لا يقوى عليهم مع كثرة عددهم، وشدة شوكتهم وغلبتهم على أمور الخلافة، فأبرزت قبيحة يوما للمعتز قميص المتوكل الذي قتل فيه وهو مضرج بالدم،وجعلت تبكي وتبالغ في التقريع والتحريض كل المبالغة، فلما طال ذلك منها قال لها المعتز: يا أمي، ارفعي القميص وإلا صار قميصين، فعندها أمسكت ولم تعد لعاد ا.

١٢٤- (فضائل علي): يضرب ا المثل في الكثرة، كما قال محمد بن مكرم لأبي علي البصير: فضولك والله أكثر من فضائل علي.

وقال الجاحظ: لا يعلم رجل في الأرض متى ذكر السبق في الإسلام والتقدم فيه، ومتى ذكرت النجدة والذب عن الإسلام، ومتي ذكر الفقه في الدين، ومتى ذكر الزهد في الأموال التي تتناجز الناس عليها، ومتى ذكر الإعطاء في الماعون، كان مذكورا في هذه الخلال كلها، إلا علي رضي الله عنه.

وكان الحسن يقول: قد يكون الرجل عالما وليس بعابد،وعابدا وليس بعالم، وعالما وعابدا وليس بعاقل؛ وسليمان بن يسار عالم عابد عاقل، فانظر أين تقع خلال سليمان من خصال علي !

١٢٥- (صدق أبي ذر): يضرب به المثل. ويروى أن النبي ﷺ كان يقول: «**ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء بعد النبيين أصدق لهجة من أبي ذر**» .

ومن أملح ما سمعت في ضرب المثل به قول الصاحب في إنسان كذوب: الفاختة عنده أبو ذر، لأن الفاختة يضرب ا المثل في الكذب، وأبو ذر يضرب به المثل في الصدق.

١٢٦- (مشية أبي دجانة): هو سماك بن خرشة الأنصاري، رضي الله عنه،

كان شجاعا بطلا قد تعود الإقدام حيث تزل الأقدام، وله آثار جميلة في الإسلام، وكانت له مشية عجيبة في الخيلاء، ونظر ﷺ إليه في المعركة وهو يتبختر بين الصفين فقال: «**إن هذه مشية يبغضها الله إلا** في **هذا المكان**».

وكان يقال له: ذو المشهرة، لأنه كانت له مشهرة إذا لبسها في الحرب لا يبقي ولا يذر.

١٢٧- (دهاء معاوية): ذلك مما اشتهر أمره، وسار ذكره، وكثرت الروايات والحكايات فيه.

ووقع الإجماع على أن الدهاة أربعة: معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة ابن شعبة، وزياد بن أبية؛ رضي الله عنهم؛ فلما كان معاوية بحيث هو من الدهاء وبعد الغور، وانضم إليه الدهاة الثلاثة الذين يرون بأول آرائهم أواخر الأمور، فكان لا يقطع أمرا حتى يشهدوه، ولا يستضيء في ظلم الخطوب إلا بمصابيح آرائهم، سلم له أمر الملك، وألقت إليه الدنيا أزمتها، وصار دهاؤه ودهاء أصحابه الثلاثة مثلا؛ ولم يذكر معهم في الدهاء إلا قيس بن سعد بن عبادة، وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي.

١٢٨ - (فقه العبادلة): هم عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص؛ فهؤلاء من فقهاء الصحابة وأثبا م وعلمائهم، ومن أنبههم.

ومن عبادلتهم أيضا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالي عنهم أجمعين.

١٢٩- (وليمة الأشعث): كان الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي ارتد في جملة أهل الردة، فلما أتي به لأبي بكر رضي الله عنه أسيرا استتابه وأطلقه، وزوجه أخته أم فروة بنت أبي قحافة، فأصبح صبيحة البناء، وخرج شاهرا سيفه، فلم يلق ذات أربع مما يؤكل لحمه إلا عقرها، فقال الناس: هذا الأشعث قد ارتد ثانية، ثم إنه قال: يا أهل المدينة، إنا والله لو كنا ببلادنا لأولمنا، فاجتزروا من هذه اللحمان، وتصادقوا في الأثمان ؛ فلم يبق دار من دور المدينة إلا دخلها من تلك اللحوم، ولم ير يوم أشبه بيوم الأضحى من ذلك، فضرب أهل المدينة المثل بوليمة الأشعث، فقالوا: وليمة الأشعث، وأولم من الأشعث.

١٣٠- (حلم الأحنف): قال الجاحظ: قد ذكروا في الأشعار حلم لقمان، ولقيم بن لقمان، وذكروا قيس بن عاصم، ومعاوية بن أبي سفيان، ورجالا كثيرا ما رأينا هذا الاسم التزق بأحد والتحم بإنسان وظهر على الألسنة كما رأيناه، يأ للأحنف بن قيس؛ثم كان مع ذلك رئيسا في أكثر تلك الفتن، فلم ير حاله عند الخاصة والعامة، وعند النساك والفتاك، وعند الخلفاء الراشدين، والملوك المتغلبين، ولا حاله في حياته، ولا حاله بعد موته إلا مستويا، فينبغي أن يكون قد سبقت له من النبي ﷺ دعوة، وقال فيه كما رووه وذكروه.

أو يكون قد كان يضمر من حسن النية ومن شدة الإخلاص مالم يكن عليه أحد من نظرائه.

فإن قال قائل: تزعمون أن عبد المطلب كان أحلم الناس، وكذلك العباس بن عبد المطلب، قلنا: إن الأحنف كان الحلم سيد عمله، فبان حلمه من سائر أعماله، ومحاسن عبد المطلب وخصال العباس في ا د والشرف كانت متكافئة متساوية، كل خصلة منها تنتصف من أختها، فكانت كما قال الشاعر:

إني غرضت إلى تناصف وجهها غرض المحب إلى الحبيب الغائـب

وإذا كانت الخصال كذلك لم يغلب على صاحبها اسم دون اسم، ورجع الأمر إلى أن يسمى سيدا، وما أشبه ذلك من الأسماء الخاصة.

١٣١- (زهد الحسن): قال الجاحظ: كان الحسن رضي الله تعالى عنه يستثنى من كل غاية؛ وقالوا: أزهد الناس إلا الحسن، وأفقه الناس إلا الحسن، وأفصح الناس إلا الحسن، وأخطب الناس إلا الحسن؛ وعلى هذا كان جميع كلامهم.

١٣٢- (ورع ابن سيرين): قال الجاحظ: كان يقال: زهد الحسن، وورع ابن سيرين، وعقل مطرف، وحفظ قتادة، وكلهم من البصرة، قال الشاعر:

فأنت بالليل ذئب لا حريم لـه والنهار على سمت ابـن سـيرين

لما لم يستقم له أن يقول: «على ورع ابن سيرين»، أقام السمت مقامه وأحسن، وهذا من لطائف الشعر.

١٣٣- (سجع المختار): كان المختار بن أبي عبيد الثقفي لا يوقف له على

مذهب؛كان خارجيا، ثم صار زبيريا، ثم صار رافضيا، يدعو إلى محمد بن الحنفية، ويطلب بدم الحسين رضي الله عنه؛ وتغلب على الكوفة، وفعل الأفاعيل، فقيل له: يا أبا إسحاق، كيف خرجت تدعو إلى هؤلاء القوم ولم تعرف بالتشيع لهم!فقال: إني رأيت مروان وثب على الشام، وابن الزبير على مكة، ونجدة على اليمامة، وابن خازم على خراسان، ووالله ما أنا دو م.

وكان يدعي أنه يلهم ضربا من السجع لأمور تكون، ثم يحتال فيوقعها فيقول للناس: هذا من عند الله.

ولما قيل لابن عباس رضي الله عنهما: إن المختار يزعم أنه يوحى إليه قال: صدق المختار يعني قول الله عز ذكره:

﴿**وإن الشيَاطِينَ ليوحونَ إلى أولِيَائِهم**﴾[١].

وقيل للمختار: إنك تقول أشياء فلا تكون؛ فقال: ﴿**يمحو الله مَا يَشَاءُ ويثْبِت وعِندَه أم الكِتَابِ**﴾[٢].

فمن أسجاعه أنه قال ذات يوم: لتنـزلن من السماء نار دهماء، ولتحرقن دار أسماء؛ فذكر ذلك لأسماء بن خارجة، فقال: أوقد سجع بي أبو إسحاق؟! هو والله محرق داري. فتركه والدار وهرب من الكوفة.

وقال في بعض سجعه: أما والذي شرع الأديان، وحبب الإيمان، وكره العصيان، لأقتلن أزد عمان، وجل قيس عيلان، وتميما أولياء الشيطان، حاشا النجيب ظبيان[٣]: فكان ظبيان يقول: لم أزل في عصر المختار أتقلب آمنا.

ويروى أن النبي ﷺ قال: «**إن لثقيف كذابا ومبيرا**».

فقيل: هما المختار والحجاج.

وفي المختار يقول أبو تمام متمثلا:

والهاشميون استقلت عيرهـم   من كربلاء بأعظم الأوتـار

---

(١) سورة الأنعام ١٢١.

(٢) سورة الرعد ٣٩.

(٣) ظبيان بن عمارة التميمي.

فشفاهم المختار منه ولم يكن في **دينه المختـار بالمختـار**

وقال أعشى همدان في أيام ابن الأشعث للحجاج :

إن ثقيفا منـهم الكـذابان **كذا الماضي وكذاب ثـان**

ومن ظريف ما يحكى من حيل المختار أنه كان عنده كرسي قديم العهد، فغشاه بالديباج وقال: هذا الكرسي من ذخائر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فضعوه في حومة القتال وقاتلوا عنه، فإن محله فيكم محل السكينة في بني إسرائيل.

ويقال: إنه كان اشتراه من نجار بدرهمين.

ولما وجه المختار إبراهيم الأشتر إلى حرب عبيد الله بن زياد خرج يشيعه ماشيا، فقال له إبراهيم: اركب يا أبا إسحاق، فقال له: إني أحب أن تغبر قدماي في نصرة آل محمد ﷺ، فشيعه فرسخين، ودفع إلى قوم من خاصته حمائم بيضا ضخاما، وقال لهم: إن رأيتم الأمر علينا فأرسلوها في المعركة، وقال للناس: إني أجد في محكم الكتاب، وفي اليقين والصواب، أن الله ممدكم بملائكة غضاب، تأتي في صور الحمام دون السحاب. فلما التقت الفئتان، وكادت الدائرة تكون على عسكر ابن الأشتر أرسلت الحمائم البيض، فتصايح الناس: الملائكة، الملائكة! فتراجعوا، فأسرع القتل في أصحاب عبيد الله، ثم انكشفوا ووضعوا السيوف فيهم حتى أفنوهم، فقال ابن الأشتر: لقد ضربت رجلا على شاطئ النهر ورجع إليّ سيفي تنفح منه رائحة المسك، ورأيت له إقداما وجرأة، فصرعته، فشرقت يداه، وغربت رجلاه، فانظروا من هو؟ فنظروا فإذا هو عبيد الله بن زياد.

١٣٤- (زكن إياس): هو أبو واثلة إياس بن معاوية، وكان قاضيا فائقا، زكنا، يضرب بزكنه المثل. ولما أراد أبو تمام أن يتمثل به في شعر له ولم يستو له الوزن أن يذكر زكنه في البيت أقام الذكاء مقام الزكن، فقال:

إقدام عمرو في سماحـة حـاتم في **حلم أحنف** في **ذكاء إيـاس**

ولأبي الحسن المدائني كتاب مقصور على زكن إياس وإبراز نوادره.

وحكى الجاحظ عنه قال: كان إياس وهو صغير ضعيفا ضئيلا، وكان له أخ أشد حركة منه وأقوى، فكان معاوية أبوه يقدمه على إياس، فقال له إياس يوما: يا

أبت إنك تقدم أخي علي وسأضرب لك مثله ومثلي، فهو مثل الفروج حين تنفلق عنه البيضة يخرج كاسيا كافيا نفسه فيلقط ويستخفه الناس، فكلما كبر انتقص، حتى إذا تم فصار دجاجة لم يصلح إلا للذبح وأنا مثل فرخ الحمام تنفلق عنه البيضة عن شيء ساقط لا يقدر على حركة، وأبواه يغذيانه حتى يقوى ويثبت ريشه ثم يحسن بعد ذلك ويطير. ويتخذه الناس ويرسلونه من المواضع البعيدة، فيجيء، فيصان لذلك ويكرم، ويشترى بالأثمان الغالية، فقال له أبوه: لقد أحسنت المثل! فقدمه على أخيه، فوجد عنده أكثر مما ظن منه به؛ وخرج إياس باقعة منقطع النظير.

وزعم الأصمعي أن إياسا نظر إلى رجل من ثقيف أبيض بض، فقال له: أهندية أمك؟ قال: لا والله ما ضربت في هندية ولا هندي قط بعرق، قال: بلى والله وإن جهلت، وإني لأرى فيك آثار ذلك، قال : لا والله إلا اللبن والحضانة، فإن خادمة هندية كانت لأمي أرضعتني مدة مديدة، قال: فمن ذلك!

وقال المدائني: حج إياس فسمع نباح كلب، فقال: هذا كلب مشدود، ثم سمع نباحه. فقال: قد أرسل، فلما انتهوا من الماء سألوا أهله، فكان كما قال، فقيل له : كيف علمت أنه موثق، وأنه قد أطلق؟ فقال: كان نباحه وهو موثق يسمع من مكان واحد، فلما أطلق سمعته يقرب مرة ويبعد أخرى، ويتصرف في ذلك.

ومر ذات ليلة بماءٍ فقال: أسمع صوت كلب غريب؛ فقيل له: كيف عرفت ذلك؟ قال: بخضوع صوته، وشدة نباح الآخر؛ فسألوا عنه؛ فإذا كلب غريب، وإذا كلب ينبحه.

وقال رجل لإياس: أنا أصنع مثل ما تصنع، فنظر إياس إلى صدع في الأرض فقال : ما في هذا الصدع؟ قال: لا أدري، وما أرى شيئا. قال إياس: فيه دابة، فنظروا فإذا فيه دابة، فقال إياس: إن الأرض لا تنصدع إلا عن دابة أو نبات.

ونظر يوما بواسط في الرحبة إلى آجرة، فقال: تحت هذه الآجرة دابة، فنـزعوها فإذا تحتها حية مطوقة، فسئل عن ذلك، فقال: إني رأيت ما بين الآجرتين نديا من بين جميع الرحبة، فعلمت أن تحتها شيئا يتنفس.

ورأى أثر رعي بعير: فقال: هذا بعير أعور؛ فنظروا، فكان كما قال فقيل له : من أين علمت هذا؟ فقال: لأني وجدت رعيه جهة واحدة.

١٣٥- (شجة عبد الحميد): تضرب مثلا للعورة تصيب الإنسان الجميل فلا تشينه، بل تزيده حسنا، فكان عبد الحميد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب من أجمل أهل دهره، فأصابته شجة في وجهه، فلم تشنه، بل استحسنها الناس.وكان النساء يخططن في وجوههن شجة عبد الحميد والله أعلم.

الباب السادس

في ذكر رجالات العرب في الجاهلية والإسلام

مختلفي الألقاب والمراتب

مضافين إلى أشياء مختلفة يضرب بأكثرهم الأمثال

قريش الأباطح. شيبة الحمد. حاتم طيئ. كليب وائل. زيد الخيل. ملاعب الأسنة. سحبان وائل أزواد الركب، عروة الصعاليك. أبوعروة السباع. سعد العشيرة. سعد المطر. دعيميص الرمل. سليك المقانب. عراف اليمامة. شيخ مهو. حنيف الحناتم. وافد البراجم. يسار الكواعب. طفيل العرائس.سعد القرقرة. وضاح اليمن. مجنون بني عامر. شيخ المضيرة. أمين الأمة. حواري النبي. رباني الأمة.أشج بني أمية. جبار بني العباس.

الاستشهاد

١٣٦- (قريش الأباطح): يقال لهم أيضا: قريش البطاح، لأ م لباب قريش وصميمها الذين اختطوا بطحاء مكة، وهي سر ا، فنــزلوها. وهم بنو عبد مناف، وبنو عبد الدار، وبنو عبد العزى، وبنو زهرة، وبنو تميم بن مرة، وبنو مخزوم، وبنو سهم، وجمح، وبنو عدي بن كعب، وبنو عامر بن لؤي، وبنو هلال بن أهيب ابن ضبة بن الحارس بن فهر، ويقال لهم: الأبطحيون أيضا، قال خلف بن خليفة حين ذكر الأشراف الذين يدخلون على ابن هبيرة:

وقامت قريش قريش البطــاح مع العصــب الأول الداخلــه

وما أحسن ما قال البحتري يمدح المتوكل:

يا بن الأباطح من أرض أباطحها في ذروة ا د أعلى من روابيها

ما ضيع الله في بدو ولا حضــر رعية أنت بالإحسان راعيها

فهؤلاء قريش الأباطح، وأما قريش الظواهر فهم الذين لم تسعهم الأباطح، فنــزلوا ظواهر مكة، وهم معيص بن عامر بن لؤي، وتيم بن غالب بن فهر،

ومحارب والحارث، ابنا فهر.

١٣٧- (شيبة الحمد): كان يقال لعبد المطلب بن هاشم : شيبة الحمد، لنور وجهه؛ وذلك أنه كانت في ذؤابته شعرة بيضاء حين ولد، فسمي شيبة الحمد، وفيه يقول حذافة بن غانم:

بنو شيبة الحمد الذي كان وجهه يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

١٣٨-(حاتم طيئ): جواد العرب المضروب به في الجود المثل،أنشد الجاحظ لأبي الشمقمق:

لما سألتك شيئا أبدلت رشدا بغي

ممن تعلمت هذا ألاّ تجود بشي!

أما مررت بعبد لعبد حاتم طي

وقال آخر:

الجود حاتم طي وحاتم البخل عون

له مطابخ بيض والعرض أسود جون

ونظر أصرم بن حميد الطوسي إلى رجل يقول : أنا مسلوب الغنى؛ فنزل عن برذونه وأعطاه إياه، فأنشأ يقول أبياتا منها:

إلى مسلوب الغنى إلى حاتم طي وحميد طي

*** مدار أحياء العلا علي ***

وقال الصاحب لابن العميد:

وهو إن جاد ذم حاتم طي وهو إن قال قل قس إياد

وأخباره في الجود أكثر من أن تحصى، وأشهر من أن ينبه عليها، ومن أحاسنها أنه قسم ماله بضع عشرة مرة، ومر في سفر له على بني عنزة ولهم أسير في القد فاستغاث به ولم يحضره فكاكه، ففاداه وخلاه، وأقام مقامه في القد حتى أدي فداؤه.

وروت الرواة بالأسانيد عن ملحان بن أخي ماوية امرأة حاتم، قال: قلت لها: ياعمتي، حدثيني ببعض عجائب حاتم؛ فقالت: كل أمره عجيب فعن أيه تسأل؟

قلت: حدثيني بما شئت، قالت: أصابت الناس سنة أذهبت الخف والظلف، وأكلت النفوس، فبتنا ذات ليلة وقد أسهرنا الجوع، فأخذ هو عديا، وأخذت أنا سفانة، وجعلنا نعللهما حتى ناما، ثم أقبل علي يعللني بالحديث حتى أنام، فرققت لما به من الجهد، وأمسكت عن كلامه لينام، فقال لي أنمت؟ وكررها مرارا، فلم أجبه؛ فسكت، ثم نظر من فتق الخباء، فإذا بشخص قد أقبل، فرفع رأسه، فإذا امرأة تقول: يا أبا سفانة، أتيتك من عند صبية يتعاوون من الجوع كالذباب، فقال: أحضريهم، فوالله لأشبعنهم، قالت: فقمت سريعا، وقلت: بماذا! فوالله مانام صبيانك من الجوع إلا بالتعليل، فقال : والله لأشبعن صبيانك مع صبيا ا، فلما جاءت الصبية قام حاتم إلى فرسه فذبحه، ثم قدح نارا وأججها ودفع إليها شفرة، وقال لها: اشوي وكلي، ثم قال لي: أيقظي صبيانك، فأيقظتهما، ثم قال: والله إن هذا للؤم أن تأكلوا وأهل الحي جياع! فجعل يأتي بيتا بيتا ويقول: ا ضوا، عليكم بالنار؛ فاجتمعوا حول الفرس، وتقنع هو بكسائه، وجلس ناحية، فما أصبحوا ومن الفرس على الأرض قليل ولا كثير إلا حوافره، وإنه لأشد جوعا منهم، وما ذاقه.

١٣٩- (كليب وائل): كان سيد ربيعة في زمانه، قاد نـ زارا كلها والعرب تضرب به المثل في العز والقوة والظلم، وكان لا يظلم إلا القوي، وبلغ من عزه وظلمه أنه كان يحمي الكلأ، فلا يقرب أحد حماه، ويجير الصيد فلا يهاج،وكان الناس إذا وردوا الماء لم يسبق أحد منهم إلا بأمره، وإن أصا م مطر وقد ظمئوا لا يخوض إنسان حوضا إلا على ما فضل عنه. وكان إذا أتي الماء وقد سبق إليه أحد ألقى عليه الكلاب فتنهشه؛ وكان يعمد إلى الروضة تعجبه فيأمر بأن يؤخذ كلب وتشد قوائمه فيلقى في وسطها، فحيث بلغ عواؤه كان حمى لا يرعى. وكان لا يمر بين يديه أحد إذا جلس، ولا يحتبي في مجلسه غيره، ولا يرفع الصوت عنده. ولما قتله من يمر[1] ذكره في مكانه من هذا الكتاب رثاه مهلهل بقوله:

نبئت أن النار بعدك أوقـدت واستب بعدك يا كليب ا لس

(١) هو جساس بن مرة.

وتكلموا في أمر كـل عظيمـة **لو كنت شاهدهم ا لم ينبسوا**

وقال أبو نواس يهجو إسماعيل نيبخت، ويضرب المثل بكليب وائل:

على خبز إسماعيل واقية البخـل **فقد حل في دار الأمان من الأكل**

وما خبزه إلا كآوي يـرى ابنـها **ولم تر آوى في الحزون ولا السهل**

وما خبزه إلا كعنقـاء مغـرب **يصور في بسط الملوك وفي المثـل**

يحدث عنها الناس من غير رؤيـة **سوى صورة ما إن تمر ولا تحلـي**

وما خبزه إلا كليب بـن وائـل **ليالي يحمي عزه منبـت البقـل**

وإذ هو لا يستب خصمان عنده **ولا الصوت مرفوع بجد ولا هزل**

فإن خبز إسماعيل حل به الـذي **أصاب كليبا لم يكن ذاك عن ذل**

ولكن قضاء ليس يسـطاع رده **بحيلة ذي مكر ولا فكر ذي عقل**

قال الجاحظ: وأبيات أبي نواس على أنه مولد شاطر أشعر من شعر مهلهل في إطراق الناس في مجلس كليب.

قال مؤلف الكتاب: ومن ألفاظ الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي أدام الله أيامه الجارية مجرى الأمثال قوله: لست مني بوائل ولو كنت كليب وائل.

١٤٠- (زيد الخيل): هو زيد بن مهلهل الطائي، قيل له زيد الخيل لطول طراده ا وقيادته لها، وكان جسيما وسيما يقبل المرأة على الهودج، ويخط رجله على الأرض إذا ركب. وكان شاعرا، ووفد على النبي ﷺ فسماه زيد الخير، وقال له: «**يازيد، ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الإسلام إلا كان دون الصفة ليسك**».

يريد: «غيرك»، وأقطعه أرضا، وكانت المدينة وبيئة، فقال لما خرج من عنده عليه السلام : «**إن ينج زيد من أم ملدم**»[1]، فلما بلغ بلده مات.

(١) أم ملدم الحمى، والخبر في الأغاني ١٦، ٤٧(ساسي)، وفيه من قول النبي ﷺ: «الحمد لله الذي جاء بك من سهلك وجبلك، ورقق قلبك على الإسلام، يازيد، ما وصف لي رجل قط فرأيته إلا كان دون ما وصف به؛ إلا أنت؛ فإنك فوق ماقيل فيك». فلما ولي قال النبي =

١٤١- (ملاعب الأسنة): هو عامر بن الطفيل بن مالك، أحد فرسان العرب المذكورين؛ قال أبوعبيدة : فرسان العرب ثلاثة: فارس تميم عتيبة بن الحارث ابن شهاب؛ وكان يقال له صياد الفوارس وسم الفوارس، وفارس ربيعة بسطام بن قيس بن مسعود، وفارس قيس عامر بن الطفيل ملاعب الأسنة.فأما ملاعب الرماح فأبو براء عامر بن مالك بن جعفر، وكان بعث إلى رسول الله ﷺ يسأله أن يوجه إليهم قوما يفقهو م في الدين، فبعث إليهم قوما من أصحابه، فعرض لهم عامر بن الطفيل، فقتلهم يوم بئر معونة، فلم يفلت منهم إلا رجل واحد، فاغتم أبو براء لذلك،وقلق لإخفار عامر بن الطفيل بقتلهم ذمته. وبلغ بني عامر موت عامر بن الطفيل، وهو منصرف من عند رسول الله ﷺ وأرادوا النجعة، فجعلوا يرتحلون، فقال أبو براء: مايصنع القوم؟ فقالوا: يرتحلون لهذا الأمر الذي حدث؛ قال: أبغير إذني! فقال بعض بني أخيه: يزعمون أنه قد عرض لك في عقلك شيء منذ ساءك أمر هذا الرجل؛ فدعا لبيدا، واستدعى قينتين له، فشرب وغنتاه، فقال: يا لبيد، أرأيت إن حدث بعمك حدث ما كنت قائلا؟ فإن قومك يزعمون أن عقلي قد ذهب،والموت خير من عزوب العقل، فقال لبيد:

* **قوما تنوحان مع النواح** *
* **وأبنا ملاعب الرماح** *
* **يا عامرا يا عامر القداح** *
* **ومدرة الكتيبة الرداح**(١) *
لو كان حي مدرك الفلاح
* **أدركه ملاعب الرماح** *

فلما أثقله الشراب اتكأ على سيفه حتى فاضت نفسه، وهو يقول: لا خير في العيش وقد عصتني بنو عامر.

١٤٢- (سحبان وائل): رجل من باهلة، خطيب بليغ، يضرب به المثل في

=
ﷺ : «أي رجل إن سلم من آطام المدينة!».

(١) الرداح: الضخمة الكثيرة.

الخطابة والبلاغة، وهو القائل:

لقد علم الحي اليمـانون أنـني إذا قلت: أما بعد، أني خطيبـها

وقال حميد الأرقط وهو يهجو ضيفا له، ويضرب المثل في البيان بسحبان وفي العي بباقل:

أتانا وما داناه سحبان وائـل بيانا وعلما بالذي هـو قائـل

فما زال منه اللقم حتى كأنـه من العي لما أن تكلـم باقـل

وقال بعض المحدثين:

وعاشق تحت رواق الـدجى أغرى بـه الحـيرة فقـدان

أعرب عن مكنون أسـراره أحوى لطيف الكشح خمصان

كأنمـا يسـحب في إثـره ذيلا من الحكمـة سـحبان

١٤٣- (أزواد الركب): هم ثلاثة نفر من قريش: مسافر بن أبي عمرو بن أمية، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وأبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ سموا بذلك لأنه لم يكن يتزود معهم أحد في سفر، وكانوا يطعمون كل من يصحبهم ويكفونه الزاد، وكان ذلك خلقا من أخلاق أشراف قريش؛ ولكن لم يسم بهذا الاسم إلا هؤلاء الثلاثة.

١٤٤ -(عروة الصعاليك): هو عروة بن الورد الذي يقول:

ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذرا أو يصـيب رغيبـة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

قال المبرد: إنما سمي عروة الصعاليك لأنه كان إذا شكا إليه فتى من فتيان قومه الفقر أعطاه فرسا ورمحا، وقال له: إن لم تستغن بهما فلا أغناك الله!

١٤٥- (أبو عروة السباع): يضرب به المثل في جهارة الصوت وشدته؛قال أبوعبيدة: كان أبو عروة يصيح بالسبع وقد احتمل الشاة فيخليها ويسقط فيموت،فيشق بطنه فيوجد فؤاده قد انخلع، قال الشاعر:

زجر أبي عروة السـباع إذا أشفق أن يلتبسـن بـالغنم

١٤٦- (سعد العشيرة): إنما قيل له سعد العشيرة؛ لأنه كان يركب في عشرة من أولاده الذكور فكأنه منهم في عشيرة، فصار مثلا للرجل يستكثر بأبنائه وعشيرته ويتعزز م.

١٤٧- (سعد المطر): قال الجاحظ إنما قيل سعد المطر، لأنه كان يرى ملقى في المطر، وهو الذي يقول في ذلك:

دع المواعيد لا تعرض لوجهتها إن المواعيد مقرون ـا المطـر

إن المواعيد والأعياد قد منيـا منه بأنكد ما يمنى بـه البشـر

أما الثياب فلا يغررك إن غسلت صحو يدوم ولا شمس ولا قمر

وفي الشخوص له نوء وبارقـة وإن يبيت فذاك الفالج الـذكر

قال: والفالج الذكر هو الذي يهجم على الجوف. قال: ولما دها المطر المحلول مولى آل سليمان جلس على طريق الناس، وقد رجعوا من الاستمطار وقد سقوا، فهم ضاحكون مستبشرون، فأقبل على صاحب له، وقال: ليس بي إلا سرورهم بالإجابة، وإنما مطروا لأني غسلت ثيابي اليوم، ولم أغسل ثيابي قط إلا جاء الغيم والمطر، فيخرجوا غدا فإن سقوا فإني ظالم.

ولبعضهم في معناه:

وما خفت أني غسـلت ثيـابي سوى أن يومي يعود مطـيرا

١٤٨- (دعيميص الرمل): هو أهدى أدلاء العرب للطرق، يضرب به المثل؛ فيقال: أهدى من دعيميص الرمل، ويقال: إنه دخل وبار- وهي بلدة تزعم العرب أ ا بلدة الجن ولم يدخلها إنسي غيره - فرمته الجن بالرمل حتى عمي، ثم مات ولما اشتهر ذلك عنه غلب عليه هذا الاسم.

ويقال: هو دعيميص هذا الأمر، أي العالم به، قال الشاعر:

دعموص أبواب الملو ك وراتق للخرق فـاتق

١٤٩- (سليك المقانب): هو سليك بن السلكة، وهي أمه، وكانت أمة سوداء، وسليك أيضا أسود، وهو أحد أغربة العرب، وأعدى الناس، لايشق غباره،

وأخباره في العدو والغارة مشهورة معروفة. وكان يقول: اللهم إني لو كنت ضعيفا كنت عبدا، ولو كنت امرأة كنت أمة. اللهم فهيئ ماشئت إذا شئت، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة، وأما الهيبة فلا هيبة.

وممن ضرب المثل به أبو تمام في قوله:

مفازة صدر لو تطرق لم **يكن ليسلكها فردا سليك المقانب**

وقال:

يمشي رويدا فأما حين يطلبنا فلا السليك يدانيه ولا رجل

١٥٠- (عراف اليمامة): أحد كهان العرب المعروفين، مثل أخبارية جهينة، وكاهنية باهلة، ومثل شق وسطيح؛ فأما عراف اليمامة فهو رياح بن كحيلة، وفيه يقول الشاعر:

أقول لعراف اليمامة داوني فإنك إن أبرأتني لطبيب

١٥١- (شيخ مهو): يضرب به المثل في الخسران، فيقال: أخسر صفقة من شيخ مهو؛ ومهو: حي من عبد القيس، وكانت إياد تسب بالفسو وتعير به، فقام رجل من إياد بسوق عكاظ ومعه بردا حبرة، فقال: من يشتري مني عار الفسو بهذين البردين؟ فقام عبد الله بن بيدرة أحد مهو فقال: ها هنا، واشهدوا أني اشتريت عار الفسو من إياد لعبد القيس بالبردين. فلما أتى رحله وسئل عن البردين، قال: اشتريت لكم بهما عار الدهر؛ فوثبت عبد القيس وقالت:

إن الفساة قبلنا إياد ونحن لا نفسو ولا نكاد

وتفرق الناس عن عكاظ بابتياع عبد القيس عار الفسو حتى قال الشاعر:

يامن رأى كصفقة ابن بيدره من صفقة خاسرة مخسره
المشتري الفسو ببردي حبره شلت يمين **صافق ما أخسره**

وقال ابن دارة في وقعة مسعود بن عمرو:

وإني إن ضربت جبال قيس وحالفت المزون على تميم
لأخسر صفقة من شيخ مهو وأجور في **الحكومة من سدوم**

ثم إن هذا العار زال عن إياد ولصق بعبد القيس، فهجوا به كثيرا.

ومر إنسان بالجماز، فقال: ياشيخ، كيف آخذ إلى عبد القيس؟ قال: امض قدما واشتم، فإن كرهت الرائحة فثم

ومن هذا أخذ الحمدوني قوله في قينة ذات صنان:

من كان لا يدري لها منـزلا فقل لـه يمشـي ويستنشـق

١٥٢- (حنيف الحناتم): هو رجل من تيم اللات بن ثعلبة، تضرب العرب به المثل في الإبالة - وهي مصدر لأبل - وهو البصير برعية الإبل وما يصلحها، فيقال: آبل من حنيف الحناتم.

ومن كلامه الدال على إبالته قوله: من قاظ الشرف، وتربع الحزن،وتشتى الصمان، فقد أصاب المرعى.

١٥٣- (وافد البراجم): يضرب به المثل في الشقاء والجبن، وذلك أن أسعد ابن المنذر أخا عمرو بن هند انصرف ذات ليلة من مجلس صفائه وهو ثمل، فرمى رجلا من بني دارم بسهم فقتله، فوثب عليه بنو دارم فقتلوه، فغزاهم عمرو بن هند، وقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم أقسم ليحرقن منهم مائة،فبذلك سمي محرقا، وأخذ تسعة وتسعين رجلا منهم فقذفهم في النار، وأراد أن يبر قسمه بمن تكمل به العدة، فمر رجل يقال له عمار، من بني مالك بن حنظلة، فتشمم رائحة اللحم، فظن أن الملك قد أتخذ طعاما للأضياف، فعرج إليه، فأتى به، فقال له: من أنت؟فقال: أبيت اللعن! أنا وافد البراجم، فقال عمرو: إن الشقي وافد البراجم؛ فصار مثلا للشقي يسعى بقدمه إلى مراق دمه. ثم أمر به فقذف في النار تحلة لقسمه.قال الطرماح في إحراق عمرو بني دارم:

ودارم قد قتلنـا منـهم مائـة في جاحم النار إذ ينـزون بالخدد

ينـزون بالمشتوى منها ويوقدها عمرو ولولا شحوم القوم لم تقد

وقال جرير يعير الفرزدق:

أين الذين بنار عمرو أحرقـوا أم أين أسعد فيكم المسترضع!

١٥٤- (يسار الكواعب): وهو عبد تعرض لبنت مولاه، وراودها عن

نفسها فنهته، فعاودها، فامتنعت عليه، فعاد لعادته، فقالت: إن كان لابد فإني مبخرتك ببخور، فإن صبرت على حرارته صرت إلى ما تريد، فعمدت إلى مجمر، فأدخلته تحته، واشتملت على سكين حديد فجبت به مذاكيره، فصاح فقالت: صبرا على مجامر الكرام!

ثم لم يلبث أن مات، فصار مثلا لكل جان على نفسه، ومتعرض لما يجل عن قدره،وفيه يقول الفرزدق لجرير:

وهل أنت إن ماتت أتانك راكب ... إلى آل بسطام بن قيس بخاطب

وإني لأخشى إن خطبت إليهم ... عليك الذي لاقى يسار الكواعب

١٥٥- (طفيل العرائس): ويقال له طفيل الأعراس أيضا، وهو من غطفان، ويقال: إنه من موالي عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وكان يتتبع الأعراس، فيأتيها من غير أن يدعى إليها. وهو أول من فعل ذلك، وإليه ينسب الطفيليون، وكان يقول: وددت أن الكوفة بركة مصهرجة، فلا يخفى علي من أعراسها شيء.

وسئل عن أشرف الأعواد، فقال: عصا موسى، ومنبر الرسول ﷺ، وخوان العرس، وفيه يقول ذاهب في طريقه:

وكنا بالمطالب قد شقينا ... ففزنا بالسعادة عن طفيل

وفيه يقول عملاق العثماني الذي كان نزل بنيسابور، وهو الآن حي يرزق:

تلبس عملاق بن غيلان للشقا ... وللخرق والإخفاق أثواب حارس

يطوف بنيسابور في كل سكة ... خليفة مولاه طفيل العرائس

١٥٦- (سعد القرقرة): مضحك النعمان، يعد في المستأكلين والمتطفلين. قيل له: ما رأيناك إلا وأنت تزيد شحما وتقطر دما! فقال: لأني آخذ ولا أعطى، وأخطئ ولا ألام، فأنا طول الدهر مسرور ضاحك.

١٥٧- (وضاح اليمن): قال الجاحظ: ثلاثة من العبيد قتلوا بسبب العشق: منهم يسار الكواعب، ومنهم عبد بني الحسحاس، ومنهم وضاح اليمن؛ فأما يسار الكواعب فقد مرت قصته، وأما عبد بني الحسحاس؛ فإنه كان شاعرا يشبب ببنات

مواليه، ويصرح بالفاحشة معهن، كقوله:

وأشهد بالرحمن أني تركتـها **وعشرين منها إصبعا من ورائيا**

ولما عرض على السيف ضحك منه بعضهن، فقال:

فإن تضحكي مني فيارب ليلـة **تركتك فيها كالقبـاء المفـرج**

وأما وضاح اليمن فإنه كان شاعرا من أجمل الناس وأظرفهم وأخفهم شعرا، وهو القائل:

ضحك الناس وقـالوا **شعر وضـاح اليمـاني**

إنـما شـعري قـند **خـلطت بـالجلجلان**

وعن الهيثم بن عدي، قال: سمعت صالح بن حسان، يقول: أفقه الناس وضاح اليمن في قوله:

إذا قلت هاتي نوليني تبسـمت **وقالت معاذ الله من فعل ما حرم**

فما نولت حتى تضرعت عندها **وأنبأ ا ما رخص الله في اللمـم**

ويحكى أن أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان كانت تصادقه وتستخصه، وكانت عند الوليد بن عبد الملك، وكانت قد جعلت للوضاح هذا صندوقا تجعله فيه، فإذا وجدت من الرقباء فرصة وغفلة أخرجته وخلت به، فحمل إلى الوليد جوهر نفيس، فأمر خادما له يحمله إلى أم البنين، فدخل الخادم إليها فوجدها قد خلت بوضاح، فلما أحست بالخادم جعلته في الصندوق، ولم تعلم أن الخادم قد بصر به، فسألها الخادم أن ب له جوهرة منه، فزجرته وأنكرت عليه كمه، فخرج الخادم وأخبر الوليد، فدخل عليها وقعد على بعض الصناديق، وقال لها: يا ابنة عمي، هبي لي صندوقا من صناديقك هذه، قالت: يا أمير المؤمنين، هي بأسرها لك، قال: لا، بل أريد واحدا منها، قالت: خذ منها ما شئت، وكان الخادم وصف له الصندوق الذي فيه وضاح وأعلمه بمكانه، فأخذه؛ فأمر بحمله واحتفار موضع يبلغ الماء به، وأدلى الصندوق بما فيه إليه وهما ينظران، فلم ير واحد من الوليد وأم البنين أثر ذلك في وجه صاحبه، ولا أجريا حديثه إلى أن فرق بينهما الموت.

١٥٨-(مجنون بني عامر): وهو قيس بن الملوح صاحب ليلى، يضرب به المثل في الحب، وهو أشهر من أن يذكر، وشعره أسير من أن ينبه عليه، ومن أحسن ما يروى له قوله:

وأدنيتني حتى إذا ما سبيتني **بقول يحل العصم سهل الأباطح**
تجافيت عني حين ما لي حيلة **وغادرت ما غادرت بين الجوانح**

وقوله:

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى **فهيج أحزان الفؤاد وما يدري**
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما **أطار بليلى طائرا كان في صدري**

ويروى لليلى:

لم يكن المجنون في حالة **إلا وقد كنت كما كانا**
لكنه باح بسر الهوى **وأنني قد ذبت كتمانا**

١٥٩- (شيخ المضيرة): كان أبو هريرة ﷺ على فضله واختصاصه بالنبي ﷺ مزاحا أكولا؛وكان مروان بن الحكم يستخلفه على المدينة، فيركب حمارا قد شد عليه برذعة، فيلقى الرجل فيقول: الطريق الطريق، قد جاء الأمير!

وعن أبي رافع، قال : كان أبو هريرة ﷺ ربما دعاني إلى عشائه فيقول: دع العراق للأمير، فانتظرنا فإذا هو ثريد بزيت. وكان يدعي الطب فيقول: أكل التمر أمان من القولنج، وشرب العسل على الريق أمان من الفالج، وأكل السفرجل يحسن الولد، وأكل الرمان يصلح الكبد، والزبيب يشد العصب، ويذهب الوصب والنصب، والكرفس يقوي المعدة، ويطيب النكهة، والعدس يرق القلب، ويذرف الدمعة،والقرع يزيد في اللب،ويرق البشرة، وأطيب اللحم الكتف وحواشي فقار العنق والظهر وكان يديم أكل الهريسة والفالوذج ويقول: هما مادة الولد. وكان يعجبه المضيرة جدا، فيأكل مع معاوية، فإذا حضرت الصلاة صلى خلف علي رضي الله عنه، فإذا قيل له في ذلك، قال: مضيرة معاوية أدسم وأطيب، والصلاة خلف علي أفضل. وكان يقال له: شيخ المضيرة، وقيل فيه:

وتولى أبو هريرة عن نصـ ـ ـر علي ليسـتفيد الثريـدا
ولعمري إن الثريـد كـثير للذي ليس يستحق الهبيـدا

١٦٠- (أمين الأمة): هو أبو عبيدة بن الجراح، وكان من عظماء أصحاب رسول الله ﷺ وكان عليه السلام يقول: **لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح**».

وروي أنه أُتي بطعام فقال: «يستحب أن يبدأ رجل صالح، فابدأ يا أبا عبيدة».

١٦١- (حواري النبي): هو الزبير بن العوام؛ لأن النبي ﷺ كان يقول: «**لكل نبي حواري، وحواري الزبير**». وكان أحد العشرة الذين بشروا بالجنة، وأحد أصحاب الشورى. ولما قتل أتي إلى علي بسيفه، فنظر إليه وقال: هذا هو السيف الذي طالما جلى الكرب عن وجه رسول الله ﷺ، وبشر قاتله ابن جرموز بالنار، وقال: سمعته عليه الصلاة والسلام، يقول: «**بشروا قاتل ابن صفية بالنار**».

١٦٢- (رباني الأمة): هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان يقال له: رباني الأمة وحبرها، وترجمان القرآن؛ والرباني: المتأله العارف بالله تعالى، وقال الله عز وجل في القرآن: ﴿ **كُونوا رَبانِيينَ**﴾[1].

١٦٣- (أشج بني أمية): هو عمر بن عبد العزيز بن مروان، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وكان عمر يقول: إن من ولدي رجلا بوجهه أثر، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا. ولما نفحه حمار برجله فأصاب جبهته وأثر فيها، قال أخوه أصبغ : الله أكبر! هذا أشج بني أمية يملك ويملأ الأرض عدلا. ولما قال عمر في يزيد بن المهلب: أي عراقي هو لولا عذرة في رأسه، بلغ ذلك يزيد فقال: من يعذرني من لطيم الحمار!

١٦٤- (جبار بني العباس): كان يقال للرشيد: جبار بني العباس لأنه أغزى ابنه القاسم الروم، فقتل منهم خمسين ألفا، وأخذ خمسة آلاف دابة بسرج الفضة

(١) سورة آل عمران٧٩.

ولجمها. وأغزى علي بن عيسى بن ماهان بلاد الترك فقتل منهم أربعين ألفا وسبى عشرة آلاف، وأسر ملكين منهم، ثم غزا الرشيد نفسه الروم، وافتتح هرقلة، وأخذ الجزية من ملك الروم، ولم يخلف أحد قط من الملوك ما خلفه الرشيد من الأثاث والعين والورق والجواهر، وكان بقيمة مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف دينار، أي قيمة الضياع والدواب والعبيد.

الباب السابع

فيما يضاف وينسب إلى القبائل

إيلاف قريش. تيه بني مخزوم. جود طيئ. لؤم باهلة. رماة بني ثعل. قيافة بني مدلج. عيافة بني لهب. خطباء إياد. ثريدة غسان، مهور كندة. حرة بني سليم.

الاستشهاد

١٦٥- (إيلاف قريش): كانت قريش لا تتاجر إلا مع من ورد عليها مكة في المواسم وبذي ا ـاز وسوق عكاظ، وفي الأشهر الحرم لا تبرح دارها، ولا تجاوز حرمها، للتحمس في دينهم، والحب لحرمهم، والإلف لبيتهم، ولقيامهم لجميع من دخل مكة بما يصلحهم. وكانوا بواد غير ذي زرع، كما حكى الله -تعالى- عن إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ**﴾[1]؛ فكان أول من خرج إلى الشام ووفد إلى الملوك وأبعد السفر ومر بالأعداء، وأخذ منهم الإيلاف الذي ذكره الله هاشم بن عبد مناف، وكانت له رحلتان: رحلة في الشتاء نحو العباهلة من ملوك اليمن ونحو اليكسوم من ملوك الحبشة، ورحلة في الصيف نحو الشام وبلاد الروم وكان يأخذ الإيلاف من رؤساء القبائل وسادات العشائر لخصلتين: إحداهما أن ذؤبان العرب وصعاليك الأعراب وأصحاب الغارات وطلاب الطوائل كانوا لا يؤمنون من أهل الحرم ولا غيرهم، والخصلة الأخرى أن أناسا من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة، ولا للشهر الحرام قدرا، كبني طيئ وخثعم وقضاعة، وسائر العرب يحجون البيت ويدينون بالحرمة له. ومعنى الإيلاف إنما هو شيء كان يجعله هاشم لرؤساء القبائل من الربح، ويحمل لهم متاعا مع متاعه، ويسوق إليهم إبلا مع إبله ليكفيهم مئونة الأسفار، ويكفي قريشا مئونة الأعداء، فكان ذلك صلاحا للفريقين، إذ كان المقيم رابحا، والمسافر محفوظا، فأخصبت قريش، وأتاها خير الشام واليمن والحبشة، وحسنت حالها، وطاب عيشها. ولما مات هاشم قام بذلك المطلب، فلما مات المطلب قام بذلك عبد شمس، فلما

(١) سورة إبراهيم ٣٧.

مات عبد شمس قام به نوفل، وكان أصغرهم، وقول الله تعالى: ﴿**أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**﴾[١] يعني الضيق الذي كان فيه أهل مكة قبل أن يأخذ هاشم لهم الإيلاف والخوف الذي كانوا عليه ممن يمر م من القبائل والأعداء وهم مقتربون ومعهم الأموال، وهو قوله عز ذكره: ﴿**تخافون أن يتخطفكم الناس**﴾[٢]، يعني في تلك الأسفار، ولم يرد ذلك وهم مقيمون في حرمهم وأمنهم لأن الله تعالى يقول: ﴿**وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا**﴾[٣] مع قوله: ﴿**من دخله كان آمنا**﴾[٤]، وقوله:﴿**أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم**﴾[٥]، وقد عم مطرود الخزاعي بني عبد مناف بذكر الإيلاف لأن جميعهم قد فعل ذلك فقال:

يأيها الرجل المحـول رحلـه   هلا حللت بآل عبد منـاف!
الآخذين العهد في إيلافهـم   والراحلين برحلة الإيـلاف

وفي اختصاص قريش بالإيلاف دون غيرهم من العرب قال الشاعر، وهو يرد على بني أسد ما يدعونه من قرابة قريش:

زعمتم أن إخوتكم قـريش   لهم إلف وليس لكـم إلاف
أولئك أومنوا خوفا وجوعا   وقد جاعت بنو أسد وخافوا

١٦٦- (تيه بني مخزوم): قال الجاحظ: أما بنو مخزوم وبنو أمية وبنو جعفر ابن كلاب واختصاصهم بالتيه والكبر، فإ م أبطرهم ما وجدوه لأنفسهم من الفضيلة، ولو كان في قوى عقولهم فضل على قوى دواعي الحمية فيهم لكانوا كبني هاشم في تواضعهم وفي إنصافهم لمن دو م.

ولما بلغ الحسن بن علي رضي الله عنهما قول معاوية: إذا لم يكن الهاشمي جوادا، والأموي حليما، والعوامي شجاعا، والمخزومي تياها، لم يشبهوا آباءهم،

---

(١) سورة قريش ٤.
(٢) سورة الأنفال٢٦.
(٣) سورة البقرة ١٢٥.
(٤) سورة آل عمران ٩٧.
(٥) سورة العنكبوت ٦٧.

قال: إنه والله ما أراد ا النصيحة، ولكن أراد أن يفني بنو هاشم ما بأيديهم فيحتاجوا إليه، وأن يحلم بنو أمية فيحبهم الناس، وأن يشجع بنو العوام فيقتلوا، وأن يتيه بنو مخزوم فيمقتوا.

وكان يقال: أربعة لم يكونوا ومحال أن يكونوا: زبيري سخي، ومخزومي متواضع، وهاشمي شحيح، وقريشي يحب آل محمد ﷺ.

١٦٧- (جود طيئ): يضرب به المثل، لكون حاتم وأوس بن حارثة ابن لأم منهم؛ وهما آية في الجود والكرم، قال أبو تمام الطائي:

لكل من بني حواء عذر ... ولا عذر لطائي لئيم

ويروى أن أوسا وحاتما وفدا على عمرو بن هند، فدعا أوسا، وقال له: أنت أفضل أم حاتم؟ فقال: أبيت اللعن! لو ملكني حاتم وولدي ولحمتي لوهبنا في غداة واحدة. ثم دعا حاتما فقال له: أنت أفضل أم أوس؟ فقال: أبيت اللعن ! إنما ذكرت بأوس، ولأحد ولده أفضل مني، فقال عمرو: والله ما أدري أيكما أفضل! وما منكما إلا سيد كريم.

ومن محاسن أوس أن النعمان بن المنذر دعا بحلة نفيسة، وعنده وفود العرب من كل حي، وفيهم أوس، فقال لهم: احضروا غدا، فإني ملبس هذه الحلة أكرمكم، فحضر القوم إلا أوسا: فقيل له: لم تتخلف؟ فقال: إن كان المراد غيري فأجمل الأشياء بي ألا أكون حاضرا، وإن كنت المراد فسأطلب؛ فلما جلس النعمان ولم ير أوسا، قال: اذهبوا إلى أوس فقولوا له: احضر آمنا مما خفت، فحضر فألبس الحلة، فحسده قوم من أهله، فقالوا للحطيئة: اهجه ولك ثلاثمائة ناقة، فقال: كيف أهجو من لا أرى في بيتي أثاثا ولا مالا إلا من عنده! ثم قال:

كيف الهجاء وما تنفك صالحة ... من آل لأم بظهر الغيب تأتيني!

فقال لهم بشر بن أبي خازم: أنا أهجوه لكم، وفعل، فأخذ الإبل، فأغار أوس عليها واكتسحها، وطلبه، فجعل لا يستجير حيا من أحياء العرب إلا قالوا له: قد أجرناك من الجن والإنس إلا من أوس، فكان في هجائه إياه ذكر أمه، فلم يلبث إلا يسيرا حتى أتي به أسيرا، فدخل أوس إلى أمه واستشارها في أمره، فقالت: أرى أن ترد عليه ماله، وتعفو عنه وتحبوه، وأفعل أنا مثل ذلك؛ فإنه لا يغسل هجاءه إلا مدحه؛

فأخبره بما قالت، فقال: لا جرم! والله لا مدحت أحدا حتى أموت غيرك، ففيه يقول:

إلى أوس بن حارثـة بـن لأم ليقضي حاجتي فيمن قضـاها
وما وطئ الثرى مثل ابن سعدي ولا لبس النعال ولا احتذاها

١٦٨- (لؤم باهلة): كان ذلك مشهورا مضروبا به المثل، ولم تزل العرب تصف باهلة باللؤم في الجاهلية والإسلام، ثم خفيت منهم تلك السمة وشرفت بقتيبة بن مسلم وبنيه؛ حتى قال القائل:

إذا ما قريش خلا ملكُها فإن الخلافة في باهله

ومما يحكى من لؤم باهلة أنه قيل لأعرابي: أيسرك أن لك مائة ألف درهم وأنت من باهلة؟ فقال: لا والله، فقيل: أفيسرك أن لك حمر النعم وأنك منها؟ قال: اللهم لا،قيل: أفيسرك أنك في الجنة وأنت باهلي؟ قال: نعم؛ ولكن بشريطة ألا يعلم أهلها أنني منها.

ومن أبيات التمثيل والمحاضرة التي تقع في كل اختيار قول بعضهم:

فخرت فأصلك أصل شـريف ضررت به نفسك الخاملـه
وما ينفع الأصل مـن هاشـم إذا كانت النفس من باهله!

ومما يستجاد لأبي هفان قوله:

أبـاهـل يـنبحني كلـبكم وأسـدكُم ككـلاب العـرب
ولـو قيـل للكلب يا باهلي عوى الكلب من لؤم هذا النسب

وكان الأصمعي يجزع من قول اليزيدي فيه:

ومن أنت! هل أنت إلا امرؤ إذا صح أصلك من باهلـه
وللبـاهـلي علـى خـبزه كـتـاب يحـرمـه آكله

وقد ظرف أبو محمد عبد الله بن أحمد الخازن الأصبهاني في قوله من قصيدة للصاحب:

وما قعدت بنا الأحوال حتى أقام حذاء أعيننـا الحـذايا

ومن باراه ضل ولا خفـاء بلؤم البـاهلي وإن تطايـا

١٦٩- (رماة بني ثعل): يضرب م المثل، ويوصفون بجودة الرمي من بين قبائل العرب، قال امرؤ القيس:

رب رام من بني ثعل مخرج كفيه من ستره

وقال أبو مسلم محمد بن بحر:

هل أنت مبلغ هذا الفارس البطل عني مقالة صب غير ذي خطل

إن كنت أخطأت برجاسا عمدت له فأنت في رمي قلبي من بين ثعل

١٧٠- (قيافة بني مدلج): القيافة علم اختصت به العرب من بين سائر الأمم، وهو إصابة الفراسة في معرفة الأشياء في الأولاد والقرابات ومعرفة الآثار؛ وهي في كنانة أكثر منها في غيرها، وبنو مدلج القافة منهم، وما ظنك بقوم يلحقون الأسود بالأبيض، والأبيض بالأسود، والوضئ بالدميم، والدميم بالوضئ، والطويل بالقصير، والقصير بالطويل! فمنهم سراقة بن مالك المدلجي أخرجه أبو سفيان ليقتاف أثر رسول الله ﷺ وحين خرج إلى الغار مع أبي بكر رضي الله عنه، فلما رأى أثر قدمه، قال: أما محمد فإني لم أره، ولكن إن شئتم أن ألحق هذا الأثر، قالوا: فالحقه، قال: هو أشبه شيء بالأثر الذي في مقام إبراهيم فضرب أبو سفيان بكمه على الأرض ليعفوا الأثر وقال: قد خرف الشيخ.

ومنهم مجزز المدلجي، دخل على رسول الله ﷺ، فرأى زيد بن حارثة وأسامة ابن زيد قد ناما في قطيفة، وغطيا رءوسهما، وبدت أقدامهما فقال: إن هذه أقدام بعضها من بعض، فسر بذلك رسول الله ﷺ. ومن مليح الشعر في القيافة قول أبي محمد بن مطران الشاشي في أخوين متفاوتين:

بين أخلاقك التي هي أخـلا ق وأخلاقه العناق مسـافه

ولعمري لـفي ادعائك إيـا ه كمن رام إبطال علم القيافه

١٧١- (عيافة بني لهب): هم أزجر العرب وأعيفهم، قال بعض الرواة: حضرت الموقف مع عمر بن الخطاب -رضوان الله عليه، فصاح به صائح يا خليفة

رسول الله، ثم قال: يا أمير المؤمنين، فقال رجل من خلفي: دعاه باسم ميت، مات والله أمير المؤمنين! فالتفت فإذا هو رجل من بني لهب من بني نصر بن الأزد، وهم أزجر العرب وأعيفهم؛ قال: فلما وقفنا للجمار ورميت، إذا حصاة قد صكت صلعة عمر فأدمتها، فقال قائل: أشعر والله أمير المؤمنين ولا والله ما يقف هذا الموقف أبدا، فالتفت فإذا أنا بذلك اللهبي بعينه، فقتل عمر رضي الله عنه قبل الحول.

وقال كثير في رجل منهم، يقال له لهب بن أبي أحجن الأزدي العائف:

تيممت لهبا أبتغي العلم عنده ... وقد صار علم العائفين إلى لهب

١٧٢- (خطباء إياد): يضرب م المثل؛ وقال يوما عبد الملك بن مروان لجلسائه: هل تعرفون حيا هم أخطب الناس، أجود الناس، وأشعر الناس، وأنكح الناس؟ فأطرقوا؛ فقال: هم إياد، لأن قسا منهم، وكعب ابن مامة وأبو دواد الإيادي منهم، وابن ألغز منهم؛ وكل مثل في جنسه؛ فأما قس فهو ابن ساعدة، أسقف نجران وأحكم حكماء العرب، وأبلغ وأعقل من سمع به منهم؛ وهو أول من كتب: من فلان إلى فلان، وأول من خطب متوكئا على عصا، وأول من أقر بالبعث، وأول من قال: أما بعد؛ وبه يضرب المثل في الخطابة والبلاغة؛ قال الأعشى:

وأبلغ من قس وأجرا من الذي ... بذى الغيل من خفان أصبح خادرا

وقال الحطيئة:

وأخطب من قس وأمضى إذا مضى ... من الريح إذ مس النفوس نكالها

ومن مشهور كلامه: مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون! أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا فناموا!

ومن سائر شعره:

في الذاهبين الأولـين ... من القرون لنـا بصـائر

لمّـا رأيـت مـواردا ... للموت ليس لها مصـادر

ورأيت قومي نحوهـا ... يمضي الأكابر والأصاغر

أيقنـت أني لا محـا ... لة حيث صار القوم صائر

ويروى أن النبي ﷺ ذكر قسا فقال: «**يحشر أمة وحده**».

١٧٣- (ثريدة غسان): كان القوم ملوكا يختصون من بين العرب بالطيبات، ولهم الثريدة التي يضرب ا المثل؛ وهي التي أجمعت العرب على أنه ليست ثريدة أطيب منها لا من طعام العامة، ولا من طعام الخاصة؛ فصارت مثلا في أطايب الأطعمة، كمضيرة معاوية، وفالوذج بن جدعان.

وذكر بعض الرواة أ ا كانت من المخ والمح، ولا أطيب منهما.

١٧٤- (مهور كندة): كانت كندة لا تزوج بنا ا بأقل من مائة من الإبل، وربما أمهرت الواحدة منها ألفا منها؛ فصارت مهور كندة مثل في الغلاء، حتى قال النبي ﷺ: «**اللهم أذهب ملك غسان، وضع مهور كندة**». وقال أيضا: «**أعظم النساء بركة أحسنهن وجوها، وأرخصهن مهورا**».

١٧٥- (حرة بني سليم): يضرب ا المثل في السواد، وهي إحدى العجائب، لأ ا سوداء، وأهلها بنو سليم كلهم سود، ومن نـزلها من غير سليم اسود.

وقال الجاحظ: وإ م ليتخذون المماليك للرعي والسقي والمهنة والخدمة من الروميين والصقالبة مع نسائهم؛ فما يتوالدون ثلاثة أبطن حتى تقلبهم الحرة إلى ألوان بني سليم؛ ولقد بلغ من أمر هذه الحرة أن ظباءها ونعامها وذئا ا وثعالبها وحميرها وخيلها وإبلها كلها سود. قال: والسواد والبياض هما من قبل خلقة البلدة، وما طبع الله عليه الماء والتربة، ومن قبل قرب الشمس وبعدها، وشدة حرها ولينها، وليس ذلك من قبل مسخ ولا عقوبة ولا تشويه ولا تقبيح؛ على أن حرة بني سليم تجري مجرى بلاد الترك، فإنك إذا رأيت الترك ورأيت إبلهم ودوا م وكل شيء لهم حسبته شيئا واحدا، وكل شيء لهم تركي المنظر.

الباب الثامن

فيما يضاف وينسب إلى رجال مختلفين

حكمة لقمان. رأي سطيح. جود كعب. بخل مادر. بلاغة قس. عي باقل. جار أبي دواد، جليس قعقاع. فتكة البراض. حديث خرافة. مواعيد عرقوب. وفاء السموءل. ندامة الكسعي. عدو سليك. صفقة أبي غبشان. قبر أبي رغال. نفس عصام. يدا عدل. هوان قعيس. ميتة أبي خارجة. جزاء سنمار. كنـز النطف. حلف الفضول. مسير حذيفة. نكاح حوثرة. ذكر ابن ألغز. أير الحارث بن سدوس. نومة عبود. حمق هبنقة. جهل أبي جهل. شؤم طويس. كذب مسيلمة. طمع أشعب. سنيات خالد. أصفر سليم. بخت أبي نافع. قنديل سعدان. واو عمرو. شربة أبي الجهم. لحن الموصلي. غناء إبراهيم بن المهدي. عود بنان. ناي زنام. خرص أبي السقاء. حكاية أبي ديونه. لواط يحيى بن أكثم.

الاستشهاد

١٧٦- (حكمة لقمان): قال الله عز وجل: ﴿**ولَقَد آتَينَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ**﴾[١]، وحكى عنه مواعظه ووصاياه لابنه، ونسب إليه سورة من كتابه، فما الظن بمن ثبت الله له حكمته، وارتضى كلامه أليس حقيقا أن يضرب به المثل!؟ ويروى أنه كان عبدا حبشيا لرجل من بني إسرائيل، فأعتقه وأعطاه مالا؛ وذلك في زمن داود عليه السلام.

ولم يكن لقمان نبيا في قول أكثر الناس. وعند سعيد بن المسيب أن لقمان النبي ﷺ كان خياطا.

قال وهب بن منبه: قرأت من حكمته نحوا من عشرة آلاف باب لم يسمع الناس كلاما أحسن منها، ثم نظرت فرأيت الناس قد أدخلوها في كلامهم، واستعانوا ا في خطبهم ورسائلهم، ووصلوا ا بلاغا م، وقد أكثروا من ضرب المثل بحكمته، كما قال السري وهو يمدح أبا محمد الفياض الكاتب:

---

(١) سورة لقمان ١٢.

أخو حكم إذا بدأت وعادت حكمن بعجز لقمان الحكـيم
ملكت خطامها فعلوت قسا برونقها وقيس بن الخطـيم

ومن محاسن مواعظه لابنه قوله له: يا بني، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا. يا بني، إياك وصاحب السوء كالسيف يحسن منظره ويقبح أثره. يا بني، لا تكن النملة أكيس منك، تجمع في صيفها لشتائها، يا بني، لا يكن الديك أكيس منك، ينادي بالأسحار وأنت نائم. يا بني، إياك والكذب فإنه أشهى من لحم العصفور. يابني، إن الله تعالى يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض بالمطر. يا بني، لا تقرب السلطان إذا غضب، والنهر إذا مد. يا بني، اتخذ تقوى الله بضاعة تأتك الأرباح من غير تجارة. يا بني، شاور من جرب الأمور؛ فإنه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء وأنت تأخذه با ان. يا بني، كذب من قال: إن الشر يطفأ بالشر، فإن كان صادقا فليوقد نارين، ثم لينظر هل تطفأ إحداهما بالأخرى! وإنما يطفى الخير الشر كما يطفئ الماء النار.

١٧٧- (رأي سطيح): سطيح الكاهن، كان يطوى كما تطوى الحصير، ويتكلم بكل أعجوبة في الكهانة؛ وكذلك شق الكاهن، وكان نصف إنسان، قال ابن الرومي متمثلا برأي سطيح:

إذا ارتأى رأيا فأثقب نـاظر نظرا وأبعده مـدى تطـويح
تبدي له سر العيون كهانـة يوحي ا رأي كرأي سـطيح
سبقت بحنكته التجارب فطنة كالشوكة استغنت عن التنقيح

وقال أيضا وذكرهما معا:

لك رأي كأنـه رأي شـق وسـطيح قريعـي الكهـان
يستشف الغيوب عما تواريـ ـن بعين جليـة الإنسـان

١٧٨- (جود كعب): قال الجاحظ: العامة تحكم بأن حاتم الطائي أجود العرب؛ ولو قدمته على هرم في الجود لما اعترض عليهم؛ ولكن الذي يحدث به عن حاتم لا يبلغ مقدار ما رووه عن كعب؛ لأن كعبا بذل النفس حتى أعطبه الكرم،

وبذل ا هود في المال فساوى حاتما من هذا الوجه وباينه ببذل المهجة؛ من حديثه أنه خرج في ركب فيهم رجل من النمر بن قاسط في شهر ناجر فضلوا وعطشوا، فتصافنوا ماءهم - والتصافن أن تطرح حصاة في القعب - والتفت كعب، فأبصر النمري يحدق النظر إليه، فآثره بمائه، وقال للساقي: اسق أخاك النمري، فشرب النمري نصيب كعب ذلك اليوم؛ ثم نـزلوا المنـزل الآخر فتصافنوا بقية مائهم؛ ونظر النمري إلى كعب كنظر أمسه، فقال كعب كقول أمسه، وارتحل القوم وقالوا: ارتحل يا كعب، فلم يكن به قوة للنهوض، وكانوا قد قربوا من الماء، فقيل له: رد يا كعب؛ إنك وارد، فعجز عن الجواب، ثم فاضت نفسه النفيسة.

وقد أكثر الناس التمثل به، ومن أبدعه قول الصاحب:

* **وما نال كعب** في **السماحة كعبه** *

١٧٩- (بخل مادر): هو رجل من بني هلال بن عامر، يضرب به المثل، بلغ من بخله أنه سقى إبله، فبقي في الحوض ماء قليل، فسلح فيه ومدر الحوض بالسلح، أي لطخه.

وأحسن من هذا القول ما قرأت للصاحب في رسالة مداعبة قوله: اعلم يا أخي أنك جئت في اللؤم بنادر، لم تد له فطنة مادر.

وكان يأتي الماء حتى إذا روي وأروى ملأه مدرا ضنا على غيره بوروده.

١٨٠- (بلاغة قس): قد تقدم ذكره، وذكر ضرب المثل ببلاغته وخطابته في الباب الذي قبل هذا الباب؛ وهو أشهر من أن يعاد حديثه.

١٨١- (عي باقل): حديثه مشهور، وهو أنه اشترى ظبيا بأحد عشر درهما، فمر بقوم فقالوا له: بكم أخذت الظبي؟ فمد يديه، وأخرج لسانه - يريد بأصابعه عشرة دراهم، وبلسانه درهما - فشرد الظبي حين مد يديه، وكان الظبي تحت إبطه، فجرى المثل بعيه، وقيل: أشد عيا من باقل، كما قيل: أبلغ من سحبان وائل.

١٨٢- (جار أبي دواد): كان كعب بن مامة إذا جاوره رجل قام له بكل ما يصلحه وعياله، وحماه ممن يريده، وإن هلك له بعير أو شاة أو عبد أخلف عليه، وإن مات وداه، فجاوره أبو دواد الإيادي الشاعر، فكان يفعل به ذلك ويزيد في بره، فصارت العرب إذا حمدت جارا يحسن جواره قالوا: كجار أبي دواد، قال

قيس بن زهير:

أطوف ما أطوف ثم **آوي** إلى **جار كجار** أبي **دواد**

وكان أبو دواد يفعل بجيرانه مثل ما فعل كعب به. ولبعض أهل العصر في التمثيل به:

وعجزي بان عن وصف الأيادي كجـار أبـي دواد للإيادي

١٨٣- (جليس قعقاع): هو القعقاع بن شور الذّهلي، وكان إذا جالسه واحد بالقصد إليه جعل له نصيبا من ماله، وأعانه على عدوه، وشفع له في حوائجه، وغدا إليه بعد المجالسة شاكرا له، ودخل القعقاع على معاوية رضي الله عنه يوما ومجلسه غاص بأهله، فلم يجد موضعا، فأوسع له بعض جلسائه حتى جلس بجنبه؛ ثم أمر معاوية للقعقاع بمائة ألف درهم، فقال القعقاع لجليسه: أقبضها، فلما قام قال له الرجل: خذ مالك، فقال: ما دفعته إليك وأنا أريد أسترجعه منك؛ فقال الرجل في ذلك:

وكنت جليس قعقاع بن شور ولا يشقى بقعقاع جليـس

ضحوك السن إن نطقوا بخير **وعند الشر مطراق عبـوس**

وكان الرجل يجالس بني مخزوم، فسعوا به، وزعموا أنه يقع في الولاة فقال الرجل:

شقيت بكم وكنت لكم جليسا ولست جليس قعقاع بن شور

وقبلكم أبو جهـل أخـوكم غزا بدرا بمجمـرة وتـور**

١٨٤- (فتكة البراض): هو البراض بن قيس الكناني، أحد فتاك العرب الذين يضرب بهم المثل في الفتك، كالحارث بن ظالم، وعمرو بن كلثوم والجحاف بن حكيم؛ ومن خبر فتكة البراض أنه كان وهو في حيه عيارا فاتكا يجني الجنايات على أهله، فخلعه قومه وتبرءوا من صنعه، ففارقهم، وقدم مكة فحالف حرب بن أمية، ثم نبا به المقام بمكة أيضا، ففارق الحجاز إلى العراق، وقدم على النعمان بن المنذر فقام ببابه، وكان النعمان بن المنذر يبعث كل عام إلى عكاظ بلطيمة لتباع له هناك؛ فقال وعنده البراض والرحال - وهو عروة بن عتبة: من يجيز لي لطيمتي حتى يقدمها عكاظا؟ فقال البراض: أبيت اللعن! أنا مجيزها على كنانة، فقال النعمان: ما أريد إلا

رجلا يجيزها على الحيين: قيس وكنانة، فقال عروة الرحال: أبيت اللعن! أهذا العيار الخليع يكمل أن يجيز لطيمة الملك! أنا والله مجيزها على أهل الشيح والقيصوم من نجد و امة، فقال: خذها فأنت لها؛ فرحل عروة ا، وتبع البراض أثره حتى إذا صار بين ظهراني قومه وثب إليه البراض بسيفه، فضربه ضربة خر منها، واستاق العير. فصارت فتكة البراض مثلا، قال أبو تمام:

والفتى من تعرقتـه الليـالي **والفيافي كالحية النضـناض**

كل يوم له بصرف الليـالي **فتكة مثل فتكـة البـراض**

وكان يقال: فتكات الجاهلية ثلاث، وفتكات الإسلام اثنتان؛ فأما فتكات الجاهلية ففتكة البراض بعروة؛ وفتكة الحارث بن ظالم بخالد بن جعفر بن كلاب؛ فتك به وهو في جوار الأسود بن المنذر الملك، فقتله وطلبه الملك فأعجزه، وفتكة عمرو بن كلثوم بعمرو بن هند الملك، فتك به وقتله في دار ملكه بين الحيرة والفرات، وهتك سرادقه، وانتهب رحله وخزائنه، وانصرف بالتغالبة إلى بادية الشام موفورا، ولم يصب أحد من أصحابه؛ وأما فتكتا الإسلام، ففتكة عبد الملك ابن مروان بعمرو بن سعيد بن العاص، وفيه قيل:

كأن بنـي مـروان إذ يقتلونـه **بغاث من الطير اجتمعن على صقر**

وفتكة المنصور بأبي مسلم.

١٨٥- (حديث خرافة): خرافة رجل من بني عذرة، استهوته الجن، فلما خلت عنه رجع إلى قومه، وجعل يحدثهم بالأعاجيب من أحاديث الجن، فكانت العرب إذا سمعت حديثا لا أصل له، قالت: حديث خرافة، وضربه ابن الزبعري مثلاً بالكفر بالبعث حيث قال:

حياة ثم **موت** ثم **نشر** **حديث خرافة يا أم عمرو**

ثم كثر هذا في كلامهم حتى قيل للأباطيل والتـرهات: خرافات.

ويروى أن رجلا تحدث بين يد رسول الله ﷺ بحديث، فقالت امرأة من نسائه: هذا حديث خرافة، فقال عليه السلام: «**لا وخرافة حق**»[1].

(١) في الميداني: «يعني ما تحدث به عن الجن حق».

ويروى أن الجن لما استهوته كانت تخبره بما يقع إليهم من أخبار السماء عند استراقهم السمع، فيخبر به خرافة أهل الأرض فيجدونه كما قال.

١٨٦- (مواعيد عرقوب): يضرب بها المثل في الكذب والخلف، وعرقوب رجل من خيبر، ويقال: إنه من العمالقة، أتاه أخوه يسأله، فقال له عرقوب: إذا أطلعت تلك النخلة فلك طلعها، فلما أطلعت أتاه للعدة، فقال له: دعها حتى تبلح، فلما أبلحت أتاه فقال: دعها حتى تزهي، فلما زهت قال: دعها حتى ترطب؛ فلما أرطبت، قال: دعها حتى تتمر، فلما أتمرت سرى إليها عرقوب من الليل، فجدها ولم يعط أخاه شيئا، فسارت مواعيده مثلا سائرا في الأمثال كما قال كعب بن زهير:

صارت مواعيد عرقوب لها مثلاً ... وما مواعيـدها إلا الأباطيـل

فليس تنجز ميعادا إذا وعـدت ... إلا كما يمسك الماء الغرابيـل

وقال الشماخ:

وعدت وكان الخلف منك سجية ... مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

ومما نقم به عمرو بن هند على المتلمس حتى أمر فيه بما أمر قوله في هجائه:

وطردتني حـذر الهجـاء ولا ... واللات والأنصاب لا تئـل

شر الملوك وشـرهم حسـبا ... في الناس من عزوا ومن جهلوا

من كان خلف الوعد شـيمته ... والغدر عرقوب لـه مثـل

وقال الصنوبري في نظم قصة عرقوب:

قالوا لنا نخلة وقد طلعـت ... نخلتها فاصـطبر لطلعتـها

حتى إذا صار طلعها بلحا ... قالوا توقع بلوغ بسـرتها

حتى إذا بسرها غدا رطبـا ... فازوا بأعـذاقها برمتـها

عدمتها نخلة كنخلة عـر ... قوب ومن قصة كقصـتها

وقرأت لبعض الكتاب فصلا في الشكوى استظرفت منه قوله: وقد حصلت على أحزان يعقوب، ومواعيد عرقوب.

١٨٧- (وفاء السموءل): هو ابن عادياء اليهودي، القائل:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل(١)

ومن وفائه أن امرأ القيس بن حجر الكندي لما أراد الخروج إلى الروم استودع السموءل دروعا له، فلما هلك امرؤ القيس غزا ملك من ملوك الشام السموءل، فتحصن منه في حصنه، فأخذ الملك ابنا له خارج الحصن، وقال له: إما أن تفرج عن وديعة امرئ القيس، وإما أن أقتل ابنك، فأمتنع من تسليم الوديعة، فذبح الملك ابنه وهو ينظر إليه، ثم انصرف ووافى السموءل بالدروع الموسم، فدفعها إلى ورثة امرئ القيس، وقال:

بنى لي عاديا حصنا منيعا وماء كلما شئت استقيت

وفيت بأدرع الكندي إني إذا ما خان أقوام وفيت

وقالوا إنه كنز رغيب ولا والله أغدر ما مشيت

وقد أكثر الناس من ضرب المثل به، فمن ذلك قول الأعشى:

كن كالسموءل إذ طاف الهمام به في جحفل كسواد الليل جرار

بالأبلق الفرد من تيماء منزله حصن حصين وجار غير غدار

ورامه الخسف جديدا فقال له مهما تقله فإني سامع حار

فقال غدر وثكل أنت بينهما فاختر وما فيهما حظ لمختار

فشك غير طويل ثم قال له أقتل أسيرك إني مانع جاري

١٨٨- (ندامة الكسعي): هو محارب بن قيس، ومن حديثه أنه كان يرمي إبلا له، فبصر بنبعة في صخرة، فأعجبته، وقال: ينبغي أن تكون هذه قوسا، فجعل يتعهدها ويراقبها، حتى إذا أدركت قطعها وجففها، فلما جفت اتخذ منها قوسا وأسهما، ثم خرج حتى أتى غرة على موارد حمير وحش؛ فكمن ليلا فيها، فمر قطيع منها، فرماه فمرق منه السهم، فظن أنه أخطأ، ثم لم يزل يفعل ذلك حتى أفنى الأسهم

---

(١) ديوانه ١٠.

الخمسة في خمسة أعيار، وقد أصابها كلها، وهو يظن أنه أخطأها، فأنشأ يقول:

أبعد خمس قد حفظت عدها ... أحمل قوسي فأريد ردها

أخزى الإله لينها وشدها ... والله لا تسلم عندي بعدها

*** ولا أرجي ما حييت رفدها ***

ثم عمد إلى القوس فضرب بها حجرا وكسرها ونام، فلما أصبح نظر إلى الأعيار مصرعة حوله، وأسهمه مضرجة؛ فندم على كسر القوس، فشد على إبهامه، فقطعها وأنشأ يقول:

ندمت ندامة لو أن نفسي ... تطاوعني إذن لقطعت خمسي

تبين لي سفاه الرأي مني ... لعمرو أبيك حين كسرت قوسي

وسارت ندامته مثلا في كل نادم على ما جنته يداه، كما قال الفرزدق لما طلق امرأته نوار وندم عليها:

ندمت ندامة الكسعي لما ... غدت مني مطلقة نوار

وكنت كفاقئ عينيه جهلا ... فأصبح لا يضيء له النهار

وكانت جنتي فخرجت منها ... كآدم حين لج به الفرار

وقال آخر:

ندمت ندامة الكسعي لما ... رأت عيناك ما صنعت يداك

١٨٩- (عدو السليك): هو السليك بن السلكة، الذي يقال له: سليك المقانب؛ وقد تقدم ذكره، والعرب تضرب به المثل، وتزعم أنه والشنفري أعدى من رئي ويحكى كثير عن سبقهما الأفراس وصيدهما الظباء عدوا، والله أعلم بصدقه أو كذبه.

قال أبو عبيدة: العداءون من العرب: السليك والشنفري والمنتشر بن وهب وأوفى بن مطر، ولكن المثل سار من بينهم بالسليك.

١٩٠- (صفقة أبي غبشان): يضرب به المثل في الخسران، وكانت خزاعة سدنة الكعبة، قبل قريش، وكان أبو غبشان الخزاعي يلي من بينهم أمر الكعبة وبيده مفاتيحها؛ فاتفق له أنه اجتمع مع قصي بن كلاب في شرب بالطائف، فخدعه قصي

عن مفاتيح الكعبة بأن أسكره، ثم اشتراها منه بزق خمر، وأشهد عليه، ودفع المفاتيح في يد ابنه عبد الدار بن قصي، وسرحه إلى مكة، فلما أشرف عبد الدار على دور مكة رفع عقيرته وقال: يا معاشر قريش؛ هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل قد ردها الله عليكم من غير غدر ولا ظلم؛ وأفاق أبو غبشان من سكره نادما خاسرا، فقال الناس : أحمق من أبي غبشان، وأندم من أبي غبشان، وأخسر صفقة من أبي غبشان، فذهبت الكلمات الثلاث أمثالا، وأكثرت الشعراء القول فيه، فقال بعضهم:

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت   بزق خمر فما فازت ولا ربحت

وقال آخر:

أبو غبشان أظلم مـن قصـي   وأظلم من بني فهر خزاعـه

فلا تلحوا قصـيا في شـراها   ولوموا شيخكم إذ كان باعه

وقال آخر:

إذا افتخرت خزاعة في قديم   وجدنا فخرها شرب الخمور

وبيعًا كعبة الـرحمن حمقـا   بزق، بئس مفتخر الفخـور!

١٩١- (قبر أبي رغال): أبو رغال هو الذي يرجم الناس قبره إذا أتوا مكة؛ وكان وجهه فيما يزعمون أن[1] صالحا النبي عليه السلام أمره على صدقات الأموال، فخالف أمره، وأساء السيرة، فوثبت عليه ثقيف، فقتلته قتلا شنيعا؛ وإنما فعلوا ذلك لسوء سيرته في أهل الحرم، وقد ذكره الشعراء فأكثروا، وقال مسكين الدارمي:

وأرجم قبره في كل عام   كرجم الناس قبر أبي رغال

وقال جرير:

إذا مات الفرزدق فارجموه   كرجم الناس قبر أبي رغال

وأنشد الجاحظ للحكم بن عمرو البهراني:

والذي كان يكتني برغالٍ   جعل الله قبره شر قبر

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لغيلان بن سلمة حين أعتق عبيده، وجعل ماله في رتاج الكعبة: لئن لم ترجع في مالك لأرجمن قبرك كما يرجم قبر أبي رغال.

---

(١) اسمه زيد بن مخلف، وأبو رغال كنيته، كما في اللسان١٣: ٣١٠.

١٩٢- (نفس عصام): يضرب مثلا لمن يشرف بالاكتساب لا بالانتساب، ويسود بنفسه لا بقومه؛ وعصام هو الباهلي الذي يقول فيه النابغة:

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والإقداما
*** وجعلته ملكا هماما ***

وكان عصام هذا حاجب الملك النعمان بن المنذر، فعرض للنعمان مرض احتجب فيه عن الناس حتى أرجفوا به، ولما تعذر وصول النابغة إليه قال فيه قصيدة منها قوله لعصام:

فإني **لا ألومك** في **دخول** فقل لي: **ما وراءك يا عصام؟**
ألم **أقسم عليك لتخبرني** أ**محمول على النعش الهمام؟**
فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام

قال الجاحظ: وإنما مدحه ليستأذن له وليوصله، ولم يمدحه لعظم الحجابة في عينه، ومعلوم كيف قدر حاجب الملك اليوم.

وكان الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني يقول: كن عصاميا ولا تكن عظاميا؛ أي: سد بشرف نفسك كما ساد عصام، ولا تتكل على سؤدد آبائك الذين ماتوا، وصاروا عظاما نخرة، فإن الشاعر يقول:

إذا ما الحي عاش بعظم ميت فذاك العظم حي وهو ميت

١٩٣- (يدا عدل): هو عدل بن سعد العشيرة، وكان على شرطة تبع، وكان تبع إذا أراد قتل رجل دفعه إليه، فجرى المثل به في ذلك الوقت، فصار الناس يقولون للشيء الذي ييئسون منه: هو على يدى عدل.

وعهدي بأبي بكر الخوارزمي يقول عند ذم العدول: ما وقع في يدي عدل، فهو على يدي عدل.

١٩٤- (هوان قعيس): قال الجاحظ: كان قعيس عند عمته في ليلة مطر وقر، وكان قد أتى بيتها ضيفًا، فأدخلت كلبها إلى البيت، وتركت قعيسا في المطر، فمات من البرد.

وذكر الشرقي بن القطامي أن قعيس بن مقاعس من بني تميم، أنه لما مات أبوه حملته عمته إلى صاحب بر، فرهنته على صاع من بر، ولم تفكه حتى غلق الرهن

واستعبده الحناط فصار عبدا له، فصار هوان قعيس مثلا، كما قال جحظة البرمكي- ويروى أنه لمنصور الفقيه:

إذا ما البخيل ثوى في الثرى خري وارثوه على حفرته
هوان البخيل على أهله هوان قعيس على عمته

١٩٥- (ميتة أبي خارجة): سمع أعرابي يقول وهو متعلق بأستار الكعبة: اللهم ميتة كما مات أبو خارجة؛ فقيل له: كيف كانت ميتة أبي خارجة؟ فقال: أكل بذجا وشرب مشعلا، ونام شامسا، فأتته منيته شبعان ريان دفآن.

١٩٦- (جزاء سنمار): ضرب به المثل للمحسن يكافأ بالإساءة، وكان سنمار الرومي مشهورا ببناء المصانع والحصون والقصور للملوك، فبنى الخورنق على فرات الكوفة للنعمان بن امرئ القيس في مدة عشرين سنة، فكان يبني مدة ويغيب مدة، ويريد بذلك أن يطمئن البنيان ويتمكن، فلما فرغ منه وصعده النعمان، وهو معه، ورأى البر والبحر، ورأى صيد الضباب والظباء والحمير، ورأى صيد الحيتان وصيد الطير، وسمع غناء الملاحين وأصوات الحداة، أعجبه حسن البناء وطيب موضعه، فقال سنمار عند ذلك متقربا إليه بالحذق وحسن المعرفة: أبيت اللعن! والله إني لأعرف في أركانه موضع حجر لو زال لزال جميع البنيان، قال: أو كذلك! قال: نعم قال: لا جرم والله لأدعنه ولا يعلم بمكانه أحد؛ ثم أمر به فرمي من أعلى البنيان فتقطع.

ويقال: بل قتله مخافة أن يبني مثله لغيره من الملوك، فقال شرحبيل الكلبي، وجعل الحديث مثلا:

جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رصه البنيان عشرين حجة يعالي عليه بالقراميد والسكب
فلما رأى البنيان تم سحوقه وآض كمثل الطودذي الباذخ الصعب
وظن سنمار به كل نافع وفاز لديه بالكرامة والقرب
فقال اقذفوا بالعلج من رأس شاهق وذاك لعمر الله من أعظم الخطب

١٩٧- (كنز النطف): من أمثال العرب: كأن عنده كنز النطف، وهو

النطف بن خيبري أحد بني سليط بن الحارث بن يربوع، وكان أصاب عيني جوهر من اللطيمة التي أنفذها باذان من اليمن إلى كسرى بن هرمز، فانتهبها بنو حنظلة، وحصلت الجواهر عند النطف فكنـزها، وقتلت ا بنو تميم يوم صفقة المشقر، وصار كنـز النطف مثلا في كل رغيبة وعلق نفيس، يقال: لو كان عنده كنـز النطف ماعدا.

١٩٨- (حلف الفضول): هو في بعض الروايات تحالف ثلاثة من الفضلين على ألا يروا ظلما بمكة إلا غيروه، وأسماؤهم: الفضل بن شراعة، والفضل بن قضاعة، والفضل بن نصاعه؛ والرواية الصحيحة أنه لما كان فيه من الشرف والفضل سمي حلف الفضول.

وقال رسول الله ﷺ: «**لقد شهدت** في **دار عبد الله بن جدعان حلفا لو دعيت إلى مثله اليوم لأجبت**».

وكان سبب ذلك الحلف أن رجلا جاورهم من زبيد، فظلم حقه وثمن سلعته؛ وكانت ظلامته عند العاص بن وائل السهمي، وكانت لرجل من بارق ظلامة عند أبي بن خلف الجمحي، فلما سمع الزبير بن عبد المطلب الزبيدي وقد صعد في الجبل ورفع عقيرته بقوله:

يا للرجال لمظلـوم بضـاعته ببطن مكة نائي الدار والنفر
إن الحرام لمن تمـت حرامتـه ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقال الزبير:

حلفت لنعقدن حلفا علـيهم وإن كنـا جميعـا أهـل دار
نسميه الفضـول إذا عقـدنا يقربه الغريب لـذي الجـوار

ثم قام هو وعبد الله بن جدعان، فدعوا قريشا إلى التحالف والتناصر والأخذ للمظلوم من الظالم فأجابوهما، وتحالفوا في دار ابن جدعان، وشهده النبي ﷺ قبل الوحي؛ فهذا حلف الفضول.

وأما حلف المطيبين؛ فهو تحالف آخر بين قريش، لما اجتمعوا لذلك غمسوا أيديهم في الطيب، ثم تصافحوا وتحالفوا وتعاقدوا.

١٩٩- (مسير حذيفة): قال المبرد: من المسير المذكور الذي يتمثل به مسير حذيفة بن بدر، وكان أغار على هجائن المنذر بن ماء السماء، وسار في ليلة مسيرة ثمان، فقال قيس بن الخطيم متمثلا به:

هممنا بالإقامة ثم سرنـ ـا مسير حذيفة الخير بن بدر

٢٠٠- (نكاح حوثرة): حوثرة رجل من عبد القيس، يضرب به العرب المثل في شدة النكاح وكثرته، فتقول: أنكح من حوثرة[1].

وممن يضرب به المثل في النكاح والغلمة خوات بن جبير الأنصاري، صاحب ذات النحيين، وكان يأتي أحياء العرب يتطلب النساء، فإذا سئل عن حاجته قال: قد شرد لي بعير فخرجت في طلبه. وأدرك الإسلام، وشهد بدرا، فقال له النبي ﷺ يوما: ما فعل بعيرك الشرود؟ فقال: أما منذ قيده الإسلام فلا. وتزعم الأنصار أن النبي ﷺ دعا له بأن تسكن غلمته، فسكنت بدعائه ﷺ:

٢٠١- (ذكر ابن ألغز): ابن ألغز رجل من إياد، كان أعظم الناس أيرا، وأشدهم نكاحا، وكان إذا أنعظ وتحرك يستلقي على قفاه، فيجيء الفصيل الأجرب فيحتك بأيره يظنه الجذل- والجذل عود من العطن ينصب لتحتك به الإبل الجربى- ويزعمون أنه أصاب رأس أيره جنب عروس زفت إليه، فقالت: أ ـدنا بالركبة! وهو القائل:

ألا ربما أنعظت حتى إخالـه سينقد بالإنعاظ أو يتمـزق

فأعمله حتى إذا قلت قد ونى أبى وتمطى جامحـا يتسـبق

وممن ضرب به المثل الفرزدق، حيث قال:

لحا الله هذا من خلال ومن يقل سوى ذاك لاقاه بأير ابن ألغز

وقال آخر:

أولاك الألى كان ابن ألغز منهم ولامثل ما كان ابن ألغز يصنع

وذكر عبد الملك بن مروان إيادا، فقال: هم أخطب الناس لمكان قس، وأسخى

---

(١) الميداني ٢: ٢٤٧، قال: و" اسمه ربيعة بن عمرو"

الناس لمكان كعب، وأشعر الناس لمكان أبي دواد، وأنكح الناس لمكان ابن ألغز.

٢٠٢- (أير الحارث بن سدوس): يضرب به المثل في كثرة الأولاد، قال الأصمعي: كان له أحد وعشرون ذكرا، قال الشاعر:

فلو شاء ربي كان أير أبيكم طويلا كأير الحارث بن سدوس

والعرب تقول: فلان طويل الأير، إذا كان كثير الأولاد.

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: من يطل أير أبيه ينتطق به؛ أي: من كثرت إخوته استظهر م؛ وضرب المنطقة إذ كانت تشد الظهر مثلا لذلك.

٢٠٣- (نومة عبود): روى الفراء عن المفضل بن سلمة، قال: كان عبود عبدا أسود حطابا، فغبر في محتطبه أسبوعا لم ينم، ثم انصرف وبقي أسبوعا نائما، فضرب به المثل لمن ثقل نومه، فقيل: نام نومة عبود.

وقال الشرقي بن القطامي: أصل ذلك أن عبودا تماوت على أهله، وقال: اندبوني لأعلم كيف تندبون إذا مت؛ فسجينه وندبنه، فإذا به قد مات.

قال أبو عبد الله بن الحجاج، وهو يضرب به المثل:

فوموا فأهل الكهف مع عبود عندكم صراصر

٢٠٤- (حمق هبنقة): قال حمزة الأصبهاني: هو هبنقة ذو الودعات، واسمه يزيد بن ثروان، أحد بني قيس بن ثعلبة، ومن حمقه أنه جعل في عنقه قلادة من ودع وعظم وخزف وهو ذو لحية طويلة، فسئل عنها، فقال: لأعرف ا نفسي، ولئلا أضل؛ فبات ذات ليلة، وأخذ أخوه قلادته فتقلدها فلما أصبح هبنقة رأى القلادة في عنق أخيه، فقال له: يا أخي، إن كنت أنت أنا، فمن أنا!

ومن حمقه أنه اختصمت الطفاوة وبنو راسب إلى عرباض في رجل ادعاه هؤلاء وهؤلاء، فقالت الطفاوة: هذا من عرافتنا. وقالت بنو راسب: بل هو من عرافتنا، ثم قالوا: قد رضينا بحكم أول من يطلع علينا، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم هبنقة، فقصوا عليه القصة، فقال: الحكم عندي في ذلك أن تلقوه في ر البصرة، فإن كان راسبيا رسب، وإن كان طفاويا طفا فقال الرجل: قد زهدت في النسبتين فخلوا عني، فلست من راسب ولا من الطفاوة.

ومن حمقه أنه ضل له بعير؛ فأخذ ينادي: من وجد بعيري فهو له؛ فقيل له:

فلم تنشده؟ قال: فأين حلاوة الوجدان!

وكان يرعى غنما له، فيرعي السمان منها وينحي المهازيل،فقيل له في ذلك، فقال: لا أفسد ما أصلح الله، ولا أصلح ما أفسد الله.

وقال الشاعر فيه:

عش بجد ولا يضرك نـوك ... إنما عيش من ترى بالجـدود
عش بجد وكن هبنقة القيـ ... ـسي أو مثل شيبة بن الوليد
رب ذي إربة مقل من المـا ... ل وذي عنجهيـة مجـدود

وقال آخر:

فعش بجد وكن هبنقة ... يرض بك الناس قاضيا حكما

وأخبار حمقه كثيرة، والمثل به سائر كما سار بحمق حجا وحمق دغة

٢٠٥- (جهل أبي جهل): هو ابن هشام، يضرب به المثل لجهله لموافقة كنيته صفته، وكان يكنى بأبي الحكم، وفيه قال مصعب بن الوراق في مخالفة ظاهره باطنه:

الناس كنوه أبـا حكـم ... والله كنـاه أبـا جهـل
أبقت رياسـته لأسـرته ... غضب الإله وذلة الأصل

وفيه يقول أيضا حسان بن ثابت:

ألم ترياني حين أغـدو مسـبحا ... بسمت أبي ذر وجهل أبي جهل
ومحبرتي رأس الرياء ودفتـري ... ونقلي بالأسحار أو رائحا رحلي
فكم من فتى قد قال والده لـه ... علمت بذا إنه من ذوي الفضل
يبرئه من أن يصاحب شـاطرا ... كمن فر من حبس الخراج إلى القتل

وقال ابن الحجاج من قصيدة:

برطل راح كالمسك سـاعية ... تغنيك في طيبها عن النقـل
عادية السن بطش سـورتها ... أجهل في الرأس من أبي جهل

٢٠٦ -(شؤم طويس): طويس من مخنثي المدينة، وكان يسمى طاوسا، فلما تخنث سمي بطويس، ويكنى بأبي عبد النعيم. وهو أول من غنى في الإسلام بالمدينة، ونقر بالدف المربع، وكان مأبونا خليعا، يضحك كل حزين وثكلى.

وكان يقول: يا أهل المدينة، مادمت بين ظهرانيكم، فتوقعوا خروج الدجال والدابة، فإن مت فأنتم آمنون. اعلموا أن أمي كانت تمشي بين نساء الأنصار بالنمائم، وولدتني في الليلة التي مات فيها رسول الله ﷺ، وفطمتني يوم مات أبو بكر، وبلغت الحلم في اليوم الذي قتل فيه عمربن الخطاب وتزوجت في اليوم الذي قتل فيه عثمان، وولد لي في اليوم الذي قتل فيه علي، وكان يضرب به المثل في التخنث والأبنة والشؤم.

ومن أملح ما أحفظ في التمثل بشؤمه قول أبي الفتح البستي في أبي علي ابن سيمجور:

ألم تر ما ارتآه أبـو علـي — وكنت أراه ذا لب وكـيس
عصى السلطان فابتدرت إليه — جيوش يقلعون أبـا قبـيس
وصير طوس معقله فأضحت — عليه طوس أشأم من طويس

وكان أبو الحسن اللحام يلقب أبا جعفر محمد بن العباس بن الحسن بطويس حتى شهر به، وفيه يقول:

عاد إلى الحضـرة نفسـان — طويس والنذل ابن مطـران
اثنان مـا إن لهمـا ثالـث — إلا عصا موسى بن عمـران

٢٠٧- (كذب مسيلمة): هو أبو ثمامة مسيلمة بن حبيب الحنفي من أهل اليمامة، وكان صاحب نيرنجات وأسجاع ومخاريق وتمويهات، وادعى النبوة ورسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة، فما زال يخفى ويظهر، ويقوى ويضعف، وأهل اليمامة فرقتان: إحداهما تعظمه وتؤمن به، والأخرى تستخفه وتضحك منه، وكان يقول: أنا شريك محمد في النبوة، وجبريل عليه السلام ينـزل علي كما ينـزل عليه، وكان رجال بن عنفوة من رائشي نبله، والحاطبين في حبله، والساعين في نصرته. وكان

مسيلمة يقول: يا بني حنيفة، ما جعل الله قريشا بأحق بالنبوة منكم، وبلادكم أوسع من بلادهم، وسوادكم أكثر من سوادهم؛ وجبريل ينـزل على صاحبكم مثل ما ينـزل على صاحبهم.

ولما قدم النبي ﷺ المدينة وجد الناس يتذاكرونه وما يبلغهم عنه من قوله وقول بني حنيفة فيه، فقام يوما خطيبا، فقال بعد حمد الله والثناء عليه: أما بعد، فإن هذا الرجل الذي تكثرون في شأنه كذاب في ثلاثين كذابا قبل الدجال؛ فسماه المسلمون مسيلمة الكذاب، وأظهروا شتمه وعيبه وتصغيره، وهو باليمامة يركب الصعب والذلول في تقوية أمره، ويعتضد برجال بن عنفوة، وهو ينصره ويذب عنه ويصدق أكاذيبه، ويقرأ أقاويله التي منها: "والشمس وضحاها، في وضوئها ومنجلاها، والليل إذا عداها، ويطلبها ليغشاها، فأدركها حتى أتاها، وأطفأ نورها فمحاها".

ومنها: "سبح اسم ربك الأعلى، الذي يسر على الحبلى، فأخرج منها نسمة تسعى، من بين أحشاء ومعى، فمنهم من يموت ويدس في الثرى ومنهم من يعيش ويبقى إلى أجل ومنتهى، والله يعلم السر وأخفى، ولا تخفى عليه الآخرة والأولى".

ومنها: "اذكروا نعمة الله عليكم واشكروها؛ إذ جعل لكم الشمس سراجا، والغيث ثجاجا، وجعل لكم كباشا ونعاجا، وفضة وزجاجا، وذهبا وديباجا؛ ومن نعمته عليكم أن أخرج لكم من الأرض رمانا، وعنبا وريحانا، وحنطة وزؤانا".

وكان أبو بكر -رضي الله عنه- إذا قرع سمعه هذه الترهات يقول: أشهد أن هذا الكلام لم يخرج من إله.

وكان النبي ﷺ رأى فيما يرى النائم أن في يده سواري ذهب فنفخهما فطارا، فوقع أحدهما باليمامة والآخر باليمن، فاولهما لمسيلمة صاحب اليمامة، والأسود العنسي صاحب اليمن.

وكان رجال بن عنفوة صاحب مسيلمة قدم المدينة مرارا، وقرأ القرآن وأظهر الإيمان، وأسر الكفر. ويروى أن النبي ﷺ بينما هو جالس في أصحابه، إذ سمع وطئا من خلفه، فقال: هذا وطء رجل من أهل النار؛ فإذا هو رجال بن عنفوة. فلما قدم وفد حنيفة على النبي ﷺ - وفيهم مسيلمة إلا أنه لم يلقه- وأظهروا الإسلام وأرادوا الانصراف، أمر لهم ﷺ بجوائز كعادئه في الوفود، وقال: «**هل بقي منكم أحد**»؟

قالوا: لا، إلا رجل منا يحفظ رحالنا- يعنون مسيلمة- فقال ﷺ : «**ليس بشركم مكانا**». فلما رجع الوفد إلى مسيلمة وقد بلغه كلام النبيﷺ قال لهم: سمعتم قول محمد في : "**ليس بشركم مكانا**"، وقد أشركني في الأمر. فسكتوا ولم يجيزوا جوابا، فقال رجال ابن عنفوة: يا قوم، نبي منكم خير لكم من نبي من غيركم، وأنا أشهد أن محمدا أشركه في الأمر بعده، فعليكم به. ولما انصرفوا إلى اليمامة أعلن مسيلمة النبوة، وادعى الشركة، وفتن أهل اليمامة، وانقسموا بين مصدق ومكذب، وراض وساخط. وكتب مسيلمة إلى النبيﷺ كتابا قال فيه: إلى النبي محمد رسول الله من مسيلمة رسول الله، أما بعد، فإني قد أشركت في الأمر معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكن قريشا قوم يعتدون ولا يعدلون. وختم الكتاب وأنفذه مع رسولين، فلما قرئ الكتاب على النبي ﷺ قال لهما: «**ما تقولان**»؟ قالا: نقول ما قال أبو ثمامة فقال: «**أما والله لولا أن الرسل لا يقتلون لقتلتكما**». وأملى في الجواب: «**من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين**».

ولما صدر الرسولان إلى مسيلمة الكذاب افتعل كتابا يذكر فيه أنه له الأمر من بعده، فصدقه أكثر بني حنيفة.

وبلغ من تبركهم به أ م كانوا يسألونه أن يدعو لمريضهم، ويبارك لمولودهم، وجاءه قوم بمولود لهم فمسح رأسه فقرع، وجاءه رجل يسأله أن يدعو لمولود له بطول العمر، فمات من يومه.

وكان ثمامة بن أثال الحنفي يقشعر جلده من ذكر مسيلمة، وقال يوما لأصحابه: إن محمدا لا نبي معه ولا بعده، كما أن الله تعالى لا شريك له في ألوهيته، فلا شريك لمحمد في نبوته. ثم قال: أين قول مسيلمة: " يا ضفدع نقي نقي، كم تنقين! لا الماء تكدرين، ولا الشرب تمنعين"، من قول -الله تعالى- الذي جاء به محمد ﷺ: ﴿**حم * تَنـزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذنبِ وَقَابِلِ التوبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطول لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِلَيهِ الْمَصِير**﴾[1]، فقالوا: أوقح بمن

(١) سورة غافر ١-٣.

يقول مثل ذلك مع مثل هذا!.

ولما انتقل النبي ﷺ إلى جوار ربه وارتدت العرب، بعث أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد إلى حرب أهل الردة، فأوقع م وانتصف منهم، ثم أمره أبو بكر رضي الله عنه بقصد اليمامة ومقارعة مسيلمة؛ ففعل، وزحف إليها في وجوه المهاجرين والأنصار، وتلقاه مسيلمة في خيله ورجله ولما كان يوم اليمامة حمي الوطيس، واشتدت الواقعة، وعظمت الملحمة، والتجأ بنو حنيفة وفيهم مسيلمة إلى حديقة سميت من بعد حديقة الموت، فاقتحمها خالد رضي الله عنه والمسلمون، ووضعوا فيهم السيوف، وقتل الله مسيلمة، فاشترك في قتله وحشي بحربته وعبد الله ابن الزبير بسيفه، وفتح الله تعالى اليمامة على المسلمين وأفاء عليهم الغنيمة ببركه أبي بكر الصديق ويمن نقيبته رضي الله تعالى عنه.

٢٠٨- (طمع أشعب): كان أشعب من أهل المدينة، وكان صاحب نوادر، وصاحب إسناد، وكان يحدث فيقول: حدثنا سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه - وكان يبغضني في الله - فإذا قيل له دع ذا، قال: ليس للحق مترك.

وكانت عائشة بنت عثمان كفلته وكفلت معه ابن أبي الزناد.

وكان أشعب يقول: تربيت أنا وابن أبي الزناد في مكان واحد، فكنت أسفل وهو يعلو حتى بلغنا إلى ما ترون.

وسأله رجل شراء قوس بدينار، فقال: لو كنت إذا رميت عنها طائرا وقع مشويا بين رغيفين ما أشتريته بدينار.

وقال له سالم بن عبد الله: ما بلغ من طمعك؟ قال: ما نظرت إلى اثنين في جنازة يتساران إلا قدرت أن الميت أوصى لي بشيء، وما زفت في جواري امرأة إلا كنست بيتي رجاء أن يغلط ا إلي.

وبلغ من طمعه أنه مر برجل يعمل طبقا، فقال: أحب أن تزيد فيه طوقا، فقال: ولم؟ قال: عسى أن يهدى إلي فيه شيء فيكون أكثر.

وقيل له: هل رأيت أطمع منك؟ قال: نعم، خرجت إلى الشام مع رفيق لي، فنـزلنا عند دير فيه راهب. وتلاحينا في أمر، فقلت: أير الراهب في أست الكاذب؛ فنـزل الراهب وقد أنعظ وقال: بأبي أنتما! من الكاذب منكما؟ ونوادر طمعه أكثر

من أن تحصى. وقد تظرف من قال في كذب مسيلمة وطمع أشعب:

وتقول لي **قولا أظنك صـادقا فأجئ من طمع إليك وأذهـب**

فإذا اجتمعت أنا وأنت بمجلس **قالوا مسيلمة وهـذا أشـعب**

٢٠٩- (سنيات خالد): يضرب المثل ا أهل المدينة في القحط والشدة؛ كما يضرب المثل بسني يوسف. وخالد هذا هو خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم المعروف بابن مطرة. ولي لهشام بن عبد الملك خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم المدينة سبع سنين، فأقحط الناس حتى أجلى أهل البوادي إلى الشام. وكان يقال: سنيات خالد، لا أعاد الله أمثالها!.

٢١٠- (أصفر سليم): كان سليم صيدلانيا بالبصرة وقد عجن دواء أصفر لكل ما شرب له، فكان يستشفي به كل مبرود ومحرور، فسار مثلا في البركة وحسن الموقع وقد قيل فيه غير هذا، والله تعالى أعلم.

٢١١- (بخت أبي **نافع)**: كان أبو نافع تاجرا، ما خسرت تجارته قط، وما عرف إلا الربح فيما يبيعه ويشتريه طول أيامه، فسار المثل ببخته.

٢١٢- (قنديل سعدان): كان يحيى بن خالد ولي سعدان الديوان فكان يرتشي ولا يقضي حاجة لأحد ما لم يأخذ رشوة، حتى قال فيه الشاعر:

صب في **قنديل سـعدا ن مـع التسـليم زيتـا**

وقنادـل بـنـيه قبل أن يخفـ**ي الكميتـا**

وصب الزيت في القنديل كناية على الرشوة فلما شهر بالارتشاء عزله يحيى وولي مكانه أبا صالح بن ميمون، فكان يربو على سعدان في الارتشاء وفرط الطمع، فقيل له فيه:

قنديل سعدان على ضوئه فرخ لقنديل أبي **صـالح**

تراه في **ديوانـه أحـولا من** لمحه **للدرهم اللائـح**

فعزله يحيى وأعاد سعدان إلى عمله.

٢١٣- (واوعمرو) تضرب مثلا لما لا يحتاج إليه، وأول من ضرب المثل ا

أبو نواس حيث قال لأشجع السلمي:

أيها المدعي سليمى سـفاها لست منها ولا قلامة ظفـر
إنما أنت من سليمى كـواو ألحقت في الهجاء ظلما بعمرو

وقال ابن بسام:

يا طلوع الرقيب ما بين إلـف ياغريما أتـى علـى الميعـاد
يا ركودا في يوم صيف وغـيم يا وجوه التجار يوم الكساد
خل عنـا فإنمـا أنـت فينـا واو عمرو أو كالحديث المعاد

وأحسن ما سمعت فيه قول أبي سعيد الرستمي للصاحب بن عباد، من قصيدة:

أفي الحق أن يعطى ثلاثون شـاعرا ويحرم مادون الرضا شاعر مثلـي
كما ألحقت واو بعمـرو زيـادة وضويق باسم الله في ألف الوصل

ووصف بعضهم زيادة لا يحتاج إليها، فقال واو عمرو، وبغلة الشطرنج.

٢١٤- (شربة أبي الجهم): يضرب مثلا للشيء الطيب اللذيذ الرديء العاقبة، وكان أبو الجهم عينا لأبي مسلم على أبي جعفر المنصور، يراعيه ويداخله ويحفظ أنفاسه، والمنصور يستثقله، ويتبرم به، ويترصد الغوائل له، فبينما هو ذات يوم عنده إذ عطش فاستسقى، فقال المنصور: يا غلام اسقه سويق اللوز بالطبرزذ، فجاءه بقدح منه وفيه سم سريع القتل، فشربه أبو الجهم، ولم يلبث أن حرك بطنه، فقام فقال المنصور: إلى أين يا أبا الجهم؟ فقال: إلى حيث وجهتني يا أبا جعفر. ورجع إلى منـزله وقذف كل شيء في بطنه، وتلف لوقته، فقيل فيه:

تجنب سويق اللوز لا تشربنه فشرب سويق اللوز أردى أبا الجهم

٢١٥- (لحن الموصلي): هو إسحاق بن إبراهيم، يتمثل به في الظرف وجودة الغناء، كما قال ابن عيينة وهو يصف حمامة:

وورقاء تحكي الموصلي إذا شدا بألحانه أحبب ا ومن تحكي

وقال آخر:

أزاح بلبالي غناء البلبل إذ مر في ألحانه كالموصلي

وقال آخر:

خلق ما يكاد يصـبر عنـه قلب خلق إلا بألف كفيـل
وحديث كأن إسحاق يحدو في تضاعيفه بشـعر جميـل

٢١٦- (غناء إبراهيم بن المهدي): كان من آدب الناس وأشعرهم وأبلغهم، وغلب عليه الغناء فبرز وأعجز، وسحر و بر، حتى ضرب به المثل، وكان عجيب الشأن، بديع الوصف والحال، وكان أسود شديد السواد، براق اللون، وأبو المهدي أبيض، وأمه أميل إلى السواد. وتنقلت به أحوال وأدوار، وتقلد الخلافة سنين إلى أن دخل المأمون بغداد وهو مستتر، ثم ظهر وعفا عنه المأمون، ورد عليه أمواله، وأكرمه ونادمه ورتبه في مشايخ بني هاشم. وكان غناء إبراهيم لأخيه الرشيد ثم للثلاثة من بني أخيه الخلفاء: وهم الأمين والمأمون، والمعتصم وطرب المعتصم يوما لغنائه فقال: أحسنت يا أمير المؤمنين، فقال إبراهيم: عربدت يا أمير المؤمنين.

وكان إذا ضرب وغنى لأحد هم في الصحاري والمصائد والمتنـزهات وقفت له الطير، وعكفت عليه الوحوش، حتى تكاد تؤخذ بالأيدي.

وكان أبو عيسى بن الرشيد يقول له: السكر على صوتك شهادة يا عم وكان أحمد بن يوسف يقول فيه: القلوب من غنائه على خطر، فكيف الجيوب!

وقرأت لأبي إسحاق الصابي فصلا لأبي عثمان الخالدي استحسنته جدا في محاسن الأفراد وهو قوله: لوكان لك خصم يجمع شعر البحتري، وغناء إبراهيم بن المهدي، ومذاكرة الأصمعي، وكتابة جعفر بن يحيى وحسن وجه المعتز وطيب عشرة حمدون، لما كنت إلا منحرفا عنه، معينا عليه، مقبحا محاسنه من أجلك.

٢١٧، ٢١٨- (عود بنان، وناي زنام): كان بنان وزنام مطربي المتوكل، وكان كل منهما منقطع القرين في طبقته، فإذا اجتمعا على الضرب والزمر أحسنا وفتنا وأعجبا وعجبا، وكان المتوكل لا يشرب إلا على سماعهما، وفيهما يقول البحتري من قصيدة: (١)

---

(١) هو حمدون بن إسماعيل النديم؛ وله مع المعتصم أخبار حسان، وانظر المحاسن والمساوئ ١: ١٤٩ - ٢٤٣.

هل العيش إلا ماء كرم مصفق   يرقرقه في الكأس ماء غمام
وعود بنان حين ساعد شدوه   على نغم الألحان ناي زنام

٢١٩- (خرص أبي السقاء): كان يخرص النخيل بالبصرة للسلطان فلا يغلط برطل، فضرب به المثل في ذلك.

٢٢٠- (حكاية أبي ديونه): كان زنجيا، وكان كما قال ابن الرومي يخاطبه:

حكيت القرد في قبح وسخف   وما قصرت عنه في الحكايه

وكان يحكي كل صوت وكل هيئة وكل مشية، ويحكي أصوات الدواب والبهائم والطير فلا يفرق بين صوته وأصوا ا، ونظيره في زماننا أبو الورد صاحب المهلبي الوزير، ولا ثالث لهما.

٢٢١- (لواط يحيى بن أكثم): أصله من مرو، فاتصل بالمأمون أيام مقامه ا، فاختص به، واستولى على قلبه، وصحبه إلى بغداد، ومحله منه محل الأقارب أو أقرب.

وكان متقدما في الفقه وآداب القضاة، حسن العشرة عذب اللسان، وافر الحظ من الجد والهزل، ولاه المأمون قاضي القضاة، وأمر بألا يحجب عنه ليلا ولا ارا. وأفضى إليه بأسراره، وشاوره في مهماته، وكان يحيى ألوط من ثفر، ومن قوم لوط، وكان إذا رأى غلاما يفسده وقعت عليه الرعدة، وسال لعابه وبرق بصره.

وكان لا يستخدم في داره إلا المرد الملاح ويقول: قد أكرم الله -تعالى- جنته بأن أطاف عليهم الغلمان في حال رضاه عنهم، لفضلهم على الجواري، فما بالي لا أطلب هذه الزلفى والكرامة في دار الدنيا معهم!

ويقال إنه هو الذي زين للمأمون اللواط، وحبب إليه الولدان، وغرس في قلبه محاسنهم وفضائلهم وخصائصهم، وقال: إ م بالليل عرائس، وبالنهار فوارس، وهم للفراش والهراش وللسفر والحضر، فصدر المأمون عن رأيه، وجرى في طريقه، واقتدى به المعتصم حتى اشتهر م، وملك ثمانية آلاف منهم، وما كان بنو العباس يحومون حولهم، اللهم إلا ما كان يؤثر عن محمد الأمين من استخدام الخصيان، والعبث م دون فحول الولدان.

ويحكى أن المأمون نظر يوما إلى يحيى في مجلسه وهو يحد النظر إلى ابن أخيه

الواثق، وهو إذ ذاك أمرد تأكله العين. فتبسم إليه وقال: يا أبا محمد، حوالينا ولا علينا! فقال: يا أمير المؤمنين، إن الكلب لا يأكل النار.

وخلا به المأمون ليلة على المطايبة والمداعبة وا اراة في ميدان الغلمان، ومترف غلام المأمون يتسمع عليهما، وهو الذي حكى هذه القصة عنه، قال: قال له المأمون: يا أبا محمد، أخبرني عن أظرف غلام مر بك، قال: نعم يا أمير المؤمنين، احتكم إلى غلام في اية الملاحة والظرف واللباقة، فأخذته عيني، وتعلقه قلبي، فلم أفضل الحكم بينه وبين خصمه إيثارا مني للقائه ومعاودته إياي في حكومته، فدخل إلي على حين غفلة ومثله لا يحجب عني، فلما وصل إلي قال: أيها القاضي، أعني على خصمي، فقلت له: ومن يعينني على عينيك يا بني؟ قال: شفتي - وأدناها مني - فلما شممت الخمر من فيه وفيته حدا من القبل، وقلت له: يا بني ما بال شفتيك متشققتين! فقال: أحلى ما يكون التين إذا تشقق، ثم قلت له ويدي في ثيابه: يا بني ما أنحفك! فقال: كلما دق قصب السكر كان أحلى، فضحك المأمون ووقع له بمائتي دينار، وقال: أوصلها إليه ولو على أجنحة الطير - وكان إذ ذاك قد التحى، وكان يحيى يعرف منـزله - فامتثل أمره وأوصلها له: ومما قيل في يحيى:

وكنا نرجي أن نرى العدل ظاهرا ... فأعقبنا بعد الرجـاء قنـوط

متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها ... وقاضي قضاه المسلمين يلوط!

وفيه أيضا:

أنطقني الـدهر بعـد إخراسـي ... بحادثـات أطلـن وسواسـي

قاض يـرى الحـد في الزنـاء ولا ... يرى على من يلوط من بـاس

أميرنا يرتـشي وحـاكمـنا ... يلوط، والرأس شـر مـا راس

ما إن أرى الجور ينقضي وعلى الـ ... أمـة والٍ مـن آل عبـاس

وفيه قيل:

وكنت ألوم الشيخ فيك ولا أرى ... دم الشيخ إن رام الحرام محرمـا

فلما رأيت الحسن ألقـى رداءه ... عليك عذرت الشيخ يحيى بن أكثما

ولفرط لواطه نسب إلى الابنة، فقيل فيه:

حربة يحيى لدى رأسها **إن وقعت في اللحم لم تخدش**

يحشو بها المرد إذا ما خلا **وهو كما يحشوهم يحتشي**

ينحط من فوق إلى أسفل **مثل انحطاط الطائر المرعش**

ويحكى أنه دخل يوما على العباس بن المأمون وهو يلعب الشطرنج، وينشد:

يا ليت يحيى لم يلده أكثمه **ولم تطأ أرض العراق قدمه**

*** أي دواة لم يلقها قلمه ***

فقال يحيى: دواتك أيها الأمير.

وسمعه إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة يوما يغض من جده، فقال له: ما هذا جزاؤه منك! قال: حين فعل ماذا؟ قال: حين أباح المسكر، ودرأ الحد عن اللوطي.

الباب التاسع

فيما يضاف وينسب إلى العرب

تيجان العرب. أغربة العرب. جمرات العرب. أثافي العرب، نخوة العرب. صناجة العرب. كسرى العرب. صلاء العرب. كاهل العرب. سابق العرب.

الاستشهاد

٢٢٢-(تيجان العرب): جاء في الخبر: إن العمائم تيجان العرب، فإذا وضعوها وضع الله عزهم. وكان يقال: اختصت العرب من بين الأمم بأربع : العمائم تيجا ا، والدروع حيطا ا، والسيوف سيجا ا، والشعر ديوا ا.

٢٢٣_(أغربة العرب): وذؤبان العرب ساد ا، وهم أربعة سودان شجعان ؛ فمنهم عنترة بن شداد العبسي، سرى السواد فيه من جهة أمه،وكانت حبشية زنجية تسمى زبيبة، وفيها قال من وصف رجلا بقلة شرب الشراب:

ويدعي الشرب في **رطل وباطية** **وأم عنتــرة العبســي تكفيــه**

ومنهم خفاف بن ندبة السلمي، سرى السواد فيه من قبل أمه وبلدته؛لأنه من حرة بني سليم، وأدرك النبي ﷺ، وكان شاعرا شجاعا وقل مايجتمع الشعر والشجاعة في واحد، وشهد مع النبيﷺ فتح مكة ومعه لواء سليم. ومنهم السليك ابن السلكة، وقد تقدم ذكره. ومنهم عبد الله بن خازم السلمي والي خراسان لعبد الله بن الزبير، ومن عجيب أمره أنه كان اية في الشجاعة والنجدة، وكان يخاف الفأر أشد مخافة، فبينما هو ذات يوم عند عبد الله بن زياد إذ أدخل عليه جرذا أبيض، فتعجب منه، فقال لعبد الله: يا أبا صالح، هل رأيت أعجب من هذا؟ وإذا عبد الله قد تضاءل كأنه فرخ، واصفر كأنه جرادة، فقال عبيد الله: أبو صالح يعصي الرحمن، ويتهاون بالسلطان، ويقبض على الثعبان، ويمشي إلى الأسد الورد، ويلقى الرماح بوجهه، والسيوف بيده وقد اعتراه من جرذ ما ترون! أشهد أن الله على كل شيء قدير.

٢٢٤ -(جمرات العرب): بنو ضبة، وبنو الحارث بن كعب، وبنو نمير بن عامر، وبنو عبس بن بغيض، وبنو يربوع بن حنظلة. قال الخليل: الجمرة كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم، لا يخالفون أحدا، ولا ينضمون إلى أحد، تكون القبيلة نفسها جمرة تصبر لمقارعة القبائل كما صبرت عبس لقيس كلها.

٢٢٥- (أثافي العرب): قال محمد بن حبيب البصري في الكتاب المحبر: سليم وهوازن ابنا منصور بن عكرمة أثفية، وغطفان أثفية، ومحارب أثفية، وهي ألأمها.

٢٢٦-(نخوة العرب): لم تزل العرب تتميز عن سائر الأمم بالنخوة لما كانت تختص به من السماحة والفصاحة والشجاعة، حتى إن النعمان بن المنذر ترفع عن مصاهرة سلطان أبرويز إذ كان من العجم؛ ولما بعث الله تعالى صفوة خلقه وخاتم رسله منهم ازدادت نخو م وصارت مثلا، كما قال الشاعر:

*** لؤم النبيط ونخوة العرب ***

٢٢٧- (صناجة العرب): كان يقال للأعشى صناجة العرب، لكثرة ما غنت بشعره، ويقال: بل لأنه أول من ذكر الصنج في شعره حيث قال:

ومستجيب تخال الصنج يسمعه إذا ترجع فيه القينة الفضل

٢٢٨ -(كسرى العرب): كان عمر بن الخطاب ﷺ إذا نظر إلى معاوية بن أبي سفيان قال: هذا كسرى العرب؛ لأنه كان يجمع بين سخاء العرب وتأنق ملوك العجم في الرياش والمطعم. ومما يقارب هذا المعنى فصل قرأته للصاحب في ذكر فصل قرأه للأمير شمس المعالي: قرأت الفصل الذي تجشمته، فإذا هو جامع هزة العرب إلى عزة العجم، وناظم ما بين صليل السيف، وصرير القلم.

٢٢٩-(صلاء العرب): قال عمر رضي الله عنه: الشمس صلاء العرب، وكان يقول: العربي كالبعير حيثما دارت الشمس استقبلها امته. ووصف الراجز الإبل فقال:

*** تستقبل الشمس بجمجما ا ***

٢٣٠- (كاهل العرب): قال معاوية للأحنف وحارثة بن قدامة ورجال

من بني سعد كلاما أحفظهم، فردوا عليه جوابا قبيحا، وابنة قرظة في بيت بقربه تستمع؛ فلما خرجوا قالت: يا أمير المؤمنين، لقد سمعت من هؤلاء الأجلاف كلاما رموك به فلم تنكره عليهم، فأردت أن أخرج عليهم فأسطو بهم. فقال لها معاوية: إن مضر كاهل العرب، تميما كاهل مضر، وسعدا كاهل تميم، وهؤلاء كاهل سعد. وشبيه بهذا الكلام في المعنى ما يحكى عن جعفر بن سليمان الهاشمي أنه كان يقول: العراق عين الدنيا، والبصرة عين العراق، والمربد عين البصرة، وداري عين المربد. وعن يحيى بن خالد: العرب يكتبون أحسن ما يسمعون، ويحفظون أحسن ما يكتبون، ويروون أحسن ما يحفظون.

٢٣١- (سابق العرب): عن النبي ﷺ: «**أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة**».

الباب العاشر

فيما يضاف وينسب إلى الإسلام والمسلمين

سهم الإسلام. قبة الإسلام. بيضة الإسلام. خضاب الإسلام. فتكتا الإسلام. نطاق الإسلام. دعوة الإسلام. عصا المسلمين. حلوبة المسلمين. جناح المسلمين.

الاستشهاد

٢٣٢- (سهم الإسلام): كان السلف يقولون في وصاياهم: إذا مررت بقوم فابدأهم بسهم الإسلام، وهو السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وكان النبي ﷺ يقول يوم دخول المدينة: «**أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، وصلُوا الأرحام، تدخلوا الجنة بسلام**».

٢٣٣- (قبة الإسلام): لما مصر عمر رضي الله عنه البصرة، وانتقلت قبائل العرب إليها، وكثرت الأبنية فيها، اشتدت شوكة الإسلام ا، سميت قبة الإسلام. ثم لما بنى المنصور بغداد وسماها مدينة السلام وصارت دار الخلافة، ومصب أموال الدنيا، قال الناس: هذه الآن أولى بأن تسمى قبة الإسلام من البصرة، فقالوا: مدينة السلام، وقبة الإسلام. ولما وقعت فتنة الزنج بالبصرة رفع إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان بسر من رأى أن البصرة قبة الإسلام، وفيها قريش والهامشيون والعرب، وهي على شرف الخراب والذهاب، فأضجر وقال: وذهبت البصرة فمه ! فقيل له : وذهبت أنت فمه فكان يصاح به في الطريق: فمه! حتى اشتهر ا، فهرب من سر من رأى. وذكر ابن الموسوي النقيب قبة الإسلام في قصيدة مدح ا الطائع، وذكر فيها أباه فقال:

لما رآك رأى الـنبي محمـدا في **بردة الإجلال والإعظـام**
ورأى بمجلسك المعرق في **العلا** **حرم الرجاء وقبة الإسـلام**

٢٣٤- (بيضة الإسلام): وهي على طريقة الاستعارة والتشبيه: مجتمعه وحوزته، ويقال أيضا: البيضة.

وقد قصرت في هذا الكتاب بابا على البيض المنسوب والمضاف.

٢٣٥- (خضاب الإسلام): ذكر أبو عبيد الله المرزباني في كتاب «الأنوار

والثمار» حديثا يرفعه إلى عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: «**عليكم بالحناء فإنه خضاب الإسلام، وإنه يصفي البصر، ويذهب بالصداع، ويزيد** في **الباه؛ وإياكم والسواد، فإنه من سود سود الله وجهه يوم القيامة**».

٢٣٦- (فتكتا الإسلام): كان يقال لفتكة عبد الملك بن مروان بعمرو بن سعيد بن العاص الأشدق فتكة الإسلام، ثم صارت بفتكة المنصور بأبي مسلم فتكتين هما فتكتا الإسلام، ولا ثالث لهما.

٢٣٧- (نطاق الإسلام): هو على طريق الاستعارة أنصاره وأعوانه، فكأنه يستظهر م عند التنطق. وسئل علي بن أبي طالب ﷺعن تغيير الشيب وما يروى في ذلك من قول النبي ﷺ: «**غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود**»، فقال: إنما قال ذلك والدين في قل، فأما وقد اتسع نطاق الإسلام فكل امرئ وما اختار لنفسه.

٢٣٨- (دعوة الإسلام): كانت وليمة الحسن بن سهل حين بنى المأمون ببنته بوران تدعى دعوة الإسلام، حتى جاءت دعوة بركوار، فقال الناس: هي مثلها، وقالوا: إن دعوة بركوار دعوة الإسلام لم يكن قبلها ولا بعدها مثلها، إلا ما يحكى في وقت بناء المأمون ببوران، وبلغ من جلالة دعوة الحسن بن سهل وعظم خطرها وارتفاع مقدارها، أن أقام للمأمون بفم الصلح وجمع قواده وأصحابه نـزلهم أربعين يوما، واحتفل بما لم ير مثله نفاسة وكثرة.

قال المبرد: سمعت الحسن بن رجاء يقول : كنا نطعم أيام مقام المأمون عند الحسن بن سهل ستة وثلاثين ألف ملاح، ولقد عز بنا الخطب يوما فأوقدنا تحت القدور الخيش مغموما في الزيت، ولما كانت ليلة البناء وجليت بوران على المأمون فرش لها حصير من ذهب، وجيء بمكتل مرصع بالجواهر، فيه درر كبار، فنثرت على من حضر من النساء، وفيهن زبيدة وحمدونة بنت الرشيد وعجائز الخلافة، فما مس من حضر منهن من الدرر شيئًا، فقال المأمون: شرفن أبا محمد، وأكرمن بوران، فمدت كل واحدة منهن يدها فأخذت درة واحدة، وبقي سائر الدر يلوح على حصير الذهب؛ فقال المأمون: قاتل الله الحسن بن هانئ كأنه قد رأى هذا حيث يقول:

كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب

وكانت في ذلك ا لس شمعة عنبر فيها مائتا رطل، فضج المأمون من دخا ا، فعملت له على مثالات من الشمع، فكان الليل مدة مقامه بفم الصلح كالنهار، ولما كانت دعوة القواد نثرت عليهم رقاع فيها أسماء ضياع، فمن وقعت في يده رقعة لضيعة أشهد الحسن له ا. ويقال: أنه أنفق في هذه الدعوة أربعة آلاف دينار، فلما أراد المأمون أن يصعد أمر له بألف دينار، وأقطعه الصلح، وعاتبه على احتفاله واجتهاده، وحمله على نفسه، فقال له: يا أمير المؤمنين، أتظن هذا من مال سهل! والله ما هو إلا مالك رد إليك، وأردت أن يفضل الله أيامك ونكاحك كما فضلك على جميع خلقه. فهذه دعوة الإسلام الأولى، فأما دعوة الإسلام الثانية فهي بيركوار لما أعذر المتوكل المعتز؛ ومن قصتها أنه جلس بعد فراغ القواد والأكابر من الأكل، ومدت بين يديه مرافع ذهب مرصعة بالجواهر، وعليها أمثلة من العنبر والند والمسك المعجون على جميع الصور. وجعلت بساطا ممدودا، وأحضر القواد والجلساء وأصحاب المراتب، فوضعت بين أيديهم صواني الذهب مرصعة بأنواع الجواهر من الجانبين، وبين كل سماطين فرجة، وجاء الفراشون بزنابيل قد غشيت بالأدم مملوءة دراهم ودنانير نصفين، فصبت في الفرجة حتى ارتفعت على الصواني، وأمر الحاضرون أن يشربوا، وأن يأخذ كل من شرب من تلك الدنانير ثلاث حفنات بقدر ماحملت يده، فكلما خف موضع صبوا عليه من الزنابيل حتى يردوه إلى حالته، ووقف غلمان في آخر ا لس فصاحوا : إن أمير المؤمنين يقول لكم: ليأخذ من شاء ما شاء ؛ فمد الناس أيديهم إلى المال فأخذوه، فكان الرجل منهم يثقله ما معه فيخرج فيسلمه إلى غلمانه ويرجع إلى مكانه.

ونظر ابن حمدون إلى سطل ذهب مملوء مسكا، فأخذه، ومر به ليدفعه إلى غلامه، فقال المتوكل: إلى أين؟ فقال: إلى الحمام يا أمير المؤمنين. ولما تقوض ا لس خلع على الناس ألف خلعة، وأعتق ألف نسمة، فصارت دعوته يقال لها: دعوة الإسلام الثانية.

٢٣٩- (عصا المسلمين): قال أبو عمرو بن العلاء : من أمثالهم: شق فلان

عصا المسلمين؛ إذا فرق جمعهم، وشق العصا ؛ إذا خرج من الطاعة، قال جرير:

ألا بكرت سلمى فجد بكورها وشق العصا بعد اجتماع أميرها

وقال العتابي في الرشيد:

إمام له كف يضـم بنا ـا عصا الدين ممنوعا من البري عودها
وعين محيط بالبرية طرفهـا سواء عليه قر ـا وبعيـدها

٢٤٠- (حلوبة المسلمين): من طريق الاستعارة: فيئهم وخراجهم، يقال: درت حلوبة المسلمين؛ إذا جبيت حقوق بيت المال.

٢٤١- (جناح المسلمين): كان يقال للبريد: جناح المسلمين؛ لما كان يتطاير به من الأخبار. ولما ولي الحسن بن وهب بريد الحضرة قال فيه دعبل:

من مبلغ عني إمـام الهـدى قافيـــة للســـتر هتاكـــة
هذا جناح المسلمين الـذي قد قصـه توليـة الحاكـه
أضحت بغال البرد منظومة إلى ابن وهب تحمل الناكـه

فبلغت المتوكل فأمر بعزله.

الباب الحادي عشر

فيما يضاف وينسب إلى القراء والعلماء

خريطة شهر. فقه أبي حنيفة. جامع سفيان. عنـز الأعمش. طفرة النظّام. حاجة أبي الهذيل.

الاستشهاد

٢٤٢- (خريطة شهر): تضرب مثلا فيما يختزله القراء والفقهاء من أموال الناس والودائع، وذلك أن شهر بن حوشب - وكان من جلة القراء والمحدثين - دخل بيت المال فأخذ خريطة فيها دراهم، فقال فيه القائل:

لقد باع شهر دينـه بخريطـة فمن يأمن القراء بعدك يا شهر!

فصارت خريطته مثلا، وشهر هو الذي قال له رجل: أنا أحبك، فقال: ولم لا تحبني وأنا أخوك في كتاب الله، وشريكك على دين الله، ومئونتي على غيرك!

٢٤٣-(فقه أبي حنيفة): يضرب به المثل، كما قال بعض الرجاز للمأمون:

مأمون يا ذا المنن الشـريفة والعلم والمنـزلة المنيفـه
هل لك في أرجوزة ظريفـه أظرف من فقـه أبي حنيفـه

وفيها مما يستظرف:

الذئب والنعجة في سـقيفه واللص والتاجر في قطيفـه

وقال بعض المولدين:

متفقه جمـع الكـلا م إلى قيـاس أبي حنيفـه
فأتاك يسعى للقضـا ء بلحية فـوق القطيفـه

وكان يقال: أربعة لم يلحقوا ولم يسبقوا: أبوحنيفة في فقهه، والخليل في أدبه، والجاحظ في تأليفه، وأبوتمام في شعره.

ومن ضرب المثل بفقه أبي حنيفة ابن طباطبا حيث قال يهجو أبا علي الرستمي:

كفرا بعلمك يابن رستم كلـه وبما حفظت سوى الكتاب المنـزل

لو كنت يونس في **دوائر** نحوه **أو كنت قطرب** في **الغريب المشكل**

وحويت فقه أبي **حنيفة كلـه** ثم **انتميــت لرســتم** لم **تنبــل**

٢٤٤- (جامع سفيان): يضرب المثل بجامع سفيان الثوري في الفقه للشيء الجامع لكل شيء، كما يضرب المثل بسفينة نوح، وعهدي بأبي بكر الخوارزمي إذا رأى رجلا جامعا أو كتابا، قال: ما هو إلا سفينة نوح، وجامع سفيان، ومخلط خراسان، وقال أبو عبد الله بن الحجاج:

بالله قولوا لي **ولا تغضبوا** **لست من الحق بغضـبان**

فقر وذل وخمـول معـا **أحسنت يا جامع سفيان**

٢٤٥- (عنـز الأعمش): يضرب مثلا فيمن ينـزل منـزلة لا يستحقها لغيبة من يصلح لها. وذلك أن الأعمش كان إذا فقد من يحدثه من أصحابه أقبل على عنـز له يحدثها كراهة للفراغ، وخوفا من النسيان، وحرصا على الدرس و الرواية، فجرى المثل بعنـز الأعمش فيما ذكرته، وفيمن يخاطب من لا يفهم.

٢٤٦- (طفرة النظام): هي أنه كان يقول بأن الجزء ينتقل من المكان الأول إلى المكان الثالث، من غير أن يمر بالمكان الثاني بطفرة، فصارت طفرة النظام مثلا فيمن يعذ السير ويقطع المسافة البعيدة في المدة القريبة.

٢٤٧- (حاجة أبي الهذيل): يضرب مثلا للحاجة يسألها الإنسان لغيره، ويضمر ضد ما يظهر منها، ولا يحب قضاءها إما بخلا بجاهه، وإما لحاجة أخرى في نفسه وكان أبو الهذيل سار إلى سهل بن هارون الكاتب - وكان خاصا بالحسن بن سهل - يسأله الكلام في أمره، ويستعينه على إضافة دفع إليها، فسار سهل إلى الحسن فكلمه، وقال له: قد عرفت أيها الأمير حال أبي الهذيل ومحله وقدره في الإسلام، وأنه متكلم قومه، والراد على أهل الإلحاد، وقد فزع إليك لإضافة هو فيها؛ فوعده أن ينظر له بما يصلح حاله، فلما انصرف سهل إلى منـزله بعثه لؤم طبعه وسوء خلقه على أن كتب إلى الحسن بن سهل:

إن الضمير إذا سألتك حاجـة **لأبي الهذيل خلاف ما أبـدي**

فامنحه روح اليأس ثم امدد له حبل الرجاء بمخلـف الوعـد
وألن له كنفا ليحسـن ظنـه في غـير منفعـة ولا رفـد
حتى إذا طالت شقاوة جـده يعنائـه فاجبهـه بـالرد

فلما قرأ الحسن رقعته وقع فيها: هذه - لك الويل - صفتك لا صفتي. وأمر لأبي الهذيل بألف دينار.

وكان سهل بن هارون بن راهبون الكاتب الميساني كاتبا شاعرا بليغا حكيما، ولكنه كان مفرط البخل بماله وجاهه، ضاربا في اللؤم والدناءة بسهم فائز .

الباب الثاني عشر
فيما يضاف وينسب
إلى أصحاب المذاهب والآراء والأهواء

إيمان المرجئ. وجه الناصبي. خف الرافضي. نجدة الخارجي أكل الصوفي. ظرف الزنديق.

الاستشهاد

٢٤٨- (إيـمان المرجئ): يضرب به المثل لما لا يزيد ولا ينقص؛ لأن المرجئة يقولون: إن الإيـمان قول فرد ولا يزيد ولا ينقص، فيشبه بإيـمان م ما يكون ذه الصفة.

٢٤٩- (وجه الناصبي): الشيعة تصفه بالسواد، ويشبه به كل شديد السواد، كما قال الناشئ الأصغر:

يـا خليلـي وصـاحبي ... مـن لـؤي بـن غالـب
حـاكم الحـب جـائر ... موجـب غـير واجـب
لـك صـدغ كأنمـا ... لونـه وجـه ناصـبي
يلـدغ النـاس إذ تعقـ ... ـرب لـدغ العقـارب

وقال أبو الفتح كشاجم:

حـب علـى علـو همـه ... لأنـه سـيد الأئمـه
ميـز محبيـه هـل تـراهم ... إلا ذوي ثـروة ونعمـه!
بـين رئـيس إلى ظريـف ... قد أكمل الظرف واسـتتمه
فهـم إذا حصـلوا ضـياء ... والعصب الناصـبي ظلمـه

وأنشد أبو بكر الخوارزمي لنفسه:

رب ليل كطلعة الناصبي ... ذي نجوم كحجة الشيعي

٢٥٠- (خف الرافضي): يشبه به ما يوصف بالسعة، ويقال: أوسع من

خف الرافضي؛ لأنه لا يرى المسح على الخف فيوسع مدخله؛ ليتمكن من إدخال يده فيه ماسحا لرجليه إذا توضأ.

٢٥١- (نجد الخارجي): قال الجاحظ: قد علمنا أن داعي استفاضة النجدة جميع أصناف الخوارج وتقدمهم فيها إنما هو بسبب الديانة، لأنا نجد عبيدهم ومواليهم ونساءهم يقاتلون مثل قتالهم، ونجد السجستاني، وهو عجمي، واليماني والنجراني والجزري وهم عرب، ونجد تاهرت -وهي بلاد عجم- كلهم في القتال والنجدة سواء، وفي ثبات العزيمة والقوة والشدة متكافئين، فاستوت حالا م في النجدة، مع اختلاف أنسا م وبلدا م، وفي هذا دليل على أن الذي سوى بينهم هو التدين بالقتال.

٢٥٢- (أكل الصوفي): يضرب المثل بأكل الصوفية يقال: آكل من الصوفية، وآكل من الصوفي، لأ م يدينون بكثرة الأكل، ويختصون بعظم اللقم، وجودة الهضم، واغتنام الأكل. وسئل بعض القراء عنهم فقال: رقص أكلة؛ وبلغ من عنايتهم بأمر الأكل، وشدة حرصهم على قطع أكثر الأوقات به أن نقش بعضهم على خاتمه: ﴿**أُكُلُها دائِمٌ**﴾(١)، ونقش آخر: ﴿**آتِنا غَداءَنا**﴾(٢)، ونقش آخر: ﴿**لا تُبقِي ولا تذَرُ**﴾(٣)، وفسر أحدهم الشجرة الملعونة في القرآن فقال: هي الخلال، يئه بعد انقضاء أمر الطعام ووقوع اليأس منه. وفسر آخر قوله تعالى: ﴿**ثُم إن مرجِعهُم لإلى الجَحِيم**﴾(٤)، فقال: إلى المنـزل إذا لم تكن دعوة، وإلى مثل تلك الحال أشار من قال:

كأن أبا يحيى **يساق إلى الموت** **إذا ما تفرقنا وصرنا إلى البيت**
لعلم أبي يحيى بما **هو صـائر** **إليه إذا أمسى من الخبز والزيت**

وفسر بعضهم قوله تعالى: ﴿**هلْ أُنبِّئُكُم بِالأخسرين أعمالاً**﴾(٥)، فقال: هم

---

(١) سورة الرعد ٣٥.
(٢) سورة الكهف ٦٢.
(٣) سورة المدثر ٣٨.
(٤) سورة الصافات ٦٨.
(٥) سورة الكهف ١٠٣.

الذين يثردون ولا يأكلون وغيرهم يأكل. وقال آخر: بل هم الذين لا سكاكين معهم في أيام البطيخ.

وقال بعضهم: العيش فيما بين الخشبتين، يعني الخوان والخلال.

ولقبوا الطشت والإبريق إذا قدما قبل المائدة ببشر وبشير، وإذا قدما بعدها بمنكر ونكير، ولقبوا الحمل بالشهيد ابن الشهيد، والقطائف بقبور الشهداء وكنوز الزهاد، وكنوا الزماورد بأبي جامع، والبهط بأبي نافع؛ والأشنان بأبي إلياس، إلى أشباه لهذه النقوش، والتفاسير والألقاب والكنى كثيرة جدا لا يتسع لها هذا الكتاب.

وقد أفصح بعض الظرفاء عن حقيقة وصفهم، وجلية حالهم، فقال وما قال إلا الحق:

صحبت قوما يقول قائلـهم نحن على ذي الجلال متكله
فالوقت والحال والحقيقة والـ ـبرهان والرقص عندهم مثله
فلم أزل خادما لهـم زمنـا حتى تبينـت أ ـم أكلـه

وأنشدت لأبي القاسم عمر بن عبد الله الهريدي فيهم:

تبـــا لقـــوم جعلـــوا دينـــا لـــدنيا مأكلـــه
تسـ ـ ـتروا بـ ـ ـأ م صـ ـ ـوفية محنبلـ ـ ـه
وما يسـاوي نسـكهم قمامـ ـــة في مزبلـ ـــه
اتخـ ــذوا شـ ــباكهم إحفـ ـاءهم للأسـ ـبله
وهـ ـم إذا فتشـ ـتهم منـ ــافقون أكلـ ـ ـه

٢٥٣- (ظرف الزنديق): أما قولهم: أظرف من الزنديق؛ فقد صار مثلا في زمان كثير ظرفاؤه، وهو زمان المهدي، وكانوا يرمون بالزندقة، كصالح بن عبد القدوس، وأبي العتاهية، وبشار، وحماد الراوية، وحماد عجرد، ومطيع بن إياس، ويحيى بن زياد، وعلي بن الخليل، ومثلهم وممن تقدمهم قليلا، كابن المقفع، وابن أبي العوجاء، وما منهم في الظاهر إلا نظيف البزة، جميل الشكل، ظاهر المروءة، فصيح اللهجة، ظريف التفصيل والجملة؛ والله أعلم ببواطنهم وضمائرهم. قال أبو نواس وكان أيضا يعد فيهم:

*** تيه مغن وظرف زنديق ***

وقد كان الجاهل الغر من أهل ذلك العصر يتطفل على الزندقة ينتحلها ليعد من الظرفاء، كما قال الشاعر:

تزندق معلنا ليقـول قـوم ... من الأدباء زنديق ظريـف

فقد بقي التزندق فيه وسمـا ... وما قيل الظريف ولا الخفيف

قال الجاحظ: ربما سمع أحدهم ممن لا معرفة عنده ولا تحصيل له، أن الزنادقة ظرفاء، وأ م عقلاء وأدباء، وأ م عباد وأصحاب اجتهاد، وأن لهم البصائر في دينهم، والبذل لمهجهم، وأن هناك علما وتمييزا، وإنصافا وتحصيلا، فيسري إليهم مسرى المهر الأرن، ويحن إليهم حنين الواله العجول، ويتصبب فيهم صبابة العاشق المتيم، ويرى أنه متى اتهم م فقد قضي له بذلك كله، فلا يزال كذلك حتى يسهل في طباعه، ويرجح عنده أن يزعم أنه زنديق.

الباب الثالث عشر
فيما يضاف وينسب
إلى ملوك الجاهلية وخلفاء الإسلام

سيرة أزد شير. عدل أنوشروان. رمي ـرام. إيوان كسرى. نديما جذيمة. ظلم الجلندي. شقائق النعمان. خرزات الملك. ردافة الملوك. أخلاق الملوك. دين الملوك. داء الملوك. غضب الملوك اء الملوك. ميدان الخلفاء. حسن الأمين. ليلة المتوكل. خلافة ابن المعتز. جوهر الخلافة.

الاستشهاد

٢٥٤- (سيرة أزد شير): من حسن سيرته أن له كتابا في حسن السيرة يضرب المثل به، وتقتبس الملوك من أنواره، فمن نكته قوله: إذا رغب الملك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة. لا صلاح للخاصة مع فساد العامة، ولا نظام للدهماء مع دولة الغوغاء. أوحش الأشياء عند الملوك رأس صار ذنبا وذنب صار رأسا. لا سلطان إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل وحسن سياسة.

ومن كلامه: القتل أنفى للقتل؛ وأجل منه معناه قول الله تعالى: ﴿**ولكُم فِي القِصاص حياةٌ يا أُولي الألبابِ**﴾[1].

٢٥٥- (عدل أنوشروان): لم يكن في الأكاسرة بعد أزدشير الذي له فضيلة السبق أعدل من أنوشروان، ولذلك ضرب المثل به في العدل من بينهم. وهو الذي ولد النبي ﷺ في زمانه لتسع سنين خلت من ملكه، وافتخر ﷺ بذلك فقال: ولدت في زمن الملك العادل. فأما سائر الأكاسرة فإ م كانوا ظلمة فجرة، يستعبدون الأحرار، ويجرون الرعايا مجرى الأجراء والعبيد والإماء، فلا يقيمون لهم وزنا، ويستأثرون عليهم حتى بأطيب الطعام والثياب الحسنة والمراكب والنساء الحسان

(١) سورة البقرة ١٧٩.

والدور السرية ومحاسن الآداب، فلا يجترئ أحد من الرعايا أن يطبخ سكباجا أو يلبس ديباجا، أو يركب هملاجا، أو ينكح امرأة حسناء، أو يبني دارا قوراء ، أو يؤدب ولده، أو يمد إلى مروءة يده، وكانوا يبنون أمورهم على معنى قول عمرو بن مسعدة للمأمون:

ملك ما يصلح للمو لى **على العبد حرام**

إلا إ م كانوا يحبون العمارة أشد الحب، ويرو ا قوام الدين والملك ولا يقارون أحدا على الإخلال ا، والتقصير فيها. ويروى أن بعض الأنبياء عليهم السلام، قال: يا رب لم آتيت الأكاسرة ما آتيتهم؟ فأوحى إليه: لأ م عمروا بلادي حتى عاش فيها عبادي.

ومن كلام أنوشروان الدال على ما وراءه: كل الناس أحقاء بالسجود لله تعالى، وأحقهم بذلك من رفعه الله تعالى عن السجود لأحد من خلقه. وقوله: إن الملك إذا كثرت أمواله مما يأخذ من رعيته، كان كمن يعمر سطح بيته بما يقتلع من قواعد بنيانه. وقوله: وجدنا للعفو من اللذة ما لم نجد للعقوبة. وقوله: الإنعام لقاح، والشكر نتاج.

٢٥٦- (رمي رام): يضرب به المثل؛ لأنه لم يكن في العجم أرمى منه، وهو رام جور الملك.

ومن قصته المصورة في القصور أنه خرج ذات يوم إلى الصيد على جمل، وقد أردف جارية له يتعشقها، فعرضت له ظباء، فقال للجارية: في أي موضع تريدين أن أضع السهم من هذه الظباء؟ فقالت: أريد أن تشبه ذكرا ا بالإناث وإناثها بالذكران، فرمى ظبيا ذكرا بنشابة ذات شعبتين، فاقتلع قرنيه، ورمى ظبية بنشابتين أثبتهما في موضع القرنين؛ ثم سألته أن يجمع ظلف الظبي وأذنه بنشابة واحدة، فرمى أصل أذن الظبي بقطعة سهم، فلما أهوى بيده إلى أذنه ليحتك رماه بنشابة، فوصل أذنه بظلفه، ثم أهوى إلى الجارية مع هواه لها، فرمى ا إلى الأرض، وأوطأها الجمل، وقال: لشد ما شططت علي، وأردت إظهار عجزي! فلم تلبث أن ماتت.

٢٥٧- (إيوان كسرى): يضرب به المثل للبنيان الرفيع العجيب الصنعة، والمتناهي الحصانة والوثاقة، لأنه من عجائب أبنية الدنيا، ومن أحسن آثار الملوك،

وهو بالمدائن من بغداد على مرحلة، بناه كسرى أبرويز في نيف وعشرين سنة، وتأنق في تأسيسه وتشييده وتحسينه فلما ارتفع كان من خصائصه الثمان عشرة التي لم يعطها ملك قبله.

ويقال: بل بناه أنوشروان، وهو الذي بنى الباب والإيوان أيضا.

وأنشدني أبو نصر المرزباني لنفسه يذكر ذلك:

قالت لما رأيته في قصور مشرفات الجدران والبنيان
هبك كسرى كسرى الملوك أنوشر وان باني الأبواب والإيوان
أي شكر ترجوه مني إذا لم تقض لي حاجتي وترفع شأني!

وذكر ابن قتيبه في كتاب " المعارف" أن بانيه سابور ذو الأكتاف.

ومن وصفه أن طوله مائة ذراع في عرض خمسين ذراعا في سمك مائة ذراع، وهو متخذ من الآجر الكبار والجص، وثخن الأزج خمس آجرات، وطول الشرفة خمسة عشر ذراعا.

ولما بني المنصور مدينة السلام أحب أن ينقض إيوان كسرى ويبني بنقضه الأبنية؛ فاستشار خالد بن برمك في ذلك، فنهاه عن نقضه، وقال يا أمير المؤمنين، إنه آية الإسلام، وإذا رآه الناس علموا أن من هذا بناؤه لا يزيل أمره إلا نبي وهو مع هذا مصلى علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، والمؤنة في هدمه ونقضه أكثر من الارتفاق به. فقال المنصور: يا خالد أبيت إلا ميلا إلى العجم! ثم أمر بهدمه، فهدمت منه ثلمة، فبلغت النفقة عليه مالا كثيرا، فأمر بالإضراب عن هدمه، وقال: يا خالد، قد صرنا إلى رأيك فيه، فقال: أنا الآن أشير بهدمه. قال: وكيف ؟ قال: لئلا يتحدث الناس بأنك عجزت عن هدمه؛ فلم يقبل قوله، وتركه على حاله فكان المأمون يقول: قد حبب إلي هذا الخبر ألا أبني إلا بناء جليلا يصعب هدمه.

قال الجاحظ: قال قاسم التمار: رأيت إيوان كسرى كأنما رفعت عنه الأيدي أول أمس.

قال المبرد: تذاكر حذيفة بن اليمان و سلمان أمر الدنيا، فقال سلمان: ومن أعجب ما تذاكرنا صعود غنيمات الغامدي سرير كسرى. وكان أعرابي من غامد يرى شويهات له، فإذا كان الليل صيرها إلى عرصة إيوان كسرى، وفي العرصة سرير

رخام، فتصعد غنيماته إلى ذلك السرير، وكان كسرى كثيرا ما يجلس على ذلك السرير.

ومن ضرب المثل بإيوان كسرى ابن الرومي في قوله وهو يهجو:

كان للكركدن قرن فأضحى … وهو اليوم عند قرنك مدرى

من يكن قرنه كقرنك هذا … فليكن بابه كإيوان كسرى

ومن وصفه البحتري في قصيدته التي منها:

حضرت رحلي الهموم فوجهت … إلى أبيض المدائن عنسي

وكأن الإيوان من عجب الصنعة … جوب في جنب أرعن جلس

لم يعبه أن بز من بسط الديباج … واستل من ستور الدمقس

مشمخر تعلو له شرفات … رفعت رءوس رضوى وقدس

ليس يدري أصنع إنس لجن … سكنوه أم صنع جن لإنس!

غير أني أراه يشهد أن لم … يك بانيه في الملوك بنكس

٢٥٨- (نديما جذيمة): يضرب بهما المثل في طول الصحبة، كما يضرب بالفرقدين وابني شمام ونخلتي حلوان.

وكان جذيمة الوضاح الملك لا ينادم أحدا ذهابا بنفسه، وكان يقول: أنا أعظم من أن أنام إلا الفرقدين، وكان يشرب كأسا ويصب لكل منهما كأسا، ولما أتاه مالك وعقيل بابن أخته عمرو صاحب الطوق الذي استهوته الجن، قال لهما: ما حاجتكما؟ قالا: منادمتك، فنادمهما أربعين سنة؛ كانا يحادثانه وما أعادا عليه حديثا قط حتى فرق بينهما الدهر، وفيهما يقول الشاعر:

ألم تعلما أن قد تفرق قبلنا … نديما صفاء: مالك وعقيل!

ويقول متمم بن نويرة في أخيه مالك، وهو من الأمثال السائرة:

وكنا كندماني جذيمة حقبة … من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا … لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

٢٥٩- (ظلم الجلندي): هو الملك الذي ذكره الله تعالى في كتابه فقال: ﴿**وكَانَ وراءَهُم مِلِكٌ يأخُذُ كُل سفِينةٍ غَصبا**﴾[١]، فجرى المثل، لاسيما على ألسنة أهل عمان بظلمه، فقالوا: أظلم من الجلندي.

٢٦٠- (شقائق النعمان): يحكى أن النعمان بن المنذر خرج يوما إلى ظهر الحيرة متنـزها وقد أخذت الأرض زخرفها وازينت بالشقائق، فاستحسنها وقال: احموها، فحميت وسميت شقائق النعمان بالنسبة إليه.

وقال بعض أهل اللغة: النعمان اسم من أسماء الدم، نسبت الشقائق إليه تشبيها به، كما قال الشاعر:

كأن شقائق النعمان فيها ثياب قد روين من الدماء

٢٦١- (خرزات الملك): كان الملك من ملوك العرب كلما مضت سنة من سني ملكه زيدت في تاجه خرزة. وكان يقال لتلك الخرزات: خرزات الملك. ولما بلغت خرزات النعمان بن المنذر أربعين أشخصه كسرى أبرويز إلى حضرته، لهنات نقمها عليه ثم أمر بقتله. وإياه عني لبيد بن ربيعة بقوله:

رعى خرزات الملك عشرين حجة وعشرين حتى فاد والشيب شامل

٢٦٢- (ردافة الملوك): كانت من العرب في بني عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع، فورثها بنوهم كابرا عن كابر حتى قام الإسلام، وهي أن يثني بصاحبها في الشراب، وإن غاب الملك خلفه في المجلس، ويقال: إن أرداف الملوك في الجاهلية بمنـزلة الوزراء في الإسلام، والردافة كالوزارة، قال لبيد من قصيدة:

وشهدت أنجية الأفاقة عاليا كعبي وأرداف الملوك شهود

٢٦٣- (أخلاق الملوك): توصف بالتلون والتغير، لأن الملوك لهم بدوات. وقد شبه بها يوما من أيام الربيع من قال:

ويوم كأخلاق الملوك ملـون فشمس ودجن ثم ظل ووابل

---

(١) سورة الكهف ٧٩.

أشبهه إياك يا مـن صـفاته دنو وإعراض ومنع ونائـل

وأحسن منه في معناه قول علي بن الجهم:

أما ترى اليوم ما أحلى شمائله صحو وغيم وإبراق وإرعاد

كأنه أنت يامن لست أذكره وصل وهجر وتقريب وإبعاد

٢٦٤- (دين الملوك): كان المأمون يقول: الإرجاء دين الملوك، هو الذي تنسب إليه مذاهب المرجئة الذين يتركون القطع على أهل الكبائر إذا ماتوا غير تائبين بعذاب أو عفو، ويقولون بإرجاء أمرهم والحكم عليهم، وهو جميعا سوى الحشوة الطغام منهم يقولون: إن الله تعالى إن عفا عن واحد فمن هو في مثل حاله، وإن الله تعالى لا يخلد أحدا من أهل التوحيد في النار بارتكاب الكبائر، وإنه إن أدخلهم النار عذ م بقدر ذنو م ثم أخرجهم.

٢٦٥- (داء الملوك): قد نـزههم الله ورفع أقدارهم عما يرميهم به العامة وتنسبه إليهم من الداء الذي لا دواء له إلا بعصمة الله تعالى، وكأ م اعتقدوا أن ذلك ربما يتولد من فرط الترفه والتنعم، فإضافته إليهم لتخصيصه م، قال الشاعر:

داء الملوك يلوح فـوق جبينـه شهدت بذاك مواضع التحديق

وقال أبو نصر الظريفي الأبيوردي:

قد ردنا إسحاق عـن بابـه فلم يكن فيه لنا مـن سـلوك

وقال: بي داء وعهدي بـه كالشمس من قبل أوان الدلوك

وليس ذاك الداء من دائنـا لكن ذاك الـداء داء الملـوك

وقال آخر:

أحمد الله حمد شـاكر نعمـا ه ولا أشتكي صروف الزمان

إن عراني داء الكرام من الدين فـداء الملـوك مما عـداني

وقال آخر:

ما حيلتي والزمـان يجفـوني وهو على الحر غير مـأمون

والدين داء الكرام ينحلني **وليس داء الكرام بالدون**
أحمد ربي الكريم حمد فتى **في كدر العيش غير مغبون**
إن كان داء الكرام يعروني **فإن داء الملوك يعدوني**

٢٦٦- (غضب الملوك): كان يقال: اتقوا غضب الملوك ومد البحر ومن غرر مدائح بكر بن النطاح في أبي دلف قوله:

ومقسم بين القواضب والقنا **غضب الملوك ونية العباد**
فإذا أبو دلف أمد بذكره **جيشا كفاه مئونة الإمداد**

٢٦٧- (اء الملوك): وصف أعرابي الحسن البصري فقال: ا الملوك وسيمى العباد، وفي معناه قال الأخطل لعبد الملك بن مروان:

تسمو العيون إلى إمام عادل **معطى المهابة نافع ضرار**
ويرى عليه إذا العيون رمقنه **سيما النقي وهيبة الجبار**

وأخذه البحتري فقال في المهتدي بالله:

ملك تحييه الملوك وفوقه **سيما التقى وتخشع الزهاد**
متهجد يخفي الصلاة وقد أبى **إخفاءها أثر السجود البادي**

٢٦٨- (ميدان الخلفاء): هو عند أصحاب الأخبار عشرون سنة إلى أربع وعشرين، وهي دوران المشتري، فكأنا ا كناية عن أتم مدة للخلافة فممن بلغت مدة خلافته عشرين سنة إلى اثنتين وعشرين سنة معاوية وعبد الملك وهشام، والمنصور، والمأمون، والمعتمد، ولم يستكمل الأربعة والعشرين غير الرشيد والمقتدر.

حدث أبو العيناء، قال: حدثنا محمد بن عباد المهلبي، قال: كنا وقوفا على باب الفضل بن الربيع وهو عليل في آخر أيام الرشيد؛ إذ أقبل الرشيد عائدا له، فقال له عبد الملك بن هلال: الحمد لله يا أمير المؤمنين إذ خصك بطول البقاء، وأجازك ميدان الخلفاء. فتغير وجه الرشيد ودخل، فخرج بعقب ذلك القاسم بن الربيع يشتم عبد الملك بن هلال ويقول له: من حملك أن تذكر لأمير المؤمنين ما مضى من مدة خلافته! والله ليعيشن بعدها أربعين سنة، فما عاش بعدها إلا أقل من سنة.

قال محمد بن عباد: وكان محمد بن عبد الرحمن السكوني واقفا معنا، فأقبل علي يحدثني بنحو هذا الحديث، وذلك أن المنصور انصرف من صلاة الفطر سنة ثمان وخمسين ومائة، فجلس وهنأه الناس، ودعوا له، فقال عقال بن شيبة - وقد وضعت الموائد والمنصور يأكل: احمد الله يا أمير المؤمنين، فقد جزت ميدان الخلفاء قبلك؛ فقبض المنصور يده عن الطعام، وقال: كبرت والله يا عقال وكبر كلامك! ففطن عقال لذلك، وتلافى أمره، وقال: أجل والله يا أمير المؤمنين، لقد أحزن سهلي، واضطرب عقلي، وأنكرني أهلي، ولا أقوم والله هذا المقام بعد يومي. فسكن قوله هذا من المنصور، ولم يعش بعد ذلك إلا شهرين وأياما.

قال مؤلف الكتاب: مثل قول عبد الملك بن هلال للرشيد وعقال بن شيبة للمنصور سوء أدب في مخاطبة الملوك والكبراء، لأن فيه نعيا لهم إلى أنفسهم، وإنذارا إياهم ىء آجالهم؛ وقد حدثني السيد أبو جعفر الموسوي، قال: أنشد العباس الأرخسي الأمير نصر بن أحمد ليلة السذق الحادي والثلاثين من الأسذاق التي أقام رسومها قصيدة أولها:

مهترا بار خدايا ملك بغدادا　　　سذق ويكم برتو مبارك بادا

فقطب نصر وجهه وزوى ما بين عينيه وقال: إين شمرون ني جه بايست، وتنغص تلك الليلة ولم يسمع تمام القصيدة، ولم يسذق بعدها؛ أي لم يدر عليه الحول حتى مات.

٢٦٩- (حسن الأمين): كان يقال لكل من محمد الأمين وأخيه أبي عيسى: يوسف الزمان، لفرط جمالهما، ويقال: إن جمال ولد الخلافة انتهى إليهما، فما رأى الناس مثلهما قط إلا المعتز بعدهما، وفي أحدهما يقول أبو نواس:

أصبحت صبا ولا أقــول بمــن　　　أخاف من لا يخاف مــن أحــد

إذا تفكــرت في هــواى لــه　　　مسست رأسي هل طار عن جسدي

ويحكى أن الأمير نظر إلى أبي نواس في بعض ليالي منادمته إياه وهو ينظر إليه نظرة علق، فقال له: يا حسن، هل تشتهيني؟ فقال: معاذ الله، ومن يحدث نفسه بمثل ذلك! فقال: أقسمت عليك بحياتي إلا أخبرتني! فقال: يا سيدي إن الأموات

يشتهونك، فكيف الأحياء! فأمر بقتله، فلما جيء بالنطع والسيف أنشد أبو نواس يقول:

أميري غـير منسـوب إلى شيء مـن الحيـف
سقاني مثـل مـا يشـر ب فعل الضيف بالضيف
فلمـ ـا دارت الكـأس دعـا بالنطع والسـيف
كـذا من يشرب الراح مع التنيـن في الصـيف

فأمر بإعفائه ووصله، ويقال: إن صاحب هذه القصة هو أبو عيسى بن الرشيد.

ويروى أن رجلا حدق النظر إلى الأمين، فهم به بعض الخدم، فقال بعض الحاضرين: لا تلمه على النظر إلى زينة الله -تعالى- في عباده.

وكان الرشيد يقول للمأمون: يا عبد الله، أحب المحاسن كلها لك حتى لو أمكنني أن أجعل وجه أبي عيسى لك لفعلت.

وقال يوما لأبي عيسى وهو صبي: ليت جمالك لعبد الله - يعني المأمون؛ فقال: على أن حظه منك لي! فعجب من قوة جوابه على صباه وضمه إليه وقبله.

وقرأت رسالة لأبي إسحاق الصابي، لا أذكرها، وقد ضرب المثل فيها بحسن وجه الأمين، وغناء إبراهيم بن المهدي، وبلاغة جعفر بن يحيى، وحفظ الأصمعي، وطيب عشرة ابن حمدون، وشعر البحتري.

وقال أبو الحسن الموسوي من قصيدة يمدح ا الطائع الله:

وإذا أمير المـؤمنين أضـاف لي أملي نـزلت على الجواد المفضـل
رأي الرشيد وهيبة المنصـور في حسن الأمين ونعمـة المتوكـل

وقال أبو عبد الله المغلسي من قصيدة:

راحة تخجل السحاب ووجه يتلالا إشراقـه كالصـباح
ما جمال الأمين ما كرم المهدي مـا أريحيـة السفـ ـاح!

ومثل هذا التمثيل قول الرشيد في المأمون: والله إني لأعرف في عبد الله حزم المنصور، ونسك المهدي، وعزة نفس الهادي، ولو شئت أن أشبهه في الرابعة بنفسي

لفعلت. والله إني لأرضى سيرته، وأحمد طريقته، وأستحسن سياسته، وأرى قوته وذهنه، وآمن ضعفه ووهنه؛ ولولا أم جعفر وميل بني هاشم إلى محمد، لقدمت عبد الله عليه.

وكان المكتفي أيضا موصوفا بالجمال، وبه ضرب المثل عبد الله بن المعتز:

والله ما كلمتــه ولــو أنــه ... كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفي

قايست بين جمالــه وفعالــه ... فإذا الملاحة بالخيانة لا تفي

٢٧٠- (ليلة المتوكل): هي الليلة التي قتل فيها، وكانت ثلمة الإسلام وعنوان سقوط الهيبة، وتاريخ تراجع الخلافة. وكان ليلة الأربعاء لثلاث خلت من شوال سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، قتله باغر التركي بمواطأة المنتصر في مجلس أنسه؛ وقد أحدق به الندماء والمطربون، ودارت الكئوس، وطابت النفوس، فانقلب مجلس اللهو والطرب إلى مجلس الويل والحرب، وأكثر الشعراء في وصف هذه الوقعة؛ فمنهم أحمد بن إبراهيم الأسدي يقول من قصيدة:

هكذا فلتكن منايا الكــرام ... بين نــاي ومزهــر ومــدام

بين كاسين أورثــاه جميعــا ... كــأس لذاته وكأس الحمام

ومنهم البحتري، شهد القتل فقال من قصيدة:

لنعم الدم المسفوح ليلة جعفــر ... هرقتم، وجنح الليل سود ديــاجره

كان ولي العهد أضمر غــدرة ... فمن عجب أن ولي العهد غادره

فلا ملي الباقي تراث الذي مضــى ... ولا حملت ذاك الدعاء منــابره

وممن ضرب المثل بليلة المتوكل أبو القاسم الزعفراني حيث قال من قصيدة في فخر الدولة:

قد ألقت الــدنيا أزمتــها إلى ... ملك الملوك علي بن أبي علــي

فاطرب سرورا بالزمان وحسنه ... واشرب على إقبال دولة مقبل

كم آمن متحصن في جوســق ... قد بات منــه بليلــة المتوكــل

٢٧١- (خلافة ابن المعتز): تضرب مثلا فيما لا تطول مدته ويسرع انقضاؤه، لأنه ولي الخلافة يوما وبعض يوم، وأدركته حرفة الأدب، فلم يلبث أمره أن انحل في اليوم الثاني.

وقد كان بايعه أكثر الناس، وذلك لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين، ولقب بالمنتصر بالله، فكان أول ما تكلم به: قد حان للحق أن يتضح، وللباطل أن يفتضح.

وجرت عليه اتفاقات سوء، منها أن مؤنسا الحاجب في دار المقتدر كان بايع ابن المعتز على أن يكون حاجبه، وواطأه على أن ينفذ إليه أمر المقتدر، وصافيا الحرمي، فبلغه أن يمنا غلام المكتفي يذهب ويجيء قدام ابن المعتز كالحاجب له، وكان عدوا له يناوئه، فرجع عن رأيه وعزمه في أمر ابن المعتز، وأخذ في إحكام أمر المقتدر، وأحضر غلمان الدار، ووعدهم الزيادة في أرزاقهم، فلما أصبح ابن المعتز، وأراد الركوب إلى دار الخلافة، قال له وزيره محمد بن داود بن الجراح: ننتظر قليلا إلى أن ينفض الطريق من عامة تعرضت فيه، فقال له ابن المعتز: أهم معنا أم علينا؟ فقال: ليسوا معنا، قال ابن المعتز:

* **ليس يومي بواحد من ظلوم** *

يريد أن أهل بغداد كانوا مع المستعين على ابن المعتز، وهم الآن مع المقتدر عليه؛ ثم جد في الركوب، فقدم أمامه الجيش إلى الشارع، فلقيهم غلمان المقتدر والحشم، فرموهم ومنعوهم من النفوذ، وانكب العامة عليهم بالرجم، فلم يجدوا مخلصا ولا مسلكا، وبعث المقتدر بشذوات وطيارات فيها غلمان ومعهم خاله غريب، فتصاعدوا، فلما قاربوا الدار التي فيها ابن المعتز ومعهم المطارد ضجوا وكبروا، وكبرت العامة حول الدار، فجعل الناس يتسللون لواذا، ويرمون أنفسهم في السميريات وهرب ابن المعتز وكان متلثما، فعرفه خادم لابن الجصاص الجوهري، وسعى به حتى أخذ وحدر في طيار إلى باب الخاصة قال الصولي: فوقفت حتى رأيته من حيث لم يرني، وقد أخرج من الطيارة حافيا، وعليه غلالة قصب فوقها مبطنة بملحم خراساني، يضرب إلى الصفرة قليلا، وعلى رأسه مجلسية، فلما صار إلى مؤنس الحاجب لطمه لطمة فانكب على وجهه، وأدخل الحبس فمات، وقيل: بل

أميت بعد أيام، ولم يقدر أحد على رثائه سوى ابن بسام فإنه قال:

لله درك مـن ميت بمضـيعة ... **ناهيك في العلم والآداب والحسب**

ما فيه لـو ولا ليت فتنقصه ... **وإنما أدركتـه حرفـة الأدب**

وقال ابن علاف النهرواني قصيدة في رثاء هر، ورى ا عن ابن المعتز فقضى وطرا من حيث لم تلزمه حجة، أولها:

ياهر فارقتنـا ولـم تعـد ... **وكنت منـا بمنـزل الولـد**

فكيف ننحل عن هواك وقد ... **كنت لنـا عـدة من العدد**

ومنها:

يا من لذيـذ الفـراخ أوقعـه ... **ويحك هـلا قنعـت بالغـدد!**

أطعمك الغي لحمهـا فـرأى ... **قتلك أربا ـ ـا مـن الرشـد**

ألم تخف وثبـة الزمـان كمـا ... **وثبت في البـرج وثبة الأسـد**

تدخل بـرج الحمـام متئـدا ... **وتخرج الفـ ـرخ غـير متئـد**

وتطرح الريش في الطريق لهـم ... **وتبلع اللحـم بلـع مـزدرد**

وكان قلـبي عليـك مرتعـدا ... **وكنت تنسـاب غير مرتعـد**

عاقبـة الظلـم لا تنـام وإن ... **تأخرت مـ ـدة مـن المـدد**

لا بـارك الله في الطعـام إذا ... **كان هـلاك النفوس في المعـد**

كم أكلة خامرت حشا شـره ... **فأخرجت روحـه من الجسـد**

ما كان أغناك عن تسورك الـ ... **ـبرج ولو كان جنـة الخلـد**

ومنها:

ثم شـفوا بالحديـد أنفسـهم ... **منك ولم يربعـوا علـى أحـد**

كأ م يـذبحـ ـون طاغيـ ـة ... **كانوا لطاغو ـا مـن العبـد**

لم يرحموا صوتك الضعيف كما ... **لم ترث منها لصـو ا الغـرد**

أذاقك الموت مـن أذاق كمـا **أذقت أطيـاره يـدا بيـد**
كأن حـبلا حـوى بجودتـه **جيدك للذبح كـان من مسـد**
كأن عـيني تـراك مضـطربا **فيه وفي فيـك رغـوة الزبـد**
وقد طلبت الخلاص منه فلـم **تقدر علـى حيلـة ولم تجـد**
فاذهب من البيت خير مفتقـد **واذهب من البرج شر مفتقـد**

ومنها:

حتى اعتقـدت الأذى لجيرتنـا **ولم تكــن لــلأذى بمعتقــد**
وحمت حول الردى بظلمهـم **ومن يحم حول حوضـه يـرد**

ومنها:

إن الزمان استقاد منك ومـن **يسلم لغـير الزمـان يسـتقد**
فإن رمـاك الـردى بحادثـة **فما على الحادثات مـن قـود**

ومنها:

من لم يمت يومه يمت غده **أو لم يمت في غد فبعد غد**

٢٧٢- (جوهر الخلافه): كانت جواهر الأكاسرة وغيرهم من الملوك صارت إلى خلفاء بني أمية، ثم صارت إلى السفاح، ثم إلى المنصور، فاتخذها عدة للخلافة، وفيها كل فص ثمين، وعقد نفيس.

واشترى الربيع جوهرا بألف ألف دينار وضمه إلى جوهر الخلافة، ثم اشترى المهدي الفص المعروف بالجبل بثلثمائة ألف دينار، وضمه إلى جوهر الخلافة، ولم يزل هو والخلفاء بعده يحفظونه، ويزيدون فيه ما يقدرون عليه، ويجلب إليهم من الآفاق، وأفضت الخلافة إلى المقتدر، وفي خزانته من الجواهر مالا عين رأت ولا أذن سمعت، وفيه المعروف بالمنقاد وقيمته مالا يقدر قدره، والمعروف بالبحرة، والدرة اليتيمة، وزعموا أن وز ا ثلاثة مثاقيل، فتبسط فيه المقتدر، وقسم بعضه على الحرم، ووهب بعضه لصافي الحرمي، ووجه إلى وزيره العباس بن الحسن منه شيئا كثيرا، فرده العباس، وكتب إليه يعلمه أن هذا الجوهر زينة الإسلام، وعدة الخلافة، وأنه لا يصلح

أن يفرق، فكان ذلك أول ثقله على قلبه.

وكانت زيدان القهرمانة ممكنة من خزانة الجوهر، فاتخذت سبحة لم ير مثلها، ويضرب ا المثل في الارتفاع والنفاسة، فيقال: سبحة زيدان، كما يقال: أشقر مروان، وجامع سفيان، وعود بنان، وقد ذكر ا في باب الحلي من هذا الكتاب؛ ولما ورد علي بن عيسى من مكة إلى الوزارة قال للمقتدر بعد كلام جرى بينهما: ما فعلت بسبحة جوهر قيمتها ثلاثون ألف دينار، أخذت من ابن الجصاص؟ قال: هي في الخزانة، فقال: إن رأى سيدنا أن يأمر بطلبها؛ فطلبت فلم توجد، فأخرجها من كمه، وقال: قد عرضت علي بمصر فعرفتها فاشتريتها، فإذا كانت خزانة الجوهر لا تحفظ فما الذي يحفظ! فاشتد ذلك على المقتدر وعلى السيدة. وا مت بالسبحة زيدان، وقيل: ليس من يصل إلى خزانة الجوهر غيرها ثم أفضت الخلافة إلى القاهر ثم إلى الراضي. وقد امتدت إلى جوهر الخلافة أيدي الخونة، وأتى عليه سوء السياسة، فلم يبق منه شيء، فكأنه ذهب مع ذهاب الخلافة، وتلاشى بتلاشي المملكة؛ والله سبحانه الفاعل لما يريد.

الباب الرابع عشر

فيما يضاف وينسب إلى الكتّاب والوزراء

ومن يجري مجراهم في الدولة العباسية

بلاغة عبد الحميد. يتيمة ابن المقفع. دهن أبي أيوب. تيه عمارة. زمن البرامكة. جود الفضل بن يحيى. بلاغة جعفر. عام ابن عمار. فالج ابن أبي دواد. ضرطة وهب. خط ابن مقلة. مروءة ابن الفرات.

الاستشهاد

٢٧٣- (بلاغة عبد الحميد): هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد مولى العلاء ابن وهب العامري. روى الميداني أنه كان معلما، ثم بلغ من البلاغة مبلغا يضرب به المثل، كما قال البحتري لمحمد بن عبد الملك:

وتفننت في البلاغـة حتى عطل الناس فن عبد الحميد

وقال ابن الرومي لأبي الصقر:

لو أن عبد الحميد اليوم شاهده لكان بين يديه مذعنا وسنا

وقال عمرو بن عثمان بن إسفنديار الكاتب:

وصديق رقيق حاشية الجلسـ ـسـة صـافي زجاجـة الآداب

شـغلته الرقـاع منـه إليـه فدعا نفسـه إلى الأصـحاب

وهو في الحذق والبلاغة والنطـ ويل عبد الحميـد في الكتّـابِ

وقال بعضهم:

لست وهب بن سـليما ن بن وهب بـن سـعيد

قـد تحـدثت برغـ ـم منه عـن أمـر سـديد

أنت في معناك ذا أبـ ـلغ من عبـد الحميـد

وقال أبو إسحاق الصابي من قصيدة:

أنسيتم كتبا شـحنت فصـولها بفصول درّ عـنكم منضـود

ورسائلا نفذت إلى أطـرافكم عبد الحميد ن غـير حميـد!

ويقال: إن عبد الحميد أول من ج طرق الكتابة، وبسط من باع البلاغة، وشنف الرسائل وقرطها، ولخص فصولها وخلصها.

وكان مروان بن محمد يستكتبه ويكرمه ويقدمه، ولا يرى الدنيا إلا به.

وكان عبد الحميد: يقول: أكرموا الكتاب فإن الله تعالى أجرى أرزاق الخلق على أيديهم. وكان يقول: إن كان الوحي ينـزل على أحد بعد الأنبياء فعلى بلغاء الكتاب.

ومن غرر كلامه: العلم شجرة ثمرها الألفاظ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة.

وقيل له: ما الذي خرجك في البلاغة؟ فقال: حفظ كلام الأصلع يعني علي ابن أبي طالب.

وكان إبراهيم بن العباس الصولي يقول في رسالة له: ما تمنيت كلام أحد أن يكون لي إلا كلام عبد الحميد حيث يقول في رسالة له: الناس أصناف مختلفون، وأطوار متباينون، فمنهم علق مضنة لا يباع، ومنهم غل ظنة لا يبتاع.

ويروى أنه مر بإبراهيم بن جبلة وهو يكتب خطا رديئًا، فقال: أتحب أن يجود خطك؟ قال: نعم، قال: أطل جلفة قلمك وأسمنها، وحرف قطتك وأيمنها، قال: ففعلت ذلك فجاد خطي.

وساير عبد الحميد يوما مروان على دابة قد طالت مد ا في ملكه، فقال له مروان: قد طالت صحبة هذه الدابة لك! فقال: يا أمير المؤمنين، من بركة الدابة طول صحبتها، وقلة علتها؛ قال: فكيف سيرها؟ قال: همها أمامها، وسوطها عنا ا، وما ضربت قط إلا ظلما.

وقد حكي أن عبد الله بن طاهر خاطب المأمون في دابة رآها تحته ذا الخطاب بعينه. وقد يجوز أن يكون حكى كلام عبد الحميد.

ويحكى أن عاملا لمروان أهدى إليه غلاما أسود، فقال لعبد الحميد: اكتب إليه وذم فعله في هديته وأوجز؛ فكتب إليه: لو وجدت لونا شرا من السواد، وعددا أقل من الواحد، لأهديته.

وكتب إلى أهله وأقاربه عند هزيمة مروان كتابا قال في فصل منه - وهو

يشكو الدنيا: باعدتنا عن الأوطان، وفرقت بيننا وبين الإخوان.

ولما أيس مروان من ملكه قال لعبد الحميد: إن الأمر زائل عنا، وهؤلاء القوم - يعني بني العباس - يضطرون إليك، فسر إليهم فإني أرجو أن تتمكن منهم فتنفعني في مخلفي، وفي كثير من أموري، فقال: وكيف لي والناس جميعا يعلمون أن هذا عن رأيك، وكلهم يقول: إني غدرت بك، وصرت إلى عدوك! ثم أنشد:

وذنبي ظاهر لا شك فيه لمبصره وعذري بالمغيب

ولما زال أمر مروان أتى المنصور بخواص مروان، وفيه عبد الحميد والبعلبكي المؤذن، وسلام الحادي، فهم بقتلهم جميعا، فقال سلام: استبقني يا أمير المؤمنين فإني أحسن الحداء، قال: وما بلغ من حدائك؟ قال تعمد إلى إبل فتظمئها ثلاثة أيام ثم توردها الماء، فإذا بدأت تشرب رفعت صوتي بالحداء فترفع رءوسها وتدع الشراب، ثم لا تشرب حتى أسكت؛ فأمر المنصور بإبل ففعل بها ذلك، فكان الأمر كما قال، فاستبقاه وأجازه، وأجرى عليه.

وقال له البعلبكي: استبقني يا أمير المؤمنين فإني مؤذن منقطع القرين، قال: وما بلغ من أذانك؟ قال: تأمر جارية فتقدم إليك طستا، وتأخذ بيدها إبريقا، وتصب الماء على يدك، فأبتدئ بالأذان، فتدهش ويذهب عقلها إذا سمعت أذاني حتى تلقى الإبريق من يدها وهي لا تعلم؛ فأمر المنصور جارية ففعلت ذلك، وأخذ البعلبكي في الأذان، فكانت حالها كما وصف. وقال عبد الحميد: يا أمير المؤمنين، استبقني فإني فرد الزمان في الكتابة والبلاغة، فقال: ما أعرفني بك! أنت الذي فعلت بنا الأفاعيل، وعملت لنا الدواهي! وأمر به فقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه.

ويروى أنه سلمه إلى عبد الجبار، فكان يحمي له طستا ويضعه على بطنه حتى قتله.

٢٧٤- (يتيمة ابن المقفع): يضرب بها المثل لبلاغتها وبراعة تشبيهها، وهي رسالة في غاية الحسن، تشتمل على محاسن من الآداب، فمنها هذا الفصل الذي في ذكر السلطان: مثل قليل مضار السلطان في جنب كثير منافعه كمثل الغيث الذي هو سقيا الله وبركة السماء وحياة الأرض ومن عليها؛ وقد يتأذى به السفر، ويتداعى له البنيان، وتدر سيوله فيهلك الناس والدواب، ويموج له البحر، وتكون فيه الصواعق، فلا يمتنع الناس إذا نظروا إلى آثار رحمة الله في الأرض التي أحياها لهم، والنبات الذي

أخرجه، والرزق الذي بسطه عن أن يعظموا نعمة ر م ويشكروها، ويلغوا ذكر خواص البلايا التي دخلت على خواص الخلق، وكمثل الرياح التي يرسلها الله بشرا بين يدي رحمته فيسوق ا السحاب، ويجعلها لقاحا للأشجار، وروحا للعباد، ويتنسمون منها، ويتقلبون فيها، وتجري مياههم وفلكهم، وتقد نيرا م ا؛ وقد تضر بكثير من الناس في برهم وبحرهم فيشكوها الشاكي، ويتأذى ا. المتأذي، فلا يزيلها ذلك عن منـزلها التي جعلها الله به، وقدرها سببا لقوام عبادة وتمام نعمته. ومثل الشتاء والصيف والليل و النهار وما فيهما من قليل المضار وكثير المنافع، ولو أن الدنيا كانت كلها سواء، وكانت نعماؤها من غير كد، وميسورها من غير معسور، لكانت الدنيا إذن هي الجنة التي لا يشوب مسر ا مكروه وقد ذكر أبو تمام يتيمة ابن المقفع وأجراها مثلا في قوله للحسن ابن وهب:

ولقد شهدتك والكـلام لآلِىء تومٌ فبِكرٌ في النظـام وثيِّـبُ

فكأن قسا في عكـاظ يخطـب وكأن ليلى الأخيليـة تنـدب

وكثير عزة يوم بـين ينسـب وابن المقفع في اليتيمة يسـهب

٢٧٥- (دهن أبي أيوب): كان لأبي أيوب المورياني وزير المنصور دهن طيب الريح يدهن به إذا ركب إلى المنصور، فكان الناس إذا رأوا غلبته على المنصور وطاعة المنصور له فيما يريده يقولون: دهن أبي أيوب من عمل السحرة، إلى أن ضربوا به المثل فقالوا للذي يغلب على الإنسان: معه دهن أبي أيوب.

٢٧٦- (تيه عمارة): هو عمارة بن حمزة بن ميمون مولى بني العباس. وكان سخيا سريا جليل القدر، رفيع النفس تياها، وكان خاصا بالمنصور وقبله بالسفاح، يتولى لهما الدواوين، وكان المثل يضرب بتيهه فيقال: أتيه من عمارة، قال ميمون بن مهران: حدثني من أثق به أن عمارة كان تيهه إذا أخطأ يمضي على خطئه تكبرا عن الرجوع، ويقول: نقض وإبرام في ساعة واحدة ! الخطأ أهون من هذا.

وكان السفاح يعرفه بالكبر وعلو القدر وشدة التنـزه، فجرى بينه وبين أم سلمة المخزومية امرأته في بعض الليالي كلام فاخرته فيه بأهلها، فقال لها السفاح: أنا أحضر لك الساعة على غير أهبة مولى من موالي ليس في أهلك مثله، ثم أمر بإحضار

عمارة على الحال التي يوجد عليها، فلما أتاه الرسول وجاء به إلى السفاح وأم سلمة خلف الستر، وإذا بعمارة في ثياب ممسكة وقد غلف لحيته حتى قامت، فقال يا أمير المؤمنين، ما كنت أحب أن تراني على هذه الحالة! فرمى السفاح إليه بمدهن ذهب كان بين يديه فيه غالية فقال: يا أمير المؤمنين، هل ترى في لحيتي موضعا لها! فأخرجت أم سلمة إليه عقدا له قيمة جليلة، وقالت للخادم: أخبره أني أهديته له، فأخذه ووضعه بين يديه، وشكر للسفاح ودعا له، وترك العقد و ض. فقالت: أم سلمة للسفاح: قد أنسيه، فقال السفاح للخادم: الحقه به وقل له: هذا لك فلم خلفته؟ فأتبعه الخادم به، فلما وصل إليه قال: ما هو لي فاردده، فلما أدى إليه الرسالة قال: إن كنت صادقا فهو لك. فانصرف الخادم بالعقد، وعرف السفاح بما جرى، وامتنع من رده على أم سلمة، وقال لها: قد وهبه لي؛ فلم تزل به حتى ابتاعته منه بعشرة آلاف دينار، وأكثرت التعجب من كبر نفس عمارة.

وأراد المنصور يوما أن يعبث به، فخرج عمارة من عنده، فأمر المنصور الخدم أن يقطعوا حمائل سفيه لينظر أيأخذه أم لا؟ ففعلوا ذلك، وسقط السيف، فمضى عمارة لوجهه ولم يلتفت إليه.

وكان يوما يماشي المهدي في أيام المنصور ويده في يده، فقال له رجل: من هذا أيها الأمير؟ فقال: أخي وابن عمي عمارة بن حمزة، فلما ولي الرجل ذكر المهدي ذلك لعمارة كالممازح له، فقال له عمارة: إنما انتظرت أن تقول: ومولاي، فأنفض والله يدي من يدك؛ فضحك المهدي.

٢٧٧- (زمن البرامكة): يضرب لكل شيء حسن، كما قال الجماز: أيامنا كأ ا زمن البرامكة على العفاة. وقد أكثر الناس في وصفهم وأيامهم، قال صالح بن طريف:

يا بني برمك واها لكـم ... ولأيـامكـم المقتبلــه
كانت الدنيا عروسا بكم ... وهي اليوم ثكول أرملـه

وقال آخر:

ولى عن الدنيا بنـو برمـك ... ولو تـولى الخلـق مـازادا

كأنمـا أيـامهـم كلهـا كانت لأهل الأرض أعيـادا

ومن ضرب المثل بذلك بعض أهل العصر في قوله لمولانا الملك المؤيد خوارزم شاه:

رعى الله مأمون بن مأمون الذي رعاياه منه في زمـان البرامـك

ولا برحـت أيامـه بفعالـه وإنعامه المشهور غر الضـاحك

٢٧٨- (جود الفضل): هو الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك، وذكره أشهر وأسير من أن ينبه عليه، وكان يقال له: حاتم الإسلام، وحاتم الأجواد؛ ويقال: حدث عن البحر ولا حرج، وعن الفضل ولا حرج؛ وفيه يقول الشاعر:

مالقينا كجود فضل بن يحيى ترك الناس كلهم شعراء

ويقول يزيد بن خالد المعروف بابن حسبات:

ألم تر أن الجود من صـلب آدم تحدر حتى صار في راحة الفضل!

إذا ما أبو العباس جادت سماؤه فيالك من طل ويالك من وبـل

ويقول أبو نواس ما هو أمدح شعر للمحدثين:

أنت الذي تأخذ الأيدي بحجزتـه إذا الزمان على أنيابـه كلحـا

وكلت بالدهر عينا غير غافلـة بجود كفك تأسو كل ما جرحا

٢٧٩- (بلاغة جعفر): كان يقال: ما رأى الناس مثل ابني يحيى: الفضل في سماحته، وجعفر في بلاغته.

قال الجاحظ: قال ثمامة: كان جعفر أبلغ الناس لسانا وبيانا، قد جمع الهدوء والجزالة والحلاوة، إلى إفهام يغني عن الإعادة؛ ولو كان في الأرض ناطق يستغني عن الإشارة لاستغنى جعفر عنها كما استغنى عن الإعادة؛ وما رأيت أحدا لا يتحبس ولا يتوقف ولا يتلجلج، ولا يرقب لفظا قد استدعاه من بعده، ولا يلتمس التخلص إلى معنى قد تعاصى عليه بعد طلبه إياه إلا جعفر بن يحيى.

٢٨٠- (عام ابن عمار): هذا أحمد بن عمار بن شاذي الساكني البصري وزير المعتصم وكان من علية الناس، فلما عزله المعتصم عن وزارته أمر بأن يولى الأزمة على الدواوين، فاستعفى وقال: إني نويت أن أجاور مكة سنة، فوصله المعتصم

بعشرة آلاف دينار، ودفع إليه عشرين ألف دينار ليفرقها بالحرمين على من يرى تفريقها عليهم، ولا يعطي إلا هاشميا أو قرشيا أو أنصاريا، فقال: يا أمير المؤمنين ربما كان من غيرهم من لهم التقدم في الزهد والعلم، فإن منعته استذممت عليه، فقال: هذه خمسة آلاف دينار لهؤلاء الذين ذكر م. فحج ابن عمار وفرق المال كله مع العشرة آلاف التي له، وجاور سنة، ثم انصرف، فكان الناس يضربون به المثل، ويقولون: ما رأينا مثل عام ابن عمار.

قال مؤلف الكتاب: ويضربون المثل في زماننا هذا بعام جميلة، وهي الموصلية بنت ناصر الدولة أبي محمد بن حمدان أخت أبي تغلب، فإ ا حجت سنة ست وستين وثلثمائة، وأبانت من المروءة، وفرقت من الأموال، وأظهرت من المحاسن، ونشرت من المكارم، مالا يوصف بعضه عن زبيدة وعن غيرها ممن حجت من بنات الخلفاء والملوك.

وأخبرني الثقات أ ا سقت جميع أهل الموسم السويق بالسكر الطبرزد والثلج. وكانت استصحبت البقول المزروعة في مراكن الخزف على الجمال وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين من رجالة الحج، ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار، ولم تستصبح فيها إلا بشموع العنبر، وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتي جارية، وأغنت الفقراء وا اورين بالصلات الجزيلة، فصارت حجتها تاريخا مذكورا، وصارت مثلا مشهورا، ومن قصتها أ ا لما رجعت إلى بلدها وضرب الدهر ضرباته، وكان ما كان من استيلاء عضد الدولة على أموالها وحصو ا وممالك أهلها، أفضت ا الحال إلى كل قلة وذلة، وتكشفت عن فقر مدقع، وكان عضد الدولة خطبها لنفسه، فامتنعت وترفعت عنه، واحتقدها عليها، فحين وقعت في يده تشفى منها، وما زال يعنف ا في المطالبة بالأموال حتى عراها وهتكها، ثم ألزمها أحد أمرين: إما أن تؤدي بقية ما وقعت عليه من المال وإما أن تختلف إلى دور العمل فتكتسب فيها ما تؤديه في بقية مصادرها، فانتهزت يوما فرصة من غفلة الموكلين ا، وغرقت نفسها في دجلة، رضي الله عنها وأرضاها، وجعل الجنة مأواها.

٢٨١- (فالج ابن أبي دواد): وهو أحمد بن أبي دواد الإيادي قاضي قضاة المعتصم والواثق. وكان من الشرف والكرم بالمنـزلة العالية المشهورة، وكان

مصروف الهمة إلى استعباد الأحرار، وغرضا لمدائح الشعراء، ولما أصابته عين الكمال فلج فصار فالجه مثلا في أدواء الأشراف وعاهاتهم، كما قيل: لقوة معاوية وفالج أبان ابن عثمان، وبخر عبد الملك بن مروان، وبرص أنس بن مالك، وجذام أبي قلابة، وعمى حسان، وصمم ابن سيرين.

وكان أهل المدينة يقولون لمن يدعون عليه: أصابه الله بفالج أبان.

قال أبو هفان - وقد نظر إلى رجل يضرب غلاما له مليحا:

ألا يــا ضــاربا قمــر العبــاد … قصدت الحسن ويحك بالفساد

أتضرب مثله بالسوط عشــرا … ضربت بفــالج ابــن أبي دواد!

ومر في كتاب الأمير أدام الله تأييده المترجم بنــزهة اللواحظ، من كلام الجاحظ» فصل في أدواء الأشراف، يليق بهذا المكان، وهو من رسالة إلى محمد بن عبد الملك في الشكر: نعمتني بتوطئة المطهمات حتى أصابني النقرس، وأتخمتني بأكل الطيبات حتى ضربني الفالج، ولولاك لكنت أبعد عن النقرس من فيج، وأبعد عن الفالج من مكار، فأين شرف أدوائي من جرب الحسن بن وهب، وداء أحمد بن أبي خالد! وأين أدواء الملوك والأنبياء، من أدواء السفلة والأغبياء، ممن كان داؤه أفضل من صحة غيره، وعيبه أجمل من براءة ضده! وما ظنك بغير ذلك من أمره!.

٢٨٢- (ضرطة وهب): هو وهب بن سليمان بن وهب بن سعيد صاحب بريد الحضرة، أفلتت منه ضرطة في مجلس الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان وهو غاص بأهله، فطار خبرها بالآفاق، ووقع في ألسن الشعراء وصارت مثلا في الشهرة حتى قالوا: أشهر من ضرطة وهب، وأفضح من ضرطة وهب. وعمل أحمد بن أبي طاهر كتابا في ذكرها والاعتذار عنها بعد كلام كثير قيل فيها، كقول ابن الرومي:

ما لقينا من ظرف ضرطة وهب … تركت أهــل دهرنــا شــعراء

هي عندي كجود فضل بن يحيى … غير أن ليس تــنعش الفقــراء

وقال آخر:

يا وهب ذا الضرطة لا تبتــئس … فــإن للأستــاه أنفــاســـا

واضرط لنا أخرى بـلا كلفـة ... كأنهـا مـزقـت قرطاسـا

وقال آخر:

يا آل وهب حـدثوني عـنكم ... لم لا ترون العدل والإقساطا

ما بال ضرطتكم يحل رباطهـا ... عفوا ودرهمكم يشـد رباطـا

صروا ضراطكم المبذر صـركم ... عند السؤال الفلس والقيراطـا

أو فاسمحوا بنوالكم وضراطكم ... هيهات لستم للنـوال نشـاطا

لو جدتم بهـما معـا لوجـدتم ... فرشا لكم عند الرجال بسـاطا

لكـنكم أفـرطتم في واحــد ... وهو الضراط فعدلوا الإفراطـا

وقول أبي علي البصري:

قل لوهب البغيض يا وخش الخا ... ـقة يا ناطقـا بغـير لسـان

كانت الضرطة المشـومة نـارا ... أضرمت في جوانـب البلـدان

قتلت مفلحا وكـان لعمـري ... عدة في الحـروب للسـلطان

وقال عيسى بن القاشاني:

أقيك مـن حـر حزيـران ... بالأبعد الأقصـى وبالـداني

كأنك من بيت صديق لنـا ... منـزلـه والحبس سيـان

نبيـذه حلـو وريحانـه ... أتى له في السوق شـهران

وقينـة شمطـاء مضـمومة ... في سن نمرود بـن كنعـان

إذا تغنينـا حكـى صـوتها ... ضرطة وهب بن سـليمان

وقال أحمد بن يحيى البلاذري:

ليت طبول العيد تحكي لنـا ... ضرطة وهب بن سـليمان

فإنها كانت تـروع العـدا ... ما بـين مصـر وخراسـان

يا ضرطة لو أنهـا شـرقت ... أودت بصـنعا وسجسـتان

وقال آخر:

أيا وهب لا تجزع لإفلات ضرطة   نعاها عليك العائبون وأفرطــوا
ولا تعتذر منها وإن جل أمرهــا   فقد يغلط الحر الكريم فيضرط

وقال آخر:

لقد قال وهب إذ رأى الناس أشرفوا   لضرطته قول أمرئ غير ذي جهل
أيا عجبي للناس يستشــرفونني   كأن لم يروا بعدي ضروطا ولا قبلي!

وقال آخر:

إن وهب بن ســليما   ن بن وهب بن سعيد
حمل الضــرطة للــر   ي على ظهر البريــد
استه ينطق يوم الـ ـ   ـحفل بالقول الرشيد
لم يجد في القول فاحتا   ج إلى دبـــر مجيـــد

وقال آخر:

ومن الحوادث أن وهبا خانــه   للحين والقدر المتــاح حــذار
فغدا وضــرطته شــنار شــائع   شغلت ا عن غيرها الأشــعار
ومن البلية أ ا بشــهادة الـ ـ   ـقاضي فليس يزيلها الإنكــار

وقال أحمد بن أبي طاهر:

يــا وهــب إن ناقــة   أظمأ ـا فــ ـوردت
ونفــرت شــ ـاردة   فأبرقــت وأرعــدت
لو كنت لمــا وردت   عقلتها مــا شــردت

وقال ابن بسام:

سأذكر عن بني وهب أمــورا   وليس الغمر كالرجــل الخــبير
وأخلاق البغال إذا اســتميحوا   وضرط في ا ـالس كــالحمير

وجــوه لا ــش إلى المعــالي وأســتاه ــش إلى الأيــور

وجرى بين وهب وبين ابن أبي عون كلام في مجلس عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، فتعدى وهب على ابن أبي عون: فقال له علي بن أبي يحيى -وكان في ا لمس واحتمى لابن أبي عون: كم هذا التوثب في مجالس الأمراء، والضراط في مجالس الوزراء!

ويحكى أنه ما سمعت للمهدي مزحة سوى قوله لسليمان بن وهب - وكان في رجله خف واسع يصوت:يا سليمان، خفك هذا ضراط، فقال: يا أمير المؤمنين ضرطة خير من ضغطة.

٢٨٣- (خط ابن مقلة): يضرب مثلا في الحسن، لأنه أحسن خطوط الدنيا؛ وما رأى الراءون، بل ما روى الراوون مثله في ارتفاعه عن الوصف، وجريه مجرى السحر.

وقال الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد:

خط الوزير ابن مقله بستان قلب ومقله

وقال مؤلف الكتاب:

خط ابن مقلة من أرعاه مقلتــه ودت جوارحه لو حولت مقــلا

فالدر يصفر لاستحسانه حسدا والبدر يحمر من أنواره خجــلا

وقال أيضا:

سقى الله عيشا مضى وانقضــى بــلا رجعــة أرتجيهــا ونقلــه

كوجه الحبيب وقلب الأديــب وشعر الوليد بخط ابــن مقلــه

وكان ابن مقلة- وهو أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة - كتب كتاب هدنة بين المسلمين والروم بخطه، فهو إلى اليوم عند الروم في كنيسة قسطنطينية يبرزونه في الأعياد، ويعلقونه في أخص بيوت العبادات، ويعجبون من فرط حسنه، وكونه غاية في فنه.

ومن خبر ابن مقلة هذا أنه استوزر لثلاثة من الخلفاء: المقتدر، والقاهر، والراضي، وتنقلت به أحوال ومحن، أدت إلى قطع يده؛ ومن نكد الدهر أن مثل تلك اليد النفيسة تقطع!

قال ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة: أمرني الراضي بالله بالدخول إلى ابن مقلة آخر اليوم الذي قطعت فيه يده، فدخلت إليه فعالجته، وسألني عن خبر ابنه أبي الحسين، فعرفته خبر سلامته، فسكن إلى ذلك غاية السكون، ثم ناح على نفسه، وبكى على يده، وقال: يد خدمت ا الخلافة ثلاث دفعات، وكتبت ا القرآن دفعتين تقطع كما تقطع أيدي اللصوص! أتذكر وأنت تقول لي: إنك في آخر نكبة، والفرج قريب! قلت: بلى، قال: فقد ترى ما حلّ بي، فقلت: ما بقي بعد هذا شيء، والآن ينبغي أن تتوقع الفرج، فإنه عمل بك ما لم يعمل بنظير لك، وهذا انتهاء المكروه، ولا يكون بعد الانتهاء إلا الانحطاط، فقال: لا تغفل، إن المحنة قد تشبثت بي تشبثا تنقلني به من حال إلى حال حتى تؤديني إلى التلف كما تشبث حمى الدق بالأعضاء، فلا تفارق صاحبها حتى تؤديه إلى الموت، ثم تمثل ـذا البيت وهو لأبي يعقوب الخريمي.

إذا ما مات بعضك فابك بعضا فبعض الشيء من بعض قريب

فكان الأمر على ما قال، فلما قدم يحكم الماهاني من بغداد، نقل ابن مقلة من ذلك الموضع إلى موضع أغمض منه، فلم يوقف له على خبر، وحجبت عنه ثم قطع لسانه، وبقي في الحبس مدة طويلة، ثم لحقه ذرب، ولم يكن له من يعالجه ولا من يخدمه، حتى بلغني أنه كان يستقي الماء بيده اليسرى وفمه، ولحقه شقاء شديد إلى أن مات ودفن في دار السلطان. ثم سأل أهله بعد مدة تسليمه إليهم، فنبش وسلم إليهم، فدفنه ابنه أبو الحسين في داره، ثم نبشته حرته المعروفة بالدينارية، ودفنته في دارها بقصر أم حبيب.

قال: ومن عجائبه أنه كان يراسل الراضي بالله من الحبس بعد قطع يده، وقبل أن يقطع لسانه، ويطمعه في المال الذي وعد تصحيحه له ويقول: إن قطع يده ليس مما يمنعه أن يستوزره، لأنه يمكنه أن يوقع بحيلة يحتال ا، أو يعمل بيده اليسرى، ولقد كانت تخرج من عنده له رقاع بعد قطع يده إلى ابنه أبي الحسين وقبل أن يضيق عليه؛ ويذكر ابنه أ ا كانت بخط جيد من خطه، وأنه كان يكتب بيده اليسرى، ويسند القلم على ساعد يده اليمنى فيكتب به ومن عجائبه أنه تقلد الوزارة ثلاث دفعات لثلاثة من الخلفاء، وسافر في عمره ثلاث سفرات: اثنتين في النفي إلى شيراز،

وواحدة إلى الموصل، ودفن بعد موته ثلاث مرات.

٢٨٤- (مروءة ابن الفرات): هو أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، استوزر للمقتدر ثلاث مرات، وكان يضرب بمروءته المثل؛ فمما يذكر منها أنه كان كلما تقلد الوزارة يزيد سعر القراطيس والشمع والثلج والخيش زيادة وافرة؛ وكان ذلك متعارفا عند التجار؛ وكانت في داره حجرة شراب يوجه الناس من الكتاب والقواد غلما م من المواضع البعيدة ليأخذوا لهم منها ما يريدون من السكنجبين والجلاب والفقاع والثلج وغيرها.

وكان رسم داره أن يصحب كل من يخرج منها عند غروب الشمس شمعتين، ولا يسترجعان من خدمه .

قال الصولي: وحدثني جماعة من أهل داره أنه لما استوزر في الكرة الثانية وخلع عليه، وكان الزمان صيفا، سقى الناس في داره يوم ذلك وليلته أربعين ألف رطل من الثلج، ولما قبض عليه بعد وزارته الأولى نظر فإذا هو يجرى على خمسة آلاف من الناس، أقل جاري أحدهم خمسة دراهم في الشهر، ونصف قفيز دقيق إلى عشرة أقفزة ومائة دينار، وما بين ذلك.

ومن خبر عاقبة أمره- فيما ذكر ثابت بن سنان - أنه سلم في دولتيه الأوليين جميعا، فسلم الناس منه، وشملهم إحسانه، ولم يتعرض للنعم ولا للنفوس، واجتمع الناس على محبته والاغتمام لمحنته، واجتهدوا في خلاصه وعود أيامه، وصلحت الدنيا على يده، فلما ساعد ابنه المحسن في دولته الثالثة على ما اختار من التشفي من أعدائه، والسرف في القتل، وإزالة النعم، وإدخال الرعب سائر القلوب، ولم يظهر منه إنكار لذلك، لحقه من العقوبات في الدنيا إلى أن بلغ الآخرة ما لم يلحق أحدا من نظرائه، فإنه نصب بين البيازين، وضرب بالقلوس، وكان خاتمة أمره أن ضربت عنق ابنه بحضرته، ثم ضربت عنقه بعد أن أزيلت نعمته، وتعفى أثره، ولم تبق منه باقية.

الباب الخامس عشر

فيما يضاف وينسب إلى طبقات الشعراء

حلة امرئ القيس. يوم عبيد. حكم لبيد. حوليات زهير. صحيفة المتلمس. وقدح ابن مقبل. منديل عبدة. لسان حسان. سيف الفرزدق. بنات نصيب. غزل ابن أبي ربيعة. عين بشار. طبع البحتري. أير أبي حكيمة. تشبيهات ابن المعتز. عتاب جحظة. غلام الخالدي.

الاستشهاد

٢٨٥- (حلة امرئ القيس): تضرب مثلا للشيء الحسن يكون له أثر قبيح، والمبرة يكون في ضمنها عقوق، والكرامة يحصل منها إهلاك، وذلك أن امرأ القيس ابن حجر لما خرج إلى قيصر يستعينه على قتلة أبيه ويستنجده في الاستيلاء على ملكه، أكرمه وأمده بجيش، ثم لما صدر من عنده وشى الوشاة به إليه، وأخبروه بما يكره من شانه، وخوفوه عاقبة أمره، فندم على تجهيزه، ثم أتبعه بحلة مسمومة عزم عليه أن يلبسها في طريقه؛ فلما لبسها تقرح جلده، وتساقط لحمه، واشتد سقمه، ففي ذلك يقول:

وبدلت قرحا داميا بعد صـحة ... وبدلت بالنعماء والخير أبؤسـا

ولو أن نوما يشترى لاشـتريته ... قليلا كتغميض القطا حيث عرسـا

فلو أ ا نفس تموت صـحيحة ... ولكنها نفس تسـاقط أنفسـا

ثم لما نزل أنقرة مات ا. وإنما سمي ذا القروح لهذه القصة.

٢٨٦- (يوم عبيد): يضرب مثلا لليوم المنحوس الطالع، وكان عبيد بن الأبرص تصدى فيه للنعمان بن المنذر في يوم بؤسه الذي كان لا ينجو منه من لقيه فيه كما كان لا يخيب من لقيه في يوم نعيمه، فقال له: يا عبيد؛ إنك مقتول فأنشدني قولك:

* **أقفر من أهله ملحوب** *

فأنشده:

أقفر مـن أهلـه عبيـد ... فاليوم لا يبدي ولا يعيد

ثم أمر به فقتل، فسار يوم عبيد مثلا كما قال أبو تمام:

لما أظلتني سماؤك **أقبلـت** **تلك الشهود علي وهي شهودي**

من بعد ما ظن الأعادي أنه **سيكون** لي **يوم كيوم عبيـد**

٢٨٧- (حكم لبيد): يضرب مثلا في الميت يبكى عليه، والغائب يخترم له سنة واحدة لأن لبيدا يقول:

إلى الحول ثم **اسم السلام عليكما** **ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر**

وإلى هذا المثل يشير أبو تمام في قوله:

ظعنوا فكان بكاي حولا بعدهم ثم **ارعويت وذاك حكم لبيد**

٢٨٨- (حوليات زهير): يضرب ا المثل في جيد الشعر وبارعه: وهي أمهات قصائده، وغرر كلماته التي كان لا يعرض واحدة منها حتى يحول عليها الحول؛ وهو يجتهد في تصحيحها وتنقيحها و ذيبها؛ وكان يقول: خير الشعر الحولي المنقح المحكك.

وعهدي بالخوارزمي يقول: من روى حوليات زهير، واعتذارات النابغة، وأهاجي الحطيئة، وهاشميات الكميت،ونقائض جرير والفرزدق، وخمريات أبي نواس، وزهديات أبي العتاهية، ومراثي أبي تمام، ومدائح البحتري، وتشبيهات ابن المعتز، وروضيات الصنوبري، ولطائف كشاجم، وقلائد المتنبي؛ ولم يتخرج في الشعر فلا أشب الله -تعالى- قرنه.

٢٨٩- (صحيفة المتلمس): تضرب مثلا لمن يحمل كتابا فيه حتفه، وكان طرفة بن العبد وخاله جرير بن عبد المسيح المعروف بالمتلمس ينادمان عمرو بن هند الملك؛ فبلغه أ ما هجواه؛ فكتب لهما إلى عامله بالبحرين كتابين أوهمهما أنه أمر لهما فيهما بجوائز، وقد كان أمره بقتلهما، فخرجا حتى إذا كانا بالنجف إذا هما بشيخ في الطريق يحدث ويأكل من خبز في يده، ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه؛ فقال له المتلمس: ما رأيت كاليوم شيخا أحمق! فقال له الشيخ: وما رأيت من حمقي! أخرج خبيثا، وأدخل طيبا، وأقتل عدوا؛ وأحمق مني والله من يتحمل حتفه بيده، فاستراب المتلمس بقوله؛ وطلع عليه غلام من أهل الحيرة، فقال له: أتقرأ يا

غلام؟ قال: نعم، ففك صحيفته ودفعها إليه فإذا فيها:

أما بعد، فإذا أتاك المتلمس بكتابنا هذا فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا، فأخذها المتلمس، وقذفها في نهر الحيرة، ثم قال لطرفة: إن في صحيفتك والله ما في صحيفتي؛ فقال طرفة. كلا، لم يكن ليجترئ علي. ثم أخذ المتلمس نحو الشام فنجا برأسه، وتوجه طرفة نحو البحرين، وأوصل الكتاب إلى عاملها، فلما قرأه قال له: إن الملك قد أمرني بقتلك فاختر أي قتلة تريدها، فسقط في يده وقال: إن كان لا بد من القتل فقطع الأكحل؛ فأمر به ففصد من الأكحل؛ ولم تشد يده حتى نـزف دمه فمات، وفي ذلك يقول البحتري ويجريه مثلا في اختيار خير الشرين:

ولقد سكنت إلى الصدود من النوى ... والشري أري عند طعم الحنظل

وكذاك طرفة حين أوجس ضربه ... في الرأس هان عليه قطع الأكحل

وممن ضرب المثل بصحيفة المتلمس من قال للفرزدق، وقد أخذ كتابا من بعض الملوك إلى عامله بصلة له:

ألق الصحيفة يا فرزدق لا تكن ... نكداء مثل صحيفة المتلمس

وكتب شريح إلى مؤدب ابنه يشكوه، ويذكر لعبه بالكلاب، ويأمره بتعزيره:

ترك الصلاة لأكلب يسعى لها ... نحو الهراش مع الغواة الرجس

فليأتينك غاديا بصحيفة ... نكداء مثل صحيفة المتلمس

فإذا أتاك فخصه بملامة ... وأنله موعظة اللبيب الأكيس

فإذا هممت بضربه فبدرة ... وإذا ضربت بها ثلاثا فاحبس

وأعلم بأنك ما فعلت فنفسه ... مع ما تجرعني أعز الأنفس

وقال يعقوب بن الربيع في مرثية جاريته ملك:

حتى إذا احتبس اللسان وأصبحت ... للموت قد ذبلت ذبول النرجس

وتكاءبت منها محاسن وجهها ... وعلا الأنين تحثه بتنفس

رجع اليقين مطامعي يأسا كما ... رجع اليقين مطامع المتلمس

٢٩٠- (قدح ابن مقبل): يضرب مثلا في حسن الأثر، ويروى أن عبد الملك ابن مروان كتب إلى الحجاج: ما إن أرى لك مثلا إلى قدح ابن مقبل؛ فلم يعرف معناه، واغتم لذلك حتى دخل عليه قتيبة بن مسلم - وكان راوية للشعر، حافظا له، وعالما به - فسأله عنه، فقال: أبشر أيها الأمير ، فإنه قد مدحك، أما سمعت قول ابن مقبل وهو يصف قدحا له:

غدا وهو مجدول وراح كأنــه   من الصك والتقليب في الكف أفطــح
خروج من الغمى إذا صك صكة   بدا والعيون المســتكفة تلمــح

ويحكى عنه أنه كتب إليه مرة أخرى: أما بعد، فإنك سالم والسلام. فلم يدر ما معناه، حتى نبه على أنه أراد قول عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في ابنه سالم رضي الله عنه:

يديرونني عن سالم وأديرهم   وجلدة بين العين والأنف سالم

هكذا وجدته في غير كتاب واحد، ثم وجدت نسخة رقعة للصاحب إلى العامل بجرجان في الوصية بأبي سعد الإسماعيلي أولها: أخبرني يا سيدي وخليلي أطال الله بقاءك الصقر، قال: أخبرني أبو العباس محمد بن يزيد، قال: قلت للعتبي: كنت أحب أن أعرف موقعي من قلبك، قال: موقع سالم - يعني: سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم وموقعه من أبيه، فقد كان يكلف به حتى إنه كان يقبله؛ وقد شاخ الابن، ويقول: شيخ يقبل شيخا! وسالم الآخر مولى هاشم المقول فيه:

يديرونني عن سالم وأديرهم   وجلدة بين العين والأنف سالم

والأخ الفقيه أبو سعد أدام الله عزه عندي كسالم وسالم، بل هو كالسلامة، فهي أخص موقعا وأشرف موضعا.

٢٩١- (منديل عبدة): قال عبد الملك بن مروان يوما لجلسائه - وكان يتجنب غير الأدباء: أي المناديل أفضل؟ فقال قائل منهم: مناديل اليمن كأ ا أنوار الربيع:

وقال آخر: مناديل مصر كأ ا غرقئ البيض، فقال عبد الملك: ما صنعتم شيئا،

أفضل المناديل منديل عبدة - يعني عبدة بن الطبيب في قوله من قصيدة:

لما نــزلنا نصبنا ظل أخبيــة وفار للقوم باللحم المراجيل

وردا وأشقر لم يهنئه طابخــه وما غير الغلي منه فهو مأكول

ثمت قمنا إلى جرد مســومة أعرافهــن لأيدينــا مناديل

والأصل في هذا المعنى قول امرئ القيس:

نمش بأعراف الجياد أكفنا إذا نحن قمنا عن شواء مضهب

٢٩٢- (لسان حسّان): يضرب به المثل في الذلاقة والطول والحدة ويقال: شكره شكر حسان لآل غسان.

ولما هجا النبي ﷺ شعراء المشركين، كابن الزبعرى وكعب بن مالك، قال ﷺ: ألا رجل يرد عنا؟ فقال حسان: بلى يا رسول الله - وأشار إلى نفسه - فقال له: اهجهم وروح القدس معك؛ فو الله إن هجاءك أشد عليهم من وقع السهام في غلس الظلام، والق أبا بكر يعلمك تلك الهنات، فلما قال ذلك النبي ﷺ أخرج حسان لسانه، ثم ضرب بطرفه أنفه، وقال: والله يا رسول الله ما يسرني به مقول من معد! والله إني لو وضعته على شعر لحلقه، أو على صخر لفلقه؛ قال الجاحظ: فلا ينبغي أن يكون ما قال حسان إلا حقا، وكيف يقول باطلا والنبي ﷺ يأمره، وجبريل يسدده، والصديق يعلمه، والله يوفقه!

وقال غيره: من ظريف أمر حسان أنه كان يقول الشعر في الجاهلية فيجيد جدا، ويغبر في وجوه الفحول، ويدعي أن له شيطانا يقول الشعر على لسانه كعبارة الشعراء في ذلك؛ فلما أدرك الإسلام، وتبدل الشيطان بالملك، تراجع شعره، وكاد يرك قوله. هذا ليعلم أن الشيطان أصلح للشاعر وأليق به، وأذهب في طريقه من الركاكة. وأنا استغفر الله من هذا القول فإني أكرهه.

٢٩٣- (سيف الفرزدق): يضرب مثلا للسيف الكليل بيد الجبان، وقصته أن جريرا والفرزدق وفدا على سليمان بن عبد الملك وهو خليفة، وأمه ولادة بنت العباس العبسية وأخواله بنو عبس، وكانوا يتعصبون على الفرزدق، ويبغضونه لهجائه قيس بن عيلان، ويحبون جريرا لمدحه إياهم، فقرظوا جريرا عند سليمان، وذموا

الفرزدق، وكان سليمان عازما على قتل أسرى من أعلاج الروم، فجاء رجل من بني عبس إلى الفرزدق؛ وقال له: إن أمير المؤمنين سيأمرك غدا بضرب عنق أسير من أسرى الروم، وقد علمت أنك وإن كنت تصف السيوف وتحسن، فإنك لم تمرن ا، وهذا سيفي إنما يكفيك أن تومئ به، فيأتي على ضريبته - وأتاه بسيف مثلم - فقال له الفرزدق: ممن أنت؟ فخشي أن يقول: من بني عبس فيتهمه، فقال: من بني ضبة أخوالك، فعمل الفرزدق على ذلك، ووثق به. فلما كان من الغد وحصر الفرزدق والوفود دار سليمان وجيء بالأسرى، أمر سليمان واحدا منهم هائل المنظر أن يروع الفرزدق إذا أخذ السيف، ويلتفت إليه ويفزعه، ووعده أن يطلقه إذا فعل ذلك، ثم قال للفرزدق: قم فاضرب عنقه، فسل سيف العبسي فضربه به فلم يؤثر فيه، وكلح الرومي في وجهه، فارتاع الفرزدق، فضحك سليمان والقوم، فجاء جرير وقال يعيره:

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ... ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظـالم
ضربت به عند الإمام فأرعشت ... يداك، وقالوا محدث غير صارم

فأجابه الفرزدق بقصيدة منها:

ولا نقتلُ الأسرى ولكن نفكهم ... إذا أثقل الأعناق حمل المغـارم
فهل ضربة الرومي جاعلة لكم ... أبا ككليب أو أبا مثـل دارم!

وقال أيضا في الاعتذار من نبو السيف:

أيعجب الناس أن أضحكت سيدهم ... خليفة الله يستسقى بـه المطـرُ
لم ينب سيفي في رعب ولا دهـش ... من الأسير ولكن أخر القـدرُ
ولن يقدم نفسا قبـل ميتتـها ... جمع اليدين ولا الصمصامة الذكرُ

وقال أيضا:

فإن يك سيفي خان أو قدر أبى ... لمقدار يوم حتفه غـير شـاهد
فسيف بني عبس وقد ضربوا به ... نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

كذاك سيوف الهند تنبو ظباـــا وتقطع أحيانا منــاط القلائــد

وقرأت في رسالة لابن العميد إلى ابن سمكة: جرب - جعلت فداءك - ماقلته، واختبرني فيما ادعيته، فإن لم أفعل فدمي حلال لك، فاقتلني بسيف الفرزدق، وكلني بخل وخردل. والسلام.

٢٩٤- (بنات نصيب): كان نصيب عبدا أسود لبني كعب بن ضمرة وكان شاعرا مفلقا، ولشعره ديباجة، ولما سئل عنه جرير؛ قال: هو أشعر أهل جلدته، ولا يقال: أشعر أهل بلدته، وقد يقال لمثله: هو أشعر الناس، وإن كان فيهم من هو أشعر منه. وكان لنصيب بنات نفض عليهن من لونه، فهن يشبهنه في الأدمة والدمامة، وكان يحبهن جدا، وفيهن يقول:

ولولا أن يقال صبا نصــيب لقلت بنفسي النشأ الصــغار

بنفسي كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصار

وكان يربأ ن عن العجم، ولا يرغب فيهن العرب، فبقين معنسات ، وصرن مثلا للبنت يضن ا أبوها، فلا يرضى من يخطبها، ولا يرغب فيها من يرضاه لها، وقد ضرب ن المثل أبو تمام في شعره، حيث قال:

أما القوافي فقد حصنت عذر ا فما يصاب دم منها ولا ســلب

منعت إلا من الأكفاء منكحها وكان منك عليها العطف والحدب

ولو عضلت عن الأكفاء أيمهــا ولم يكن لك في إطهارهــا أرب

كانت بنات نصيب حين ضن ا عن الموالي ولم تحفل ا العــرب

٢٩٥- (غزل ابن أبي ربيعة): هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي؛ أغزل خلق الله وأحلاهم شعرا في الغزل، وأرقهم طبعا في النسيب. وليس له شعر في المدح والهجاء والفخر، وإنما قصر شعره كله على ذكر النساء، وصرف معظم شعره إلى الشرائف وبنات الخلائف، ولاسيما إذا حججن واعتمرن وظهر المستور من محاسنهن. وكان يذهب في طريق من قال: إني لأعشق الشرف كما يعشق غيري الجمال.

ويروى أنه ولد في الليلة التي قبض فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسمي باسمه؛ فكان الناس يقولون: أي حق رفع، وأي باطل وضع!

وقال له عبد الملك بن مروان يوما وقد سمع شعره: بئس جار الغير أنت.

وكان طاوس يقول إذا سمع شعره: ما عصي الله تعالى بشعر كما عصي بشعر عمر.

ولما قال له هشام: ما يمنعك عن مدحنا؟ قال: إني أمدح النساء لا الرجال.

ومن ظريف ما حكي عنه أن نعمي إحدى صواحباته اغتسلت في غدير فأقام عليه يشرب منه حتى جف.

وكان أخوه الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة لا يقاره على تغزله ومجونه، فبينما هو ذات يوم في منـزل عمر قد استلقى في مقيله؛ إذ دخلت عليه صاحبته الثريا، فألقت نفسها عليه، وهي تظنه عمر، فقام الحارث مغضبا يجر رداءه. وأراد أن يخرج، فتلقاه عمر وسأله عن حاله، فأخبره بحديث المرأة وإلقائها نفسها عليه، فقال أبشر يا أخي؛ فلا تمسك النار بعدها أبدا.

ولما أنشد عمر قوله:

ويوم كتنور الطواهي سـجرنه ... وألقين فيه الجزل حـتى تضـرما

قذفت بنفسي في أجيج سمومـه ... ولازلت حتى ابتل مشفرها دما

فقال له أخوه: الله أكبر! قد أخذت في فن آخر من الشعر؛ فلما أتبعهما بقوله:

أؤمل أن ألقى من الناس عالما ... بأخباركم أو أن ألم مسلما

قال له: إنك لفي ضلالك القديم.

وقد ضرب به الصاحب المثل حيث قال في رسالة له: أنت أغزل من عمر، إذا حج واعتمر.

٢٩٦- (عين بشار): كان بشار بن برد من عجائب الدنيا، وذلك أنه كان أعمى أكمه، ولم يبصر شيئا قط، وهو القائل:

كأن مثار النقع فوق رءوسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وهو القائل في وصف ذكره:

عجل الركوب إذا اعتراه نافض وإذا أفاق فليس بالركاب
وتراه بعد ثلاث عشرة قائما مثل المؤذن شك يوم سحاب

وفي عين بشار يقول مخلد بن علي السلامي، وهو يهجو إبراهيم بن المدبر ويدعو عليه:

رأيتك لا تحب الود إلا إذا ما كان من عصب وجلد
أراني الله عزك في انحناء وعينك عين بشار بن برد

٢٩٧- (طبع البحتري): يضرب به المثل، لأن الإجماع واقع على أنه في الشعر أطبع المحدثين والمولدين، وأن كلامه يجمع الجزالة والحلاوة والفصاحة والسلاسة. ويقال: إن شعره كتابة معقودة بالقوافي؛ لأن فيه مثل قوله:

فالله يبقيه لنا ويحوطه ويعزه ويزيد في تأييده

وقوله:

بقيت أمير المؤمنين فإنما بقاؤك حسن للزمان وطيب
ولا كان للمكروه نحوك مذهب ولا لصروف الدهر فيك نصيب

وقوله:

ما ضيع الله في بدو ولا حضر رعية أنت بالإحسان راعيها
أمة كان قبح الجور يسخطها دهرا فأصبح حسن العدل يرضيها

فانظر إلى شرف هذا الكلام وسهولته وصعوبته على من يقصد تعاطي مثله.

وممن ضرب بطبعه المثل السلامي، حيث قال:

وأعطيت طبع البحتري وشعره فمن لي بمال البحتري وغمره!

وقال بعض العصريين:

يا لابسا لنقاب ورد أحمر يا فارشا وجهي بورد أصفر
حتام تنحلني بخصر ناحل وتعلني بعليل طرف أحور!
يا واحدا في الحسن هأنا واحد في الحزن أصلى نار وجد مضمر

وأظـل بين **تـذلل وتحيـر** — **إذ أنت** بـين **تـدلل وتجـبر**
مالي بوصفك سيدي من طاقـة — **ولو** أنني **استمليت طبع البحتري**

٢٩٨- (أير أبي **حكيمة)**: ذكر الأعضاء ولا يؤثم، إنما الإثم في ذكرها عند شتم الأعراض، وقول الرفث في أكل لحوم الناس، وقذف المحصنات، قال النبيﷺ: «**من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا**».

وقال أبو بكر رضي الله عنه لبديل بن ورقاء حين قال للنبي ﷺ: إن هؤلاء إن مسهم حر السلاح أسلموك أعضض ببظر أمك، أنحن نسلمه!

وقال علي رضي الله عنه: من يطل أير أبيه ينتطق به.

وأير أبي حكيمة راشد بن إسحاق في كثرة ما قال في مدحه سالفا، وذمه آنفا، ووصفه بالضعف والوهن والفشل يجري مجرى المثل، وينخرط في سلك طيلسان ابن حرب، وضرطة وهب، وحمار طياب، وشاة سعيد. ولقد استفرغ شعره في ذلك، وأتى بالنوادر والملح السوائر.

ويقال: إنه كان يكتب لإسحاق بن إبراهيم المصعبي، فاتهمه بغلام له، فأخذ في هذا الفن من الشعر، تنـزيها لنفسه عن التهمة، حتى صار عادة له، فمن ملحه قوله:

لم **تكتحل عيناي مذ شـهتا** — **بمثل أيري** بين **رجلي أحـد**
أير ضعيف المتن **رث القوى** — **لو شئت أن أعقده لانعقـد**
إن يمس كالبقلـة في **لينـها** — **فطالما أصبح مثل الوتـد**

وقوله:

كأن أيري من لين **مقبضه** — **خريطة قد خلت من الكتب**
كأنه حيـة مطوقـة — **قد جعلت رأسها مع الذنب**

وقوله:

أير تعقد واسترخت مفاصـله — **مثل العجوز حناها شدة الكـبر**
يقوم حين **يريد البول منحنيـا** — **كأنه قوس نـداف بـلا وتـر**

ولا يقـوم إذا نبهتـه سـحرا كما تقوم أيور الناس في السحر

وقوله:

ينام على كفّ الفتـاة وتـارة له حركات ما تحس ا الكـف

كما يرفع الفرخ ابن يومين رأسه إلى أبويه ثم يدركـه الضـعف

وأراد كشاجم أن يتعاطى فن أبي حكيمة، فما شق غباره، على ارتفاع مقداره في الشعر حيث قال:

أصبح أيري للضعف منضـما كأنمـا فيـه نـافض الحمـى

أصفى فأشفى على الردى وغدا أصـم عمـا أرومـه أعمـى

وكـان كـالزير في تـوتره فـانحط حـتى حسـبته بمـا

لم يبـق فيـه حـظ تؤمـه سعدى ولا تسـتلذه سـلمى

٢٩٩- (تشبيهات ابن المعتز): يضرب المثل ا في الحسن والجودة، ويقال: إذا رأيت كاف التشبيه في شعر ابن المعتز فقد جاءك الحسن والإحسان.

ولما كان غذي النعمة، وربيب الخلافة، ومنقطع القرين في البراعة، يأ له من حسن التشبيه ما لم يتهيأ لغيره؛ ممن لم يروا ما رآه، ولم يستحدثوا ما استحدثه من نفائس الأشياء وطرائف الآلات؛ ولهذا المعنى اعتذر ابن الرومي في قصوره عن شأو ابن المعتز في الأوصاف والتشبيهات، فمن أنموذج تشبيهاته الملوكية قوله في وصف الهلال:

وانظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

وقوله:

ونسيم يبشر الأرض بالقطـ ـر كذيل الغلالة المبلـول

ووجوه البلاد تنتظر الغيـ ـث انتظار المحب رجع الرسول

وقوله في الخمر:

وأمطر الكأس ماء من أبارقـه فأنبت الدر في أرض من الـذهب

وسبح القوم لما أن رأوا عجبـا نورا من الماء في نار من العنـب

وقوله في الآذريون:

كـأن آذريونــها والشمس فيها عاليـه
مداهن مـن ذهـب فيها بقايـا غاليـه

ومن تشبيهاته التي تفرد ا قوله:

والريح تجذب أطراف الرداء كما أفضى الشقيق إلى تنبيه وسنان

وقوله في المعتضد:

ما يحسن القطر أن ينهل عارضه كما تتابع أيـام الفتوح له

وقوله:

أطال الدهر في بغداد همـي وقد يشقى المسافر أو يفـوز
ظللت ا على رغمي مقيما كعـنين تضـاجعه عجـوز

وقلائد تشبيهاته، ولطائف تمثيلاته أكثر من أن تحصى.

٣٠٠- (عتاب جحظة): يشبه به كل مارق ولطف، لقوله:

ورق الجو حتى قيل هذا عتاب بين جحظة والزمان

وللبديع الهمذاني من رسالة له إخوانية: بيننا عتاب لحظة، كعتاب جحظة، واعتذارات بالغة، كاعتذارات النابغة.

٣٠١- (غلام الخالدي): يضرب به المثل في الكياسة والشهامة والنفاذ في حسن الخدمة وجمع محاسن المماليك ومناقب العبيد، وهو غلام أبي عثمان الخالدي، أحد الأخوين الخالديين اللذين يهجوهما السري الموصلي، ويدعي عليهما سرقة شعره.

وحدثني أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي أن اسم هذا الغلام رشأ، وأنه رآه بعد موت مولاه أبي عثمان في ناحية أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف، قال: وهو اليوم وزير قراد العقيلي والي البلد والجامعين والقصر.

قال مؤلف الكتاب: قرأت أنا بخطه (أي بخط الغلام) في مجموعة من شعر الخالديين بخط أحد الأخوين في دفتر أعارنيه أبو نصر سهل بن المرزبان:

كتب ابن سكرة الهاشمي إلى أبي عثمان يسأله عنى، فكتب إليه:

ما هو عبد لكنه ولد   خولنيه المهيمن الصمد

وشد أزري بحسن صحبته   فهو يدي والذراع والعضد

صغير سن كبير معرفة   تمازج الضعف فيه والجلد

معشق الطرف طرفه كحل   معطل الجيد حليه جيد

وغصن بان إذا بدا، وإذا   شدا فقمري بانة غرد

ثقفه كيسه فلا عوج   في بعض أخلاقه ولا أود

ما غاظني ساعة، فلا صخب   يمر في منزلي ولا حرد

مسامري إن دجا الظلام فلي   منه حديث كأنه الشهد

خازن ما في يدي وحافظه   فليس شيء لديّ يفتقد

يصون كتبي فكلها حسن   يطوي ثيابي فكلها جدد

وحاجبي في الخفيف محتبس   عندي به والثقيل مطرد

وصيرفي القريض وزن ديـ   ـنار المعاني الجياد منتقد

ويعرف الشعر مثل معرفتي   وهو على أن يزيد مجتهد

وحافظ الدار إن ركبت فما   على غلام سواه أعتمد

ومنفق مشفق إذا أنا أسـ   ـرفت وبذرت فهو مقتصد

وأبصر الناس بالطبيخ فكا لـ   ـمسك القلايا والعنبر الثرد

وواجد بي من المحبة والرأ   فة أضعاف ما به أجد

إذا تبسمت فهو مبتهج   وإن تنمرت فهو مرتعد

ذي بعض أوصافه وقد بقيت   له صفات لم يحوها العدد

الباب السادس عشر

فيما يضاف وينسب إلى البلدان والأماكن

عزيز مصر. أسقف نجران. أبدال اللكام. ملكا بابل. جنة عبقر. حجام ساباط. قاضي منى. قاضي جبل. سحرة الهند. شيخ العراق. ظريف العراق. صوفية الدينور. لصوص الري.

الاستشهاد

٣٠٢- (عزيز مصر): في القرآن الكريم: ﴿**وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه**﴾[١]، وفيه أن إخوة يوسف قالوا له: ﴿**أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر**﴾[٢].

وكانت هذه تحية ملوكهم وعظمائهم وإلى الآن، قال بعض الظرفاء في الاقتباس من القرآن، من قصة يوسف عليه الصلاة والسلام:

أيها العزيز قد مسنا الضر جميعا وأهلنا أشتات
ولنا في الرحال شيخ كبير ولدينا بضاعة مزجاة

وقال أبو الحسن بن طباطبا، وهو يهجو حرة بني رستم:

خليلي اغتممت فعللاني بصوت مطرب حسن وجيز
عزيزة رق حافرها فأزرت برقة حافر امرأة العزيز

٣٠٣- (أسقف نجران): هو قس بن ساعدة، أحد بل أوحد حكماء العرب وبلغائهم، وقد تقدم ذكره، وضرب المثل بخطابته وبلاغته، وهو القائل:

منع البقاء تقلب الشمس وغدوها من حيث لا تمسي
وطلوعها بيضاء صافية وغروبها صفراء كالورس
اليوم أعلم ما يجيء به ومضى بفصل قضائه أمسي

---

(١) سورة يوسف ٣٠.
(٢) سورة يوسف ٨٨.

٣٠٤- (أبدال اللكام): يضرب م المثل في الزهد والعبادة ورفض الدنيا، وهو الزهاد والعباد الذين وردت في حقهم الآثار بأن الله تعالى إنما يرحم العباد ويعفو عنهم، وينظرلهم بدعائهم؛ لا يزيدون على السبعين ولا ينقصون عنها، فكلما توفي واحد منهم قام بدل عنه يسد مكانه، وينوب منابه، ويكمل عدة الأبدال. ولا يسكنون مكانا من أرض الله تعالى إلا جبل اللكام، وهو من الشام يتصل بحمص ودمشق، ويسمى هناك لبنان. ثم يمتد من دمشق، فيتصل بجبال أنطاكية والمصيصة، ويسمى هناك اللكام؛ قال المتنبي أبو الطيب:

ا الجبلان من صخر وفخر   أنافا ذا المغيث وذا اللكام

فهؤلاء الأبدال، يضافون مرة إلى لبنان، كما قال الشاعر:

وجاور جبال الشام لبنان إ ا   معادن أبدال إلى منتهى العرج

وتارة يضافون إلى اللكام، كما قال أبو دلف الخزرجي وهو يصف مجاورته لأصحاب الغايات من الدنيا والدين:

وجاورت الملوك ومن يليهم   كما جاورت أبدال اللكام

ويقال: إن تلك البلاد الشامية لم تزل على وجه الأرض متعبدات الأنبياء والأولياء من عباد بني إسرائيل وزهادهم، ومواضع مناجا م، ومحال كراما م، لاسيما موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام، وهي الآن مواطن الأبدال،وفيها عيون عذبة وأشجار كثيرة، تشتمل على كل الثمرات، لاسيما التفاح اللبناني، فإن اللبناني منه موصوف بحسن اللون وطيب الرائحة، ولذاذة الطعم، يحمل منه في القرابات إلى الآفاق، وهؤلاء الأبدال يتقوتون منها ومن السمك، ولا يفترون آناء الليل وأطراف النهار عن ذكر الله وعبادته، ولا عن اسمه والخلوة بمناجاته، إلى أن ينتقلوا إلى جواره، فطوبى لهم وحسن مآب !.

٣٠٥- (ملكا بابل): هما هاروت وماروت اللذان ذكرهما الله تعالى فقال: ﴿**وما أنـزلَ على المَلَكين ببابلَ هارُوت وماُروت**﴾[1]، يضرب ما المثل في السحر والفتنة؛ كما قال بعض أهل العصر:

(١) سورة البقرة ١٠٣.

وسائل عن دمعي السـائل وحال لوني الكاسف الحائل
قلت له والأرض في ناظري أوسع منها كفـة الحابـل
بليت واللـ ـه بمملوكـ ـة في مقلتيهـا ملكـا بابـل
أو سيف مأمون بن مأمون الـ ـقرم الهمام الملك العـادل

٣٠٦- (جنة عبقر): قال الجاحظ: هو كما تقول العرب: أسد الشرى، وذئاب الغضى، وبقر الجواء، ووحش وجرة، وظباء جاسم؛ فيفرقون بينها وبين ما ليس كذلك، إما في الخبث والقوة، وإما في السمن والحسن؛ فكذلك يفرقون أيضا بين مواضع الجن، فإذا نسبوا الشكل منها إلى موضع معروف فقد خصوه من الخبث والقوة والعرامة بما ليس لجملتهم؛ قال لبيد:

ومن فاد من إخوا م وبنيهم كهولا وشبانا كجنة عبقر

وقال:

غلب تشذر بالذحول كأ ا حن البدري رواسيا أقدامها

وقال النابغة:

سهكين من صدأ الحديد عليهم تحت السوابغ جنـة العبقار

وقال حاتم:

عليهن فتيان كجنة عبقري يهزون بالأيدي الوشيج المقوما

وقال زهير:

بخيل عليها جنة عبقرية جديرون يوما أن ينالوا ويستعلوا

قال: ولذلك قالوا: لكل شيء فائق أو شديد: عبقري، وفي القرآن: ﴿**وعبقَرِيٍّ حِسانٍ**﴾ [(١)]؛ وفي الحديث في صفة عمر -رضوان الله عليه: " **فلم أر عبقريا يفري فريه**" وقال أعرابي: ظلمني والله ظلما عبقريا.

٣٠٧- (حجّام ساباط): يضرب به المثل في الفراغ، يقال: أفرغ من حجام ساباط، كما يضرب المثل في الشغل بذات النحيين، فيقال: أشغل من ذات النحيين، ومن خبره أنه كان حجاما ملازما لساباط المدائن، فإذا مر به جند، وقد ضرب

---

(١) سورة الرحمن ٧٦.

عليهم البعث حجمهم نسيئة بدانق واحد إلى وقت قفولهم؛ وكان مع ذلك يمر به الأسبوع والأسبوعان ولا يدنو منه أحد، فعندها يخرج أمه فيحجمها، ليرى الناس أنه غير فارغ، فما زال ذلك دأبه حتى نزف دم أمه، فماتت فجأة وسار فراغ الحجام مثلا.

وسمعت الخوارزمي يقول: إن هذا الحجام حجم مرة كسرى أبرويز فأمر له بما أغناه عن الحجامة؛ فكان لا يزال فارغا مكتفيا، يضرب بفراغه المثل كما قال ابن بسام:

دار أبي جعفر مفروشــة ما شئت من بسط وأسماط

وبعد ما بينك من خبــزه كبعد بلخ من سميســاط

مطبخه قفــر وطباخــه أفرغ من حجام ســاباط

وكان ابن الرومي إذا ذكر أبا حفص الوراق في شعره يسميه وراق ساباط كما قال:

دعني وإيا أبا حفص سأتركه حجام ساباط بل وراق ساباط

٣٠٨- (قاضي منى): يضرب به المثل في احتمال المشقة والتزام المؤونة معا، وربما يقال: أرخص من قاضي مني؛ أنشدني أبو بكر الخوارزمي لغيره:

قلت زوريني فقالت عجبا أتراني يا فتى قاضي منى!

إذ يصلي وعليــه زيهــم أنت واني وآتيك أنـا!

٣٠٩- (قاضي جبل): يضرب به المثل في الجهل، فيقال أجهل من قاضي جبل. وجبل: مدينة من طسوج كسكر، وكان قاضيها أغر محجلا في التخلف، فرفع إلى المأمون أنه يعض الخصوم، فوقع: "يزنق"، وكان هذا القاضي قضى لخصم جاءه وحده، ثم نقض حكمه لما جاءه الخصم الآخر، ففيه يقول محمد بن عبد الملك:

قضى لمخاصم يومــا فلمــا أتاه خصمه نقض القضــاء

دنا منك العدو وغبت عنــه فقال بحكمه ما كــان شــاء

فهذا المثل سائر بالعراق في قاضي جبل، كما أن المثل سائر بالحجاز في قاضي منى، وقاض ثالث يضرب به المثل فيما وصفه به أبو إسحاق الصابي، حيث قال:

يارب علــج أعلــج مثل البعير الأهــوج

رأيتــه مطلعــا من خلف باب مرتج
وخلفه دنيــة تذهب طورا وتجي
فقلت قاضي إيذج فقال قاضي إيذج

وقاض رابع يضرب به المثل أهل جرجان وطبرستان في اضطراب الخلقة، وهو قاضي شلمبه، أنشدني أبو نصر العميدي، قال: أنشدني أبو الحسين بن الجوهري لنفسه:

رأيت رأســا كدبــه ولحيــة كالمذبــه
فقلت ذا التيس من هو؟ فقال: قاضي شلمبه

٣١٠- (سحرة الهند): يضرب م المثل، لأن للهند السحر والرقي والتدخين والحساب والشطرنج وخرط التماثيل، كما أن للعرب البيان والشعر والفروسية والقيافة، وللروم الطب والتنجيم والقرسطون واللحون والتصاوير والبناء، وللفرس السياسة والعمارة واستعمال علوم الأمم.

٣١١- (شيخ العراق): كان يقال ذلك بالإطلاق للمهلب بن أبي صفرة. ولما وفد عليه زياد الأعجم وهو يقاتل الأزارقة بتوج، أكرمه وأنزله على حبيب ابنه، وقال له: أحسن قراه، فجلسا يوما يشربان في بستان، فغنت حمامة على فنن، فطرب لها زياد، فقال حبيب: إ ا فاقدة إلف كنت أراه معها، فقال زياد: هو أشد لشوقها، وأنشأ يقول:

تغني أنت في ذممي وعهدي وذمة والدي ألا تضاري
فإنك كلما غردت صوتا ذكرت أحبتي وذكرت داري
فإما يقتلوك طلبت ثأراً لأنك يا حمامة في جواري

فضحك حبيب، ودعا بقوس بندق ورماها ببندقة، فسقطت ميتة. فنهض زياد مغضبا، وقال أخفرت يا حبيب ذمتي، فقتلت جارتي! وسار إلى المهلب وشكاه إليه فغضب له وقال لحبيب: أما علمت أن جار أبي أمامة جاري، وأن ذمته ذمتي! والله لألزمنك دية الحر والعبد، فأخذ من ماله ألف دينار ودفعها إلى زياد، فقال من قصيدة له:

فلله عينا مـن رأى كقضـية ... قضى لي ا شيخ العراق المهلب

قضي ألف دينار لجـار أجرتـه ... من الطير إذ يبكي شجاه ويندب

فرفع خبره إلى الحجاج فاستحسنه، وقال: لشيء ما سودت العرب المهلب!

٣١٢- (ظريف العراق): هو شراعة بن الزندبور، يضرب به المثل في الظرف. ولما بلغ الوليد بن اليزيد خبره أمر بإحضاره إليه، فرأى به ما يزيد خبره على خبره، وكان مما دار بينهما أن قال له الوليد: ما تقول في الشراب؟ قال: عن أيه تسألني يا أمير المؤمنين؟ قال: ما تقول في الماء؟ قال هو قوام البدن، ويشاركني فيه الحمار، قال: ما تقول في اللبن؟ قال: ما نظرت إليه إلا استحييت من أمي لطول إرضاعها إياه لي، قال: ما تقول في الخمر؟ قال : آه صديقة روحي! قال: فأنت أيضا صديقي، فاقعد، فقعد وانبسط، ثم سأله عن أصلح الأمكنة للشرب، فقال: عجبت ممن تحرقه الشمس ولم يغرقه المطر، كيف لا يشرب إلى مصحرا! فوالله ما شرب الناس على وجه أحسن من وجه السماء، وصفو الهواء، وخضرة الكلأ، وسعة الفضاء، وقمر الشتاء.

٣١٣- (صوفية الدينور): يضرب م المثل لكثر م ا، واستيطان أعيا م إياها، ونفاق مذهبهم فيها، كما يقال: حكماء يونان، وصاغة حران، وحاكة اليمن، وكتاب السواد، وفعلة سجستان، ولصوص طوس، وجرابزة مرو، وملاحو بخارى، وصناع الصين، ورماة الترك، وقحاب الهند.

٣١٤- (لصوص الرّيّ): دخل أبو عباد ثابت بن يحيى إلى المأمون، وهو يختال في مشيته، فقال المأمون:

رهو خراسان وتيـه النـبط ... ونخوة الخوذ وغدر الشـرط

اجتمع فيك ومـن بعـد ذا ... أنك رازي كـثير الغلـط

قال الصولي: أراد بقوله: "رازي كثير الغلط" أنه يرتفق، فنسبه إلى اللصوصية؛ لأن اللص الحاذق ينسب إلى الري.

ومثل بيتي المأمون ما أنشده الأصمعي:

إذا ما بدا عمرو بدت منه صورة ... تدل على مكنونه حين يقبل

بياض خراسان، ولكنة فـارس   وجثة رومي، وشعر مفلفل

الباب السابع عشر

فيما يضاف وينسب إلى أهل الصناعات

سرى القين. راية بيطار. راحة صباغ. حمار القصار. كلب القصاب. بيت الإسكاف، حرص النباش. تيه المغني. جنون المعلم. رغفان المعلم. كذب الدلال. كذب الصناع. قسوة الفدادين.

الاستشهاد

٣١٥- (سرى القين): يضرب مثلا لمن يظهر الشخوص، وهو مقيم، ويعرف بالكذب فلا يصدق وإن صدق، وأصله أن القين - وهو الحداد بالبادية - ينتقل في مياه القوم، فإذا كسد عليه عمله قال لأهل الماء: إني راحل عنكم الليلة - وإن لم يرد ذلك ، ولكنه يشيعه ليستعمله من الناس من يريد استعماله - ولما كثر ذلك من قوله قالوا: إذا سمعت بسرى القين، فاعلم أنه مصبح.

وللبديع الهمذاني من رقعة: شر الحمام الداجن، ومقيم الماء ياجن،وإنك لتؤذن بالبين، ثم تصبح عن سرى القين. ويلك ما هذه الرعونة، والأخلاق الملعونة!

٣١٦- (راية بيطار): يضرب مثلا في الشهرة، فيقال: أشهر من راية بيطار: قال الشاعر وهو يصف رجلا بطول اللحية:

فقد صار ا أشهـ ـر من راية بيطار

٣١٧- (راحة صباغ): يضرب مثلا لما يستقبح، ويشبه بما ليس يستنظف، وأنشد الجاحظ لأبي المنهمر مولى تميم:

وصفت بجهدي وجه حفص وخلقه ... فما قلت فيه واحدا من ثمانيـه

لهازم مجنـون وخلقـه كـافر ... وتقطيع كشخان ورأس ابن زانيـه

ولحيـة فـواد وعـين مخنـث ... وجبهة مـأبون ينـاك علانيـه

وراحة صباغ وصدرة حائـك ... ومرفق سقط رد في الـرحم ثانيـه

٣١٨- (حمار القصار): يضرب به المثل فيمن يصير إلى الخوف وسوء القرى، فيقال: كان يوم فلان كحمار القصار، إن جاع شرب، وإن عطش شرب.

٣١٩- (كلب القصاب): يضرب مثلا للفقير يجاور الغني، فيرى من نعيم جاره وبؤس نفسه، ما تتنغص معه معيشته.

والعامة تقول: كلاب القصابين أسرع عمى من غيرها بعشرين سنة؛ لأ ا لا تزال ترى من اللحوم ما لا تصل إليه، فكأن رؤية ما تشتهيه وتمنع منه يورثها العمى.

٣٢٠- (بيت الإسكاف).يضرب به المثل، فيقال: بيت الإسكاف فيه من كل جلد رقعة، ومن كل أدم قطعة؛ كما يقال: هم كبيت الأدم، إذا كانوا مختلفين، وفيهم الشريف الوضيع، قال الشاعر:

الناس أصناف وشتى في الشيم وكلهم يجمعهم بيت الأدم

قال بعضهم: يعني أديم الأرض الذي يجمعهم على اختلافهم.

٣٢١- (حرص النباش): ذم رجل رجلا فقال له: كياد مخنث، ووقاحة نائحة، وشره قواد، وملق داية، وبخل كلب، وحرص نباش.

٣٢٢- (تيه المغني): يضرب به المثل؛ كما قال أبو نواس:

*** تيه مغن وظرف زنديق ***

وكما قال الآخر:

جمعت الذي لو كان يؤلم من أذى فيشكو لهانت عنده أم ملـدم

غباوة أصحاب الحديث ونوكهم وتيه المغني في جنـون المعلـم

٣٢٣- (جنون المعلم): قد جرى المثل بجنون المعلمين لفساد أدمغتهم؛ كما قال الشاعر:

معلم صبيان يـروح ويتغـذى على أنفه ألوان ريح فسـائهم

وقد أفسدوا منه الدماغ بفسوهم ورفعهم أصوا م في هجـائهم

وأبلغ ما قيل في ذمهم ما أنشده الجاحظ لصقلاب المعلم:

وكيف يرجى العقل والحزم عند من يروح إلى أنثى ويغدو إلى طفل!

وأنشد لغيره في معناه:

متى يأت المعلم يوم خير ولم يعرف سوى أنثى وطفل!

وأنشد:

فإن كنت قد بايعت مروان طائعا فصرت إذن بعد المشيب معلما
وفارقت قومي مؤثرا لعـدوهم وأصبحت فيهم ذاهل العقل مفحما

وفي كتاب "جراب الدولة" أن معلما مر في النظارة إلى حرب، فأصاب رأسه سهم، فقال أصحابه: ينبغي أن ينـزعه رفقا به لئلا يفسد دماغه، فقال المعلم: انـزعوه كيف شئتم، فلو كان لي دماغ ما أتيت الحرب.

٣٢٤- (رغفان المعلم): يضرب ا المثل في الاختلاف وشدة التفاوت؛ لأن رغفان المعلم تختلف بحسب اختلاف آباء الصبيان في الغنى والفقر والجود والبخل، كما قال من هجا الحجاج وذكر أنه كان معلما:

أينسى كليب زمانا مضى وتعليمة سورة الكـوثر
رغيفا له فلكة ما تـرى وآخر كـالقمر الأزهـر

وأنشد الجاحظ للرقاشي في ذكر معلم:

مختلف الخبز خفيف الرغيف منتثر الزاد لئيم الوصيف

وأنشد لأبي الشمقمق:

خبز المعلم والبقال متفق واللون مختلف والطعم والصور

وقال ابن الميساني:

أما رأيت بني زيد قد اختلفـوا كأ م خبـز بقـال وكتّـاب
هذا كريم وهذا حنبـل جحـد يمشون خلف عمير صاحب الباب

وذكر بعض البلغاء قوما مختلفين، فقال: قزع الخريف، وإبل الصدقة ورغفان المعلم.

٣٢٥- (كذب الدلال): يقال إن أمر الدلال لا يتمشى بغير الكذب، فهو يثابر عليه؛ ويقال: لكل أحد رأس مال، ورأس مال الدلال الكذب.

ويروى أنه أول من دل إبليس حيث قال: ﴿**هلْ أدُلك على شجرة الخُلْدِ ومُلْكٍ لا يبلى**﴾[1] .

---

(١) سورة طه ١٢٠.

٣٢٦- (كذب الصناع): قال ابن سمكة في كتابه: من أمثالهم: أكذب من صنع؛ وهو الصـانع العامل بيده، وفي الحديث: «**ويل لعامل يد من غد، وبعد غد**». وفيه أيضاً: «**أكذب أمتي الصواغون والصباغون**».

٣٢٧- (قسوة الفدادين): هم الأكرة الذين يرفعون أصوا م في سياقة البقر والحمير. والفديد: الصوت الشديد. وفي الخبر: "إن الجفاء والقسوة في الفدادين"؛ وجهل هؤلاء متعارف مشهور.

الباب الثامن عشر
في الآباء والأمهات الذين لم يلدوا
والبنين والبنات الذين لم يولدوا

الفصل الأول في الآباء

أبو الضيفان. أبو مرة. أبو يحيى، أبو الذبان. أبو دثار. أبو سريع. أبو براقش. أبو قلمون. أبو رياح. أبو عمرة. أبومالك. أبو عذرة. أبو مثوى. أبو العجب. أبو البيضاء. أبو الطريف. أبو قبيس. أبو ضوطرى. أبو ليلى أبو أيوب. أبو الأخطل. أبوزياد. أبو جعدة. أبو خالد.

الاستشهاد

٣٢٨- (أبو الضيفان): هو إبراهيم عليه السلام، لأنه أول من قرى الضيف، وسن لأبنائه العرب القرى، وكان إذا أراد الأكل بعث أصحابه ميلا في ميل يطلبون ضيفا يؤاكله، وقد تقدم ذكر "ضيفه المكرمين".

٣٢٩- (أبو مُرّة): هو إبليس، وإنما يكنى ـذه الكنية، لأن الشيخ النجدي الذي ظهر إبليس في صورته؛ فأشار على قريش بأن يكونوا سيفا واحدا على النبي ﷺ كان يكنى أبا مرة؛ أنشدني الخوارزمي لنفسه من أبيات:

ويا من صبر يوم عنـــه في حكم الهوى كفره
ويا من طرفــه جــيش كثيـــف لأبي مـــــرّة

ولابن الحجاج:

فما تلاقينا سوى مرة حتى أتى الشيخ أبو مره

وللصاحب من رسالة مداعبة: وأرجو أن يساعدنا الشيخ أبو مرة، كما ساعده مرة، فنصلي للقبلة التي صلى عليها، ونخطب على الدرجة التي خطب عليها.

٣٣٠- (أبو يحيى): يقال لقابض الأرواح: أبو يحيى، كما يقال للحبشي: أبو البيضاء، وللأعمى: أبو البصير، أنشدني أبو بكر الخوارزمي لنفسه من قصيدة:

سريعة موت العاشقين كأنما ... يغار عليها من هواهم أبو يحيى

وله من قصيدة مرثية:

أعوذه من نفحة الريح خيفـة ... عليه، ورجل الموت تطلبه عجلى

وأدعو له بالعمر في كل مشهد ... ويضحك مني في الكمين أبو يحيى

٣٣١- (أبو الذبان): كني بذلك عبد الملك بن مروان لشدة بخره وموت الذبان إذا دنت من فمه. ويحكى أنه عض يوما تفاحة ورمى ا إلى بعض نسائه، فدعت بسكين فقطعت موقع عضته، فقال لها: ما تصنعين؟ قالت: أميط عنها الأذى؛ فطلقها من وقته.

٣٣٢- (أبو دثار): يقال للكلة التي يتوقى ا من البعوض، وهي على صورة بيت يخاط من ثوب رقيق يستشف ما وراءه، ولا يجد البعوض متخللا فيه: أبو دثار، قال الشاعر، وهو من ظريف القريض:

لنعم البيت بيت أبي دثار ... إذا ما خاف بعض القوم بعضا

٣٣٣- (أبو سريع): هو النار في العرفج، وأنشد:

لا تعدلن بأبي سريع ... إذا غدت نكباء بالصقيع

ونار العرفج أسرع النيران التهاما، وهي نار الزحفتين، وسيمر ذكرها في باب النيران.

٣٣٤- (أبو براقش): طائر منقش بألوان النقوش يتلون في اليوم ألوانا، ويضرب به المثل للمتلون، قال الشاعر:

إن يغدروا أو يجبنـوا ... أو يبخلوا لا يحفلـوا

يغدو عليك مرجلـ ... ـن كأ م لم يفعلـوا

كأبي براقش كل يـو ... م لونـه يتحـول

ويروى: "يتخيل" أي: يصير كالأخيل، قال الخليل: هو طائر من طير البر يشبه القنفذ، أعلى ريشه أغبر، وأوسطه أسود وأحمر، فإذا أهيج انتفش وتغير لونه.

٣٣٥- (أبو قلمون): هو في الثياب كأبي براقش في الطير، فإن أبا قلمون:

يتلون وأبا براقش يتخيل، أبو قلمون كنية لثياب إبريسم وكتان تنسج بالروم ومصر، يضرب ا المثل، يقال: أكثر تلونا من أبي قلمون، وكما قال الشاعر:

أنا أبا قلمون في **كل لون أكون**

وقال أبو بكر الخوارزمي في أبي طاهر الكرماني الكاتب:

والله لا فارقت كفي قفاه لم **ينسج أبو قلمون** في **نواحيه**

٣٣٦- (أبو رياح): تمثال فارس من نحاس بمدينة حمص على عمود حديد فوق قبة كبيرة بباب الجامع، يدور مع الريح حيث هبت، ويمينه ممدودة وأصابعها مضمومة إلا السبابة، فإذا أشكل على أهل حمص مهب الريح عرفوا ذلك به، فإنه يدور بأضعف نسيم يصيبه، ولذلك كني بأبي رياح؛ وقد يقال للرجل الطائش الذي لا ثبات له: أبو رياح؛ تشبيها به، وقيل:

أف لقاض لنــا وقــاح **أمسى بريئا من الصــلاح**

كأنــه قبــــة عليهــا **غراب نوح بلا جنــاح**

وليس في **الرأس منه شيء** **يــدور إلا أبــو ريــاح**

ويحكى أن أبا عبادة دخل على المتوكل، وبين يديه جام من ذهب فيه ألف دينار، فقال: يا أبا عبيدة، أسألك عن شيء، فإن أجبتني على البديهة من غير أن تفكر أو تتمتم فيه، فلك الجام بما يحويه، قال: سل يا أمير المؤمنين، قال: أي شيء له اسم وليست له كنية؟ وأي شيء له كنية وليس له اسم؟ قال: المنارة، وأبو رياح، ولم يفكر في الجواب؛ فعجب المتوكل من سرعة خاطره، وأعطاه الجام بما فيه.

٣٣٧- (أبو عمرة): كنية الإفلاس، وكنية الجوع، قال أبو فرعون الشاشي:

إن أبا عمرة حل حجرتي **وحل نسج العنكبوت برمتي**

وقال آخر:

يا بن المحامين عن الأحساب **إن أبــا عمرة** في **جرابي**

__قد ألصق است بابه ببابي__

فقلبه كعادة الشعراء؛ وكان حقه أن يقول: "ألزق باب استه ببابي".

وأنشد أبو عمرو لبعضهم:

إن أبا عمرة شر جار يجرني في **ظلم الصحاري**

*** جر الذئاب جيفة الحمار ***

٣٣٨- (أبو مالك): كنية الجوع، وكنية الكبر، قال الشاعر في كُنية الجوع:

أبو مالك يعتادنا في الظهائر يلم فيلقي رحله عند جابر

والعرب تسمي الخبز جابرا وعاصما وعامرا

وأنشد أبو عبيدة لبعض الأعراب في كنية الكبر:

أبا مالك إن الغواني هجرنني أبا مالك إني أظنك دائبا

أي غير زائل؛ وإنما كني بهذه الكنية، لأنه يملك الرجل فيلزمه ولا يفارقه.

وأنشد أبو عبيدة أيضا:

بئس قرينا اليفن الهالك أم عبيد وأبو مالك

وأم عبيد كنية المفازة.

٣٣٩- (أبو عذرة): يقال: فلان أبو عذرة هذا الكلام، أي هو الذي اخترعه ولم يسبقه إليه أحد. وهو مستعار من قولهم: هو أبو عذرها، أي هو الذي افتضها، ويقال: إن المرأة لا تنسى أبا عذرها.

٣٤٠- (أبو مثوى): أبو مثواه، أي صاحب رحله الذي نـزل به وضافه، يقال: من أبو مثواك؟ أي: على من نزلت؟: والمثوى: النزل.

٣٤١- (أبو العجب): كنية المشعبذ، وقد قيل: المشعوذ من الشعوذة؛ وهي السرعة والخفة، ولا أصل لها في العربية؛ وهي مخاريق، خفة في اليد، وتصوير للباطل في صورة الحق، وقال أبو تمام:

*** ما الدهر في فعله إلا أبو العجب ***

وقال ابن الرومي في البحتري:

البحتري ذنوب الوجه نعلمه وما رأينا ذنوبا قط ذا أدب

أولى بمن عظمت في الناس لحيته من حاكة الشعر أن يدعى أبا العجب

٣٤٢- (أبو البيضاء): كنية الحبشي، كما يكنى المكفوف أبو البصر، قيل:

أبو غالب ضد اسمه واكتنائه كما قد نرى الزنجي يدعى بعنبر

ويكنى أبا البيضاء واللون أسود ولكنهم جاءوا بها للتطير

٣٤٣- (أبو طريف): كنية الفرج، وأنشد لابن أحمر:

قالت فأهد لنا إزارا معلما فأبو طريف ما عليه إزار

ويكنى أيضا بأبي الجنيد، وأبي الزردان، كما يكنى الذكر بأبي جميح، وأبي رميح، وأبي عوف.

٣٤٤- (أبو قبيس): جبل بمكة، قال أبو الفتح البستي:

عصا السلطان فابتدرت إليه جنود يقلعون أبـا قبيس

٣٤٥- (أبو ضوطرى): إذا سبت العرب إنسانا قالت له: أبو ضوطرى وأبو حباحب وأبو جخادب، وأنشد:

أبا ضوطري جدعا بأنفك كلما تشبهت بالسادات والكبراء

٣٤٦- (أبو ليلى): كنية لمن يحمق، وكذلك أبو أدراص، وقالوا: أبو دفار، كما قالوا في الكنية الأولى: أبو مرة، وهما عن العرب.

٣٤٧- (أبو أيوب): كنية الجمل، وكذلك أبو صفوان، قال ابن الرومي، وهو يهجو أبا أيوب سليمان بن عبد الله بن طاهر:

يا أبا أيوب هـذي كنيـة من كنى الأنعام قِدما لم تزل

ولقد وفـق مـن كناكهـا وأصاب الحق فيها وعـدل

قد قضى قول لبيـد بيننـا: "إنما يجزى الفتى ليس الجمل"

٣٤٨- (أبو الأخطل): كنية البغل، وكذلك أبو قموص. وقدمت بغلة إلى أعرابية لتركبها فقالت: لعلها أبو حبوص، بغلة شحذوذ، أو كما يكنى به قموص. والشحذوذ: السيئ الخلق، والحبوص: الشديد العدو.

٣٤٩- (أبو زياد): كنية الحمار، وكذلك أبو نافع، قال الشاعر وهو يهجو زياد بن أبي زياد:

زياد لست أدري من أبوه ولكن الحمار أبو زيـاد

وأبو زياد كنية الذكر أيضا، قال الشاعر:

تحاول أن تقيم أبا زياد ودون قيامه شيب الغراب

٣٥٠- (أبو جعدة): كنية الذئب، قال عبيد بن الأبرص:

هي الخمر لا شك تكنى الطلا كما الذئب يكنى أبا جعده

يضرب مثلا لمن يبر باللسان وهو يريد لصاحبه الغوائل. ومعنى البيت أن الذئب وإن كان له كنية حسنة، فإن فعله قبيح.

وفي الحديث: إن عبد الله بن الزبير سئل عن المتعة؟ فقال: الذئب يكنى أبا جعدة؛ ويريد أن أبا جعدة كنية حسنة للذئب؛ وهو خبيث، كذلك المتعة تحسن باسم التزويج وهي فاسدة.

وقال ابن شبرمة:

يا خليلي إنمـا الخمـر ذئـب وأبو جعـدة الطـلاء المريـب

ونبيذ الزبيب ما اشـتد منـه فهو للخمر والطـلاء نسـيبُ

٣٥١- (أبو خالد): كنية الكلب، قال ابن الرومي

أخالد لا تكذب ولست بخالـد هنالك بل أنت المكـني بخالـد

وللكلب خير منك، لؤمك شاهد عليك، وما دهري بإبعاد شاهد!

* * *

وهذه قطعة مما اخترته من هذه الكنى بعد أن ألغيت منها الكثير، بعضها عن العرب، وبعضها عن المولدين والصوفية:

الفرس: أبو المضاء، وكذلك أبو طالب.

الفيل: أبو الحجاج، وبه يكنى في بلاد الهند، وكانت كنية الفيل الذي جاءت به الحبشة إلى مكة أبا العباس، واسمه محمود.

الأسد: أبو الحارث.

الثعلب: أبو الحصين.

القرد: أبو زنة وأبو قيس.

الفهد: أبو الوثاب.

الأرنب: أبو نبهان.

السنور: أبو خداش.

الديك: أبو يقظان.
الماء: أبو غياث.
السفرة: أبو رجاء.
الخوان: أبو جامع. وأبو الخير.
الرقاق: أبو حبيب.
الثريد: أبو رزين.
البقل: أبو جميل.
الخل: أبو نافع.
الجوذاب: أبو الفرج.
الجبن: أبو مسافر.
اللحم: أبو الخصيب.
الخبيص: أبو الطيب.
التمر: أبو عون.
الحلوى: أبو ناجع.
الفالوذج: أبو سائغ.
السكباج: أبو عاصم.
اللبن: أبو الأبيض.
الشراب: أبو المهنأ.
النقل: أبو بشر.
البربط: أبو الشهي.
المزمار: أبو الصخب.
الطنبور: أبو اللهو.
الغناء: أبو شائق.
النوم: أبو راحة.
الشبع: أبو الأمن.
النكاح: أبو الحركة.

الحمام: أبو نظيف.

*   *   *

الفصل الثاني في الأمهات

أم الكتاب.أم القرى. أم النجوم. أم المؤمنين. أم الحروف. أم دفر. أم الرأس. أم الطعام. أم سويد. أم عامر. أم حبين. أم عوف. أم طلحـة. أم ملـدم. أم المنايا. أم قشعم. أم طبق. أم الخل. أم الصبيان. أم عبيد. أم غيلان. أم الجود. أم الصدق.

الاستشهاد

٣٥٢- (أم الكتاب): جاء في بعض الأحاديث أن أم الكتاب هي فاتحة الكتاب، لأ ا هي المقدمة أمام كل سورة تقرأ في الصلاة، وهي أول القرآن، ولقد ألغز الشاعر فيها، فقال:

وأم لم تلد ولدا وليست   بأم الرأس يعرفها اللبيب

وأما قول الله عز وجل: ﴿**وإنهُ فِي أم الكِتابِ لَدينا لَعلِي حكِيمٌ**﴾[1]، فهو ما في اللوح المحفوظ، والله أعلم.

٣٥٣- (أم القرى): أما في جزيرة العرب فهي مكة، وأم كل أرض أعظم بلدا ا وأكثرها أهلا كالبصرة، فإ ا تسمى أم العراق. ومرو فإ ا كانت تسمى أم خراسان، ويقال في كل قرية من أمهات القرى، إذا كانت كبيرة كثيرة الأهل. وأم كل شيء أصله، ومنه قيل للنبي ﷺ: أمي؛ لأنه نسب إلى أم القرى، وهي مكة، ويقال: بل نسب إلى العرب، أي أصلهم، وكانوا لا يقرءون ولا يكتبون، فقيل لكل من لا يقرأ ولا يكتب: أمي.

٣٥٤- (أم القرى): هي النار لأن من أوصافها ما قال صاحب ذات الحلل:

لا بد منها في الشتاء والصيف   ولا سيما عند نـزول الضيف

وأنشدني أبو طالب المأموني في وصف النار:

---

(١) سورة الزخرف٤.

أم القرى عنـدك أم يـوح … فقد سرى بنورهـا اللـوح
أم ذات قرط ذهـبي بـدا … ينيرهـا في الجـو تلـويح
فـإنني إخالهـا في د ـا … جسم لها وهـي لـه روح
كأ ا الشمس وما نفضـت … من شرر عنـها المصـابيح

٣٥٥- (أم النجوم): هي ا رة، ويقال: بل هي السماء، قال تأبط شرا:

يرى الوحشة الأنس الأنيس ويهتدي … بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك

٣٥٦- (أم المؤمنين): هي عائشة رضي الله عنها، وكل واحدة من أزواج النبي ﷺ أم المؤمنين، لقول الله عز اسمه: ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم**﴾[1]، ويري أن أم أوفى العبدية دخلت على عائشة رضي الله تعالى عنها، فقالت لها: يا أم المؤمنين، وما تقولين في امرأة قتلت ابنا لها صغيرا؟ فقالت: قد استحقت النار، قالت: إنه أصغر مما تظنين، قالت: قد استوجبت النار، قالت: فما تقولين في امرأة قتلت من أبنائها الكبار ألوفا؟ تعرض بيوم الجمل، فقالت: خذوا بيد عدوة الله.

٣٥٧- (أم الحروف): سمى النحويون حروف المد واللين أم الحروف، وأمهات الأفعال عندهم: فعل وجعل وأنشأ وأقبل، والله أعلم.

٣٥٨- (أم دفر): كنية الدنيا، قال ابن الرومي في أبي الصقر:

لم تظلم الدنيا بأم دفر … إذ أنت فيها من ولاة الأمر

وأم خنور أيضا كنية الدنيا، وهي من كنى الضبع، فكأن الدنيا شبهت ا لفسادها، وأهل الكوفة يقولونه على وزن قيوم وسفود، وأهل البصرة يقولونه على وزن عجول؛ قال المبرد: وكلاهما فصيح.

ولما قال عبد الملك بن مروان: وقد تمكنا من أم خنور - يعني الدنيا- ونعمتها وغضار ا، لم يعش بعد قوله هذا إلا أسبوعا.

٣٥٩- (أم الرأس): هي أعلى الهامة وموضع الدماغ من الرأس وما أحاط

---

(١) سورة الأحزاب ٦.

به، قال أبو الطيب المتنبي يصف القلم:

نحيف الشوى يعدو على أم رأسه ويحفى فيقوى عدوه حين يقطع

٣٦٠- (أم الطعام): هي الحنطة؛ لأن لها فضلا على سائر الحبوب، ومن أبيات كتاب الحماسة:

ربيته وهو مثل الفرخ أطعمه أم الطعام ترى في جلده زغبا

أي: أطعمه أفضل الأطعمة، ويروى: "أعظمه أم الطعام"، يقول: أعظم شيء في جسده بطنه، وأم الطعام البطن أيضا.

٣٦١- (أم سويد): كنية الاست؛ وكذلك أم سكين، وأم تسعين. وسئل ابن الأعرابي عن هذا البيت:

أبى علماء الناس إلا يخبرونني بناطقة خرساء مسواكها حجر

فقال: هي ما علمت أم سويد، يعني الاست.

٣٦٢- (أم عامر): هي الضبع، يقال لها: خامري أم عامر، قال الشاعر:

ومن يصنع المعروف في غير أهله يلاقي الذي لاقى مجير أم عامر

فقال آخر:

يا أم عمرو أبشري بالبشرى موت ذريع وجراد عظلى

أراد يقول: "يا أم عامر" فلم يستقم له.

٣٦٣- (أم حبين): هي دويبة على قدر كف الإنسان تأكل الأعراب مادب ودرج سواها، ولذلك قال فيها من قال:

لتهنئن أم حبين العافيه

٣٦٤- (أم عوف): هي الجرادة، وكانت في لسان زياد الأعجم لُكْنة لا يقيم معها الراء، فألقى عليه بعض الشعراء هذا البيت:

فما صفرا تكنى أم عوف كـأن حبالتيها منجلان

فأجابه على البديهة:

عنيت جرادة وأظن ظنا بأنك إنما تبلو لساني

٣٦٥- (أم طلحة): هي القملة، وزعموا أن أعرابيا كان يأكل مع بعض

الأمراء، فدبت قملة على عنقه، فأخذها وقصعها، فقيل له: ما فعلت؟ قال له: لم يبق من أم طلحة إلا خرشاؤها، أي جلدها المنسلخ.

٣٦٦- (أم ملدم): هي الحمى، وفي رقيتها: إلى أم ملدم، التي تأكل اللحم وتشرب الدم؛ قال أصحاب الاشتقاق: هي مأخوذة من اللدم وهو ضرب الوجه حتى يحمر، وقال بعضهم: ملذم، بالذال المعجمة، من قولهم: لذم به، إذا لزمه.

٣٦٧- (أم المنايا): كناية عن معظم المنية، قال الشاعر:

لأم المنايا علينا طريق وللدهر فينا اتساع وضيقُ

وجعل بعضهم الدواة أم العطايا وأم المنايا، فقال:

قـد بعثنا إليك أم العطايـا والمنايا زنجيـة الأحسـاب

في حشاها من غير حرب حراب هن أمضى من مرهفات الحراب

لا كفـاء لهـا ولا لـك والله كفـاء في سـادة الكتـاب

وقال بعضهم في الدواة:

وقد فتحت فاها وقالت لنا من مسه الفقر فإني دواه

وأم كل شيء: معظمه، قال ابن عنمة:

لأم الأرض ويل ما أجنت بحيث أضر بالحسن السبيل

٣٦٨- (أم قشعم): هي المنية والحرب والداهية الكبيرة والحرب، أراد زهير في قوله:

*** لدي حيث ألقت رحلها أم قشعم ***

ويقال للحرب أيضا: أم قسطل.

٣٦٩- (أم طبق): هي الداهية الكبيرة. قال الأصمعي: أول من نعى المنصور بالبصرة خلف الأحمر، وكنا في حلقة يونس، فجاء خلف الأحمر، فسلم ولم يكن الخبر فشا، ثم قال:

*** قد طرقت ببكرها أم طبق ***

فقال يونس: وما ذاك يا أبا محرز؟ فقال.

*** فنتجوها خبرا ضخم العناق ***

فقال: لم أدر بعد، فقال:

***موت الإمام فلقة من الفلق ***

فارتفعت الضجة بالبكاء والاسترجاع.

ومن كنى الدواهي أم حبوكر، ومن كناها أم الربيق تقول العرب جاءت أم الربيق على أريق؛ قال الأصمعي: تزعم العرب أنه من قول رجل رأى الغول على جمل أورق.

ومن كنى الدواهي أم خنشفير، وأم أدراص، يقال: وقعوا في أم أدراص، أي في مواضع استحكام أم البلايا، لأن أم أدراص جحرة للفأر لا يتخلص منها إذا ارتطم إلا بعد جهد، فأما أم الدهيم وأم اللهيم فكنيتان من كنى المنية.

٣٧٠- (أم الخل): هي الخمر لأن الخل منها يستحيل، وأول من كنى الخمر أم الخل مرداس بن خداش، حيث قال:

رميت بأم الخل حبة قلبه ... فلم يستفق منها ثلاث ليال

٣٧١- (أم الصبيان): هي ريح تعتري الصبيان، وشيء يفزع به الصبيان، قال ابن الرومي:

شيخ إذا علم الصبيان أفزعهم ... كأنــه أم غيلان وصبيــان

٣٧٢- (أم عبيد): هي المفازة، أنشد أبو عبيدة:

بئس قرينا يفن هالك ... أم عبيد وأبو مالك

٣٧٣- (أم غيلان): شجرة كثيرة الشوك بالبادية، قال: من تأذى ا وخرقت ثيابه:

يا أم غيلان لقيت شرا ... لقد فجعت مقترا مغبرا

يبر **بيت** الله **فيمن برا ... لاقيت** نجــ**ارا** يجر **جرا**

*** بالفأس لا يبقي على ما اخضرا ***

٣٧٤- (أم الجود): أحسن كل الإحسان ابن الرومي في قوله:

العرف غيث وهو منك مؤمل ... والبشر برق وهو منك مشيم

ألقحت أم الجود بعد حيالها ... ونتجت بنت ا د وهي عقيم

٣٧٥- (أم الصدق): أنشدت للصاحب:

يا أبا القاسم قـــل لي **لم** لمـــاذا **لا تـــزور**
كنت قد قدمت وعـــدا فإذن وعــــدك زور
ونحرت الــود بالهجـــر كمـــا تذكي الجـــزور
إن أم الصـــدق في **الــود** لمـــقـــلاة **نـــزور**

صدر من هذه الكنى

أم شملة: كنية الشمس؛ لأ ا تشمل الخلق بطلوعها.
أم جابر: كناية السنبلة.
أم الندامة: كناية العجلة.
أم الفضائل: كناية العلم.
أم الرذائل: كناية الجهل

الفصل الثالث في **البنين**

ابن الماء. ابن الليالي. ابن ذكاء. ابن الغمام. ابن جلا. ابن خلاوة. ابن حبة. ابن النعامة. ابن داية. ابن آوى. ابن الأرض. ابن طاب. ابن السبيل. ابن الخصي. ابن طامـــر. ابن بجد ا. ابن الحـــرب. ابن الغمد. ابن ضل. ابن الدهر. ابنا عيان. ابنا شمام. ابنا سمير. بنو غبراء. أبناء الدهاليز. بنو الأيام. بنو الدنيا.

الاستشهاد

٣٧٦- (ابن الماء): كل طائر يألف الماء فهو ابن الماء، قال ذو الرمة:

وردت اعتسافا والثريا كأ ا على قمة الرأس ابن ماء محلق

وقال آخر:

وينذرني بسطوته وأني **يخاف برودة الماء ابن ماء!**

وقال أبو عيينة المهلبي:

يا عقاب الدجن في **الأمـــ ـــن** وفي **الخوف ابن ماء**

٣٧٧- (ابن الليالي): هو القمر، قال نصيب:

بدأن بنا وابن الليالي كأنه حسام جلت عنه العيون صقيل
فما زلت أفني كل يوم شبابه إلى أن أتتك العيس وهو ضئيل

وابن الليلة هو الهلال، قال الشاعر:

كأن ابن ليلتها جانحا فسيط لدى الأفق من خنصر

ويروى: "كأن ابن مزنتها"، ومعناه: حين انقشعت عنه السحابة بدا كقلامة الظفر، ومنه أخذ ابن المعتز قوله:

ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا مثل القلامة قد قدت من الظفر

وقال بعض العصريين.

وأرى الهلال ابن الثلاث مطرزا ثوب الدجى والجو في زرق العصب
فكأنما فـرس الأمـير المرتجـى ألقى بروض بنفسج نعل الذهب

ومنه أخذ ابن حميدين:

كأنما أدهم الإظلام حـين نجـا من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

والعرب تقول لابن المفازات: ابن الليل، ولذلك قالت أم تأبط شرا، وهي تندبه: وابناه، وابن الليل، ليس بزميل!

ويروى لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليه:

ماذا يريني الليل من أهواله أنا ابن عم الليل وابن خاله
*** إذا دجا دخلت في سر باله ***

٣٧٨- (ابن ذكاء): هو الصبح، وأبو ذكاء: هو الشمس، قال الراجز:

فوردت قبل انبلاج الفجر وابن ذكاء كامن في كفر

٣٧٩- (ابن الغمام): هو البرد، وقد أحسن ابن الرومي في قوله:

يدوي الرجال ويشفيهم بمبتسم كابن الغمام وريق كابنة العنب

٣٨٠- (ابن جلا): هو الذي أمره منجل منكشف، قال الشاعر:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

ومعناه: أنا المشهور، وينون أيضا فيقال: ابن جلاً، قال الخارزنجي: أي أنا

المعروف، افتح عينيك حتى تبصرني.

٣٨١- (ابن خلاوة): في كلام العرب: هو البريء، يقال: أنا من هذا الأمر فالج بن خلاوة، أي أنا منه ذو فلج وتخل.

٣٨٢- (ابن حبة): هو الخبز، يقال له جابر بن حبة، قال بعض العصريين في سنة قحط:

لما رأيـت زمانـا يفتر عن كل صعبه
والقحط في أكله النا س بالذئاب تشـبه
والحب قد عز حتى أنسى المحب الأحبه
في حبة القلب مني زرعت حب ابن حبه

٣٨٣- (ابن نعامة): هو المحجة، وبنيات الطريق، وصدر القدم، وعرق تحت الأخمص، وعظم الساق، وكل ذلك عن الأئمة، وينشد لعنترة العبسي وهو يخاطب امرأته:

إن الرجال لهم إليـك وسـيلة إن يأخذوك تكحلي وتخضـبي
فيكون مركبك القعود ورحلـه وابن النعامة عند ذلك مـركبي

يقول: إذا أسرت أركبت قعودا لموقعك من قلوب الرجال، وإذا أنا أسرت ركبت قدمي.

٣٨٤- (ابن آوى): يتمثل به من وجهين: أحدهما ما قاله أبو نواس في أن آوى، ويسمع به ولا يرى، قال:

وما خبزه إلا كآوى يرى ابنه ولم ير آوى في الحزون ولا السهل

والآخرة ما قاله الآخر في صعوبة صيده ورخص ثمنه:

كابن آوى وهو صعب صيده فإذا صيد يساوي خردله

وقال آخر:

إن ابن آوى لشديد المقتنص وهو إذا ما صيد ريح في قفص

٣٨٥- (ابن دأية): هو الغراب لأنه يقع على دأية البعير الدبر فينقرها، وقيل:

ولما رأيت النسر عز ابن دأية وعشش في وكريه جاشت له نفسي

عنى بالنسر الشيب، وبابن دأية الشباب.

٣٨٦- (ابن الأرض): نبت يخرج في رءوس الآكام، وله أصل ولا يطول، وهو سريع الخروج، وسريع الهيج، يضرب به المثل في سرعة الإدراك والفناء.

٣٨٧- (ابن طاب): جنس من تمور المدينة، ويقول أهلها: إذا وافق الهوى الصواب، فاللبأ بابن طاب.

٣٨٨- (ابن السبيل): إذا أريد المحتار قيل: ابن السبيل، وقد نطق به القرآن.

وقيل لأعرابي: أين تحب أن يكون طعامك؟ قال : في بطن أم طفل راضع وابن سبيل شاسع، أو أسير جائع ، أو كبير كانع، وإذا أريد ابن الزانية قيل: ابن الطريق، كما قال دعبل في أبي سعيد المخزومي:

عدو راح في ثوب الصديق … شريك في الصبوح وفي الغبوق
له وجهان ظاهره ابن عم … وباطنه ابن زانية عتيق
يسرك ظاهرا ويسوء سرا … كذاك يكون أبناء الطريق

وأنشدت للفريانامي في البرسخي، وقد وقع الحريق في داره:

أقول ولا شماتة في الحريق … أجيدي حرق دار ابن الطريق
فما أحرقت إلا ما حواه … بمسألة وتدنيق وضيق

وقولهم: ابن عجل، كناية عن اللقيط. وعجل عجل قول الفاجرة تحت الفاجر تحثه على سرعة الفراغ.

٣٨٩- (ابن الخصي): يضرب مثلا لما لا يجوز أن يكون، كما قال أبو تمام:

وذاك له إذا العنقاء صارت … مربية وشب ابن الخصي

٣٩٠- (ابن طامر): يقال لمن لا يعرف: طامر ابن طامر؛ وهو البرغوث أيضا لطموره.

٣٩٠- (ابن بجد ا)؛ الهاء راجعة إلى الأرض، يعنون العالم ا. قال أبو الطيب المتنبي:

حتى أتى الدنيا ابن بجد ا … فشكا إليه السهل والجبل

ويحكي أن أعرابيا ضاف صديقا له في الحضر، فقدم إليه عصيدة تمر تنش حرارة، فضرب بيده إليها، فامتنعت عليه، فقال بعد ما تأملها: والله إني لأعلم أنك هشة المزدرد، ولينة المسترط، وإنك لتعلمين أني ابن بجدة بلادك في أهلك، وأني أخاف أن العود إلى مثلك ستطول مدته، ويتعذر وجوده، فما يمنعني أن أتلقى حرارتك ببلعوم سرطم، وحلقوم لحجم، وبطن أكبد، وجوف أرحب، ويقضي الله قضاءه بما أحببت أو كرهت، السرطم: الذي يبلع كل شيء. واللحجم واللهجم على التعاقب: الواسع الجوف.

٣٩٢- (ابن الحرب): هو الشجاع الذي تعود الحرب وألفها. وقرأت من فصل من رسالة للصاحب: أبناء الحرب الذين ذاقوا كئوسها حلوة ومرة، والتحفوا لبسها مرة بعد مرة.

٣٩٣- (ابن ضل): تقول العرب لمن لا يدرى من هو ومن أبوه: ضل ابن ضل، وقل ابن قل. ويقولون للمفلس: صلمعه ابن قلمعه: قال أبو سعيد: هو كقولك: الأحد ابن الأحد.

٣٩٤- (ابن الغمد): هو السيف لطول ملازمته إياه وقراره فيه، قال الشاعر:

كأني وابن الغمد والطرف أنجم ... على قصدها والنجم يسري على قصدي

٣٩٥- (ابن الدهر): هو النهار، ومنه قول ابن الرومي:

وما الدهر إلا كابنه فيه بكرة ... وهاجرة مسمومة الجو قاتله

٣٩٦- (ابنا عيان): ضرب من الزجر، وهو أن يخط الناظر في أمر بإصبعه ثم بإصبع أخرى، ويقول: ابنا عيان، أسرعا البيان؛ ثم يخبر بما يرى. وهو مشتق من قولك: أرياني ما أريد عيانا.

وهذا معنى قول ذي الرمة:

عشية مالي حيلة غير أنني ... بلقط الحصى والخط في الدار مولع

٣٩٧- (ابنا شمام): هما هضبتان في أصل جبل يقال له شمام، ويضرب ا المثل في الاقتران والاصطحاب، قال الشاعر:

فهل حدثت عن أخوين داما ... على الأيام إلا ابني شمام

٣٩٨- (ابنا سمير): العرب تقول: لا أفعل ذلك ما سمر ابنا سمير، وهما الليل والنهار؛ وقيل: الغداة والعشي. قال ابن الرومي:

لابني سمير صروف غير غافلة يحسن نقضا كما يحسن إمرارا

٣٩٩- (بنو الأيام): هم أهل العصر؛ قال المطراني من قصيدة يرثي ا أبا القاسم الإسكافي ويخاطب الدهر:

ما كان ضرك لو أبقيت ذا أدب ألقت إليه بنو أيامك السـلما

أعدمت من لست منه موجدا بدلا ما كررت يدك الواجدان والعدما

٤٠٠- (بنو الدنيا): هم الناس، وقيل لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: أما ترى حب الناس للدنيا! فقال: هم بنوها.

وسمعت الخوارزمي يقول : أحسن ما قيل في مدح النساء قول الشاعر:

ونحن بنو الدنيا وهن بنا ا وعيش بني الدنيا لقاء بنا ا

وأبلغ ما قيل في ذمهن قول الآخر:

إن النساء شياطين خلقن لنا فكلنا يتقي شر الشياطين

على أنه نقض قول من قال:

إن النساء رياحين خلقن لنا فكلنا يشتهي شم الرياحين

٤٠١- (بنو غبراء): هم اللصوص والصعاليك المهتدون في مجاهل الأرض، والعاملون بطرقها، وقيل: بل هم الفقراء اللاصقون بالغبراء من سوء الحال، على غير عطاء ولا وطاء، قال طرفة بن العبد:

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهل هذاك الطراف الممدد

يقول: أنا معروف عن الأخيار والأشرار، وعند اللئام والكرام.

٤٠٢- (أبناء الدهاليز): كناية عن الأراذل الأنذال أبناء الزواني، قال ابن بسام:

يا بن الدهاليز وأبناء السـكك ويا بن عجل لا يجي زوجي يرك

يا بن الزنا وحدك لا شريك لك وابن البغايا والفراش المشـترك

ويا بن من لو نومت فوق الحسك تحت الزناة وجدتـه كالفنـك

٤٠٣- (أبناء درزة): كناية عن السفل والسقاط، ويقال لهم: أولاد درزة، قال المبرد: هم خياطون من أهل الكوفة خرجوا مع زيد بن علي. وقال بعض الشراة وهو حبيب بن جدرة الهلالي:

أأبا حسين لو شـراة عصـابة علقتك كان لوردهم إصـدار

أأبا حسين والأمور إلى مـدى أبناء درزة أسـلموك وطـاروا

الفصل الرابع في البنات

ابنة الجبل. ابنة الكرم. بنت المنية. بنت الفكر. بنت المطر. بنت نارين. بنات الدهر. بنات المنايا. بنات البطون. بنات الليل. بنات الصدر. بنات الماء. بنات الفلا. بنات َبخْزبنات وردان. بنات الخدود. بنات التنانير. بنات اللهو. بنات العين. بنات الأرض. بنيات الطريق.

الاستشهاد

٤٠٤- (ابنة الجبل): من أمثال العرب: هو ابنة الجبل، ومعناه الصدى يجيب المتكلم بين الجبال، يقول: هو مع كل صوت، كما أن الصدى يجيب كل ذي صوت بمثل كلامه. ويقال: كبنت الجبل، مهما َتقُل َتقُلْ. ويقال: إن ابنة الجبل الحية أيضا، وقال أبو عبيدة: إذا اشتد الأمر قيل: صمي صمام، وصمي ابنة الجبل.

قال امرؤ القيس:

بدلت من وائل وكندة عد وان وفهما صمي ابنة الجبل

أراد حية لا تجيب الراقي، فشبه الحرب التي لا يقبل فيها الصلح ذه الحية.

٤٠٥- (ابنة الكرم): هي الخمر، قال أبو نواس:

صفة الطلول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم

وقال آخر:

بنات الكُروم تسـلي الهمـوم وتحيي السرور وتنفي العـدم

وتبسط بالجود كـف البخيـل وتذهب من حشـمة المحتشـم

ويقال لها: أيضا: ابنة العنقود، قال أبو الفتح كشاجم:

حبي الحمد كان أكثر أسبا ب ذهابي بطارفي وتليدي

واعتياضي من الغنى بالغواني واعتقادي هوى ابنة العنقود

وقد ظرف الصنوبري في قوله وهو يصف الديك:

مغرد الليل ما يألوك تغريدا مل الكرى فهو يدعو الفتية الصيدا

مذكرا بابنة العنقود حين حكت له الثريا قبيل الصبح عنقودا

وأحسن من هذا كله قول أبي محمد الفياضني:

نحن الشهود وخفق العود خاطبنا نزوج ابن سحاب بنت عنقود

وليس بالبارد قول الآخر، وهو متنازع فيه:

ما لابن هم سوى شرب ابنة العنب فها قهوة فراجة الكرب

٤٠٦- (بنت المنية): هي الحمى، ويقال: إن أبلغ ما قيل في وصفها قول عبد الصمد بن المعذل من قصيدة أولها:

هجرت الهوى أيما هجره وعفت الغواني والخمره

لوتني عن وصلها سكرة بكأس الضنا بعدها سكره

وبنت المنية تنتابني هدوا وتطرقني سحره

إذا وردت لم يزع وردها عن القلب حجب ولا ستره

لها قدرة في جسوم الأنام حباها ا الله ذو القدره

فقد سلبت أعظمي نحضها ولم تترك من دمي قطره

وهي طويلة لا يسقط منها بيت.

وله أيضا من قصيدة ضادية:

بنت المنية بي موكلة عقب النهار كمقتض فرضا

ألفت وفاء ليس تسأمه فترى مواصلتي به فرضا

عرفت بنافضها وصالبها لحمى ورضت أعظمي رضا

ولو أ ا ترمي بشـكتها نبقا أشم لـذاب وارفضـا

ولم يزل شعر ابن المعذل أمير ما قيل في الحمى حتى جاءت ميمية أبي الطيب فأربت عليه؛ وقد جعلها بنت الدهر في قوله:

أبنت الدهر عندي كل بنت فكيف وصلت أنت من الزحام!

يقول: عندي كل حادثة من حوادث الدهر ونوائبه، فكيف خلصت إلى جسمي من زحمة النوائب!

ولبعض أهل العصر:

سئمت العيش حين رأيـ ـت صرف الدهر يـرهقني

صعودا والصـعود إليـ ـه يعجـ ـزني فيقلقـ ـني

وبنـت المـ ـوت بـالآلا م والأوجـ ـاع تطـرقني

تـؤرقـنـي تحرقـنـ ـي تعرقـنـي تغـرقـنـ ـي

٤٠٧- (بنت الفكر): هي الرأي والشعر، قال بعض العصريين:

ودونك البكر بنت الفكر قد برزت من خدرها تخدم الأستاذ سيدنا

٤٠٨- (بنت المطر): قال حمزة الأصبهاني: هي دويبة حمراء ترى غب المطر، والعرب تضرب ا المثل فتقول: أشد حمرة من بنت المطر.

٤٠٩- (بنت نارين): هي المرقة المسخنة، لأ ا قد عرضت على نارين، وكان بعض المترفين يقول: جنبوا مائدتي بنت نارين.

وأنشدني أبو طالب المأموني لنفسه قصيدة في وصف مائدة تجمع أطايب الطعام وبدائع الألوان، فمنها:

لم يرض طاهيها بـنقص ولا شـقق في شـيء ولا مـوه

لا ابنـة نـارين أرانـا ولا مصنوعة بـالرفع مأسـوه

٤١٠- (بنات الدهر): حوادثه ومصائبه، قال الشاعر:

ألا ما لبنات الدهـ ـر ترميني ولا أرمي

وقال آخر:

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يرمى وليس برام

وقال آخر:

نكحت بنات الدهر من غير خطبة فما برحت حتى سلبن سواديا

والأخطل أراد ببنات الدهر الليالي والأيام في قوله:

وما تبقى على الأيام إلا بنات الدهر والكلم العقور

وأراد بالليالي والأيام والكلم العقور الهجاء الموجع، وأحسن البحتري في قوله:

متى ما نسبت الحادثات وجدتها بنات زمان أرصدت لبنيه

٤١١- (بنات المنايا): هي السهام، قال ابن الرومي في وصف الأتراك:

لهم عدة تكفيهم كل عدة بنات المنايا والقسي الموتر

٤١٢- (بنات البطون): هي الأمعاء، يقال للجائع: سكن بنات بطنك، إذا أمر بالأكل.

٤١٣- (بنات الليل): هي الأحلام، ويقال أيضا: هي النساء، ويقال: أهواله، ويقال: هي المنايا، وبكلّها جاء الشعر.

٤١٤- (بنات الصدر): هي ما يضمره الإنسان من الخير والشر قال الشاعر:

أخو ثقة يسر بحسن حالي وإن لم تدنه مني قرابه

أحب إلي من ألفي قريب بنات صدورهم لي مسترابه

وقد ظرف من قال:

بنفسي من هواه أخي وتربي له حبي رضيع بنات قلبي

وللصاحب من رسالة: زوج بنات صدرك من بني علمي، وأفرغ صوب عقلك في قمع أذني.

٤١٥- (بنات الماء): هي ما يألف الماء من السمك والطير والضفادع. وقد أحسن سيدوك الواسطي في قوله:

أراح الله نفسي من فؤاد أقام على اللجاجة والخلاف

ومن مملوكة ملكت رقاها ذوي الألباب بالخدع اللطاف

كأن جوانحي شـوقا إليهـا بنات الماء ترقص في جفاف

وجعل ابن الرومي السمك بنات دجلة في قوله:

وبنات دجلة في بيوتكم مأسورة في كل معترك

٤١٦- (بنات الفلا): هي الإبل يقطع ا الفلا، قال الشاعر:

إليك أمين الله جابت بنا الفلا بنات الفلا في كل بر وفدفد

فأما بنات القفر فالوحش.

٤١٧- (بنات بخر): سحائب تنشأ من بخار البحر فتجوز إلى البر؛ وبنات بحر سحائب لا تجوز إلى البر ولذلك قيل: بنات بخر خير من بنات بحر.

٤١٨- (بنات وردان): هي دويبات تلزم الكنف، وأنشد الصاحب ليلة في مجلس قد تأذى فيه تأذي فيه برائحة كريهة:

فما عدمنا من الكنيف كما قعدت إلا بنات وردان

٤١٩- (بنات الخدور): هي العذارى، ويقال لهن أيضا بنات الحجال.

٤٢٠- (بنات التنانير): هي الرغفان، وقيل لأعرابي قدم الحضر فأضافه بعض المياسير: أين كنت اليوم؟ وبم اشتغلت؟ فقال: كنت والله عند كريم خطير، أطعمني بنات التنانير، وأمهات الأبازير،وحلواء الطناجير، ثم سقاني رعناء القوارير، ومن يد غزال غرير.

٤٢١- (بنات اللهو): وهي الأوتار، قال البحتري:

تلقينا الشتاء به وزرنا بنات اللهو إذ قرب المزار

وقال الرومي:

يهنيك أن الفطر حين أتـى نشر السرور به من الـرمس

نطقت بنات اللهو فيه معـا من بعد بُعد الصوت والهمس

٤٢٢- (بنات العين): هي الدموع، قال ابن الرومي يرثي الشباب:

تذكرته والشيب قد حال دونه فظلت بنات العين مني تحدرُ

٤٢٣- (بنات الأرض) هي الأجواف التي تحتجب عنك، وقيل: بل عروق

الأرض يقطر منها الماء ويصير إليها الوحش في القيظ فيترشفها ويقتصر عليها دون ورود الماء، قال ثعلب: بنات الأرض هي الأ ار الصغار.

٤٢٤- (بنيات الطريق): هي الصعاب والمعاسف، ويقال للرجل إذا وعظ: الزم الجادة، ودع بنيات الطريق.

وقال محمود الوراق:

تنكب بنيات الطريق وجورها — فإنك في الدنيا غريب مسافر

الباب التاسع عشر

فيما يضاف إلى الأذواء والذوات

أذواء اليمن. ذو الأوتاد. ذو القرنين. ذو الكفل. ذو النورين. ذو الشهادتين. ذو العينين. ذو الرأي. ذو اليدين. ذو السيفين. ذو المشهرة. ذو النور. ذو العمامة. ذو اليد. ذو اليمين. ذو الثفنات. ذو القلمين. ذو الرياستين. ذو الوزارتين. ذو الكفايتين. ذات النحيين. ذات النطاقين. ذات الخمار. ذات الأنواط.

الاستشهاد

٤٢٥ - (أذواء اليمن): هم ملوكها، وإياهم عنى أبو نواس بقوله:

ودان أذواؤنا البرية من معترها رغبة وراهبها

فمنهم ذو شناتر، ولم يكن من أهل الملك، ولكنه من أبناء المقاول، وكان فظا غليظ القلب. وكان مع ذلك لا يسمع بغلام ينشأ من أبناء المقاول إلا بعث إليه واستحضره فعبث به وأفسده. ويقال: إنه بعث إلى غلام منهم يقال له ذو نواس، لأنه كانت له ذؤابتان تنوسان على عاتقيه، و ما سمي ذا نواس فأدخل عليه ومعه سكين لطيفة قد خبأها، فلما دنا منه وعلم أنه يريد منه الفاحشة شق ا بطنه، واحتز رأسه، فلما بلغ حمير ما فعل ذو نواس قالوا: ما نرى أحداً أحق بالملك ممن أراحنا منه، فملكوا ذا نواس. وهو صاحب الأخدود الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، وهو الذي لما ود ود معه أمم من الناس.

ومنهم ذو المنار، وقيل له ذو المنار لأنه أول من ضرب المنار على طرقه في غزواته ليهتدي ا في مرجعه.

ومنهم ذو رعين، يضرب به المثل في النعمة، كما قال العلوي الحماني:

ويوم قد ظللت قرير عـين　　به في مثل نعمة ذي رعـين
تفكهني أحاديث النـدامى　　وتطـربني مثقفــة اليــدين
فلولا خوف ما تجني الليـالي　　قبضت على الفتوة باليــدين

ومنهم ذو مرحب، سمي بذلك؛ لأنه كان يرحب به كل من رآه، وكان

رحب الصدر والباع، هشا بشا.

ومنهم ذو بزن، وابنه سيف الذي انتزع الملك من الحبشة، وقد تمثل به من قال لعبد الله بن طاهر:

اشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا بشاد مهر ودع غمدان لليمن

وأنت أولى بتاج الملك تلبسه من هوذة بن علي وابن ذي يزن

٤٢٦- (ذو الأوتاد): هو من ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، وكان يأمر بمن يغضب عليه فيوتد في الأرض بأربعة أوتاد، وهو أول من سن ذلك.

٤٢٧- (ذو القرنين): قال الجاحظ في كتاب "التدوير والتربيع": ولقد سألت عن ذي القرنين أهو الإسكندر؟ ومن أبوه؟ ومن قيرى ومن عيرى! فقال القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني في الجواب عن ذلك وشرحه، قال: أكثر من بحث عن سالف الأمور، وتصفح ما حدث منها في متقادم العصور، أن التسمية بذي القرنين لا تعرف في غير هذه اللغة، ولا يوجد منها علم إلا عند هذه الأمة؛ ومتى سمعنا غيرهم ينطق بها، ووجدنا بعض الأمم يذكرها، فبحثنا عن أصلها ومأخذها، وسألناهم عن معناها وتأويلها، أصبناها راجعة إليهم، وأحلنا في الإسناد عليهم.

قالوا: ولم نعثر على كثرة التفتيش والتكشيف وشدة الطلب والتنقير من ملوك الأمم وأولياء الدول وقادة الجيوش وساسة الجنود ممن ارتفع فشهر، أو خمل فغمر، بمن لزمه هذا الاسم أو حصل له معناه، أو استحقه بلازم خلقة، أو مستجد صفة. فأما نحن فقد وجدنا في التواريخ القديمة المأخوذة عن السريانية واليونانية أن ضاميرس، وهو الثالث من ملوك بابل خرج عليه أطركسركس فحاربه وظفر به، فقتله، ونـزع قرني رأسه فجعلها إكليلا يلبسه، فسمي ذا القرنين؛ فهذا كما تراه تسمية مأخوذة من الأمم السالفة، منقولة عن تلك اللغة إلى هذه.

على أن العرب قد سمت بها من ملوكهم نفرا، وخصت بها هذا الملك السائح الذي ورد القرآن بذكره، واجتمعت الإنس على تفخيم قدره، وسنذكر ما حفظناه في سبب هذه التسمية، وتستوفي ما عندنا في صاحبها، وما انتهى إلينا في حقيقة المسمى بها، ونقول فيه على تفصيل الاختلاف والتمييز بين تلك الأقوال قولا إن لم

يكن شافيا، فعساه أن يكون كافيا، وما علينا إلا الجهد، وفوق كل ذي علم عليم.

قال الله تعالى: ﴿**ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا**﴾[1]، الآية المتضمنة خبره، فوصف هذه الجملة من أحواله، في تقلبه وانتقاله، ومنتهى مسيره في الشرق ظاعنا، وغاية مبلغه من الغرب واغلا، ودل على عظم ملكه، وشدة وطئته، وعلو كلمته، وانبساط قدرته، بما عد من آثاره، وقص علينا من أخباره، وأكد ذلك وحققه بقوله تعالى: ﴿**إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا * فأتبع سببا**﴾[2].

وحسبك بمن شهد الله له بالتمكين والاقتدار، وناهيك بمن آتاه الله جوامع الأسباب، ووطأ له أباعد الأقطار!

وقد روي في تفسير هذه الآية أن المشركين من قريش أوفدوا وفدا إلى يهود يثرب يستمدو م مسائل يمتحنون ا النبي ﷺ واعتمدوا من المسائل على قصص الأنبياء وأخبار الملوك، لعلمهم بأنه لاحظ للعقل والذكاء وحدة الفطنة وقوة الفكر وتمثيل الاعتبار والمقايسة وإنعام النظر والتأمل في استدراك خبر تقدم زمانه بساعة، بل سبق وقته بلحظة؛ وأنما هي أمور تؤخذ رواية وسماعا، وتدرك قراءة وكتابة؛ وقد رأوه عليه السلام ولد بمكة في أمة أمية، وبين قبائل جاهلية، فعرفوه طفلا رضيعا، وناشئا ويافعا، وشاهدوه غلاما ومجتمعا، وكهلا ومحتنكا، يدرج بين أبيا م، ويتصرف نصب ألحاظهم؛ ويتكلم بما عرفوه من ألفاظهم، وأن هذه أحوال تحجز بينه وبين التهمة، وتباعده عن مواقع الظنة، وتحقق عند من له من العقل بلغة، وفيه من التحصيل مسكة، أنه عليه السلام عرف ذلك على حقه، وأخبر عما عملت الرواة من غيبه، فإنما تلقاه عن الله وحيا، أو ألقاه الملك في روعه نفثا، وذلك علامة النبوة التي لا تجهل، وأمارة الرسالة التي لا تنكر، فزود م يهود يثرب بمسائل منها خبر رجل صار مشرقا حتى بلغ مطلع الشمس حيث تبزغ، وتوجه مغربا حتى بلغ مغر ا حيث تجب وتسقط؛ وهكذا ذكره الرواة، وإنما المراد ا منتهى العمارة من طرفي

---

(١) سورة الكهف ٨٣.
(٢) سورة الكهف ٨٤.

الأرض. وسألوه عن قصة يوسف، وعن فتية أووا إلى الكهف فأميتوا ثم أحيوا، فأتاه الجواب من قبل الله تعالى في كل ذلك بما أقام به علم صدقه، ورد الكائد بأخيب ظنه.

وقد روى المفسرون والقصاص في تأويل هذه الآيات أخبارا لم نجد في نقلها طائلا، إذ كانت النفس لاتثق بخبرهم، ولا تسكن إلى صحة نقلهم، وكان اختلافهم يدل على اختلاطهم، وهي على ذلك مشهورة، يمكن أخذها عن قرب. وقد روى المحدثون عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا أدري أذو القرنين كان نبيا أم لا!**».

ورووا عنه أنه ملك الأرض أربعة: مؤمنان وكافران، فأما المؤمنان فسليمان وذو القرنين، وأما الكافران فنمروذ وبخت نصر.

ورووا عن علي وقد سئل عن ذي القرنين فقال: ذلك الملك الأمرط، بلغ قرن الشمس من مطلعها وقر ا من مغر ا.

وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا ينادي: يا ذا القرنين، فقال: فرغتم من أسماء الأنبياء، وارتفعتم إلى أسماء الملائكة! فتناوله قوم وزعموا أن ذا القرنين كان من نتاج ما بين الملائكة والإنس، وأن أباه عبرى ملك أهبط إلى الأرض فسلخ جناحه وأعيد في صورة ولد ابن آدم، فنكح امرأة من الآدميات تدعى قيري فأولدها ذا القرنين، وقد ادعوا مثل ذلك في هاروت وماروت وأبي جرهم. وهي من حماقات العوام غير مستنكر.

وروي عن الحسن أنه قال: كان له غديرتان من شعر، وعليهما سمي ذا القرنين.

وعن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم أنه قال: الأنبياء الملوك أربعة: يوسف ملك مصر، وداود وسليمان ملكا ما بين الشام إلى إصطخر وذو القرنين ملك ما بين المغرب والمشرق.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: حج ذو القرنين فلقى إبراهيم؛ وهذا يدل على تقادم عهده.

وقد روي من جهات كثيرة أن ذا القرنين كان في زمن إبراهيم عليه السلام في عصر أفريدون؛ وتلك تواريخ لا يثق ا؛ والذي نقل إلينا التواريخ اليونانية والسريانية

وهي أقرب إلى الثقة يقتضي أن بينهما زمانا طويلا يزيد على ألف سنة.

وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن ذا القرنين هو عبد الله بن الضحاك، وهذه رواية مهجورة لا يلتفت العقلاء إليها؛ ولسنا ننكر أن عبد الله بن الضحاك هذا يدعى ذا القرنين، فهو اسم مشترك ولقب منقول، وقد سمي أحد ملوك الحيرة من بني نصر ذا القرنين لضفيرتين من شعر كانتا له، وهو المنذر ابن ماء السماء؛ وفي ملوك حمير ملكان كان يدعى كل واحد منهما ذا القرنين، وإنما ننكر أن يكون ملكا سلطانا، إذ كنا نجد أخبار الأمم تكذبه. وكان هذا الأمر البين لا يحمل فيخفى على العرب شأنه، وهي ألهج أمة بحفظ المآثر، وأحرصها على إحصاء المفاخر.

وزعم بعض الفرس أن ذا القرنين هو الضحاك المسمى بيوراسف، وأن قرنيه هما السلعتان اللتان تسميهما العامة حيتين، وكانتا ناشزتين في فروع كتفيه؛ وهذا أبعد شيء عن الصواب، ولكن الآراء والألسن واللغات والفرق مطبقة على أن ذا القرنين هذا هو الإسكندر الرومي قاتل دارا. وقد نقل إلينا من أخباره المطابقة لما اقتص الله تعالى في كتابه الذي يقوي هذا الرأي إجماع رواة الأمم على أن السد الذي يدعى ردم يأجوج ومأجوج من صنع الإسكندر،وأنه لم ينقل إلينا خبر ملك جمع بين الإيغال في المشرق والإبعاد في المغرب سواه.

وهذه جملة من سيره مأخوذة من تواريخ يونان وفارس؛ وأما روايات القصاص وأهل المبتدأ فمرفوضة عن أهل التحصيل؛ زعمت يونان أنه لما ولد الإسكندر عرض مولده على المنجمين، فحكموا له بما آل إليه أمره، وترعرع الإسكندر، فهجس في نفسه صدق ما حكموا له به، وهلك أبوه فيلبس وللإسكندر عشرون سنة، فخلفه على ملكه، فركب البحر يؤم المغرب، فوطئ أرضه حتى انتهى إلى المشرق حتى قتل دارا، واستولى على ممالكه، وسار حتى أوغل في المشرق، فقتل فورا ملك الهند، وأقام ببلاده مدة، ثم سار حتى أتى تبت فدان له ملكها، وأهدى له شيئا كثيرا من الذهب والمسك، ثم سار حتى أتى الصين، فتلقاه ملكها بالطاعة، وأهدى له هدايا عظيمة من الذهب والحرير والوبر وأنواع العطر وآلات الصين، وعدل إلى نواحي يأجوج ومأجوج فبنى السد، ودخل الظلمات من ناحية القطب الشمالي في أربعمائة رجل؛

فسار فيها ثمانية عشر يوما، وخرج إلى طريق خراسان، ولما انتهى إلى نهر بلخ عقد عليه جسرا من ثلثمائة سفينة، وبنى على غربية قصرا، فاغتاله بعض أصحابه فسقاه سما، فمرض بقومس، وتحامل حتى أتى شهرزور، وثقل بها وهلك ببابل العتيقة، وكان أشقر أبرش، قصيرا أحنف، وابتدأ اليونانيون تاريخ ملكه من أول سنة سبع وعشرين من عمره، وهو وقت ابتداء جولانه، وكانت مدته في ذلك الوقت أحد عشر وثلاثمائة وستة وعشرون يوما، ولم يكن يدعو إلى دين وإنما كان يأمر بالتناصف وترك التظالم. إلى هنا كلام القاضي.

وقال حمزة الأصبهاني في كتابه "تواريخ الأمم": ومما ولده القصاص من الأخبار أن الإسكندر بنى بإيراشهر مدنا، منها أصبهان، وهراة، وسمرقند، وليس للحديث أصل؛ لأن الرجل كان مخربا لا عامرا.

قال مؤلف الكتاب: وفي أصبهان وكونها من بناء ذي القرنين يقول ابن طباطبا لأبي علي بن رستم وقد هدم سور أصبهان ليزيد به في داره:

وقد كان ذو القرنين يبني مدينة	**فأصبح ذا القرنين يهدم سورها**
على أنه لو كان في صحن داره	**بقرن له سيناء زعزع طورهـا**

وقال آخر:

أيها الهـادم سـورا	**هدمه عـين المنـون**
ليس يوهي سور ذي القر	**نـين إلا ذو قـرون**

وقد ضرب المثل بمسير ذي القرنين في الظلمات ابن لنكك حيث قال:

تولى شباب كنت فيـه منعمـا	**تروح وتغدو دائم الفرحـات**
فلست تلاقيه ولو سرت خلفه	**كما سار ذو القرنين في الظلمات**

٤٢٨- (ذو الكفل): هو الذي نطق القرآن بذكر نبوته، وهو من بني إسرائيل؛ بعث إلى ملك منهم يقال له كنعان، فدعاه إلى الإيـمان، وكفل له الجنة، وكتب له كتابا بالكفالة، فآمن به الملك، وسمي ذا الكفل بالكفالة.

٤٢٩- (ذو النورين): هو عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه سمى بذلك

لأن النبي ﷺ زوجه ابنته رقية، فكانا أحسن زوجين في الإسلام، ويروي أنه بعث عليه السلام بلطف مع رجل إلى عثمان، فاحتبس، فلما رجع قال له رسول الله ﷺ: إن شئت أخبرتك ما حبسك، قال: نعم يا رسول الله، قال: كنت تنظر إلى عثمان ورقية تعجبا من حسنهما، قال: صدقت يا رسول الله. ولما توفيت رقية زوجه عليه السلام أم كلثوم، ثم لما توفيت قال: لو كانت لنا ثالثة لزوجناكها؛ فهو ذو النورين لهذه القصة.

ودخل يوما أبو الحسن بن طباطبا دار أبي علي بن رستم فرأى على بابه عثمانيين أسودين قد لبسا عمامتين حمراوين، فامتحنهما فوجدهما من الأدب خاليين، فلما تمكن في مجلس ابن رستم دعا بالدواة والقرطاس وكتب:

أرى بباب الدار أسودين … ذوي عمامتين حمراوين

كجمرتين فوق فحمتين … قد غادرا الرفض قرير العين

جدكما عثمان ذو النورين … فما له أنسل ظلمتين!

"يا قبح شين صادر عن زين … حدائد تطبع من لجين

ما أنتما إلا غرابا بين … طيرا فقد وقعتما للحين

المظهرين الحب للشيخين … ذرا ذوي السنة في المصرين

وخليا الشيعة للسبطين … للحسن الطيب والحسين

ستعطيان في مدى عامين … صكا بخفين إلى حنين

فاستظرفها ابن رستم وحفظها الناس.

٤٣٠- (ذو الشهادتين): خزيمة بن ثابت الأنصاري، سماه رسول الله ﷺ ذا الشهادتين، وذلك أن يهوديا أتاه فقال: يا محمد أقضني ديني، فقال عليه السلام: أو لم أقضك! قال: لا، فقال: إن كانت لك بينة فهاتها، وقال لأصحابه: أيكم يشهد أني قضيت اليهودي ماله؟ فأمسكوا جميعا؟ فقال خزيمة: أنا يا رسول الله أشهد أنك قضيته، قال: وكيف تشهد بذلك ولم تحضره ولم تعلمه؟ فقال: يا رسول الله، نحن نصدقك على الوحي من السماء، فكيف لا نصدقك على أنك قضيته، فأنفذ عليه

السلام شهادته، وسماه ذا الشهادتين لأنه عليه السلام صير شهادته شهادة رجلين.

٤٣١- (ذو العينين): قتادة بن النعمان الأنصاري، شهد بدرا والعقبة، وأصيبت عينه يوم أحد فردها رسول الله ﷺ بيده بعدما سقطت على خده، فكانت أحسن وأصح من عينه الأخرى، وكان لا يشتكيها إذا اشتكى أختها، وليس هكذا عيون الناس.

٤٣٢- (ذو الرأي): هو حباب بن المنذر بن الجموح صاحب المشورة يوم بدر، أخذ رسول الله ﷺ برأيه، ونـزل جبريل عليه السلام فقال: الرأي ما قال حباب، وكانت له في الجاهلية آراء مشهورة.

٤٣٣- (ذو اليدين): هو عمير بن عبد عمرو من خزاعة؛ وكان يعمل بيديه جميعا فقيل له: ذو اليدين. وكان يدعى ذا الشمالين. وهو الذي ذكر في الحديث الذي يروون فيه أن رسول الله ﷺ صلى م الظهر فسلم في الركعة الثانية، فقال ذو اليدين: يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فقال: ما كان ذاك. فقال: بلى يا رسول الله، فالتفت إلى أصحابه فقال: أحق ما يقول ذو اليدين؟ قالوا: صدق يا رسول الله، فنهض فأتم، ثم قال: «**إني لأنسى، أو أنسى لأسن**».

قال ابن قتيبة: هو ذو اليدين، وليس هو بذى الشمالين الذي استشهد يوم بدر.

وقال الجاحظ: كان يقال له ذو الشمالين فسماه النبي ﷺ ذا اليمينين.

٤٣٤- (ذو المشهرة): هو أبو دجانة الأنصاري وكانت له مشهرة؛ إذا لبسها وبرز يتمايل بين الصفين لم يبق ولم يذر، وأرضى الله ورسوله.

٤٣٥- (ذو النور): هو عبد الله بن الطفيل الأزدي أو الدوسي. ويقال: بل طفيل بن عمرو بن طفيل، أعطاه رسول الله ﷺ نورا في جبينه ليدعو به قومه، فقال: يا رسول الله، هذه مثلة - أو قال شهرة - فجعله في طرف سوطه، فكان كالمصباح يضيء له الطريق بالليل، ولما رجع إلى قومه دوس ليعلمهم جعلوا يقولون: إن الجبل ليلتهب. وكان أبو هريرة رضي الله عنه ممن أهتدى بذلك النور في بعض الحديث.

٤٣٦- (ذو العمامة): هو سعيد بن العاص بن أمية، أبو أحيحة، وكان يقال له ذو العمامة لأنه كان في الجاهلية إذا لبس عمامته لم يلبس قرشي عمامة حتى

ينـزعها، كما أن حرب بن أمية إذا حضر ميتا لم يبكه أهله حتى يقوم ، وكما أن أبا طالب كان إذا أطعم لم يطعم أحد يؤمه غيره، وكما أن سعيد بن العاص إذا شرب الخمر لم يشر ا أحد حتى يتركها. وزعم بعض أصحاب المعاني أن هذا اللقب إنما لزم سعيدا كناية عن السؤدَد، وذلك أن العرب تقول للسيد: فلان معمم؛ يريدون أن كل جناية يجنيها الجاني من تلك القبيلة أو العشيرة فهي معصوبة برأسه، وإلى هذا المعنى ذهبوا في تسميتهم سعيد بن العاص: ذا العمامة وذا العصابة.

ولما طلق خالد بن يزيد بن معاوية آمنة بنت سعيد بن العاص وتزوجها الوليد بن عبد الملك قال في ذلك خالد:

فتاة أبوها ذو العصـابة وابنـه ... أخوها فمـا أكفاؤهـا بكـثير

وكان خالد شريف المنكح، تزوج أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وآمنة بنت سعيد بن العاص، ورملة بنت الزبير؛ ففي ذلك يقول بعض الشعراء يغري به عبد الله بن مروان.

عليك أمـير المـؤمنين بخالـد ... ففي خالد عما تحـب صـدود

إذا ما نظرنا في مناكح خالـد ... عرفنا الذي ينوي وأين يريـد

٤٣٧- (ذو الثدية): ويقال له ذو اليدية؛ لأن إحدى يديه كانت مخدجة؛ وذو الثدية؛ لأن تلك اليد المخدجة كانت كالثدي، وعليها شعر كشارب السنور، وهو شيخ الخوارج وكبيرهم الذي علمهم الضلال. وكان النبي ﷺ أمر بقتله وهو في الصلاة، فكع عنه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما قصده علي رضي الله عنه لم يره، فقال له النبي ﷺ «**أما إنك لو قتلته لكان أول فتنة وآخرها**». ولما كان يوم النهروان وجد بين القتلى، فقال على رضي الله عنه: إيتوني بيده المخدجة، فأتي ا، فأمر بنصبها.

٤٣٨- (ذو اليمينين): هو أبو الطيب طاهر بن الحسين بن مصعب الذي ينسب إليه الطاهريون، كتب إليه بعض أصحابه كتابا عنونه ذين البيتين:

للأمـيـر المـهـذب ... المكـنـى بطـيـب

ذي اليمينين طاهر بـ ـ ـن الحسين بن مصعب

وسأل المعتصم جماعة من خواصه عن معنى سبب تسمية طاهر ذا اليمينين فلم يعلموا، فقال محمد بن عبد الملك: ذو الاستحقاقين؛ استحقاق ما لجده زريق في الدولة، واستحقاق ماله في دولة المأمون؛ قال تعالى: ﴿**لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ**﴾[1]، أي بالاستحقاق، وقال الشماخ:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

أي بالاستحقاق، واليمين بمعنى الاستحقاق.

وقال غيره: إنما سمي ذا اليمينين لأن المأمون كتب إليه لما فرغ من أمر المخلوع: يا أبا الطيب؛ يمينك يمين أمير المؤمنين، وشمالك يمين؛ فبايع بيمينك يمين أمير المؤمنين. ففعل، فلزمه هذا الاسم.

٤٣٩- (ذو الثفنات): كان يقال لكل من علي بن الحسين بن علي، وعلي ابن عبد الله بن العباس: ذو الثفنات، لما على أعضاء السجود منهما من السجادات الشبيه بثفنات الإبل؛ وذلك لكثرة صلاتهما، قال دعبل:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

وبابن علي والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذي الثفنات

قال المبرد: وكانت لعلي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم خمسمائة أصل زيتون، يصلي كل يوم عند كل أصل ركعتين.

٤٤٠- (ذو القلمين): علي بن أبي سعيد كنداجيق؛ كان يسمى ذا القلمين لأنه كان يتولى ديواني الخراج والجيش للمأمون بن الرشيد.

٤٤١- (ذو الرياستين): هو الفضل بن سهل، سماه المأمون ذا الرياستين لأنه دبر له أمر السيف والقلم، وولي رياسة الجيوش والدواوين. وقد أوردت نكت أخباره في كتاب: "فضل من اسمه الفضل".

٤٤٢- (ذو الوزارتين): كانوا قد عزموا على أن يسموا صاعد بن مخلد ذا

---

(١) سورة الحاقة ٤٥.

التدبيرين؛ فقال لهم عبيد الله بن عبد الله بن طاهر: لا تسموه بشيء ينفرد به عنكم، فسموه ذا الوزارتين، يعنون وزارة المعتمد ووزارة الموفق.

ومدح ابن الرومي بني نوبخت، وكانوا مختصين بصاعد، فأراد أن يذكر ذا الوزارتين واجتباءه إياهم: فلم يستقم له ذكر ذي الوزارتين، فسماه ذا الفناءين حيث قال:

ولما اجتباهم ذو الفناءين صاعد   غدا وهو مسرور م غير نادم

٤٤٣- (ذو الكفايتين): هو أبو الفتح بن أبي الفضل بن العميد سمي ذا الكفايتين لكفايته ركن الدولة أبا علي أمور الدواوين والجيوش، وقد أوردت نكت أخباره وغرر أشعاره في كتاب "يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر)).

٤٤٤- (ذات النحيين): هذلية جرى ا المثل في الشغل والشح فقيل: أشغل من ذات النحيين، ومن حديثها أن خوات بن جبير الأنصاري في الجاهلية حضر سوق عكاظ، فانتهى إلى هذه المرأة وهي تبيع السمن، فاخذ نحيا من أنحائها، ففتحه ثم ذاقه ودفع النحي في إحدى يديها، ثم فتح نحيا آخر ودفع فمه في يدها الأخرى، ثم كشف ذيلها وواقعها وهي غير ممانعته لحفظ فم النحيين، ولم تدفعه خوفا على السمن حتى قضى حاجته، فلما قام عنها قالت له: لا هناك الله، فرفع خوات عقيرته وقال:

وأم عيـال واثقـين بكسـبها   خلجت لها جار استها خلجات
وأخرجته ريان يقطـر رأسـه   من الرامك المخلوط بـالمغرات
شغلت يديها إذا أردت خلاطها   بنحيين من سمن ذوي عجوات
فكان لها الويلات من ترك نحيها   وويل لها من شـدة الطعنـات
فشدت على النحيين كفا شحيحة   على سمنها والفتك من فعـلاتي

فضربت العرب ا المثل فقالوا: أنكح وأغلم من خوات، وأشغل وأشح من ذات النحيين.

والرامك: ضرب من الطيب: والمغرة من الطين تتضايق ا نساء العرب كما يتضايقن بعجم الزبيب.

٤٤٥- (ذات النطاقين): هي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها، وكان تحت الزبير رضي الله عنه، ومنها عبد الله والمنذر وعروة وعاصم، وإنما سميت ذات النطاقين لأن رسول الله ﷺ لما تجهز مهاجرا ومعه أبو بكر، أتاهما عبد الله ابن أبي بكر وهما في الغار ليلا بسفر ما ومعه أسماء، وليس للسفرة شناق فشقت له أسماء من نطاقها فشنقتها به، فقال لها رسول الله ﷺ : «**قد أبدلك الله بنطافك هذا نطاقين في الجنة**» فقيل لها ذات النطاقين.

ولما قاتل أهل الشام عبد الله بن الزبير بمكة كانوا يصيحون به يا بن ذات النطاقين. وهو يقول: ابنها أنا والله، ثم ينشد:

وعيرها الواشـون أني أحبـها … وتلك شكاة ظاهر عنك عارهـا

فإن اعتذر عنها فإني مكـذب … وإن تعتذر يردد عليها اعتـذارها

وكان يقال: لو كان أبناء أبي بكر كبناته لعز على عمر نيل الخلافة، لأن عائشة صاحبة يوم الجمل، وأسماء هي التي حضت ابنها عبد الله بن الزبير على صدق القتال والجد في المكافحة والتحصن بالكعبة. ولما قال لها عبد الله وقد اشتد به الأمر في محاصرة الحجاج إياه: يا أم، إني لا أخاف القتل ولكن أخاف المثلة، فقالت: يا بني إن الشاة المذبوحة لا تألم للسلخ، فسار قولها مثلا. ولما قتل عبد الله وصلب تقدمت أسماء إلى الحجاج فقالت له: يا حجاج أما آن لراكبك أن ينـزل! فأمر بإنـزاله وكان آلى على نفسه ألا ينـزله أو تتكلم أمه في شأنه، وكان عبد الله يسمى العائذ، لأنه عاذ بالبيت، ولما حبس عبد الله ابن الحنفية في خمسة عشر رجلا من بني هاشم وقال: لتبايعني، أو لأحرقنكم قال كثير فيه:

تخبر من تلقـاه أنـك عائـذ … بل العائذ المحبوس في سجن عارم

وإنك آل المصطفى وابن عمـه … وفكاك أغلال وقاضي مغـارم

وسجن عارم الذي حبسهم فيه سمي بذلك. وقال ابن الرقيات في مكة:

بلد يأمنُ الحمائمُ فيه … حيث عاد الخليفة المظلوم

وكان عبد الله يدعى المحل، لإحلاله القتال في الحرم، وقال الشاعر في رثاء صاحبه:

ألا من لقب معنى غزل بحب المحلة أخت المحل

٤٤٦- (ذات الخمار): هنيدة بنت صعصعة وعمة الفرزدق وكانت تقول: من جاءت من نساء العرب بأربعة يحل لها أن تضع خمارها عندهم كأربعتي فصر متى لها: أبي صعصعة، وأخي غالب، وخالي الأقرع بن حابس، وزوجي الزبرقان ابن بدر، فسميت ذات الخمار لذلك.

قال الزبير بن بكار: كان هند بن أبي هالة ربيب النبي ﷺ يقول: أنا أكرم الناس بأربعة: أبي رسول الله ﷺ، وأمي خديجة وأختي فاطمة، وأخي القاسم. قال الزبير: فهؤلاء الأربعة لا أربعتها.

٤٤٧- (ذات الأنواط): شجرة عظيمة خضراء كانت قريش ومن سواهم من الكفار من العرب يأتو ا كل سنة، فيعلقون عليها أسلحتهم ويذبحون عندها، ويقومون عندها يوما. حدث وهب بن جبير بإسناده عن أبي واقد الليثي قال: لما فصلنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين مررنا ا، فلما رأينا السدرة ونحن يومئذ حديثو عهد بالجاهلية، فسار بنا من جانب الطريق، فقلنا: يا رسول الله، أجعل لنا ذات أنواط كما لهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**الله أكبر، أرى هذا والله كما قال قوم موسى: ﴿اجعل لنا إلَها كما لَهُم آلِهةٌ قالَ إنكُم قَومٌ تجهلُونَ﴾**(١)**؛ أما إنكم لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل**». ومضى على وجهه.

---

(١) سورة الأعراف ١٣٨.

الباب العشرون
في ذكر النساء المضافات
والمنسوبات يتمثل بهن

بنات طارق . بنات الحارث بن هشام. بنات نصيب. بنت الحارث بن عباد. زرقاء اليمامة. عجائز الجنة. عجوز اليمن. حمالة الحطب. خضراء الدمن، زواني الهند. صواحب يوسف. ضرائر الحسناء.

الاستشهاد

٤٤٨- (بنات طارق): ذكر الزبير بن بكار بإسناد له أن بنات العلاء بن طارق بن الحارث بن أمية بن عبد شمس بن المرفع؛ من كنانة يضرب بهن المثل في الحسن والشرف.

وعن محمد بن يحيى، عن غسان بن عبد الحميد، قال: رأت عائشة رضي الله عنها بنات طارق اللاتي يقلن:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

فقالت: أخطأ من يقول: إن الخيل أحسن من النساء

وقالت: هند بنت عتبة لمشركي قريش يوم أحد:

نحن بنات طـارق نمشي على النمـارق
والـدر في المخـانق والمسك في المفـارق
إن تقبلـوا نعـانق أو تدبروا نفـارق

*** فراق غير وامق ***

وعن يحيى بن عبد الملك قال: جلست ليلة وراء الضحاك بن عثمان المخزومي في مسجد رسول الله ﷺ وأنا متقنع، فذكر الضحاك وأصحابه قول هند يوم أحد:«**نحن بنات طارق**»، فقالوا: ما طارق؟ فقلت لهم: النجم، فالتفت الضحاك فقال: يا أبا زكريا، وكيف بذلك؟ فقلت: قال الله تعالى: ﴿**والسماءِ والطارِق ***

وما أدراك ما الطارقُ * النجمُ الثاقبُ﴾[1]، وإنما قالت: نحن بنات النجم، لشرفه وعلوه، فقال: أحسنت.

٤٤٩- (بنات الحارث بن هشام): يضرب بهن المثل في الحسن والشرف وغلاء المهر، وأبوهن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي؛ قال الجاحظ: بنو مخزوم ضرب بهم المثل، ووصفوا في كل غاية، فقيل: أنبه من مخزومي وكانت قريش وكنانة ومن والاهم يؤرخون بثلاثة أشياء: كانوا يقولون: كان ذلك زمن بناء الكعبة. وكان ذلك عام الفيل، وكان ذلك عام موت هشام، قال عبد الله بن ثور الخفاجي:

فأصبح بطن مكة مقشـعرا ... كأن الأرض ليس بها هشـام

قال الجاحظ: وهذا مثل وفوق المثل، وقال مسافر بن أبي عمرو:

تقول لنا الركبان في كل منـزل ... أمات هشام أم أصابكم الجدب

فجعل موته وفقد الغيث سواء. وكانت بنو مخزوم تسمى ريحانة قريش لحظوة نسائها عند الرجال، وكانت الجارية تولد لأحد آل الحارث بن هشام فتتباشر النساء بها، ويرين أهلها أنهم أغنياء لرغبة الخطاب فيها، ولذلك قال ابن هرمة من قصيدة:

ومن لم يرد مدحي فإن قصائدي ... نوافق عند الأكـرمين سـوام

نوافق عند المشتري الحمد بالندي ... نفاق بنات الحارث بن هشـام

ولما زوج الوليد بن عبد الملك ابنه عبد العزيز بأم حكيم بنت يحيى بن الحكم، وأمها بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وكان يقال لها: الواصلة، لأنها وصلت الشرف بالجمال، أمهرها بأربعين ألف دينار. وقال لجرير وعدي بن الرقاع: اغدوا علي فقولا في عبد العزيز وأم حكيم، فغدوا عليه، وأنشده جرير قصيدة منها:

ضم الإمام إليه أكرم حـرة ... في كل حالات من الأحوال

حكمية علت الحرائر كلـها ... بمفاخر الأعمام والأخـوال

فإذا النساء تفاضلت ببعولة ... فضلتهم بالسـيد المفضـال

---

(١) سورة الطارق ١: ٣.

ثم قام عدي فأنشد:

قمر السماء وشمسها اجتمعا بالسعد ما غابـا وماطلعـا

ماوارت الأستـار مثلـهما فيمن رأى منهم ومن سمعـا

دام السرور لـه ـا ولهـا و نيا طـول الحيـاة معـا

فقال له الوليد: لئن أقللت فلقد أحسنت، وأمر له بضعف ما أمر لجرير. وعدي هذا أول من شبه الزوجين بالشمس والقمر، ومنه أخذ الشعراء هذا التشبيه وأكثروا.

٤٥٠- (بنات نصيب): قد تقدم ذكرهن في الباب الخامس عشر، وضرب الناس المثل ن للبنت يضن ا أبوها على من يخطبها، ولا يرغب فيها من يرضاه لها فتبقى معنسة.

٤٥١- (بنت الحارث بن عباد): ممن يتمثل ا من النساء في الشرف والجمال بنت الحارث بن عباد، وأنشد الجاحظ لامرأة من بني مرة.

جاءوا بحارثة الضباب كأنما جاءوا ببنت الحارث بن عباد

٤٥٢- (زرقاء اليمامة): العرب تضرب المثل ا في جودة البصر وحدة النظر، ويقال: إن اليمامة اسمها، و ا سميت بلدها اليمامة، ثم أضيفت إلى البلدة فقيل: زرقاء اليمامة. واسم البلدة جو، وربما قيل زرقاء الجو، كما قال أبو الطيب المتنبي:

وأبصر من زرقاء جو لأنني إذا نظرت عيناي شاءهما علمي

وهي امرأة من جديس كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام فلما قتلت جديس طسما خرج رجل من طسم إلى حسان بن تبع فاستجاشه وأرغبه، فخرج في جيش جرار، فلما كانوا من جو على مسافة ثلاثة أيام صعدت الزرقاء السطح فنظرت إلى الجيش، وقد أمروا أن يحمل كل رجل منهم شجرة يستتر ا ليلبسوا عليها، فقالت: الزرقاء: يا قوم، قد أتتكم الشجر، أو أتتكم حمير، وقد أخذت أشياء تجرر فلم يصدقوها، ولم يستعدوا؛ أحلف بالله لقد أرى رجلا ينهش كتفا، أو يخصف نعلا، فلم يصدقوها، حتى صبحهم حسان فاجتاحهم، وأخذ الزرقاء فشق

عينيها، فإذا فيهما عروق سود من الإثمد، وقد ذكرها الأعشى فقال:

ما نظرت ذات أشفار كما نظرت **حقا كما نظر الدبسي إذ سـجعا**

قالت أرى رجلا في **كفه كتف** **أو** يخصف **النعل** لهفي **أية صنعا**

وإياها عنى النابغة بقوله:

واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمام **سـراع وارد الثمـد**

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنـا إلى حمامتنـ**ـا أو نصـفه فقـد**

ولها قصة معروفة سائرة، ويضرب ا الناس المثل.

٤٥٣- (عجائز الجنة): روى الزبير بن بكار بإسناد له قال: كان عروة بن الزبير عند عبد الملك بن مروان، فذكر أخاه عبد الله، فقال: قال أبو بكر كذا وكذا، وفعل أبو بكر كذا وكذا، فقال له بعض الحاضرين: أتكنيه عند أمير المؤمنين! لا أم لك! فقال له عروة: إلي يقال: لا أم لك وأنا ابن عجائز الجنة! يعني صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وهي أم الزبير وخديجة بنت خويلد سيدة نساء العالمين، وهي عمة الزبير، وعائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق، وهي خالة ابن الزبير، وأسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر الصديق وهي أمه.

٤٥٤- (عجوز اليمن): قال وهب بن منبه: استعمل علينا عبد الله بن الزبير رجلا منا، وكان دميما يلقب بعجوز اليمن، فقدمت على ابن الزبير في وفد اليمن وعنده عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال لي: عبد الله، كيف عجوز اليمن؟ فلم أجبه؛ فأعادها مرارا، فلما أكثر قلت: أسلمت مع سليمان لله رب العالمين، قال فما فعلت عجوز قريش؟ قال: وما عجوز قريش؟ قلت: أم جميل حمالة الحطب، في جيدها حبل من مسد، فضحك ابن الزبير وقال لابن خالد: أسأت المسألة، وأحسن الجواب.

٤٥٥- (حمالة الحطب): هي أم جميل بنت حرب، وأخت أبي سفيان التي ذكرها الله تعالى في سورة: ﴿**تبت يدا أبي لهب**﴾ يضرب ا المثل في الخسران، فيقال أخسر من حمالة الحطب، قال الشاعر:

جمعت شيئا ولم تحرز له بدلا **لأنت أخسر من حمالة الحطب**

ولقي الفضل بن عباس بن أبي لهب الأحوص الأنصاري الشاعر، فأنشده

الأحوص من شعره، فقال له الفضل: إنك لشاعر، ولكنك لا تحسن أن تؤبد، فقال: بلى، والله إني لأحسن أن أوبد حيث أقول:

ماذات حبل يراها الناس كلهم وسط الجحيم ولا تخفى على أحد

ترى حبال جميع الناس من شعر وحبلها وسط أهل النار من مسد

فأجابه الفضل بن عباس فقال:

ماذا تريد إلى شتمي ومنقصـتي أم ما تعير من حمالـة الحطـب

غراء سـائلة في المـجد غر ـها كانت سلالة شيخ ثاقب الحسب

٤٥٦- (خضراء الدمن): هذه من جوامع كلم النبي ﷺ القليلة الألفاظ، الكثيرة المعاني، التي لم تسبقه العرب إليها، ولما قال عليه السلام: ((**إياكم وخضراء الدمن، قيل يا رسول الله**))، **وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء**)). وحكى الهمذاني عن أبي الفتح الإسكندري في إحدى مقاماتة:

علقت خضراء دمنه شقيت منها بإبنه

٤٥٧- (زواني الهند): قال الجاحظ: إنما سار الزنا وطلب الرجال في نساء الهند أعم لأن شهو ن للرجال أشد، فلذلك اتخذ الهنود دورا للزواني. قال: ومن إحدى علل حبهن للزنا ورغبتهن وفارة البظر والقلفة؛ فإن البظراء تجد من اللذة ما لا تجده المختونة، وأصل ختان النساء لم يحاول به الحسن دون التماس نقصان الشهوة، ليكون العفاف مقصورا عليهن؛ ولذلك قال النبي ﷺ لأم عطية الخاتنة: "**أشميه ولا تنهكيه؛ فإنه أسرى للوجه، وأحظى عند البعل**"، كأنه أراد أنه ينقص من شهو ا بقدر ما يردها إلى الاعتدال؛ فإن شهو ا إذا قلت ذهب التمتع، ونقص حب الأزواج وحب الزوج قيد دون الفجور.

وذكر صاحب كتاب "المسالك والممالك" أن عامة ملوك الهند يرون الزنا حلالا خلا ملك قمار، قال: وقد دخلت مدينته وأقمت ا سنتين فلم أر ملكا أغير ولا أشد في الأشربة منه، فإنه يعاقب على الزنا والشرب بالقتل، فأما غيره من ملوك الهند فإ م جميعا يرون الزنا مباحا، ولا يتحاشون عنه، غير أن من أحصن منهم امرأة

فعرض لها عارض فزنيا جميعا فقتل الرجل والمرأة قتلا ذريعا.

٤٥٨- (صواحب يوسف): يقال للنساء عند شكايتهن وذم أخلاقهن، قال النبي ﷺ لبعض نسائه وهو يعاتبها: "**إنكن صواحبات يوسف**" وقال أبو تمام:

* **فهن عوادي يوسف وصواحبه** *

٤٥٩- (ضرائر الحسناء): يضرب مثلا لحساد الأفاضل.

قال الشاعر:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا وبغضا إنه لدميم

الباب الحادي والعشرون

فيما يضاف وينسب إلى النساء

كيد النساء. رأي النساء. نخلة مريم. عرش بلقيس. ذنب صحر. شؤم البسوس. عطر منشم. حمق دغة. رغيف الحولاء. عزة أم قرفة. قوة الزباء. يوم حليمة. نكاح أم خارجة. برد العجوز. غلمة سجاح. بيت عاتكة. حمام منجاب. سوق العروس. مرآة الغريبة. سوداء العروس. بكاء الثكلى. ليلة العروس. أصابع زينب. فحش مومسة. داء الضرائر.

الاستشهاد

٤٦٠- (كيد النساء): يضرب به المثل في كل زمان ومكان، قال بعض السلف: إن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان، لأن الله تعالى يقول: ﴿**إن كيد الشيطان كانَ ضعيفًا**﴾[١]، وقال: ﴿**إن كيدكُن عظِيمٌ**﴾[٢]. فإن قيل: إن هذا الكلام لم يحكه الله عن نفسه، وإنما حكاه عن غيره حيث قال: ﴿**إنهُ مِن كيدِكُن إن كيدكُن عظِيمٌ**﴾[٣]، قيل: قد صدقتم، والصفة على ما ذكرتم، إلا أن الكلام لو كان منكرا لأنكره الله تعالى، ولو كان معيبا لعابه تعالى، وقد حكاه الله تعالى ولم يعبه، وجعله قرآنا وعظمه بذلك، والمعنى مما لا ينكر في العقل ولا في اللغة ولا في الكلام، وإذا كان على هذه الصفة فهو مثله إذا كان هو المنشئ له.

ومما قيل في كيد النساء:

كادني المازني عند أبي الـ ... عباس والفضل ما علمت كريم

شبها بالنساء في كل أمـر ... إن كيد النساء كيد عظيم

وقال يحيى بن علي المنجم:

---

(١) سورة النساء ٧٦.

(٢) سورة يوسف ٢٨.

(٣) سورة يوسف ٢٨.

رب يوم عاشرته فتقضى ... بعد حمد عن آخر مذموم

يالقومي لضعفه ولكيد ... مثل كيد النساء منه عظيم!

٤٦١- (رأي النساء): يضرب به المثل في الوهن والخطأ؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «**شاوروهن وخالفوهن**» وقال: «**ذل من أسند أمره إلى رأي امرأة**».

وقال الشاعر:

شيئان يعجز ذو الرصانة عنهما ... رأي النساء وإمـرة الصـبيان

أما النساء فميلهن إلى الهـوى ... وأخو الصبا يجري بغير عنـان

٤٦٢- (نخلة مريم): قال ابن سمكة: من أمثالهم: أعظم بركة من نخلة مريم، قال: وكانت نخلة مريم العجوة، وقال الله تعالى في قصتها: ﴿**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**﴾[1].

وقال صاحب كتاب المسالك والممالك: هي في بيت لحم، ويقال: إ ا غرست منذ أكثر من ألفي سنة، وهي منحنية.

ومن بارع التمثل ا قول الشاعر:

ألم تـــر أن الله أوحـــى لمـــريم ... وهزي إليك الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هـزه ... جنته ولكن كل شيء له سبب

٤٦٣- (عرش بلقيس): يضرب به المثل، كما قال الشاعر:

مطـبخ داود في نظافتـه ... أشبه شيء بعرش بلقيس

ثياب طباخه إذا اتسخت ... أنقى بياضا من القراطيس

وكما قال السري الموصلي في وصف قواد حاذق:

من ذم إدريس في قيادتـه ... فإنني حامـد لإدريـس

كلم لي عاصيا فكان لـه ... أطوع من آدم لإبلـيس

وكان في سرعة ا يء به ... آصف في حمل عرش بلقيس

(١) سورة مريم ٢٥.

٤٦٤- (ذنب صحر): صحر امرأة وهي بنت لقمان بن عاد، وكان أبوها لقمان وأخوها لقيم خرجا مغيرين، فأصابا إبلا كثيرة فسبق لقيم إلى منـزله، وعمدت صحر إلى جذور مما قدم به لقيم، وصنعت منه طعاما يكون معدا لأبيها لقمان إذا قدم، وقد كان لقمان حسد لقيما في تبريزه عليه، فلما قدمت صحر إليه الطعام وعلم أنه من غنيمة لقيم، لطمها لطمة قضت عليها، فصارت عقوبتها مثلا لكل من لا ذنب له ويعاقب، وفيها يقول خفاف بن ندبة:

وعباس يدب لي المنايا **وما أذنبت إلا ذنب صحر**

٤٦٥- (شؤم البسوس): هي بنت منقذ التميمية، زارت أختها أم جساس ابن مرة ومع البسوس جار لها من جرم، يقال له سعد بن شمس، ومعه ناقة له، فرماها كليب وائل لما رآها في مرعى قد حماه، فأقبلت الناقة إلى صاحبها وهي ترغو وضرعها يشخب لبنا ودما، فلما رأى ما ا انطلق إلى البسوس فأخبرها بالقصة، فقالت: وا ذلاه! واغربتاه! وأنشأت تقول أبياتا تسميها العرب أبيات الفناء، وهي:

ولعمري لو أصبحت في **دار منقذ** **لما ضيم سعد وهو جار لأبيـاتي**

ولكنني أصبحت في **دار غربـة** **متى يعد فيها الذئب يعدو على شاتي**

فياسعد لا تغرر بنفسك وارتحل **فإنك** في **قوم عن الجار أمـوات**

ودونك أذوادي فخذها وآتني **براحلـة لا تغـدرن ببُنيـاتي**

فسمعها ابن أختها جساس فقال لها: أيتها الحرة، اهدئي فوالله لأقتلن بلقحة جارك كليبا، ثم ركب فخرج إلى كليب فطعنه طعنة أثقلته فمات منها. ووقعت الحرب بين بكر وتغلب فدامت أربعين سنة، وجرت خطوب يطول بذكرها الخطاب. وسار شؤم البسوس مثلا، ونسبت الحرب إليها لكو ا سببها، فقيل: حرب البسوس، وهي من أشهر حروب العرب، والمثل ا سائر جدا.

ومن أملح ما قيل فيها قول المغلسي من قصيدة:

وكـأن بـين يمينـه **وتراثه حرب البسوس**

وكأنـه في زهـده **وعفافه بشر المريسـي**

٤٦٦- (عطر منشم): الأقاويل فيه كثيرة. قال ابن قتيبة: أحسن ما سمعت فيه أن منشم امرأة كانت تبيع العطر والحنوط، فقيل للقوم إذا تحاربوا وتفانوا: دقوا بينهم عطر منشم.

وقال حمزة بن الحسن: كانت منشم عطارة تبيع الطيب، فكانوا إذا قصدوا حربا غمسوا أيديهم في طيبها، وتحالفوا عليه بأن يستميتوا في الحرب ولا يولوا أو يقتلوا؛ فكانوا إذا دخلوا الحرب بطيب تلك المرأة يقول الناس: قد دقوا بينهم عطر منشم؛ فلما كثر منهم هذا القول صار مثلا؛ فممن تمثل به زهير حيث قال:

تداركتما عبسا وذبيان وبعدما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

٤٦٧- (حمق دغة): هي بنت منعج، زوجت وهي صغيرة في بني العنبر، فحملت، فلما ضر ا المخاض ظنت أ ا تحتاج إلى الخلاء، فبرزت إلى بعض الغيطان ووضعت ذا بطنها، فاستهل الوليد، فجاءت منصرفة وهي لا تظن إلا إ ا أحدثت فقالت لأمها: يا أماه، هل يفتح الجعر فاه؟ قالت: نعم ويدعو أباه؛ فسب ا بنو العنبر، فسموا بني الجعراء.

ولها حماقات كثيرة، والمثل بحمقها مشهور سائر، وأنشدني الخوارزمي لبعض أهل عصره في أبي منصور الأزهري الهروي:

الأزهـري وزغـه ... حمقه حمـق دغـه

ويدعي مـن جهلـه ... كتاب ذيب اللغـه

وهو كتاب العـين إلا ... أنـه قـد صبغـه

قال: وإنما نسج على منوال من قال في ابن دريد:

ابن دريـد بقـره ... وفيه غـي وشـره

ويـدعي مـن قحـة ... وضع كتاب الجمهره

وهو كتاب العـين إلا ... أنه قـد غيـره

٤٦٨- (رغيف الحولاء): من أمثال العرب أشأم من رغيف الحولاء وكانت خبازة في بني سعد بن زيد مناة، فمرت وعلى رأسها كارة خبز، فتناول رجل من

رأسها رغيفا، فقالت: والله مالك علي حق، ولا استطعمتني، فلم أخذت رغيفي! أما إنك ما أردت ذا إلا فلانا - تعني رجلا كانت في جواره - فمرت إليه شاكية، فثار وثار معه قومه إلى الرجل الذي أخذ الرغيف وقومه فقتل بينهم ألف نفس، وسار رغيف الحولاء مثلا في الشيء اليسير يجلب الخطب الكبير.

وفي رسالة ابن العميد إلى أبي العلاء السروي التي ينكر فيها تعصبه للعجم على العرب: اقبل وصية خليلك، وامتثل مشورة نصيحك، ولا تتماد في ميدان الجهل ينضك، ولا تتهافت في لجاج يغريك، واخش يا سيدي أن يقال: التحمت حرب البسوس من ضرع دمي، واشتبكت حرب غطفان من أجل بعير قرع، وقتل ألف فارس برغيف الحولاء، وصب الله على العجم سوط العذاب بمزاح أبي العلاء.

٤٦٩- (عزة أم قرفة): قال الأصمعي: من أمثالهم إذا أرادوا العز والمنعة قالوا: إنه لا منع من أم قرفة، وهي بنت مالك بن حذيفة بن بدر، وكان يحرس بيتها خمسون سيفا بخمسين فارسا، كلهم لها محرم.

وقال غير الأصمعي: هي بنت ربيعة بن بدر.

٤٧٠- (قوة الزباء): هي امرأة من العماليق، وأمها من الروم، ملكت الجزيرة وعظم شأ ا؛ فكانت تغزو بالجيوش، وهي التي غزت ماردا والأبلق، وهما حصنان في اية الوثاقة فاستصعبا عليها، فقالت: تمرد مارد وعز الأبلق فذهبت مثلا، وهي التي فتكت بجذيمة الأبرش حتى أخذ ثأره منها قصير وقتلها، والقصة معروفة سائرة.

٤٧١- (يوم حليمة): هو من أشهر أيام العرب، ولذلك قيل: ما يوم حليمة بسر، وفيه يقول النابغة:

تخيرن من أزمان يوم حليمة إلى اليوم قد جربن كل التجارب

وحليمة بنت الحارث بن أبي شمر، وإنما نسب اليوم إليها لأن أباها وجه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء، فحضرت حليمة المعركة محرضة لعسكر أبيها على القتال، وأخرجت لهم طيبا في مركن تطيبهم به. ويزعم العرب أن الغبار ارتفع في ذلك اليوم حتى غطى عين الشمس، فظهرت الكواكب، فسار المثل بذلك وقيل: لأرينك الكواكب ظهرا، كما قال طرفة:

إن تنوله فقد تمنعه وتريه النجم يجري بالظهر

٤٧٢- (نكاح أم خارجة): يضرب به المثل في السرعة فيقال: أسرع من نكاح أم خارجة؛ وهي عمرة بنت سعد بن عبد الله بن بجيلة، كان يأتيها الخاطب فيقول: خطب، فتقول: نكح.

ويروى أ ا كانت تسير يوما ومعها ابن لها يقود جملها، فرفع لها شخص فقالت لابنها: من ترى ذلك الشخص؟ قال: أراه خاطبا، فقالت: يا بني تراه يعجلنا عن أن نحل، ماله أل وغل.

وقال المبرد: ولدت أم خارجة للعرب في نيف وعشرين حيا من آباء متفرقين، وكانت هي إحدى النساء اللاتي إذا تزوج منهن الرجل؛ فأصبحت عنده كان أمرها إليها، إن شاءت أقامت، وإن شاءت ذهبت وكانت علامة ارتضائها للزوج أن تضع له طعاما كلما تصبح.

وروى الصولي عن مشايخه، عن إسماعيل الساحر، قال: خرجت مع السيد الحميري وقت المغرب، وقد شربنا عند نصر بن مسعود، فلقيتنا فرحة بنت الفجاءة ابن عمرو بن قطري بن الفجاءة الخارجي راكبة فرسا، وكانت ظريفة جميلة فصيحة جزلة فهمة، فرافقها السيد وأحسن خطا ا وهي لا تعرفه، فتحاورا أحسن حوار؛ إلى أن خطب إليها نفسها، فقالت: أعلى ظهر الطريق! فقال: ألم يكن نكاح أم خارجة أسرع من هذا! فاستضحكت وقالت: نصبح وننظر من الرجل وممن؟ فأنشد:

إن تسأليني بقومي تسألي رجلا في ذروة العز من أحياء ذي يمن
إني امرؤ حميري حين تنسـبني جدي رعين وأخوالي ذو يـزن

فعرفته فقالت: يماني وتميمية، ورافضي وحرورية، وكيف يجتمعان! قال: على ألا نذكر سلفا ولا مذهبا، فتزوجته سرا، فأقاما معا في عيشة راضية، ولم ينكر أحدهما من صاحبه شيئا حتى فرق بينهما الموت.

قال مؤلف الكتاب: وممن جمعتهم الصداقة على اختلاف المذاهب الكميت والطرماح، فإن الكميت كان رافضيا غاليا، والطرماح كان خارجيا حروريا، وكان

بينهما أحسن وألطف ما يكون بين صديقين شقيقين، فإذا قيل لهما في ذلك قالا: اجتمعنا على بغض العامة.

ومما ينخرط في سلك هذه الحكاية - والحديث شجون - ما حدث به ابن عائشة، قال: كان للحسن بن قيس بن حصين ابن، شيعي وابنة حرورية وامرأة معتزلية، وأخت مرجئية وهو سني جماعي، فقال لهم ذات يوم: أراني وإياكم طرائق قددا!

مضى الحديث كما يقول إسحاق الموصلي في كتاب الأغاني.

٤٧٣- (برد العجوز): فيه أقاويل مختلفة، فمنها أن عجوزا دهرية كاهنة من العرب كانت تخبر قومها ببرد يقع في أواخر الشتاء وأوائل الربيع فيسوء أثره على المواشي، فلم يكترثوا بقولها وجزوا أغنامهم واثقين بإقبال الربيع، فلم يلبثوا إلا مديدة حتى وقع برد شديد أهلك الزرع والضرع، فقالوا: هذا برد العجوز - يعنون العجوز التي كانت تنذر به.

ومنها أن عجوزا كانت بالجاهلية ولها ثمانية بنين فسألتهم أن يزوجوها، وألحت عليهم، فتآمروا بينهم، وقالوا: إن قتلناها لم نأمن عشير ا، ولكن نكلفها البروز للهواء ثمان ليال، لكل واحد منا ليلة؛ فقالوا لها: إن كنت تزعمين أنك شابة فابرزي للهواء ثمان ليال، فإننا نـزوجك بعدها، فوعدت بذلك، وتعرت تلك الليلة والزمان شتاء كلب، وبرزت للهواء فلما أصبحت قالت:

إيها بني إنني **لناكحه** **وإن أبيتم** إنني لجامحه

*** هان عليكم ما لقيت البارحة ***

فقالوا لها: لا بد أن تنجزي وعدك في الليالي السبع، ففعلت وماتت في الليلة السابعة.

ونسب العرب: إليها برد الأيام الثمانية، وأسماؤها: الصن والصنبر والوبر وآمر ومؤتمر ومعلل ومطفيء الجمر، ومكفئ الظعن، وفيها شعر مصنوع:

كسع الشتاء بسبعة غـبر أيام شهلتنا من الشـهر

فإذا انقضت أيام شهلتنا بالصن والصبر والـوبر

وبآمر وبأخيه مؤتمر ومعلل وبمطفي الجمر
ذهب الشتاء موليا عجلا وأتتك وافدة من الحر

وزعم بعض المفسرين أنها الأيام التي أهلك الله تعالى فيها عادا، فقال: ﴿**وأما عادٌ فَأُهلِكُوا بِريحٍ صرصرٍ عاتِيةٍ * سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانِيةَ أيامٍ حُسُوما فترى القَوم فِيها صرعى كأنهُم أعجازُ نخلٍ خاوِيةٍ * فَهلْ ترى لَهُم من باقِيةٍ**﴾[1].

وقد ظرف ابن المعتز في هجاء عجوز نسب إليها البرد وأوهم أنه يريد برد العجوز المذكورة، وهو يعني برد عجوز أخرى هجاها، فقال:

جمد برد العجوز في كوزها المـ ـاء وأطفى نيران مجمرها
فليت برد العجوز في فمها وحرها يكون في حرها

وقال ابن الرومي وهو يضرب المثل ببرد العجوز:

كنت عند الأمير أيده اللـ ـه لأمر وذاك في تموز
فتغنى فهزني البرد حتى خلت أني في وسط برد العجوز

٤٧٤- (غلمة سجاح): بنت عقفان التميمية، وأوقح امرأة وأكذبها وذلك أنها كانت كاهنة زمانها، تزعم أن رئيها ورئي سطيح واحد، ثم جعلت ذلك الرئي ملك حتى ادعت النبوة بعد موت النبي ﷺ، ثم تجهزت في قومها إلى مسيلمة الكذاب، فقال قيس بن عاصم:

أضحت بنيتنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الله ذكرانا
يالعنة الله والأقوام كلهم على سجاح ومن بالإفك أغرانا
أعني مسيلمة الكذاب لاسقيت أصداؤه ماء مزن حيثما كانا

ولما آمنت به بعد جحدها لنبوته وبعد مناقضتها إياه وهبت نفسها له، فقال لها:

ألا قومي إلى المخدع فقد هيى لك المضجع

---

(١) سورة الحاقة ٦-٨.

فإن شئت سلقنـــاك وإن شئت على أربـــع
وإن شئت بثلثيــــه وإن شئت بـــه أجمـــع

فقالت: بل به أجمع؛ فهو أجمع للشمل، فجرى المثل بغلمتها حتى قيل: أغلم من سجاح.

وقال الجاحظ: لم نعلم أحدا قط ادعى أن الله أرسله إلى قوم وآمنوا به، ثم زعم أنه كاذب سوى طليحة وسجاح؛ فإنهما تنبآ ثم أظهرا التوبة، وجلسا يحدثان من كان مؤمنا بهما وصدقهما، ويخبرا بما بأنهما كانا فيما يدعيان مبطلين كاذبين، وإذا لم تستح فأصنع ما شئت!

٤٧٥- (بيت عاتكة): يضرب مثلا في الموضع الذي تعرض عنه بوجهك، وتميل إليه بقلبك، وهو من قول الأحوص:

يا بيت عاتكة الـــذي أتعـــزل حذر العدا وبه الفؤاد موكـــل
إني لأمنحك الصـــدود وإنـــني قسما إليك مع الصدود لأميل

ويحكى أن كلا من يحيى بن خالد وابن المقفع مر ببيت النار، فأنشد البيتين، وهما من قصيدة طويلة أنشدنيها الأمير السيد أدام الله تأييده يوما من أولها إلى آخرها، وأنا أسايرة وهو يكسوها أحسن معرض من عبارته، وجودة إنشاده، فسقط سوطي من يدي وأنا لا أشعر به، لاشتغال خاطري بها، وانصراف فكري كله إلى جزالتها وبراعتها وشرف منشدها، فلما انتهى إلى هذا البيت:

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق الحديث يقول ما لا يفعل

قال لي: إن لهذا البيت قصة مع المنصور، واستمر في إنشاء تمام القصيدة، فانتهت مسافة الطريق قبل أن أسأله عن تلك القصة؛ وعرضت موانع عن مذاكرته فيها عند النـــزول والتمكن، ثم وجدتها في أخبار المنصور؛ وهي أنه لما توفيت امرأة أبي بكر الهذلي - وكانت أم ولده والقيمة بأمور منـــزله - جزع عليها جزعا شديدا، وبلغ ذلك المنصور، فأمر الربيع بأن يأتيه ويعزيه، ثم يقول له: إن أمير المؤمنين موجه إليك بجارية نفيسة، لها أدب وظرف، تسليك عن زوجك، وتقوم بأمور دارك، وأمر لك معها بفراش وكسوة وصلة. فلم يزل الهذلي يتوقعها ونسيها المنصور. ثم إن المنصور حج ومعه الهذلي، فقال له وهو بالمدينة: إني أحب أن أطوف

الليلة في المدينة، فاطلب لي رجلا يعرف منازلها ومساكنها وربوعها، وطرقها وأخبارها وأحوالها، ليكون معي فيعرفني جميعها، فقال: أنا لها يا أمير المؤمنين، فلما أرخى الليل سدوله خرج المنصور على حمار يطوف مع الهذلي في سكك المدينة، وهو يسأل عن ربع ربع، وسكة سكة، وموضع موضع، فيخبره لمن هو، ولمن كان، ويقص عليه قصته والحال فيه، ثم قال: وهذا يا أمير المؤمنين بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص:

يا بيت عاتكة الـذي أتعـزل حذر العدا وبه الفؤاد موكـل

فأنكر المنصور ابتداءه بذكر بيت عاتكة من غير أن يسأله عنه، فلما رجع إلى منـزله أمر القصيدة كلها على قلبه فإذا فيها:

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق الحديث يقول مالا يفعل

فعلم المنصور أنه لم يصل إلى الهذلي ما وعده إياه من الجارية والكسوة والفراش، فحمل إليه واعتذر له.

٤٧٦- (حمام منجاب): منجاب امرأة كان لها حمام بالبصرة لم ير مثله، وكان يغل غلة كثيرة، وكانت تأتي إليه وجوه الناس، وفيه يقول:

يا رب قائلة يوما وقد تعبت كيف الطريق إلى حمام منجاب!

وكان بالبصرة حمام آخر لامرأة تدعى طيبة، فكسد عليها، فقال لها شاعر: ما الذي تجعلينه لي إن حولت وجوه الناس إلى حمامك ونفقته لك وتركت حمام منجاب مهجورا لا يغشى؟ قالت: ألف درهم، قال: فعدليه وأنا أوفي لك بما ضمنته، فعدلت الألف، فقال الشاعر:

حمام طيبة لا حمام منجاب حمام طيبة سخن واسع الباب

فترك الناس حمام منجاب، وأقبلوا على حمام طيبة، فوفت للشاعر بالألف. وحمام بوران ببغداد كحمام منجاب بالبصرة.

٤٧٧- (سوق العروس): يضرب به المثل في الحسن، فيقال: أحسن من سوق العروس، وهو مجمع الطرائف ببغداد، وما ظنك بأحسن الأسواق في أحسن البلاد! وكان الخوارزمي إذا وصف جارية بالحسن قال: كأ ا سوق العروس، وكأ ا

العافية في البدن، وكأ ا مائة ألف دينار.

وسمعت السيد أبا جعفر الموسوي، يقول: إنما يضاف إلى العروس كل شيء يجمع المحاسن، كما يقال: سفينة العروس للسفينة الكبيرة التي تشتمل على نفائس الأمتعة للتجارة، وخزانة العروس للخزانة الخاصة من خزائن الملوك، وسوق العروس لأحسن الأسواق وأجمعها لأحاسن الطرائف؛ لأن العادة جارية باحتفال الناس لتجهيز العرائس بالطرائف والنفائس.

٤٧٨- (مرآة الغريبة): يضرب ا المثل، فيقال: أنقى من مرآة الغريبة؛ لأن المرأة الغريبة تتعهد مرآ ا من الجلاء بما لا يتعهد غيرها، وتتفقد من محاسن وجهها مالا يتفقده سواها، فمرآ ا أبدا مجلوة نقية، قال ذو الرمة:

*** وخد كمرآءة الغريبة أسجح ***

٤٧٩- (سوداء العروس): هي جارية سوداء تبرز أمام العروس الحسناء، وتوقف بإزائها لتكون أظهر لمحاسنها:

فأحسن مرأى للكواكب أن ترى **طوالع** في **داج من الليل غيهب**

والشيء يظهر حسنه الضد.

ولتكون كالعوذة لجمالها وكمالها، وإياها عنى أبو إسحاق الصابي بقوله في غلام حسن الوجه بيده نبيذ أسود:

بنفسي مقبل يهـدي فتونـا **إلى الشرب الكرام بحسن قده**

وفي يده من التمري كأس **كسوداء العروس أمام خـده**

٤٨٠- (بكاء الثكلى): يشبه به البكاء الشديد، كما قال الشاعر:

ولأبكين على الحسين **بدمع جم الدمع ساهر**

ولأبكين بكاء ثكـ **ـلى تسعة فجعت بعاشر**

٤٨١- (ليلة العروس): يشبه ا ما يوصف بالحسن، كما قال الصاحب:

وشادن في الحسن كالطاوس **أخلاقه كليلـة العـروس**

قد نال بالحظ من النفـوس **ما لم تنله الروم من طرسوس**

٤٨٢- (أصابع زينب): ضرب من الحلواء ببغداد يدعى أصابع زينب، وفيه يقول أبو طالب المأموني:

وضرب من الحلوى أكني عن اسمه ... لوجدي بمن يعزي إليه وينسب

يصدق معنـاه اسمـه فكأنـه ... بنان وأطراف البنـان مخضـب

وفيه أيضا يقول:

أحب من الحلواء ما كان مشبها ... بنان عروس في حبير معصـب

فما حملت كف الفتى متطعمـا ... ألذ وأشهى من أصابع زينـب

وكان، ابن المطرز شاعر العصر ببغداد عند صديق فأحضر له أصابع زينب، فأهوى إلى واحدة منها ليأخذها، فقبض الصديق على يده وغمزها غمزة آلمته، فقال:

يا مسكري بمدامه ... ومن الحـلاوة ما نعي

حاولت إصبع زينب ... فكسرت خمس أصابع

٤٨٣- (فحش مومسة): أنشد الجاحظ:

أقسمت أنك أنت ألأم من مشى ... في فحش مومسة وزهو غراب

٤٨٤- (داء الضرائر): من أمثال العرب قولهم: بينهم داء الضرائر، إذا كان بينهم شر دائم وحسد وبغض؛ لأن الضرائر يبغض بعضهن بعضا ولا يكدن يخلون من مشاجرة.

الباب الثاني والعشرون
في أعضاء الحيوان
وما يضاف وينسب إليها ويستعار منها

رأس لقمان. رأس الجالوت. رأس المال. رأس العصا. وجه النهار. عين الرضا. عين العقل. عين الكمال. عين العلا. عين القلب. إنسان العين. عبد العين. أنف الكرم. فم الفتنة. لسان الحال. جرح اللسان. أسنان المشط. سن القلم. سن النادم. ناب النوائب. أذنا عناق: أذنا الحائط. أذن العود. جريعاء الذقن. أعناق الرياح. أيدي سبا. أنامل الحساب. أصابع الأيتام. ظفر الزمان. كلكل الدهر. صدر الأمر وعجزه. ثمار النحور. ثدي اللؤم. سويداء القلب. ثمرة القلب. قلب العسكر. طلائع القلوب. كبد السماء. داء البطن. ذكر الخصي. شريان الغمام. حبل الوريد. عرق الخال.

الاستشهاد

٤٨٥- (رأس لقمان): العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول العمر، كذلك تصف رأسه بالعظم، وتضرب به المثل، قال الشاعر:

تراه يطوف الآفاق حرصا ليأكل رأس لقمان بن عاد

٤٨٦- (رأس الجالوت): الجالوت رئيس اليهود، كما أن الأسقف رئيس النصارى، والموبذ رئيس ا وس.

٤٨٧- (رأس المال): العرب تستعير الرأس لكثير من الأشياء، فتقول: رأس المال ورأس الليل، ورأس الجبل، ورأس الزمان، ورأس القوم، ورأس الجريدة، ورأس الأمر، ورأس العقل، ورأس الدين، ورأس كذا وكذا، قال الخليل بن أحمد: اجعل ما في كتبك رأس المال، وما في قلبك للنفقة. ومن أمثال التجار: رأس المال أحد الربحين، قال ابن الرومي:

كطالب ربح في سبيل مخوفة فأهلك رأس المال والحرص قد يردي

وقال أبو الشيص في رأس الليل:

سقانيها والليل قد شاب رأسه غزال بحناء الزجاجة مختضب

وقال ابن المعتز وهو يصف ناقته:

وباتت تفلّي هامةَ الليل مثلما تغلغلَ مِدرى في قُرون كَعابِ

وقال أبو محمد الخازن الأصبهاني:

وركابي تطوي البسيطة بالوخـ ـد وتفري مفارق الفلوات

وقال الخزرجي في رأس الزمان:

قد شاب رأس الزمان واكتهل الـ ـ ـ ـدهر وأثوابُ عمره جدد

وقال الأعشى في رأس الناس:

لما رأيت زماني كالحـا سمجـا قد صار فيه رءوس الناس أذنابا

يممت خير فتى في الناس أعلمه للشاهدين به أعني ومن غابـا

وقال إبراهيم بن المهدي في رأس الحرص:

قد شاب رأسي ورأس الحرص لم يشب إن الحريص على الدنيا لفي تعب

وقال أبو تمام في رأس الروض وهو يصف ديمة:

كشف الروض رأسه واستسر الـ ـمحل منها كما استسر المريب

وقال ابن المعتز في رأس الخمر:

معتقة صاغ المزاج لرأسها أكاليل در ما لمنظومها سلك

وقال الصاحب لفخر الدولة:

يا بانيا للقصر بـل للعـلا همـك والفرقـد تربـان

لم تبن هذا القصر بل صـغته تاجا على مفـرق جرجـان

وقال بعض السلف: رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس.

وقال آخر: رأس الدين، صحة اليقين. وقال آخر: رأس المآثم الكذب. وعمود الكذب البهتان. وقال ابن المعتز: رأس السخاء أداء الأمانة.

٤٨٨- (رأس العصا): يقال لصغير الرأس: رأس العصا. وكان عمر بن هبيرة صغير الرأس، فقال فيه سويد بن الحارث:

فمن مبلغ رأس العصا أن بيننـا ضغائن لا تنسى وإن هي سـلت
رضيت لقيس بالقليل ولم تكـن أخا راضيا لو أن نعلك زلـت

٤٨٩- (وجه النهار): وجه النهار: أوله، وقد نطق القرآن بذلك، ويقال: بدا وجه النهار وطر شاربه، إذا ابتدأت الظلمة فيه.

ومن استعارات الوجه قولهم: وجه الدهر، ووجه الأرض، ووجه الأمر، ووجه القوم للرئيس، ووجه التخت للثوب النفيس. ومن استعارات أبي العتاهية للوجه قوله:

يا عاشق الدنيا يغرك وجهها ولتندمن إذا رأيت قفاها

ومن استعارات أبي تمام لذلك قوله وهو يعاتب:

فما بال وجه الشعر أغبر قاتما وأنف العلا من عطلة الشعر راغم

وقوله:

كم ماجد سمح تناول جوده مطل فأصبح وجه آمله قفا

وقوله وهو يمدح بدرا:

بدر إذا الإحسان قنع لم يـزل وجه الصنيعة عنده مكشـوفا
وإذا غدا المعروف مجهولا غـدا معروف كفك عنـده معروفـا

ومن استعارات أبي الفتح كشاجم للوجه قوله:

يا معرضا عني بوجـه مـدبر ووجوه دنيـاه عليـه مقبلـه
هل بعد حالك هذه من حالـة أو غاية إلا انحطاط المنـزله!

ولم أجد في الشعر أحسن تصرفا في استعارة الوجه من ابن المعتز، فإنه جاء بالسحر الحلال حيث قال:

تفقد مساقط لحظ المريـب فإن العيون وجـه القلـوب
وطالع بـوادره في الكـلام فإنك تجني ثمـار الغيـوب

وقال آخر:

ألم تستحي من وجـه المشـيب وقد ناداك بـالوعظ المصـيب
أراك تعــد للآمــال ذخــرا فما أعددت للأجل القريـب!

وقال:

قد لعمري أطال عنا صـدودا وجه دهر قاس قليـل الحيـاء
وضع الجهل ثم قال اجهدوا جهـ ـدكُمُ يـا معاشـر العقـلاء

وقال:

دع الناس قد طالما أتعبـوك ورد إلى الله وجــه الأمــل
ولا تطلب الرزق من طالبيه واطلبه ممن به قـد كفـل

وقال:

ولقد أخضب سيفي ورمحي ووجوه الموت سود وحمر

وقال في الخيل:

زينتها غرر ضاحكات كبدور في وجوه الليالي

وقال في فصوله القصار: لا تشن وجه العفو بالتأنيب.

وقال: ما أبين وجوه الخير والشر في مرآة العقل إن لم يصدئها الهوى!

فأما قول البحتري:

فسلام على جنابك والمنهل فيــه وربعــك المــأنوس
حيث فعل الأيام ليس بمذمو م ووجه الزمان غير عبـوس

فهو من أحسن هذه الوجوه كلها وآخذها بمجامع القلوب. ولم يقصر من قال:

لا تأمن شحوب وجهك بعدما بيضت للسلطان وجه المشرق

٤٩٠- (عين الرضا): أول من ذكر عين الرضا في شعره عبد الله بن معاوية عند جعفر بن أبي طالب حيث قال في الفضيل بن السائب، وأرسل البيت الرابع مثلا:

رأيت فضيلا كان شيئا ملففـا فكشفه التمحيص حتى بدا ليـا
وأنت أخي مالم تكن لي حاجـة فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا

ولست براء عيب ذي الود كله ... ولا بعض ما فيه إذا كنت راضـيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

ثم تبعه من قال:

وعين البغض تبرز كل عيب ... وعين الحب لا تجد العيوبا

٤٩١- (عين العقل): رأى المأمون في يد بعض ولده دفترا، فقال: ما هذا يابني؟ فقال: ما يشحذ الفطنة، ويؤنس الوحدة؛ فقال: الحمد لله الذي أراني من ولدي من ينظر بعين عقله.

ولابن المعتز من فصوله القصار: من لم يتأمل الأمر بعين عقله، لم يقع سيف حيلته إلا على مقتله.

وله: الأماني تعمي أعين البصائر.

٤٩٢- (عين الكمال): إذا انتهى الشيء إلى منتهاه، وبلغ غايته، ووافق ذلك إعجاب من يراه، ثم عرض له بعض أعراض الدنيا قيل: قد أصابته عين الكمال.

وفي الدعاء: صرف الله عنك عين الكمال.

قال مؤلف الكتاب:

أقول لمولانا خوارزم شاه لا ... تزل بنداك الغمر للناس ما لكا

هل ا د إلا خلة من خلالكا ... أو البدر إلا نقطة من جمالكا

جمعت المعالي والمحاسن كلها ... وقاك إله الناس عين كمالكا

٤٩٣- (عين العلا): أحسن ما سمعت في استعارة العين للعلا قول أبي تمام يرثي، وهو من أحسن مراثيه، ومراثيه خير شعره:

ألا إن في ظفر المنيـة مهجـة ... تظل لها عين العلا وهي تـدمع

هي النفس إن تبك المكارم فقدها ... فمن بين أحشاء المكارم تنـزع

كما أن أحسن ما سمعت في عين القصائد قول القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز من قصيدة الصاحب:

ولي فيك ما لو أنصف الشعر صيرت ... قوافيه كحلا في عيون القصائد

ومن العيون المستعارة: عين الشمس، وعين السماء، وعين الماء، وعين الميزان، وعين المتاع، وعين النرجس، وعين الزمان، وعين المنية، وبكلها نطقت الأشعار.

٤٩٤- (عين القلب): من ألطف ما قيل فيها قول أبي عثمان الناجم:

لئن راح عن عيني أحمد غائبا   فما هو عن عين الفؤاد بغائب

ومن أشهر ما في ذلك قول أبي تمام:

ولذاك قيل من الظنون جلية   صدق وفي بعض القلوب عيون

ولأبي فراس الحمداني في معناه:

من السلوان في عينيـ   ـك آيـات وآثـار

أراها منك بالقـلـب   ولي بالقلب إبصـار

إذا ما بـرد القلــب   فمـا تسخنـه النـار

٤٩٥- (إنسان العين): هو ناظر العين الذي به يبصر الإنسان، وإنما سمي إنسان العين لأن الإنسان يتراءى فيه، قال ذو الرمة.

وإنسان عيني يحسر الماء تارة   فيبدو، وتارات يجم فيغرق

وقد ظرف ابن الحجاج في قوله:

إنك إنسان له موقع   من ناظري في جوف إنسانه

وقد ظرف أبو الفضل الميكالي في قوله:

أعددت محتفلا ليـوم فراغـي   روضا غدا إنسان عين البـاغي

روض يروض هموم قلبي حسنه   فيه لكأس الأنـس أي مسـاغ

وإذا بدت فضبان ريحـان بـه   حيث بمثل سلاسل الأصـداغ

وفي ناظر العين يقول منصور الفقيه:

قالوا خذ العين من كل فقلت لهم   في العين فضل ولكن ناظر العين

حرفان من ألف طومار مسودة   وربما لم تجد في الألف حـرفين

٤٩٦- (عبد العين): هو الذي يخدمك ما دامت عينك تراه، فإذا زال عن

عينك زال عن خدمتك.

قال الجاحظ: يقال للمرائي - وهو الذي إذا رأى صاحبه تحرك له وأراه السرعة في طاعته، فإذا غاب عن عينه خالف ذلك: عبد عين، قال الشاعر:

ومولى كعبد العين أما لقاؤه ... فيرضي وأما غيبه فظنون

٤٩٧- (أنف الكرم): قد تصرف الناس في استعارة الأنف بين الإصابة والمقاربة، وأحسن وأبلغ ما سمعت فيها قول النبي ﷺ: «**جدع الحلال أنف الغيرة**».

فأما أنف الكرم؛ فأحسب أن أول من قاله بشار بن برد في افتخاره ببيته في العجم، وكان يدعي أنه من نسل بهمن بن دارا، وهو يقول:

ألا أيها السـائلي جـاهلا ... ليخبرني أنا أنـف الكـرم

نمت في الكرام بـني عـامر ... فروعي وأصلي قريش العجـم

وقال لأبي عمرو بن العلاء:

أنت أنف الجود إن زايلته ... عطس الجود بأنف مصطلم

ثم تبعه ابن الرومي، وزاد عليه وأحسن في قوله:

لو كنت عين المجد كنت سوادها ... أو كنت أنف الجود كنت المارنا

ومن استعارات الأنف قولهم: أنف الجبل، وأنف الباب، وخيشوم الربوة وليس يعجبني قول سهل بن هارون: القلم أنف الضمير: إذا رعف أعلن أسراره وأبان آثاره، ولا قول بعضهم في وصف القلم:

أنف البلاغة في البياض رعافـه ... أحوى وأحمر من سواد الجحفل

يمسي ويصبح لافحا من فكـره ... وضموره أبدا ضـمور الخيـل

ولا قول بعض المؤدبين حيث قال:

لأنت أبرد من ثلج على جمد ... ومن خسيف على خيشوم مزراب

ولا قول أبي تمام:

لنا أيام لم تدم الليالي ... بذكر البين عرنين الصفاء

بل يعجبني قول أبي الحسن الموسوي النقيب في الطائع:

ملك سماحتى **تحلق** في **العلا وأذل عرنين الزمان السامي**

٤٩٨- (فم الفتنة): قال بعض الحكماء: من سد فم الفتنة كفي شرها، ومن أضرم نارها صار طعاما لها.

وفي الكتاب المبهج: إذا كانت البلدة شاغرة، كانت أفواه الفتن فاغرة واستعارات الفم أكثر من أن تحصى.

ووصف أعرابي قوما فقال: كانوا إذا اصطفوا سفرت بينهم السهام، وإذا تصافحوا بالسيوف فغرت المنايا أفواهها.

وقال بعض شعراء الرشيد يرثيه:

ياساكنا جدثا في **غير منـزله ويا فريسة دهر غير مفروس**
لا يوم أولى بتخريق الجيوب ولا لطم الخدود ولا جدع المعاطيس
من يوم طوس الذي نادت بمصرعه على المنابر أفواه القراطيس

وقال ابن المعتز:

حلوت بأفواه النوائب بعده فما تشبع الأيام والدهر من أكلي

وقال أيضا:

وألسنة من العذبات حمر تخاطبنا **بأفواه الرماح**
فجادت ليلها سحا وهطلا وتسكابا كأفواه الجراح

وقال أبو فراس الحمداني:

رأي الثغر مثغورا فسد بسيفه فم الدهر عنه وهو ثعبان فاغر

وقال أبو الطيب المتنبي:

لقد حسنت بك الأيام حتى **كأنك** في **فم الدنيا ابتسام**

وقال السلامي:

يحلو بأفواه الأصابع صفعه حتى **كأن قذاله من سكر**

٤٩٩- (لسان الحال): قال بعض بلغاء الحكماء: لسان الحال، أنطق من

لسان المقال. وإلى هذا المعنى أشار البحتري بقوله:

هل تصغين لأخ يقـول بحالـه مستغنيا عـن قولـه بلسـانه

زلت بعقوته الخطوب طوارقـا فتخونته وأنت مـن إخوانـه

وأنشدني أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي لنفسه:

لاتحسبن بشاشتي لك عن رضا فوحق فضـلك إنـني أتملـق

وإذا نطقت يشكر برك مفصحا فلسان حالي بالشـكاية أنطـق

ومن الاستعارات الحسنة للسان قول بعضهم: لكل شيء لسان، ولسان الزمان الشعر، وقول الآخر: الاستطالة لسان الجهل، وقول بعض الفلاسفة: الخط لسان اليد.

وكان يقال لابن العميد: لسان المشرفي.

ولابن المعتز من رسالة: يعز علي أن يكثر دون تلاقينا عدد الأيام، وتعبر عن ضمائرنا ألسن الأقلام.

وللصاحب: وقفت الشمس للغبار، وشافه الليل لسان النهار.

ولأبي نصر العتبي: لسان التقصير قصير.

وقال بعض الشعراء في وصف الميزان:

ولقد نظرت إلى حكومة حاكم بلسانه يقضي ولا يتكلم

وقال آخر:

لسان الدمع أفصح من لساني فلا تسأل سواه بعلم شاني

وقال آخر في وصف شمعة:

إذا غازلتها الصبا حركت لسانا من الذهب الأملس

وقال السري في وصف ليلة باردة:

وفد سفر البرق عن شدة لسان السماء ا ناطق

وقال بعضهم في وصف الفقاع:

شيخ يسيل له لسان طارد بالبرد حر حماره المتوهج

٥٠٠- (جرح اللسان): قال امرؤ القيس:

*** وجرح اللسان كجرح اليد ***

وقال بعض الحكماء: جرح اليد يجبر، وجرح اللسان لا يبقي ولا يذر.

وقال الشاعر في معناه:

جراحات السيوف لها التئام ... ولا يلتام ما جرح اللسان

وفي الحديث: «**وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**» .

٥٠١- (أسنان المشط): يضرب ا المثل في التساوي والتشاكل. وفي الحديث: «**الناس كأسنان المشط، وإنما يتفاضلون بالعافية**» .

وقال كشاجم أبو الفتح:

تشاكلوا فأشكلوا ... فهم كأسنان المشط

وقال ابن المعتز:

*** ونحن بنو عم كما انفرج المشط ***

وقال الصنوبري وأحسن:

أناس هم المشط استواء لدى الوغى ... إذا اختلف الناس اختلاف المشاجب

٥٠٢- (سن القلم): قال بعض البلغاء: في إحدى سني القلم أري، وفي الأخرى شري؛ وهو معنى قول القائل:

وبين ثلاث من أنامل كفه ... قضيب به تحيا النفوس وتقتل

٥٠٣- (سن النادم): من أمثال العرب في الندامة قولهم: قرع فلان سن نادم.

وقال جرير:

إذا ركبت قيس خيولا مغيرة ... على القين يقرع سن خزيان نادم

قال آخر:

لتقرعن على السن من ندم ... إذا تذكرت يوما بعض أخلاقي

٥٠٤- (ناب النوائب): قال ابن المعتز:

قد عضني ناب النوائب ... ورأيت آمالي كواذب

والمرء يعشق لذة الد نيا فيغتفر المصـائب

وسمعت الخوارزمي يقول في ذكر بعض المنكوبين: قد عضه ناب النائبة العظمى، ورمي بسهم الحادثة الجلى، وحصل في أسر الطامة الكبرى. وأحسن ما سمعت في ناب الدهر قول الأمير أبي الفضل الميكالي في أبيه:

ولما تتابع صرف الزمـان فزعنـا إلى سـيد نابـه
إذ كشر الدهر عن نابـه كشفنا الحوادث عنابـه

٥٠٥- (أذن الحائط): من أمثالهم: للحيطان آذان، أي: خلفها من يسمع ما تقول، قال الطرائفي الأبيوردي:

سر الفتى من دمه إن فشا فأوله حفظـا وكتمانـا
فاحتط على السر بكتمانه فـإن للحيطـان آذانـا

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي لنفسه:

وبارد الطلعـة حاذانـا واسترق السمع فآذانـا
فقلت للجلاس لا تنبسوا فـإن للحيطـان آذانـا

ومن الآذان المستعارة قول أبي علي البصير:

إذا ما شال شوال عكفنا على زق وباطيـة رزوم
إن هم أطاف بنا عركنا بأيدي الكأس آذان الهموم

وقال آخر في أذن العود:

وكأنه في حجرها ولد لهـا ضمته بين ترائب ولبـان
طورا تدغدغ بطنه فإذا هفا عركت له أذنا من الآذان

ولم أسمع في استعارة الآذان أحسن وأبلغ من قول السيد الأمير أدام الله علوه في رسالة له: والله يمتعه بما يمنحه من خصائص هي في آذان الزمان شنوف، وفي جيده عقد مرصوف.

٥٠٦- (أذنا عناق): من أمثال العرب: جاء بأذني عناق؛ إذا جاء بالكذب

والباطل. ويقال أيضا: إ ا من أوصاف الدواهي، نعوذ بالله منها!

٥٠٧- (جريعاء الذقن): من أمثال العرب عن أبي عبيدة والأصمعي: أفلت فلان بجريعة الذقن وجريعاء الذقن أي أفلت وقد بلغت نفسه موضع الذقن، وهذا مثل للمفلت من الهلاك بعد قربة منه؛ وأنشد:

ملنا على وائل وأفلتنا   أخو عدي جريعة الذقن

٥٠٨- (أعناق الرياح): يضرب مثلا للمسرع ا د، فيقال: ركب أعناق الرياح، أي من سرعة سيره، قال أبو فراس:

عدتني عن زيـارته عـواد   أقـل مخوفها سمر الرماح

ولو أني أطعت رسيس شوقي   ركبت إليه أعنـاق الرياح

٥٠٩- (أيدي سبا): من أمثال العرب في التفرق: ذهبوا أيدي سبا، أي متفرقين؛ وأصله من قصة سبأ والسيل العرم الذي خر ا وفرق أهلها، ولهم يقول الله عز وجل: ﴿**وَمزّقْنَاهُم كُلّ مُمزّقٍ**﴾(١).

ومن أمثالهم: يد الدهر، أي الأبد.

وللشعراء في استعارة اليد تصرف كثير، ومن أحسن ذلك قول لبيد:

وغداة ريح قد كشفت وقرة   قد أصبحت بيد الشمال زمامها

وقول ابن المعتز:

سقاها بعانات خليج كأنه   إذا صافحته راحة الريح مبرد

وقوله:

كيف يبقي على الحوادث حي   بيد الدهر عوده منحوت!

وقال سعيد بن حميد:

كلما أحرزت يداي نفيسا   أسرعت نحوه يد الحدثان

وقال السري:

---

(١) سورة سبأ ١٩.

مقدودة خرطت أيدي الشباب لها حقين دون مجال العقد من عاج

وقوله:

يقول خذها فكف الصبح قد أخذت في حل جيب من الظلماء مزرور

٥١٠- (أنامل الحساب): يشبه ا ما يوصف بالسرعة، كما قال ابن المعتز في وصف فرس له:

وله أربع تراها إذا هم لج تحكي أنامل الحساب

وقال غيره في وصف البرق:

أرقت لبرق سرى موهنا خفيا كغمزك بالحاجب
كأن تألقه في السماء يدا كاتب أو يدا حاسب

٥١١- (أصابع الأيتام): قال بعض السلف: احذروا أصابع الأيتام، يعني: رفعهم إياها في الدعاء على الظالم وهذا كما قيل: احذروا مجانيق الضعفاء، أي دعوا م. وفي أصابع الأيتام يقول أبو فراس:

أبذل الحق للخصوم إذا ما عجزت عنه قدرة الحكام
رب أمر عففت عنه اختيارا حذرا من أصابع الأيتام

٥١٢- (ظفر الزمان): قد أكثروا في ذلك، ومن محاسنه قول ابن الرومي:

أنا بين أظفار الزمان وخائف منه شبا الأنياب والأضراس

٥١٣- (كلكل الدهر): يستعار كلكل البعير للدهر إذا أخنى على الإنسان، فيقال: قد ألقى عليه الدهر كلكله؛ كما قال ابن الرومي:

أما ترى الدهر قد ألقى كلاكله على فتى بينكم ملق كلاكله!

وكما قال الآخر:

إذا ما الدهر جر على أناس كلاكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

٥١٤- (صدر الأمر وعجزه) : قال أبو تمام:

لأمر عليهم أن تتم صدوره   وليس عليهم أن تتم عواقبه

وقال الشاعر:

لو أن صدور الأمر تبدو إلى الفتى   كأعجازه لـم تلفـه متندمـا

وقال ابن الرومي:

كن في مدى ا د للأمجاد كلهم   صدرا وكن في مدى أعمارهم كفلا

ومن الصدور المستعارة: صدر النهار، وصدر ا لس، وصدر الإسلام.

٥١٥- (ثمار النحور): هي الثدي، من قول مسلم بن الوليد وهو من استعارته الحسنة:

فغطت بأيديها ثمار نحورها   كأيدي الأسارى أثقلتها الجوامع

وأخذه ديك الجن الحمصي فقال:

ظللت ا أجني ثمار نحورها   فتوسعني سبا وأوسعها صبرا

وأخذه كشاجم فقال:

غذ ا نعمة ولذيذ عيش   فأنبت صدرها ثمر الشباب

وما أملح قول ابن المعتز:

لا ورمان النهود   فوق أغصان القدود

وقول الصابي من أبيات:

وقال شفاؤه الرمـان مما   تضمنه حشاه من السعير

فقلت له أصبت بغير قصد   ولكن ذاك رمان الصدور

٥١٦- (ثدي اللؤم): أول من استعار ذلك أوس بن مغراء حيث قال:

يشيب على لؤم الفعال كبيرها   ويغذى بثدي اللؤم منها وليدها

وأخذ القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز هذه الاستعارة، فنقلها إلى المدح، وزاد فيها أحسن زيادة فقال للصاحب:

مسترضع بثدي ا د مفترش   حجر المكارم مفطوم عن البخل

٥١٧- (سويداء القلب): يضرب مثلا لتفضيل بعض الشيء على كله، فيقال: سويداء القلب، وإنسان العين، وبيت القصيدة، وواسطة القلادة، ويضرب أيضا مثلا لمن يعز ويلطف موقعه فيقال: هو مني في سوداء عيني، وسويداء قلبي، وربما قيل: هو في سوادي عيني وقلبي.

٥١٨- (ثمرة القلب): كل ما يحبه الإنسان فهو ثمرة قلبه على طريق الاستعارة؛ ويقال للولد: ثمرة القلب. وفي الخبر: "ثمرة القلب الولد". ولما غضب معاوية على ابنه يزيد فهجره قال له الأحنف: يا أمير المؤمنين، أولادنا ثمرة قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم سماء ظليلة، وأرض ذليلة، إن غضبوا فأرضهم، وإن سألوا فأعطهم، ولا تكن عليهم قفلا فيملوا حياتك، ويتمنوا موتك.

ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة، فقال: من هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: هذه تفاحة القلب؛ قال: انبذها عنك، فإ ن يلدن الأعداء، ويقربن البعداء، ويورثن الضغائن، قال: لا تقل هذا يا عمرو، فوالله ما مرض المرضى، ولا ندب الموتى، ولا أعان على الأحزان إلا هن، وإنك لواجد خالا قد نفعه بنو أخته، فقال عمرو: ما أراك يا أمير المؤمنين إلا وقد حببتهن إلي بعد بغضي لهن.

٥١٩- (قلب العسكر): من القلوب المستعارة قلب العسكر وقلب النخلة، وقلب الشتاء، واستعاره بشار القلب للدن حيث قال:

شربنا من فؤاد الدن حتى ... تركنا الدن ليس له فؤاد

واستعار اللحام القلب للسماحة، فقال:

يا مهجة ا د يا قلب السماحة يــا ... روح المعالي وعين الظروف والأدب

اليوم يرهبني من كنت أرهبــه ... واليوم أطلب دهرا كان في طلــبي

٥٢٠- (طلائع القلوب): قال ابن المعتز في الفصول القصار: العيون طلائع القلوب. وقال فيها: اللحظ طرف الضمير.

وجعل أبو تمام القلوب طلائع الأجساد، فقال:

شاب رأسي وما رأيت مشيب الرأس ... إلا من فضل شيب الــفــؤاد

وكذاك القلــوب في كل بؤس ... ونعيــم طلائــع الأجــســاد

٥٢١- (داء البطن): يضرب مثلا للشر المستور الذي لا يقدر على مداواته؛ قال بعض السلف في فتنة عثمان بن عفان رضي الله عنه: إن هذه الفتنة كداء البطن الذي لا يدري من أين يؤتى له!

وقال الأسود بن الهيثم النخعي:

بني عمنا إن العـداوة شـرها ضغائن تبقى في صدور الأقارب

تكون كداء البطن ليس بظاهر فيشفى وداء البطن من شر صاحب

وقال آخر:

وبعض خلائق الأقوام داء كداء البطن ليس له دواء

ومن البطون المستعارة: بطن الوادي، وبطن القرطاس، وبطن الكف، وظهر الأمر وبطنه.

٥٢٢- (كبد السماء): يستعار الكبد للسماء، فيقال: كبد السماء، يقال: عين السماء، وأديم السماء، وجلدة السماء، ودمع السماء، كما قال الشاعر:

كالشمس في كبد السماء محلها وشعاعها في سائـر الآفـاق

٥٢٣- (ذكر الخصيّ): يضرب مثلا للضعيف الفاتر، كما قال الشاعر:

أو ما رأيت الحادثات بأسـرها أخنت علي بكلكـل وجـران

وفترت بعد مرونـة فكـأنني ذكرالخصي وفقحة السـكران

وقد استعار ابن المعتز للسحاب زبا، ولا أعرف له أردأ من هذه الاستعارة حيث قال:

أنا لا أشتهي سماء كبطن الـ ـعير والشرب تحتها في خـراب

تحت ماء الطوفان أو بحر موسى كل يوم يبول زب السـحاب

٥٢٤- (شريان الغمام): كتب جحظة إلى ابن المعتز: كنت عزمت على المصير إلى الأمير أيده الله، فانقطع شريان الغمام، فقطعني عن خدمته.

فكتب إليه: لئن فاتني السرور بك، لم يفتني بكلامك والسلام.

٥٢٥- (حبل الوريد): يضرب به المثل في القرب، وهو من قـول الله تعالى:

﴿**ونحنُ أقْربُ إليْهِ مِن حبل الوريدِ**﴾[١]؛ ويقال للمحكم في مناه: ما تريد، أقرب من حبل الوريد.

٥٢٦- (عرق الخال): العرب تقول: عرق الخال لا ينام.

قال الجاحظ: زعم كثير من العلماء أن عرق الخال أنـزع من عرق العم، قالوا: والدليل على أن نصيب الأمهات في الأولاد أكثر، وأ ا على الشبه أغلب، وأن أكثر ما تلد الأمهات الإناث، وكذلك الناس وجميع الحيوانات، فإذا أردت أن تعرف حق ذلك من باطله، فأحص سكان عشر دور من يمينك، وعشر من شمالك، وعشر من خلفك، وعشر من أمامك، فانظر أيها أكثر رجالهم أو نساؤهم؟ وأعتبر ذلك في الإبل والبقر والشياه. والعرب تكره الأذكار، لأن الهجمة يكفيها فحل أو فحلان، والناقة تقوم مقام الجمل، والجمل لا يسقى اللبن، وإذا احتيج منه إلى لحم أو سفر كانا سواء. وكذلك الحجور في المروج، وعانات الحمير في الفيافي، ليس في كل عانة إلا فحل واحد، وكذلك الدجاج إنما فيها ديك واحد. والأم والخال عند العرب أنـزع وأشد جذبا للولد، لأن الأم والأب قد يستويان في وجوه، ثم تفضل الأم الأب في وجوه بعد ذلك ؛ لأن الولد ليس يخلق من ماء الأب دون ماء الأم، قال تعالى: ﴿**خُلِق مِن ماءٍ دافِقٍ * يخرُجُ مِن بين الصلْبِ والترائبِ**﴾[٢]، والأب إنما يقذف مثل المخطة أو البصقة ثم يعتزل أو يغيب أو يموت أو يكون حاضرا والأم منها الرحم، وهو القالب الذي ينطبع عليه الولد وتفرغ فيه النطفة كما يفرغ الرصاص المذاب في القالب، فإذا وقع ماء الرجل وماء المرأة في القالب وفي قرار الرحم فامتزجا تشعب خلق الولد على قدر تشعب الرحم، ثم لا يغتذي إلا من دم الأم، ولا يمتص إلا من قواها، ولا يجذب إلا من الأجزاء التي فيها لطائف الأغذية، وله ذلك ما دام في جوفها، فإذا ظهر غذته بلبنها؛ ولا يشك الأطباء أن اللبن دم استحال عند خروجه، فهي تغذوه بدمها مرتين، وتزيد في خلقه من أجزائها دفعتين، ولذلك صار حب النساء للأولاد أشد من حب الرجال.

ومن الدليل على غلبة عرق الخال قول عبيد الله بن قيس يهجو حبيب بن المهلب بن أبي صفرة:

---

(١) سورة ق ١٦.
(٢) سورة الطارق ٦، ٧.

غلبت أمــه عليه أبــاه فهو كالكابلي أشبه خاله

وقول الآخر:

وأدركه خالاته فخــذلنــه ألا إن عرق السوء لا بد مدرك

وأنشد الأصمعي لبعض الشعراء:

سرى عرقه في القوم حتى أصا م وللخال عرقٌ لا ينامُ ولا يكد

وأنشد أبو عبيدة لمكي بن سوادة:

وخالك أصهب السبلات علج وعرق الخال ينمي بعد دهر

وأنشد أبو اليقظان لرجل من كنانة، وذكر امرأته وولده:

تخير ا للنســل وهــي غريبــة فجاءت به كالبدر خرقا معمما

فلو شاتم الفتيان في والحي ظالما لما وجدوا غير التكذب مشتما

وقال الأبيرد وهو يهجو طلبة بن قيس بن عاصم:

قضى الله حقا يا بن قيس بن عاصم وكــان قضــاء الله لا يتبــدل

بأنك يا طلب بن قيس بن عاصم مقيم بدار الــذل لا تترحــل

أبت لك أعــراق وأم لئيمــة وخال قصير الباع وغد مفسكل

قالوا: ورأينا الناس يتباهون بأخوالهم، قال رسول الله ﷺ وقد أخذ بيد سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه: «**هذا خالي، فليأت كل امرئ بخاله**».

وقال عمرو بن الأهتم حين سب الزبرقان: "لئيم الخال، ضيق الطعن، زمر المروءة، حديث الغنى".

وافتخر امرؤ القيس بن حجر بخاله حيث قال:

خالي ابن كبشة لو علمت مكانه وأبو يزيد ورهطه أعمامي

وقال رسول الله ﷺ: «**الخال والد**» .

والعرب إذا مدحت رجلا قالت: ذاك المعم المخول.

وقال الله تعالى: ﴿**ورفَع أبويهِ علَى العرش وخروا لَهُ سُجدا**﴾[١]، وإنما كان

(١) سورة يوسف ١٠٠.

أبوه وخاله.

الباب الثالث والعشرون

في الإبل وما يضاف وينسب إليها

حمر النعم. حنين الإبل. غرائب الإبل. أسلحة الإبل. يوم الجمل. بول الجمل. صولة الجمل. سلا الجمل. ركبتا البعير. غدة البعير. ناقة صالح. راغية البكر، بكر هبنقة، حمل الدهيم. أنف الناقة. خبط عشواء. لطم المنتقش. جمل السقاية.سير السقاية. سفن البر.

الاستشهاد

٥٢٧- (حمر النّعم): هي كرائم الإبل، يضرب ا المثل في الرغائب والنفائس، فيقال: ما يسرني به حمر النعم، قال أبو الطيب المتنبي:

*** حمر الحلي والمطايا والجلابيب ***

فوصفهن بالأخذ بأطراف الحسن، لأن الذهب أحمر وهو حليهن، ومطاياهن حمر وهي كرائم الإبل، وأثوا ن حمر والحسن أحمر، قال بشار:

وإذا دخلت تقنعي بالحسن إن الحسن أحمر.

وقلت في كتاب المبهج: قول نعم، أحسن من حمر النعم، تحمل بيض النعم.

٥٢٨- (حنين الإبل): العرب تقول: لا أفعل ذلك ما حنت الإبل، وما أطت الإبل. ومن أمثالهم: أحن من شارف؛ وهي الناقة المسنة، لأ ا أشد حنينا إلى ولدها من غيرها.

ومن العرب من يصف الإبل بالرقة والحنين، كما قال متمم بن نويرة:

فما وجد أظآر ثـلاث روائـم رأين مجرًا من حوار ومصـرعا

يذكرن إذ البث الحـزين ببثـه إذا حنّت الأولى سجعن لها معـا

بأوجع مني يوم فارقت مالكـا وقام به الناعي الرفيع فأسمعا

ومنهم من يصفها بالحقد وغلظ الأكباد، كما قال بلعاء بن قيس الكناني:

يبكي علينا ولا نبكي على أحد لنحن أغلظ أكبادا من الإبل

ومن أمثالهم: أحقد من جمل.

وللبديع الهمذاني من فصل: إن الإبل على غلظ أكبادها لتحن إلى أعطا ا، وإن الطير لتقطع عرض النهر إلى أوطا ا.

٥٢٩- (غرائب الإبل): من أمثال العرب: ضَرَبَ ضَرْبَ غرائب الإبل، وذلك أن رب الإبل إذا أوردها ذاد عنها الغرائب بالضرب، فيضرب مثلا للرجل يظلم فيقال: ارفع عنك الظلم بالضرب وبأشد ما تقدر عليه، قال الكميت:

وردت مياههم صـائما كحائمة ورد مسـتعذب

فما خلأتني غضّ السقاء ولا قيل أبعد ولا أغرب

وقال الحجاج على منبر الكوفة: والله لأعصبنكم عصب السلمة، ولألحونكم لحو العود، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، ولآخذن البريء بالسقيم، والمطيع بالعاصي، والبعيد بالقريب، حتى تستقيم لي قناتكم.

٥٣٠- (أسلحة الإبل): من أمثال العرب عن أبي عمرو والأصمعي قولهم: أخذت الإبل أسلحتها وتترست بتروسها ويقال: رماحها، وذلك أن يأتيها الرجل فيريد أن ينحرها أو يحلبها فتروقه، فلا تنحر ولا تحلب، فكأن سمنها وحسنها أسلحة لها تحول بينها وبين من يريد أن ينحرها أو يحلبها، قالت ليلى الأخيلية:

ولا تأخذ البدن الصفايا سلاحها لتوبة في نحس الشتاء الصنابر

وقال النمر بن تولب:

أيام لم تأخذ إلي سلاحها إبلي بجلبتها ولا أعشارها

٥٣١- (يوم الجمل): حكى الجاحظ في كتاب البغال، قال: وقع شر بين قوم بالمدينة، فقالت عائشة رضي الله عنها: أسرجوا لي بغلي، فقال ابن أبي عتيق: يا أم المؤمنين، نحن لم نغسل بعد رءوسنا من يوم الجمل، أفتريدين أن يقال: يوم البغل! قري في بيتك رحمك الله.

وأنشد الصولي لأبن مهران الدفاف:

إذا نـــزلت منـــزلا للطـالبين لهــم فقــل

يــا رائــدين للنــدى حي على خــير العمــل
والضــاربين أمهــم بالسيف في يوم الجمــل
فعــالكم مــن صــبر وقولكم مثــل العســل
مــا إن رأينــا أحــدا مــنكم تــولى فعــدل
ولا ـــى عــن نفــل إلا رعــى ذاك النفــل

٥٣٢- (بول الجمل): يضرب به المثل في الإدبار؛ لأنه من بين الأبوال إلى وراء، والعرب تقول: أخلف من بول الجمل؛ لأنه يبول إلى خلف، قال الشاعر:

وأخلف من بول البعير لأنه إذا هو للإقبال وجه أدبرا

وقال ابن الحجاج:

أنت كما قلت ولكن كما قد يزرق البختي إلى خلف

٥٣٣- (صولة الجمل): تقول العرب في أمثالها: أصول من جمل؛ ومعناه أعض، يقال: صال الجمل، وعض الكلب وعقر أفصح.

وفي الحديث «**إن العرف لينفع عند الجمل الصوال والكلب العقور**». قال الجاحظ: أو ما علمت أن الإنسان الذي خلق له ما في السموات والأرض وما بينهما كما قال: ﴿**وسخر لكُم ما ـِفي السمواتِ وما ـِفي الأَرض جمِيعا منهُ**﴾(1) - أنما سموه العالم الصغير، سليل العالم الكبير، حين وجدوا فيه من جميع أشكال ما في العالم الكبير، ووجدوا له الحواس الخمس، ووجدوه يأكل اللحم والحب، ويجمع بين ما يقتاته السبع والبهيمة، ووجدوا له صولة الجمل ووثوب الأسد، وغدر الذئب، وروغان الثعلب، وجبن الصقر، وجمع الذرة، وصنعة الزرافة، وجود الديك، وإلف الكلب، واهتداء الحمام؛ وربما وجدوا فيه من كل نوع من البهائم والسباع خلتين أو ثلاثا، ولا يبلغ أن يكون جملا بأن يكون فيه اهتداؤه وغيرته وصوله وحقده وصبره على حمل الثقل، لا يلزمه شبه الذئب بقدر ما يتهيأ فيه من مثل مكره وغدره واسترواحه وتوحشه وشدة قلبه، كما أن الرجل يصيب الرأي الغامض المرة والمرتين

(١) سورة الجاثية ١٣.

والثلاث، ولا يبلغ بذلك المقدار أن يقال له: داهية وذو مكر وصاحب خدعة، كما يخطئ الرجل فيفحش خطؤه في المرة والمرتين والثلاث، ولا يبلغ الأمر به أن يقال: غبي وأبله ومنقوص.

٥٣٤- (سلا الجمل): العرب تقول في بلوغ الشدة منتهى غايتها: وقع القوم في سلا الجمل: وهو شيء لا مثل له، لأن السلا إنما يكون للناقة ولا يكون للجمل.

قال اللحياني: السلا: ما تلقيه الناقة إذا وضعت. والوليد يتشحط في السلا، أي يضطرب، قال النابغة:

ويقذفن بالأولاد في **كل منـزل** **تشحط** في **أسلائها كالوصائل**

والوصائل: البرود الحمر:وقال غيره؛ سلا الجمل، كما يقال: لبن الطير، ومخ الذّر وحلم العصفور، وأير الخصي: كلّ هذا يضرب مثلا لما لا يكون ولا يوجد.

٥٣٥- (ركبتا البعير): يضرب ا المثل في الشيئين المتساويين، والرجلين المتكافئين اللذين لا يفضل أحدهما على الآخر، ولما تنافر عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة إلى هرم بن قطبة لم يرد أن ينفر أحدهما على الآخر، فقال لهما: أنتما كركبتي البعير، تقعان على الأرض جميعا، وما منكما إلا سيد كريم؛ فانصرفا راضيين.

٥٣٦- (ناقة صالح): هي ناقة الله التي سبق ذكرها في الباب الأول، ويقال لها: ناقة صالح، ويقول من ينبه على براءة ساحته: إني لم أعقر ناقة صالح.

٥٣٧- (غدة البعير): غدة البعير بمنـزلة طاعون الإنسان. ولما انصرف عامر ابن الطفيل من عند النبي ﷺ وقد آذاه بلسانه، وانطوى له على غير الجميل، نـزل ديار بني سلول بن صعصعة فغد، فجعل يقول: أغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية! حتى مات؛ فصار قوله مثلا في اجتماع خلتين مكروهتين.

٥٣٨- (راغية البكر): من أمثال العرب، عن أبي عمرو قولهم: كانت عليهم كراغية البكر، أي استؤصلوا استئصالا. ويقال أيضا: كانت عليهم كراغية السقب - يعنون رغاء بكر ثمود حين عقر الناقة قدار، وهو أحمر ثمود، قال علقمة بن عبدة في السقب:

* **رغا فوقهم سقب السماء فداحص** *

والداحص، والفاحص ، والماحص سواء، يقال للشاة إذا ذبحت: دحصت برجلها، أي ضربت ا.

وقال الجعدي:

رأيت البكر بكر بني **ثمود وأنت أراك بكر الأشعريا**

قاله لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وقال أيضا:

ورغا لهم **سقب السماء وخنقت مهج النفوس بكارب متــزلف**

كارب: يملأ النفوس كربا. ومتزلف: دان.

وقال أوس بن حجر:

رغا البكر فيهم **رغوة** حين **أدبروا فما كان عنهم رغوة البكر تقلع**

وإنما ضرب البكر مثلا للحرب.

٥٣٩- (بكر هبنقة): من أمثالهم: هو أروى من بكر هبنقة. وهو يزيد ابن ثروان المضروب به المثل في الحمق، كان له بكر يصدر مع الصادر وقد روي، ثم يرد مع الوارد قبل أن يصل إلى الكلأ، فسار ذكره مثلا في الحمق.

٥٤٠- (حمل الدهيم): يضرب به المثل فيقال: أثقل من حمل الدهيم والدهيم: الناقة التي حمل عليها كثيف التغلبي رءوس أبناء زبان الذهلي حين قتلهم، فجعلت العرب حمل الدهيم مثلا في الدواهي العظام، قال الشاعر:

يقودهم سعد إلى **بيت أمه إلا إنما تزجي الدهيم وما تدري**

٥٤١- (أنف الناقة): هو جعفر بن قريع، وإنما سمي أنف الناقة لأن قريعا نحر جزورا فقسمه بين نسائه، فأدخل جعفر وهو غلام يده في أنف الناقة، وجر الرأس إلى أمه، فسمي به ومن ولده بغيض بن عامر بن شماس بن لأي ابن أنف الناقة الذي مدحه وقومه الحطيئة فقال:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم **ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا**

وكانوا يغضبون إذا نودوا بهذا اللقب، فما قال فيهم الحطيئة هذا البيت جعلوا يتبجحون به، ومنه أخذ ابن الرومي قوله:

لا بل هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يمثل بين **الأنف والذنب!**

٥٤٢- (خبط عشواء): يضرب مثلا لمن أصحابه منه بين معافى ومبتلى، ولمن

يصيب مرة ويخطئ أخرى. والعشواء الناقة التي لا تبصر ليلا، وهي تطأ كل شيء، قال زهير:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمتــه ومن تخطئ يعمــر فيهــرم

ومن كلام الجاحظ: يخبط خبط العشواء، ويحكم حكم الورهاء، ويناسب أخلاق النساء.

٥٤٣- (لطم المنتقش): من أمثال العرب: لطمه لطم المنتقش، وهو البعير إذا شاكته الشوكة لا يزال يضرب بيده الأرض يروم انتقاشها.

٥٤٤- (جمل السقاية): يضرب مثلا في الامتهان، فيقال: ما هو إلا جمل السقيا، وحمار الحوائج، وقال نصر الخبز أرزي:

ولو جمل السقاية لقبوه بمعشوق تحرى أخذ روحي

٥٤٥- (سير السواني) يضرب مثلا فيما يدوم ولا يكاد ينقص، فيقال: سير السواني سفر لا ينقطع. والسواني: اسم الساقية بآلا ا وأدوا ا، والسواني: الإبل التي يسقى عليها بالسواني، سميت بأسمائها؛ ومن أمثالهم: أذل من بعير سانية، وهو الذي يدير السانية، قال الطرماح:

قبيلته أذل من السواني وأعرف للهوان من الخصاف

وقال بعض المحدثين:

أفلا من اللوم يا عاذلاتي فحب الغواني كبير السواني

٥٤٦- (سفن البر): قال للجمال: سفن البر، وهي من قوله تعالى: ﴿**وآيةٌ لَهُم أنا حملْنا ذُريتهُم فِي الفُلْكِ المَشحُون * وخلَقْنا لَهُم من مثْلِهِ ما يركَبُونَ**﴾(١).

وقال بعض العرب في وصف ناقة: ماهي إلا سفينة برية.

وقال آخر في فصل: الإبل سفن البر، وجلودها قرب، ولحومها نشب، وبعرها حطب، وأثما ا ذهب.

---

(١) سورة يس ٤١، ٤٢.

الباب الرابع والعشرون

في الخيل والبغال

نواصي الخيل. خيلاء الخيل. جري المذكيات. طلق الجموح. خاصي خصاف. شبديز كسرى. أشقر مروان. فارس الأبلق. شؤم داحس. فرسا رهان. فريق الخيل. فحل السوء. بغلة أبي دلامة. أخلاق البغال.

الاستشهاد

٥٤٧- (نواصي الخيل): تضرب مثلا للعز والرفعة، فقد يقال: العز في نواصي الخيل، والذلّ في أذناب البقر.

قال بعض أهل العصر:

قلت لما أدنـت الـدنيا لنـا نفرا ذقنـا ـم حـر سـقر

فاتنا عز نواصي الخيـل فلـ ـيبق فينا ذل أذنـاب البقـر

٥٤٨- (خيلاء الخيل): عبر بعضهم بركوب البغل فقال: هذا مركب تطأطأ عن خيلاء الخيل، وارتفع عن ذلة العير، وخير الأمور أوسطها.

وقال بعض البلغاء: الخيل للاختيال، والبغل للإيغال، والجمل للأثقال، قال السري لسيف الدولة:

لله سيف تمنّى السيف شـيمته ودولة حسد ا فخرها الـدول

وعاشق خيلاء الخيـل مبتـذل نفسا تصان المعالي حين تبتـذل

٥٤٩- (جري المذكيات): من أمثال العرب: جري المذكيات غلاب، قال الأصمعي: قيل في الخيل المسان لأ ا أقوى من الجذاع؛ لأ ا تحتمل أن تغالب الجري غلابا.

ومن أمثالهم: جري المذكي حسرت عنه الحمر، يضرب مثلا للرجل المتقدم المفضل على غيره ممن قصر سعيه ولم يدرك مناه، والمذكي: هو الذي جاوز سن الفتى ولم يبلغ سن الهرم، وقد تكامل فيه نشاطه.

٥٥٠- (طلق الجموح): يضرب مثلا للشاب يمعن في التصابي والخلاعة فيشبه

الفرس الجموح إذا عدا في حاجة لم ينهنهه شيء، قال أبو نواس:

جريت مع الصبا طلق الجموح وهان علي مأثور القبيح

٥٥١- (خاصي خصاف): من أمثال العرب، عن أبي عمرو: وهو أجرأ من خاصي خصاف، وخصاف: اسم فرس كان لرجل من باهلة، فطلبه منه بعض الملوك للفحلة، فخصاه، فضرب به المثل في الجرأة على الملوك.

٥٥٢- (شبديز كسرى): من خصائص كسرى بن أبرويز، أن الناس لم يروا أحدا قط في زمانه أمد قامة ولا أتم خلقة، ولا أوفر جسامة ولا أبرع جمالا منه، فكان لا يحمله إلا فرسه شبديز، وكان في الأفراس كهو في الناس، يضرب به المثل في عظم الخلق وكرم الخلق، وجمع شرائط العتق.

ولما مات شبديز لم يجسر أحد على نعيه إليه، فضمن صاحب الدواب للفلهيد المغني مالا، وسأله أن يعرض لأبرويز بموت شبديز، فقال وهو يغنيه في مجلسه:

شبديز لا يسعى ولا يرعـى ولا ينـام

فقال أبرويز: قد مات إذًا! فقال الفلهيد: من الملك سمعت، ثم كان أبرويز بعد لا يحمله إلا فيل من أفيلته، كان يجمع وطاءة ظهر الفيل وثبات قوائمه من الوحل، وأمن راكبه من العثار، ولين مشيه، وبعد خطوته. وكان ألطفها بدنا، وأعدلها جسما.

٥٥٣- (أشقر مروان): هذا فرس مشهور كان لمروان بن محمد آخر ملوك بني مروان، وكان يعدل شبديز أبرويز في الحسن والكرم واستيفاء أقسام الجودة والعتق، ثم في اشتهار الذكر، حتى صار مثلا لكل طرف عتيق، وفرس كريم.

وأخبرني أبو النصر المرزبان ، قال: سمعت أبا حاتم الوراق، يقول: قرأت في بعض الكتب أن مروان كان يبتهج به كابتهاجه بعبد الحميد الكاتب والبعلبكي المؤذن، وسلام الحادي، وكوثر الخادم؛ وكل واحد منهم في فنه فرد في جنسه، ولم ير مثله، وكان يباهى بالأشقر فيقول: كالأشقر؛ ويقرب مربطه، ويبالغ في إكرامه. والعرب تتشاءم بالأشقر فتقول: كالأشقر، إن تقدم نحر، وإن تأخر عقر. ويقال: إن مروان أدركه شؤم الأشقر، كما أدرك لقيط بن زرارة يوم جبلة شؤم أشقر كان تحته. وكان يقول: أشقر، إن تتقدم تنحر، وإن تتأخر تعقر.

ولما زال أمر مروان صار الأشقر إلى السفاح، فحمل يحيى بن جعفر بن تمام ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عليه وقد تحطم وهرم، وكان يركبه ويعجب به، وكان قد استفحل، فبلغ من كرمه على هرمه أنه كان يحمل في محفة عاج، وينقل من مرج إلى مرج، ولم يسمع له بنسل، وقد ذكره أبو نخيلة حين دخل على السفاح في قوله:

أصبحت الأنبار دارا تعمر وخربت من النفاق أدؤر

حمص وقنسرينها فتـدمر أين أبو الورد وأين كوثر!

* **وأين مروان وأين الأشقر** *

٥٥٤- (فارس الأبلق): يضرب به المثل في الشهرة، فيقال: أشهر من فارس الأبلق، ومن الفرس الأبلق، وكان الرئيس من رؤساء العساكر إذا أراد أن يشتهر في المعركة ركب فارسا أبلق، ولبس مشهرة.

٥٥٥- (شؤم داحس): كان داحس فرسا لقيس بن زهير، جرى به المثل في الشؤم، لأن الحرب من أجله دامت بين ذبيان وعبس أربعين سنة.

٥٥٦- (فرسا رهان): من أمثال العرب في الاثنين يستبقان إلى غاية، فيقال لهما: كفرسي رهان وقال يحيى بن خالد للموصلي: بكر إلي غدا، فقال: أنا والصبح كفرسي رهان. وممن أحسن التمثيل بما ابن طباطبا حيث قال:

أتاني منك يا خلّـي كتـاب ألذّ إلي من نيـل الأمـاني

كتاب حشوه شعر موشـى بألفـاظ تسـابقها المعـاني

إذا أصغى لها سمـع وفهـم حسبتهما معا فرسي رهـان

٥٥٧- (فريق الخيل): من أمثال العرب: هو أسرع من فريق الخيل، وهو السابق، لأنه يفارقها فينفر عنها.

٥٥٨- (فحل السو): يضرب مثلا لمن يجسر على الأقرباء فيؤذيهم ويجبن عن الأجانب فلا يتعرض لهم، قال عيسى بن إدريس والد أبي دلف لأخيه يحيى بن إدريس:

تصول على الأدنى وتجتنب العدا وما هكذا تبنى المكارم يا يحيى!

فأنت كفحل السّوء يبذل أمــه ... ويترك باقي الخيل سائمة ترعى

٥٥٩- (بغلة أبي دلامة): كان لأبي دلامة بغلة مشهورة يضرب ا المثل في كثرة العيوب، لأنه قال فيها قصيدة طويلة تشتمل على ذكر عيو ا، فيقال: ما هو إلا كبغلة أبي دلامة، وطيلسان ابن حرب، وأير أبي حكيم، وحمار طياب، وشاة سعيد. والقصيدة هذه:

أبعد الخليــل أركبــها كراهــا ... وبعد الغر من حضــر البغــال
رزئــت ببغلــة فيهــا وكــال ... وليت ولم يكن غــير الوكــال
رأيت عيو ــا وعييــت فيهــا ... ولو أفنيــت مجتهــدا مقــالي
ليحصر منطقي، وكلام غــيري ... فخير خصالها شــر الخصــال
فــأهون عيبــها أنّــي إذا مــا ... نــزلت فقلت إمشي لا تبــالي
تقوم فما تسير هنــاك ســيرا ... وتــرمحني وتأخـــذ في قتــالي
وحين ركبتها آذيــت نفســي ... بضرب بــاليمين وبالشــمال
وبــالرجلين أركزهــا جميعــا ... فيالك في الشــقاء وفي الكــلال
أتيت ــا الكناســة مســتبيعا ... أفكر دائبــا كيــف احتيــالي!
فبينا فكرتي في الســوم تســري ... إذا ما سمت: أرخص أم أغــالي!
أتــاني خائــب حمــق شــقي ... قديم في الخســارة والضّــلال
فلما ابتاعها منّــي وصــارت ... له في البيــع غــير المســتقال
أخذت بثوبــه وبرئــت ممــا ... أعد عليك من شنع الخصــال
برئت إليك من مشــش قــديم ... ومن جرد ومن بلــل المخــالي
ومن فرط الحران ومن جمــاح ... ومن ضعف الأسافل والأعــالي
ومن عض اللسان ومن خــراط ... إذا ما همّ صــحبك بارتحــال
ومن كدم الغلام ومن بيــاض ... بناظرها ومــن حــلّ الحبــال

تقطع جلدها جربا وحكا ... إذا هزلت وفي غير الهزال
وألطف من فريخ الذر مشيا ... ا عرن وداء من سلال
وتكسر سرجها أبدا شماسا ... وتسقط في الرمال وفي الوحال
ويهزلها الجمام إذا خصبنا ... ويدمي ظهرها مسّ الجلال
وتحفى إن بسطت لها الحشايا ... ولو تمشي على دمث الرمال
وتفزع من صياح الديك شهرا ... وتنفر للصفير وللخيال
إذا استعجلتها عثرت وبالت ... وقامت ساعة عند المبال
وتضرط أربعين إذا وقفنا ... على أهل ا الس للسؤال
فتقطع منطقي وتحول بيني ... وبين حديثهم مما توالي
حرون حين تركبها لحضر ... جموح حين تعزم للنزال
وألف عصا وسوط أصبحيّ ... ألذ لها من الشرب الزلال
وأما القت فأت بألف وقر ... كأعظم حمل أو ساق الجمال
فإنك لست عالفها ثلاثا ... وعندك منه عود للخلال
وإن عطشت فأوردها دجيلا ... إذا أوردت أو ري بلال
فذاك لريها - سقيت حميما - ... وإن مد الفرات فللنهال
وكانت قارحا أيام كسرى ... وتذكر تبعا عند الفعال
وتذكر إذ تشا رام جور ... وذا الأكتاف في الحقب الخوالي
فقد مرت بقرن بعد قرن ... وآخر عهدها لهلاك مالي
فأبدلني ا يا رب طرفا ... يزين بحسن مركبه جمالي

وقد أورد الجاحظ قصيدة أبي دلامة هذه في قصائد البغال، قال: والمثل في البغال بغلة أبي دلامة؛ وفي الحمير حمار العبادي، وفي الغنم شاة منبع، وفي الكلاب كلبة أم حومل.

٥٦٠- (أخلاق البغال): قال الجاحظ: لما كان البغل من الخلق المركب، والطبائع المؤلفة، والأخلاق المختلفة، وتكون في أخلاقه العيوب الكثيرة. المتولدة من مزاجه شر الطباع مما تجاذبته الأعراق المتضادة، والأخلاق المتفاوتة، والعناصر المتباعدة.

وقال في موضع آخر: البغل كثير التلون، وبه يضرب المثل، قال ابن حازم الباهلي في تلون البغل:

مالي رأيتك لا تـدو   م على المودة للرجال

متبرمـا أبـدا بمـن   آخيت ودك في سفال

وقال آخر:

ومتى سبرت أبا العلاء وجدته   متلونـا كتلون الأبغـال

وقال البحتري يهجو قوما:

وأخلاق البغال فكل يوم   يعن لبعضهم خلق جديد

وقال ابن بسام:

وجـوه لا ـش إلى المعـالي   وأسـتاه ـش إلى الأيـور

وأخلاق البغال إذا اسـتجموا   وضرط في ا الس كـالحمير

الباب الخامس والعشرون

في الحمير

حمار العزير. حمار أبي الهذيل. حمار العبادي. حمار الحوائج. حمار القصار. حمار طباب. حمار قبان. عير أبي سيارة. أسنان الحمار. ظمء الحمار. صبر الحمار. ولد الحمار. ذنب الحمار. سنة الحمار. صوف الحمار. خاصي العير. عنكما العير.

الاستشهاد

٥٦١- (حمار العزير): قد تقدم.

٥٦٢- (حمار أبي الهذيل): يضرب مثلا في الأمر الصغير يتكلم فيه الرجل، ومن قصته أن أبا الهذيل دخل على المأمون فاحتبسه ليأكل معه، فلما وضعت المائدة وأخذوا في الأكل قال أبو الهذيل: يا أمير المؤمنين، إن الله لا يستحي من الحق، غلامي وحماري بالباب، فقال: صدقت يا أبا الهذيل، ودعا بالحاجب، فقال له: اخرج إلى غلام أبي الهذيل وحماره فتقدم بما يصلحهما، فخرج وفعل.

وكان محمد بن الجهم إذا تعذر عليه أمر يقول: إن الذي سخر المأمون لحمار أبي الهذيل وغلامه قادر على أن يسهل لنا هذا الأمر.

وفعل أبو الهذيل مثل ذلك على مائدة المعتصم، فقال: يا غلام، امض حتى تطرح لحمار أبي الهذيل علفا، وأمر بإطعام غلامه، فقال أحمد بن أبي دواد: يا أمير المؤمنين: أما ترى لجلالة هذا الشيخ وتفقده ما يلزمه من خواص أمره، لم يمنعه جلالة مجلسك عما يجب لله ورسوله في غلامه وحماره! فجعل أحمد ما قدره بعض من حضر من الحاجة إلى الاعتذار منه الشهادة بالفضل له.

٥٦٣- (حمار العباديّ): من أمثال العرب في الشيئين الرديئين: ما أحدهما بأمثل من الآخر؛ هما كحماري العبادي، وهو الذي قيل له: أي حماريك شر؟ فقال: ذا ثمّ ذا.

وتحاكم نفر إلى الرقاشي في أيهما أنذل وأسفل؟ الكناس أو الحجام؟ فأنشد قول الشاعر:

حمار العبادي الذي سيل فيهما وكانا على حال من الشرّ واحد

٥٦٤- (حمار الحوائج): يضرب مثلا لمن يمتهن. من أمثال العرب: اتخذوا فلان حمار الحوائج.

ومن أمثال العامة: فلان قواد القرية، وجمل السقاية، وكلب الجماعة، وحمار الحوائج.

٥٦٥- (حمار طياب): كان لطياب السقاء حمار قديم الصحبة ضعيف الحملة، شديد الهزال، ظاهر الانخذال، كاسف البال، يسقي عليه، ويرفق به، ويرتزق منه مدة مديدة من الدهر؛ وكان عرضة لشعر أبي غلالة المخزومي، كما أن شاة سعيد كانت عرضة لشعر الحمدونيّ؛ ولأبي غلالة في وصفه بالضعف، والتوجع له من الخسف، نيف وعشرون مقطوعة مضمنة، أوردها كلها حمزة الأصبهاني في كتابه "مضاحك الأشعار" على حروف الهجاء.

وحكى محمد بن داود الجراح، عن جعفر رفيق طياب، أن حمار طياب نفق فمات طياب على أثره بأسبوع، ثم مات أبو غلالة على أثر حمار طياب، وكان ذلك من عجيب الاتفاقات، وسار حمار طياب مثلا كبغلة أبي دلامة في الضعف وكثرة العيب، وطيلسان ابن حرب، وشاة سعيد في كثرة ما قيل في كل منهما؛ فمن ملح أبي غلالة ما أورده ابن أبي عون في كتاب التشبيهات - ولم يورد سوى المختار- قوله:

يا سائلي عن حمـار طيـاب ذاك حمار حليف أوصـاب
كأنـه والـذباب يأخـذه من وجـه تفـار ووشـاب

ومما أورده حمزة قوله:

وحمار بكـت عليـه الحمـير دق حتى بـه الـذباب يطـير
كان فيما مضى يقوم بضـعف فهو اليـوم واقـف لا يسـير
كيف يمشي وليس يعلف شـيئا وهو شيخ من الحمـير كـبير
يأكل التبن في الزّمـان ولكـن أبعد الأبعـدين عنـه الشـعير
عاين القت مـرة مـن بعيـد فـتغنى وفي الفـؤاد سمـير
ليس لي منك يا ظلـوم نصـير أنا عبد الهـوى وأنـت أمـير

وقوله:

أقسمت بالكـأس والمـدام — وصـحبة الفتيـة الكـرام
أن لست أبكي على رسـوم — غيرهـا هاطـل الغمـام
لكن بكـائي علـى حمـار — موكـل الجسـم بالسـقام
قد ذاب ضرا ومات هـزلا — فصار جلدا علـى عظـام
ومـر يومـا بـه شـعير — مقـدار كفـين للحمـام
وحمل قـت لشـاة قـوم — كلاهمـا في يـدي غـلام
فظـل مـن فرحـه يغـني — وقال: قد جـاءني طعـامي
يـا زائرينـا مـن الخيـام — حيـ ـاكم الله بالسـ ـلام
لم تطرقاني وبي حراك — إلى حـ ـلال ولا حـ ـرام

وقوله:

حمـار أتـاح بـه ضـره — ودار عليه بـذاك الفلـك
يميل من الضعف في مشـيه — ويسقط في كل درب سلك
فأما الشـعير فمـا ذاقـه — كما لا يذوق الطعام الملـك
يغنيّ على القت لمـا يـراه — وقد هزه الجوع حتى هلـك
أخـذت فـؤادي فعذبتـه — وأسهرت عيني فما حل لك

قوله:

لم أبك شجوا لفقـد حـب — ولا ابـتلاني بـذاك ربي
لكنني قـد بكيـت حزنـا — على حمـار لجـار جنـب
لو شم ريح الشـعير شمـا — من غير أكل لقال: حسـبي
أو عاين القتّ مـن بعيـد — يوما لغنى بصـوت صـب
ليس يزول الـذي بقلـبي — يا من جفاني بغـير ذنـب

وقوله:

حمار طياب لا تحصى معايبه ... ما فيه أكثر مما قلته فيه

قد دق حتى رأيت الخيط يشبهه ... من الهزال وعين الضرّ تبكيه

أقسمت بالله لولا التّبن يأكله ... في كل شهر لكان الجوع يفنيه

مازال يطلب وصل القت مجتهدا ... والقت يقتله بالصد والتيه

حتى تغنى له من طول جفوته ... صوتا يبوح بما قد كان يخفيه

النجم يرحمني مما أكابده ... وأنت في غفلة عما أقاسيه

٥٦٦- (حمار قبان): من أمثال العرب: هو أذل من حمار قبان؛ وهو ضرب من الخنافس من مكة والمدينة قال الراجز:

يا عجبا لقد رأيت عجبا ... حمار قبان يسوق أرنبا

٥٦٧- (عير أبي سيارة): هذا عير مشهور يتمثل به، فيقال: أصح من عير أبي سيارة؛ للرجل الصحيح في بدنه؛ وأبو سيارة رجل من عدوان، واسمه عميلة بن خالد بن أعزل، وكان له حمار أسود، أجاز الناس عليه من مزدلفة إلى منى أربعين سنة، وكان يقف فيقول شعرا:

خلوا الطريق عن أبي سياره ... وعن مواليه بني فزاره

حتى يجيز سالما حماره ... مستقبل القبلة يدعو جاره

قال الجاحظ: أعمار حمر الوحش تزيد على أعمار الحمر الأهلية، ولا يعرف حمار أهلي عاش أكثر وعمر أطول من عير أبي سيارة؛ فإ م لا يشكون أنه دفع عليه أهل الموسم أربعين عاما.

وكان يقول: اللهم حبب بين نسائنا، وبغض بين رعائنا، وأجعل الماء في سمحائنا.

قال حمزة: وكان الفضل بن علي الرقاشي وخالد بن صفوان يختاران ركوب الحمير على البراذين، ويجعلان حمار أبي سيارة قدوة لهما.

فأما الفضل فإنه سئل عن ركوب الحمار، فقال: لأنه أقل الدواب مئونة

وأكثرها معونة، وأسهلها جماحا وصرعا، وأخفضها مهوى، وأقر ا مرتقى، يزهى راكبه وقد تواضع بركوبه؛ ويدعي مقتصدا وقد أسرف في ثمنه، ولو شاء أبو سيارة أن يركب جملا مهربا، أو فرسا عربيا، لفعل؛ ولكنه امتطى عيرا أربعين سنة.

فأما خالد، فإن بعض أشراف البصرة لقيه فرآه على حمار، فقال: ما هذا المركب؟ فقال: عير من أصل الكدار، أصحر السربال، محملج القوائم، مفتول الأجلاد، يحمل الرحلة، ويبلغ العقبة، ويقل داؤه، ويخفى دواؤه؛ ويمنعني أن أكون جبارا في الأرض، أو أكون من المفسدين ولولا ما في الحمار من المنفعة لما امتطى أبو سيارة عيره أربعين سنة.

فسمع كلامه أعرابي، فعارضه، بأن قال: الحمار إذا أوقفته أدلى، وإن تركته ولى، كثير الروث، قليل الغوث، سريع إلى القرارة، بطيء إلى الغارة، لا ترقأ به الدماء، ولا تمهر به النساء، ولا يحلب في الإناء.

٥٦٨- (أسنان الحمار): يضرب ا المثل في التماثل والتساوي؛ ومن أمثال العرب:

*** سواسية كأسنان الحمار ***

يقول هو سيك بتشديد الياء، أي هو مثلك، وهما سواء وسواسية وسواس، إذا كانا متساويين؛ قال بعضهم: لا تكون السواسية إلا في السر، قال أحمر:

سواس كأسنان الحمار فلا ترى لذي شيبة منهم على ناشيء فضلا

وقال ذو الرمة:

لهم زمرة شهب السبال أذلة سواسية أحرارها وعبيدها

وقال: سبينا منهم سبعين خودا سواس لم يفضّ لها ختام

وقال آخر:

شبا م و شيبهم سواء هم في اللؤم أسنان الحمار

٥٦٩- (ظمء الحمار): من أمثال العرب قولهم: أقصر من ظمء الحمار، لأنه لا يصبر على العطش أكثر من يوم، والظّمء: ما بين الشربتين؛ طويلا كان أو قصير؛ وأقصر الأظماء ما تقول به العرب لمن أدبر وتولى، ولم يبق من عمره إلا اليسير: ما

بقي منه إلا قدر ظمء الحمار.

ويروى أن مروان الحمار قال في الفتنة: الآن نفد عمري، ولم يبق منه إلا مثل ظمء الحمار؛ صرت أضرب الجيوش بعضا ببعض!

وقال سعيد بن العاص لعمار بن ياسر رضي الله عنهما: كنا نعدك من أفاضل الصحابة حتى إذا لم يبق من عمرك إلا ظمء الحمار فعلت وفعلت! فقال: أيما أحب إليك؟ مودة على جميلة، أو مصارعة ثقيلة، فقال: لله علي ألا أكلمك أبدا.

٥٧٠- (صبر الحمار): قيل لبزرجمهر: بم أدركت ما أدركت؟ قال: ببكور كبكور الغراب، وصبر كصبر الحمار، وحرص كحرص الخنـزير، وإنما ضرب المثل في الصبر على الخسف، وقلة التفقد، وهذا من أمثال العجم، وأما العرب فإ ا تقول: أصبر من ذي حاجة، وأصبر من عود سنة جلب.

٥٧١- (ولد الحمار): من أمثال العرب عن أبي عمرو: أخلف من ولد الحمار؛ يريدون به البغل، لأنه لا يشبه أباه ولا أمه.

٥٧٢- (ذنب الحمار): يضرب مثلا لما يزيد ولا ينقص، فيقال: ما هو إلا ذنب الحمار.

وكان أبو بكر الخوارزمي يقول: فلان كإيمان المرجىء وذنب الحمار.

٥٧٣- (سنة الحمار): العرب تقول لسنة المائة من التاريخ: سنة الحمار. وأصلها من حديث حمار عزير وموته مع صاحبه مائة سنة، وأحيا الله إياهما، كما قال الله تعالى: ﴿**فَأماتهُ اللهُ مِائةَ عامٍ ثُم بعثهُ قَالَ كَم لَبِثْت قَالَ لَبِثْتُ يوما أَو بعض يومٍ قَالَ بل لَبِثْت مِائةَ عامٍ فَانظُر إِلَى طَعامِك وشرابِك لَم يتسنه وانظُر إِلَى حِمارِك ولنجعلك آيةً للناس**﴾[1].

وإنما قيل لمروان بن محمد : مروان الحمار؛ لأن على رأسه استكمل ملك بني مروان مائة سنة، فصارت سنة الحمار اسما لكل مائة سنة.

وسمعت أبا نصر العتبي يقول: عرض على بعض الأدباء حمار أراد ابتياعه فوجده مسنا، فقال: أرى هذا الحمار ولد قبل سنة الحمار.

---

(١) سورة البقرة ٢٥٩.

٥٧٤- (صوف الحمار): يضرب به المثل في العسرة والنكد، فيقال: أنكد من صوف الحمار، كما يذكر صوف الكلب في القلة والعسرة: فيقال: أعسر من صوف الكلب.

٥٧٥- (خاصي العير): من أمثال العرب: جاء فلان كخاصي العير، إذا جاء مخيبا؛ لأن خاصي العير تقع يداه على مذاكيره، وقد ضرب أبو خراش مثلا في شعر له لست أستحضره.

٥٧٦- (عكما العير): من أمثال العرب: وقعا كعكمي عير، إذا وقعا متساويين، وقال ذلك الأصمعي، وأصله أن يحل عن العير حباله فيسقط عكماه معا، ويقال: هما عكما عير مثلان، كما يقال: كركبتي البعير.

الباب السادس والعشرون

في البقر والغنم

بقرة بني إسرائيل. أذناب البقر. كعبا البقر. لسان الثور. شاة سعيد. شاة أشعب. عنـز الأخفش. تيس بني حمان. لحية التيس. صنان التيس. حالب التيس. ضرطة عنـز. يوم القز. ذل العنـز.

الاستشهاد

٥٧٧- (بقرة بني إسرائيل): يضرب ا المثل في الشيء يأمر به السيد أو الرئيس، فيبلغ المسود والمرءوس، ويجنح فيه، ويسد الأمر فيه على نفسه، فيشدد عليه، كنحو أصحاب البقرة الذين قال لهم الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: اذبحوا البقرة، واضربوا القتيل، فإني أحييهما جميعا، فلو اعتاضوا من جميع البقر بقرة واحدة فذبحوها كانوا غير مخالفين؛ فلما ذهبوا مذهب الشك والتعلل، ثم التعرض والتعنت، صار ذلك سبب تغليظ الفرض.

وقيل لأبي العيناء: ما تقول في مالك بن طوق؟ فقال: لو كان في زمن بني إسرائيل، ونـزلت آية البقرة ما ذبحوا غيره.

وكتب أبو نصر العتبي إلى بعض من استماحه من أهل الأدب: قد بعثت إليك بمثل بقرة بني إسرائيل في الصفة، ولو ملكت ملء مسكها ذهبا أو مسكا لما نفست به نفسي عليك والسلام، يريد قوله تعالى: ﴿**صفراء فاقع لو ا تسرّ الناظرين**﴾[1].

٥٧٨- (كعب البقر): كان داود بن عيسى بن موسى يلقب بأترجة، وعبد السميع بن محمد بن المنصور يلقب بشحم الحزين، ومحمد بن أحمد بن عيسى الهاشمي بكعب البقر، وكانوا كلهم مع المستعين، فلما صاروا إلى المعتز، قال المعتز:

أتـــاني أترجـــة في الأمـــان ... وعبد السميع وكعــب البقــر

فـأهلا وسـهلا بمـن جاءنـا ... ويا ليت من لم يجـيء في سـقر

---

(١) البقرة: ٦٩.

فقالوا: قد شرفنا أمير المؤمنين بذكره لنا، ولكنه ذكرنا باللقب؛ ولم يذكر عبد السميع بلقبه، فقال:

أتاني أترجة في الأمان وشحم الحزين وكعب البقر

٥٧٩- (لسان الثور): يشبه به اللسان الطويل العريض، أنشد الصولي لبعض الشعراء في هجاء محمد بن أحمد بن الحسين بن حرب - وكان وكل ببيع الغلات ببغداد بأمر المعتمد:

ألا تعسا ونكسا لابن حـرب وضربا بالمقامع بعـد صـلب
لقد ملئت بـه بغـداد جـورا وأفرغ بغضه في كـل قلـب
تبارك من حبـاه بوجـه قـرد ونكهة ضيغم وطبـاع كلـب
وعـيني فـأرة ولسـان ثـور وخلقـة قنفـد وجـبين دب

ولابن الرومي في هجاء عجوز:

أدنت إلى شدقه لسانا ما هو إلا لسان ثور

٥٨٠- (شاة سعيد): كان المثل يضرب بشاة منيع، ثم تحول المثل إلى شاة سعيد لكثرة ما قال الحمدوني فيها، وتسييره الملح في وصف هزالها:

ما أرى إن ذبحت شاة سـعيد حاصلا في يدّي غير الإهـاب
ليس إلا عظامهـا لـو تراهـا قلت هـذي أدارن في جـراب
كم تغنـت بحرقـة ونحيـب لم تذق غير سف محض التراب
ربّ لا صبر لي على ذا العذاب بليت مهجتي وأودى شبابي!

وقوله:

صـاح بي ابـن سـعيد مـن وراء الحجـرات
قرب الناس الأضـاحي وأنـا قربـت شـاتي
شاة سوء مـن جلـود وعظـام نخـرات
كلما أضـجعتها للـذ بـح قالـت بحيـاتي

وقوله:

جـاد سـعيد لي بشـا ... ة ذات سـقم ودنـف
ناحلـة الجسـم إذا ... ما هي مـرت بـالجيف
صاحت عليهـا هاهنـا ... يا أختنا ذات العجـف
تخنقهـا العـبرة إن ... مرت بأصحاب العلـف
كـم قـد تغـنى ولهـا ... شـوق إليـه ولهـف
وقـد تقطعـت إلى ... وجهك شـوقا وأسـف

وقوله:

بشاة سعيد وهي روح بلا جسم ... تمثلت الأمثال في شدة السـقم
يقول لي الإخوان حين طبختها ... أتطبخ شطرنجا عظاما بلا لحم!
فقلت كلوا منها فقالوا ـزؤا ... أتطعمنا ناروس قوم من العجم!
فقلت لهم كانت لديهم أسـيرة ... ترى القت من شأو بعيد وفي الحلم
وكم قد تغنت إذا تطاول جوعها ... ولم تر عند القوم شيئا من الطعم
ألا أيها الغضبان بالله ما جـرى ... إليك فقد أبليت جلدي على عظمي!

٥٨١- (شاة أشعب): يضرب ا المثل في الطمع، قيل لأشعب: هل رأيت أطمع منك؟ قال: نعم، شاة لي صعدت في السطح، فنظرت إلى قوس قزح، فظنته حبل قت، فسقطت فاندقت عنقها، وإلى هذا التمثيل أشار ابن الحجاج في قوله - وقد سقطت زوجته من سطح فماتت - وهي من قصيدة:

عفا الله عنها إ ا يـوم ودعـت ... أجل فقيد في التـراب مغيـب
ولو أ ا اعتلت لكان مصـا ا ... أخف على قلب الحزين المعذب
ولكن رأت في الأرض أفعى مجندلا ... على قدر غرمول الحمار المشـعب
فظنته أيرا والظنـون كـواذب ... إذا أخبرت عن علم ما في المغيـب

وأهوت إليه من يفاع ودونـه ... **ثمانون باعا من علـو مصـوب**
فصارت حديثا شاع بين **مصدق** ... **يحققه علمـا** وبـين **مكـذب**
سوى الطمع المردي إليه بحتفها ... **ومن يمتثل أمر المطامع يعطـب**
فأعظم يا هذا الـك الله ر ـا ... **وربك أجر الثكل** في **شاة أشـعب**

٥٨٢- (تيس بني حمان**):** العرب تضرب به المثل في الغلمة، فتقول: أغلم من تيس بني حمان، وتزعم أنه نـزا على سبعين عنـزا بعد ما فريت أوداجه.

ويروى أن مالك بن مسمع هازل الأحنف بن قيس: فقال: والله لأحمق بكر وائل - يعني هبنقة القيسي - أشهر من سيد بني تميم - يعني الأحنف - قال وكان لقاعة حاضر الجواب، فقال: والله لتيس بني تميم أشهر من سيد بكر بن وائل؛ يعني تيس بني حمان لأ م من تميم ، وعنى بسيد بكر ابن مسمع.

٥٨٣- (لحية التيس): يشبه ا اللحية الطويلة المشدقة، قال الشاعر:

ليس بطـول اللحـى ... **يسـتوجبون القضـا**
إن كان هـذا كـذا ... **فالتيس عـدل رضـا**

وقال ابن بسام في مغن يقال له لحية التيس:

وأقول إذ غـنى بمـا **سـاءني** ... **أقصـر قلـيلا لحيـة التـيس**
ودع قفا نبـك وقوفـا ـا ... **لا رحـم الله امـرأ القـيس!**

٥٨٤- (صنان التيس): قال الشاعر:

نكهت المديني **إذ جـاءني** ... **فيالك من نكهة عاليـه**
له دفر كصـنان التيـو ... **س أغنى عن المسك والغالية**

قال بعض العصريين:

لي **صاحب لا يسـمى** ... بين **الـورى إنسـانا**
لأنـه التـيس قرنـا ... **ولحيـ ـة وصنانـ ـا**

٥٨٥- (حالب التيس): يضرب مثلا لمن يطمع في غير مطمع ومن يرجو من

لا يجدي، قال والبة بن الحباب:

أصبحت لا تعرف الجميـل ولا تفرق بـين القبـيح والحسـن

إن الذي يرتجي نـداك كمـن يحلب تيسا من شـهوة اللـبن

وقال البحتري:

أيا صالحا لا يجزك الله صالحا فإنك مثل التيس أخفق حالبه

٥٨٦- (ضرطة عنـز): يضرب مثلا لما يهون من الأمور. ولما قتل ابن جرموز الزبير بن العوام، وجاء برأسه إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال له: أبشر بالنار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بشروا قاتل ابن صفية بالنار**»، فانصرف ابن جرموز وهو يقول:

أتيـت عليـا بـرأس الـزبير وكنـت أرجـي بـه الزلفـه

فبشرت بالنـار قبـل العبـاد وبئست بشـارة ذي التحفـه

فسيان عنـدي قتـل الـزبير وضرطة عنـز بـذي جحفـه

ومما يشبه هذا من أمثالهم: لا تحبق في هذا الأمر عناق حولية أي: لا يكون له تغيير، ولا يدرك له ثأر، قاله عدي بن حاتم حين قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلما فقئت عينه يوم الجمل، وقتل بنوه بصفين، قيل له: يا أبا طريف، ألم تزعم أنه لا يحبق في هذا الأمر عناق حولية! قال: بلى والله، إن التيس الأعظم قد حبق فيه.

٥٨٧- (يوم العنـز): يضرب مثلا لمن يلقى ما يهلكه، فيقال: لقي فلان يوم العنـز، فكأن يومها يوم ذبحها، كما قيل: يوم عبيد ليوم قتله قال الفرزدق:

لقيت ابن دينار يزيد رمي به إلى الشام يوم العنـز والله خاذله

يعني به المثل: "كالباحث عن المدية، يقول: كالعنـز التي بحثت عن المدية فذبحت ا.

٥٨٨- (ذل النقد): يضرب ا المثل؛ فيقال: أذل من النقد، وهي صغار الغنم.

قال رجل من بني تميم:

لو كنتم مـاء لكنـتم زبـدا أو كنتم لحما لكنـتم غـددا
أو كنتم صوفا لكنـتم قـردا أو كنتم شـاء لكنـتم نقـدا

وقال جحظة البرمكي:

رب فقير أعز من أسد ورب مثر أذل من نقد

الباب السابع والعشرون

في الأسد

أسد الله. ليث عريسة. ليث عفرين. ليث الغاب. جرأة الأسد. عريسة الأسد. زأر الأسد. خاصي الأسد. نكهة الأسد. راكب الأسد. داء الأسد. شره الأسد. فم الأسد. برثن الأسد. أخذ سبعة. وثبة الأسد.

الاستشهاد

٥٨٩- (أسد الله): حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، تقدم.

٥٩٠- (ليث عريسة): من أمثال العرب عن أبي عمرو: هو ليث عريسة، وأنشد لحمزة الحنفي:

ليث عريسة أخو غمرات دونه في العرين عيص ودار

٥٩١- (ليث عفرين): من أمثالهم: أشجع من ليث عفرين؛ كذا قال أبو عمرو والأصمعي، واختلفا في التفسير، فقال أبو عمرو: هو الأسد، وقال الأصمعي: هو دويبة كالحرباء تنفر من الكواكب وتضرب بذنبها.

وزعم الجاحظ: أنه ضرب من العناكب يصيد الذباب صيد الفهود، وله ست عيون، فإذا رأى الذباب لطئ بالأرض، وسكن أطرافه، فمتى سكن ووثب لم يخطئ.

قال ابن سمكة: وهو دويبة مأواها التراب السهل في أصول الحيطان تدور دوارة ثم يندس في جوفها، فإذا هيجت رمت بالتراب صعدا؛ ويقال للرجل ابن الخمسين: ليث عفرين، إذا كان كاملا.

٥٩٢- (ليث الغاب): يضرب مثلا للشجاع الذي يهاب وهو في منـزله، وأنشد أبو الفتح البستي لنفسه:

وليس يعدم كنا يسـتكن بـه ومنعه بـين أهليـه وأصـحابه

ومن نأى منهم قلـت مهابتـه كالليث يحقر مهما غاب عن غابه

٥٩٣- (جرأة الأسد): يتمثل ا حتى النسوان والصبيان؛ لأن الأسد سيد السباع، كما أن العقاب سيد الطيور، والفرس سيد الدواب، كما قال أبو الحسن

المدائني: قال نصر بن سيار: كان عظماء الترك يقولون: ينبغي أن يكون في القائد العظيم القيادة عشر خصال من أخلاق الحيوان: جرأة الأسد، وختل الذئب، وروغان الثعلب، وحملة الخنـزير، وصبر الكلب على الجراحة، وتحنن الدجاجة، وسخاء الديك، وحذر الغراب، وحراسة الكركي، وهداية الحمام.

٥٩٤- (عريسة الأسد): يضرب مثلا للمكان الرفيع المنيع، قال الشاعر:

* **كمبتغي الصيد** في **عريسة الأسد** *

وفي أمثال الصاحب: لم يدر أن عريسة الأسد ليست مرابض النقد.

وفيها: أن الثعالب لا تجسر على أخياس الأسود، والأرانب لا تحوم حول عيال الأسود.

٥٩٥- (زأر الأسد): يضرب مثلا لوعيد السلطان، وهو قول النابغة للنعمان:

نبئت أن أبا قابوس يوعدني ولا قرار على زأر من الأسد

٥٩٦- (خاصي الأسد): يضرب مثلا لمن يقدم على الأمر العظيم ويمد يده إلى الرجل الكبير، فيقال: أجرأ من خاصي الأسد، وهكذا قال محمد بن حبيب وعن أبي عمرو: أجرأ من خاصي الأسد، وهو الذي يقول للأسد: اخسأ، من قوله تعالى: ﴿**اخسأوا فِيها ولا تُكلّمُون**﴾(1) .

٥٩٧- (راكب الأسد): يضرب مثلا لمن يهاب، قال بعض الحكماء صاحب السلطان كراكب الأسد يهابه الناس، وهو لمركبه أهيب.

٥٩٨- (داء الأسد): هي الحّمى لأ ا كثيرا ما تغزو الأسد حتى إنه قلما يخلو منها ساعة، قال أبو تمام:

فإن يك قد نالتك أطراف وعكة فلا عجب أن يوعك الأسد الورد

وكتبت إلى عمر بن علي المطوعي رقعة فيها: انصرفت البارحة بقلب مهموم، وجسم محموم، فما الظن بعلة الحسد، فإن منها علة الجسد، وداء الذئب خالطه داء الأسد.

وهذا سجع تطفل علي من غير بدون قصد. وقد كفاني الله داء الذئب،

(1) سورة المؤمنون ١٠٨.

وسيكفيني داء الأسد.

٥٩٩- (نكهة الأسد): الأسد موصوف بالبخر وكذلك الصقر، قال الشاعر:

قد ولي فارس والأهـ ... واز داود بـن بشـر

ولـه لحيـة تـيس ... ولـه منقـار نسـر

ولـه نكهـة ليـث ... خالطت نكهة صـقر

قال سعيد بن حميد لأبي هفان يوما: أنا الأسد، فقال: ليس فيك من الأسد إلا النكهة.

٦٠٠- (شره الأسد): تقول العرب في أمثالها: أشره من الأسد، وذلك أنه يبتلع البضعة العظيمة من غير مضغ، وكذلك الحية؛ لأ ما واثقان بسهولة المدخل وسعة ا رى.

٦٠١- (فم الأسد): يضرب مثلا للشيءالصعب المرام، قال الشاعر:

*** ومن يحاول شيئا من فم الأسد ***

٦٠٢- (برثن الأسد): دخل أبو العميثل على عبد الله طاهر، فقبل يده، فقال عبد الله: قد آذت خشونة شاربك يدي! فقال: كلا أيها الأمير، إن شوك القنفد لا يضر برثن الأسد.

وفي كتاب المبهج: من تخلل بنات الأسد، وبرثن الأسد، فقد سخنت عينه، وحان حينه.

٦٠٣- (أخذ سبعة): من أمثال العرب: أخذه أخذ سبعة، بضم الباء والسبعة بتسكين الباء الموحدة: اللبؤة، قال ابن الكلبي: سبعة رجل وهو سبعة بن عوف بن ثعلبة بن سلامان، وكان شديدا فضرب به المثل.

ومن الدليل على أن القول هو الأول قولهم: إياك والسلطان فإنه يغضب غضب الصبي، ويأخذ أخذ الأسد.

٦٠٤- (وثبة الأسد): قال عبد الله بن المعتز للمعتضد:

هنتك أمير المـؤمنين سـلامة ... برغم عدوّ في الحديـد كظـيم

وثبـت إليـه وثبـة أسـدية ... وصلت به صول الظبا في الرّيم

الباب الثامن والعشرون

في الذئب

ذئب يوسف. ذئب أهبان . ذئب الغضى. داء الذئب. بقلة الذئب. لؤم الذئب. خفة رأس الذئب. نوم الذئب. ظلم الذئب. مسترعي الذئب ختل الذئب. حمق جهيزة.

الاستشهاد

٦٠٥-(ذئب يوسف): قد تقدم في الباب الثاني ذكره.

٦٠٦-(ذئب أهبان): يضرب مثلا للشيء العجيب وكلام مالا يتكلم ومن قصة أهبان بن أوس السلمي أنه كان في غنم، له فعدا الذئب على شاة منها، فصاح فيه أهبان ، فأقعى الذئب، وقال له: أتنـزع مني رزقا رزقنيه الله! قال أهبان: فصفقت بيدي تعجبا، وقلت: والله ما رأيت ولا سمعت أعجب من هذا! فقال: أتعجب من هذا ورسول الله ﷺ بين هذه النخلات- وأومأ بيده إلى أبيات المدينة- يحدث بما كان ويكون ، ويدعو إلى الله عباده! قال: فجئت إلى النبيﷺ وأخبرته بالقصة وأسلمت فكان يقال لأهبان: مكلم الذئب ، ولولده: بنو مكلم الذئب، قال الشاعر:

إلى ابن مكلم الذئب ابن أوس رحلت غدا فكنت على أمـان

وقال رزين العروضي يهجو بعض ولد أهبان:

فكيف لو كلم الليث الغضوب إذا تركتم الناس مأكولا ومشـروبا
هذا السنيدي لا أصل ولا طرف يكلم الفيل تصعيدا وتصـويبا

قال الجاحظ في نقد شعر رزين هذا يهجو ولد أهبان : لو كان ولد أهبان ادعوا أن أباهم كلم الذئب كانوا مجانين، وإنما ادعوا أن الذئب كلم أباهم، حتى سمي مكلم الذئب، وإنه ذكر للنبي ﷺ ذلك وأنه صدقه؛ والفيل ليس الذي يكلم السندي، ولم يدع ذلك سندي قط، وإنما السندي هو المكلم له، والفيل هو الفهم عنه، فذهب رزين العروضي من التغليظ كل مذهب.

والناس قد يكلمون الطير والبهائم والكلاب والسنانير والمراكب وكل ما

تحت أيديهم من أصناف الحيوان التي قد خولوها وسخرت لهم ؛ وربما رأيت القراد يكلم القرد بكل ضرب من الكلام ، ويطيعه القرد في جميع ذلك، وكذلك ربما رأيت الإنسان يلقن الببغاء ضروبا من الكلام والببغاء تحكيه، وإنما الشأن في تكليم مالا يكلم الإنسان.

٦٠٧-(ذئب الغضى): من أمثال العرب: ذئب الغضى، وتيس حلب، وأرنب الحلة ، وضب السحا، وقنفذ برقة، وشيطان الحماطة؛ قال الجاحظ: كله على قدر طبائع البلدان والأغذية الفاعلة في طبائع الحيوان، ألا تراهم يزعمون أن من دخل تبت لم يزل مسرورا ضاحكا من غير عجب حتى يخرج منها ؛ ومن أقام بالأهواز وكان ذا فراسة وجد النقصان في عقله، ومن أقام فيها حولا ثم تفقد قوته وجد فيها نقصا!

٦٠٨-(داء الذئب): هو الجوع، فالعرب تقول في الدعاء على العدو: رماه الإله بداء الذئب ، لأنه دهره جائع ؛ قال ابن الرومي:

وشاعر أجوع من ذئـب معشش بين **أعاريـب**

والأسد والذئب يختلفان في الجوع والصبر عليه؛ لأن الأسد رغيب حريص ، وهو مع ذلك يحتمل أن يبقى أياما، فلا يأكل شيئا، والذئب وإن كان أفقر منـزلا ، وأقل خصبا، وأكثر كدا وإخفاقا، فلا بد له من شيء يلقيه في جوفه، فربما استف التراب.

٦٠٩-(بقلة الذئب): هي اللحم، لأن الذئب لا يحوم حول شيء من البقول والنبات، وإنما بقله اللحم لا غير. وقيل لأبي الحارث: أي البقول أحب إليك؟ قال: بقلة الذئب، وقال الشاعر:

الخبز أفضل شيء أنت آكلـه وأفضل البقل بقل الذئب يا صاح

٦١٠-(لؤم الذئب): من تمام لؤم الذئب أنه لا يقتصر من الغنم على ما يشبعه، بل يعبث ا فلا يبقي ولا يذر ؛ ومن ذلك أنه ربما تعرض للإنسان ذئبان فيتساندان ويقبلان عليه إقبالا واحدا، فإذا أدمى الإنسان أحدهما وثب الآخر على الذئب المدمي ومزقه، وربما تكون الذئبة مع ذئبها فيدمى الذئب، فإذا رأته قد دمى شدت عليه فأكلته، قال رؤبة:

ولا تكوني يا ابنـة الأشـم حمقاء أدمت ذئبها الـدمي

يقول: قد أثر الوهن في أثرا فلا يحملنك ما ترين من أثره في على أن تأكليني معه كما أكلني . ويقال : إنه ليس في خلق الله تعالى الأم من الذئب؛ إذ يحدث له عند رؤية الدم على مجانسة الطمع فيه، فيحدث له ذلك الطمع قوة يعدو ا على الآخر. ومن أمثال العرب: هو أعق من ذئبة، قال الفرزدق:

وكنت كذئب السوء لما رأى دما بصاحبه يوما أحال على الـدم

وقال طرفة:

فتى ليس با بن العم كالذئب إن رأى بصاحبه يوما دما فهـو آكلـه

ولما سردت العرب أخلاق ما عاينوا من السباع وغيرها، وعرفوا ما عابوا من عادتا، وصفوا الشيء الواحد منها بضروب من الأخلاق المختلفة ، فقالوا في تعداد أخلاق الذئب: ختل الذئب، خيانة الذئب، خبث الذئب، عدو الذئب، جوع الذئب، صيحة الذئب، وقاحة الذئب، حدة الذئب، وبكل ذلك نطقت الأشعار.

٦١١- (خفة رأس الذئب): من أمثال العرب عن أبي عمرو: أخف رأسا من الذئب، ومعناه خفة النوم، لأنه لا ينام كل نومه لشدة حذره، ويبالغ من شدة احترازه واحتراسه.

٦١٢-(نوم الذئب): إنه يراوح بين عينيه إذا نام ، فيجعل إحداهما مطبقة نائمة، والأخرى مفتوحة حارسة، قال الشاعر وهو يصفه:

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

والأرنب وإن كان ينام مفتوح العينين، فليس من احتراز، ولكن خلقه الله كذا، قال المتنبي:

أرانب غير أ م ملوك مفتحة عيـو م نيـام

٦١٣-(ظلم الذئب): المثل السائر بظلم الذئب، والعرب تقول: أظلم من الذئب، قال الشاعر:

وأنت كجرو الذئب ليس بآلف أبى الذئب إلا أن يجـور ويظلمـا

وربى أعرابي ذئبا على نعجة له، فلما شب افترسها، فقال الأعرابي:

فريت شويهتي وفجعت طفـلا ... **ونسوانا وأنـت لهـم ربيـب**
نشأت مع السخال وأنت جرو ... **فمن أنبـاك أن أبـاك ذيـب**
إذا كان الطباع طبـاع سـوء ... **فـلا أدب يفيـد ولا أديـب**

٦١٤-(عدو الذئب): تقول العرب: أعدى من الذئب؛ من العدو والعدوان؛ ومن أمثالهم: هو أبغى عدوا من الذئب، وعدو الذئب مشية له يختص ا قال بعض البلغاء في وصف إنسان مسرع: مر بنا كأنه ظل ذئب. وقال امرؤ القيس:

* **وإرخاء سرحان وتقريب تتفل** *

٦١٥- (مسترعي الذئب): يضرب مثلا لمن يضع الشيء في غير موضعه، ويأتمن الخائن ويستعين بمن هو عليه، فيقال: مسترعي الذئب ظالم، ومستودع الذئب أظلم.

٦١٦- (ختل الذئب): من أمثالهم: هو أختل من الذئب، يقال: ختل الذئب الصيد إذا تخفى له ؛ وكل خادع خاتل، وإنما يريدون أنه يختل ليدرك صيده.

٦١٧- (حمق جهيزة): من أمثالهم: أحمق من جهيزة ، وهي عرس الذئب، أي أليفته؛ ومن حمقها أنا تدع ولدها وترضع ولد الضبع، كفعل النعامة ببيض غيرها. قالوا: ومن هذا قول ابن جذل الطعان:

كمرضعة أولاد أخرى وضيعت ... **بنيها فلم ترقع بـذلك مرقعـا**

قالوا: ويشهد لما بين الضبع والذئب من الألفة أن الضبع إذا صيدت أو قتلت فإن الذئب يتكفل بأولادها ويأتيها باللحم، وأنشدوا قول الكميت:

كما خامرت في **حضنها أم عامر** ... **لدى الختل** حتى **عال أوس عيالهـا**

الباب التاسع والعشرون

في الكلب

كلب أصحاب الكهف. كلب طسم. كلبة حومل. كلاب الناس. كلاب النار. كلب الرفقة. كلب الحارس. مزجر الكلب. نعاس الكلب. صوف الكلب. ريح الكلب. بخل الكلب. حرص الكلب. إلف الكلب. لؤم الكلب. غسل الكلب. واقية الكلاب. قتيل الكلاب.

الاستشهاد

٦١٨-(كلب أصحاب الكهف): يضرب ذلك مثلا لمن يلازم ولا يفارق، كتب أبو دلامة إلى سعيد بن سالم يشكو غريما له قد لازمه:

إذا جئت الأمير فقل سلام … عليك ورحمة الله الرحيم
وأما بعد ذاك فلي غريم … من الأعراب قبح من غريم
غريم لازم لفناء داري … لزوم الكلب أصحاب الرقيم
له مائة علي ونصف أخرى … ونصف النصف في صك قديم
دراهم ما انتفعت بها ولكن … وصلت بها شيوخ بني تميم

وقد ضربه دعبل مثلا في هجاء المعتصم لما كان ثامن بني العباس من الخلفاء:

ملوك بني العباس في الكتب سبعة … ولم تأتنا في ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة … كرام إذا عدوا وثامنهم كلب

٦١٩-(كلب طسم): يضرب به المثل في مكافأة المحسن بالإساءة. كان لطسم كلب يحسنون إليه ، فدل بنباحه العدو عليهم، فاستباحوهم وقتلوهم كما دلت براقش، وهي كلبة كانت لقوم من العرب هربوا من عدو لهم ومعهم براقش، فاتبع العدو أثرهم بنباح براقش، وهم عليهم فحطمهم ، وصار قولهم: على أهلها دلت براقش مثلا، كما قال حمزة بن بيض:

لم تكن عن خيانة لحقتني … لا يساري ولا يميني جنتني

بل جناهـا أخ علـي كـريم وعلى أهلـها بـراقش تجـني

و روي في قصة طسم، أن رجلا منهم ارتبط كلبا، فكان يطعمه ويسقيه رجاء أن يصيد به، فأبطأ عليه يوما، ودخل عليه صاحبه، فوثب عليه وافترسه، فصار مثلا في كفران النعمة، وفيه قيل: سمن كلبك يأكلك، قال الشاعر:

ككلب طسم وقد تربيـه يعله بالحليب في الغلـس

ظل عليه يومـا يفرفـره إلا يلغ في الدماء ينتهس

وقال مالك بن أسماء:

هم سمنوا كلبا ليأكل بعضـهم ولو ظفروا بالحزم لم يسمن الكلب

وقال آخر:

أراني وعوفا كالمسمن كلبـه فخدشه أنيابه وأظـافره

٦٢٠-(كلبة حومل): يضرب ا المثل، فيقال: أجوع من كلبة حومل. وحومل امرأة من العرب كانت تربي كلبة لها للحراسة، وتجيعها وتطردها بالنهار، فرأت ليلة القمر طالعا، فنبحت عليه تظنه رغيفا لا ستدارته، ولما طالت الشدة عليها أكلت ذنبها من شدة الجوع، قال الشاعر:

كما رضيت جوعا ولم ترع ذمة لكلبتها في سالف لدهر حومل

٦٢١-(كلاب الناس): هم الأنذال والسفهاء، قال بعض السلف: الغيبة إدام كلاب الناس، وفاكهة الجبناء، قال الشاعر:

ككلب الإنس إن فكرت فيـه أشد عليك من كلب الكـلاب

قال منصور الفقيه: ما الكلاب الكلاب، بل هم الناس، إذا أسمنوا كانوا شرا من الكلاب.

٦٢٢-(كلاب النار): قال الجاحظ: يقال للخوارج والنوائح: كلاب النار.

٦٢٣-(كلب الرفقة): قال هشام أخو ذي الرمة: اعلم أن لكل رفقة كلبا يشركهم في فضل الزاد، ويميز دونهم، فإن قدرت ألا تكون كلب الرفقة فافعل.

٦٢٤-(كلب الحارس): يضرب مثلا للساقط ينتسب إلى الساقط فيزداد

ضعة. قال الشاعر:

هذا ربيعـة فـاعرفوه باسمـه كان الأمير فصار كلب الحارس

من لم يذق مر الزمان وصـرفه فليمس معتبرا ـذا البـائس

٦٢٥-(مزجر الكلب): يقال: فلان بمزجر الكلب ، وفي صف النعال؛ إذا كان بالبعد من مجلس الناس، قال أبو سفيان بن حرب:

ومازال مهوى مزجر الكلب منهم لدن غدوة حتى دنت لغـروب

وفي كتاب المبهج: الكريم في مركز القلب، واللئيم بمزجر الكلب.

٦٢٦-(نعاس الكلب): العرب تضرب المثل بنعاس الكلب، كما قال رؤبة:

لاقيت مطلا كنعاس الكلـب وعدة عجت عليهـا صـحبي

*** كالشهد بالماء الزلال العذب ***

قال الجاحظ: الكلب أيقظ الحيوان عينا وقت حاجة أصحابه إلى النوم ، وإنما نومه نارا عند استغنائهم عن حراسته، ثم لا ينام إلا غرارا وإلا غشاشا، وأغلب ما يكون النوم عليه وأشد ما يكون إسكارا له أن يكون كما قال رؤبة:

*** لا قيت مطلا كنعاس الكلب ***

يعني بذلك القرمطة في المواعيد، وكذلك الكلب فإنه أنوم ما يكون أن يفتح من عينه بقدر ما يكفيه للحراسة، وذلك ساعة فساعة، وهو في هذا كله أيقظ من ذئب، وأسمع من فرس، وأحذر من عقعق. وفي نعاس الكلب نارا وسهره ليلا يقول أحمد النسفي يهجو رجلا:

ينام إذا ما استيقظ الناس للعلا فإن جن ليل فهو يقظان حارس

كذلك كلب الناس ينعس يومه ويسهر طول الليل والليل دامس

٦٢٧-(صوف الكلب): يضرب مثلا في العسرة والنكد، كما يقال: مخ الذر، ولبن الطير . ويقال: احتاج إلى الصوف من جز كلبه، قال الشاعر:

من جز كلبا لما في الكلب من وبر أمسى لعمرك محتاجا إلى الصوف

٦٢٨-(ريح الكلب): يضرب مثلا في النتن، قال الشاعر يهجو امرأة:

ريحها ريـح كـلاب هارشت في **يوم طـل**
ولهـا ريـح كريـه مثل صـحناة بخـل

وقال آخر:

يزداد لؤما على المـديح كمـا يزداد نتن الكـلاب في **المطـر**

وقالت المرأة التي سألها امرؤ القيس عما يكره النساء منه؛ وكان مفركا يكرهن منك أنك ثقيل الصدر، خفيف العجز، سريع الإراقة، بطيء الإفاقة، وأنك إذا عرقت عرقت بريح كلبة. فقال امرؤ القيس: صدقت، إن أهلي كانوا أرضعوني لبن كلبة.

٦٢٩-(بخل الكلب): يضرب مثلا للبخيل، لأن الكلب إذا نال شيئا لم يطعم منه ، وإن رام إنسان انتزاع شيء من يده هرشه، قال الشاعر:

* **وأبخل من كلب عقور على عرق**

٦٣٠-(حرص الكلب): تقول العرب: فلان أحرص من كلب علىجيفة، ومن كلب على عرق. ومما يتمثل به من أخلاقه: حراسة الكلب، لؤم الكلب، نباح الكلب حفاظ الكلب، إلف الكلب. ويقال: إن الكلب آلف من الهر، لأن الكلب يألف الإنسان، والهر يألف المكان. وقال الشاعر يهجو رجلا:

هو الكلب إلا أن فيـه ملالـة وسوء مراعاة وماذاك في **الكلب**

٦٣١-(غسل الكلب): يضرب مثلا للئيم يتضع فلا يزداد إلا لؤما، قال ابن لنكك:

قل للوضيع أبي رياش لا تـدل ته كل تيهك بالولاية والعمـل
ما ازددت إذ وليت إلا خسـة كالكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل

٦٣٢-(وافية الكلاب): يضرب مثلا للخسيس إذا يكون موفي، قال دريد ابن الصمة لما ضرب امرأته بالسيف:

أقرا العين أن عصـبت يـداها وما إن يعصبان على خضـاب
وأبقـاهن أن لهـن لؤمـا ووافيـة كوافيـة الكـلاب

٦٣٣-(قتيل الكلاب): هو مسمع بن سنان، أبو مالك بن مسمع؛ سمي بذلك لأنه لجأ في الردة إلى قوم من بني عبد القيس، فكان كلبهم ينبح عليه، فخاف أن يدل على مكانه ، فقتله فقتل به. وكان مالك بن مسمع إذا نسب قيل له: ابن قتيل الكلاب.

الباب الثلاثون

في سائر السباع والوحوش

جلد النمر. است النمر. وثبة النمر. نوم الفهد. عيث الضبع. مجير أم عامر. خصلتا الضبع. حمق الضبع . حرص الخنـزير. قبح الخنـزير. روغان الثعلب. صيد ابن آوى. قبح القرد. حكاية القرد. كراع الأرنب. ظباء مكة. جآذر جاسم.داء الظبي. عين الظبي.

الاستشهاد

٦٣٤-(جلد النمر): من أمثال العرب في المكاشفة وإبراز صفحة العداوة قولهم: لبس لهم جلد النمر، قال الشاعر:

إن إخواني من كندة قـد **لبسوا خمسا جلد النمـر**

وكتبت إلى أبي نصر بن سهل بن المرزبان قصيدة في الشكوى أولها:

كتبت مـن صـومعة **تسمح بالقوت العسر**

والدهر مـن جفائـه **يلبس لي جلد النمـر**

فماء عيشـي كـدر **ونجم حـالي منكـدر**

٦٣٥-(است النمر): يضرب مثلا للرجل المنيع، فيقال: أمنع من است النمر، وأعز من است النمر، ومعناه أن النمر لا يتعرض له لأنه مكروه القتال مصمم. ويقال: إنه لايرى شيئا إلا طلبه ورام الاستعلاء عليه. وهو أشد السباع جرأة إذا هيج. وراود رجل غلاما بدويا فقال له الغلام: أما سمعت: است النمر!

٦٣٦-(وثبة النمر): من كلام أبي العيناء الذي نحله الأعرابي في وصف رجال الحضرة، قال : فما تقول: في صالح بن شيرازاد؟ قال: يتغذى بخروف، ويتعشى بفصيل، ويثب على فريسته وثبة النمر، ويروغ من خصمه روغان الثعلب.

٦٣٧-(نوم الفهد): قال الجاحظ: الفهد أنوم الخلق، وليس نومه كنوم الكلب، لأن الكلب نومه نعاس واختلاس، والفهد نومه صمت. وليس شيء في مثل

جسم الفهد إلا والفهد أثقل منه وأحطم لظهر الدابة . وممن ضرب المثل بنوم الفهد حميد بن ثور في قوله:

ونمت كنوم الفهد عن ذي حفيظـة   أكلت طعاما دونه وهو جـائع

وابن الرومي في قوله:

وأما نومكم عن كل خـير   كنوم الفهد لا يخشـى دفاعـا

وقالت المرأة السابعة في حديث أم زرع تصف زوجها: زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد، يأكل ما وجد، ولا يسأل عما عهد، ولا يتفقد ما ذهب من البيت لطيبة نفسه بذلك، قال الراجز:

ليس بنوام كنوم الفهـد   ولا بأكال كأكل العبـد

٦٣٨-(عيث الضبع): يقال ذلك لأن الضبع إذا وقعت في الغنم عاثت فيها ولم تكتف بما يشبعها،ولم تبق ولم تذر منها؛ ومن عيثها وإفراطها في الفساد استعارت العرب اسمها للسنة الجدبة، فيقال: أكلتنا الضبع ، قال ابن الأعرابي :لا يريدون بالضبع السنة، وإنما هو أن الناس إذا أجدبوا ضعفوا عن الانبعاث وسقطت قواهم، فعاثت فيهم الضباع وأكلتهم، قال الشاعر:

أبا خراشة أما أنـت ذا نفـر   فإن قومي لم تأكلـهم الضـبع

٦٣٩-(مجير أم عامر): يضرب مثلا للمحسن يكافأ بالإساءة. وأصل هذا المثل أن قوما خرجوا للصيد في يوم حار، فطردوا ضبعا حتى ألجأوها إلى خباء أعرابي، فاقتحمته،فأجارها الأعرابي، وحال بينها وبينهم، وجعل يطعمها ويسقيها اللبن، وبقيت عنده بخير حال، فبينما هو نائم إذ وثبت عليه فبقرت بطنه، وشربت دمه، ومضت هاربة، وجاء ابن عم له يطلبه، فإذا هو بقير ، والتفت إلى موضع الضبع فلم يرها، فقال: هي التي فعلت فعلتها، والله لأجدنا، وأخذ كنانته، واقتفى أثرها حتى أدركها ورماها فقتلها، وقال:

ومن يصنع المعروف في غير أهله   يلاق الذي لاقى مجير أم عـامر

أعد لها لما اسـتجارت ببيتـه   أحاليب ألبان اللقاح الـدرائر

وأسمنها حتى إذا ما تمكنت فرته بأنياب لها وأظافر

فقل لذوي المعروف : هذا جزاء من يجود بمعروف إلى غير شاكر

٦٤٠-(خصلتا الضبع): يضربان مثلا في الأمرين المكروهين ليس فيهما حظ للمختار بل هما شيء واحد في الشر، والعرب تقول في أحاديثها: إن الضبع صادت ثعلبا، فقال لها الثعلب وهو بين أنيا ا: مني علي أم عامر، فقالت : أخيرك خصلتين: إما أن أكلمك ، وإما أن آكلك، فقال الثعلب: أما تذكرين يوم نكحتك؟ قالت: متى؟ وفتحت فاها، فأفلت الثعلب، وضربت العرب المثل بخصلتي الضبع لما لا اختيار فيه.

٦٤١-(حمق الضبع): يضرب مثلا فيقال: أحمق من ضبع، ومن حمقها أن صائدها يقول لها وهي في وكرها: خامري أم عامر، أبشري بجراد عظال، وكمر رجال؛ فلا يزال يقول لها ذلك وهي تسكن وتنقاد حتى يدخل عليها ويربط فمها ورجليها ثم يسحبها، والجراد العظال: الذي قد ركب بعضه بعضا،وأما كمر الرجال فإن الضبع إذا وجدت قتيلا قد انتفخ جوفه ألقته على قفاه وركبته ، قال العباس بن مرداس:

ولو مات منهم من جرحنا لأصبحت ضباع بأعلى الرقمتين عرائسا

ويقال للرجل يأتي بما يستنكر : والله ما يخفى هذا على الضبع- يحمقها. ويروى أن عليا رضي الله عنه قال في كلام له : لا أكون مثل الضبع يخضعها القول فتخرج فتصاد.

٦٤٢-(حرص الخنـزير): يضرب المثل بحرص الخنـزير وقبحه وقذره وحملته، وصعوبة صيده، وشدة الخطر في طرده.

وكان ابن المقفع يقول: أخذت من كل شيء أحسن ما فيه، حتى من الخنـزير والكلب والفهد، أخذت من الخنـزير حرصه على ما يصلحه وبكوره في حوائجه، ومن الكلب نصحه لأهله وحسن محافظته على أوامر صاحبه، ومن الهرة لطف نغمتها، وحسن مسألتها، وانتهازها الفرصة في صيدها.

٦٤٣-(قبح الخنـزير): قال الجاحظ: لو أن الكفر والإفلاس والغدر

والكذب تجسدت ثم تصورت لما زادت على قبح الخنـزير، وكان ذلك بعض الأسباب التي مسخ ا الإنسان خنـزيرا، فإن القرد سمج الوجه، قبيح في كل شيء وكفاك به جرى المثل المضروب به ، ولكنه من وجه آخر مليح، فملحه يعترض على قبحه فيمازجه ويصلح منه، والخنـزير أقبح منه، إلا أن قبحه مصمت يم، فصار أسمج منه كثيرا. ولما قال حماد عجرد في بشار بن برد:

والله ما الخنـزير في نتنه ... بربعه في النتن أو خمسـه
بل ريحه أطيب من ريحـه ... ومسه ألين مـن مسـه
ووجهه أحسن من وجهه ... ونفسه أفضل من نفسـه
وعوده أكرم من عـوده ... وجنسه أكرم من جنسـه

قال بشار : ويلاه لابن الزنديق! لقد نفث بما في صدره؛ قيل: وكيف ذاك؟ قال: ما أراد إلا قول الله تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾(١)، فأخرج الجحود به مخرج الهجاء. وقال الجماز:

لو يمسخ الخنـزير مسخا ثانيا ... ما كان يمسخ فوق قبح الجاحظ
وإذا المراة جلـت لـه بمثالـه ... لم تخل مقلته ـا مـن واعـظ

٦٤٤-(روغان الثعلب): يضرب المثل بخبثه ومكره وحيلته ودهائه، قال طرفة:

كم من خليل كنت خاللتـه ... لا تـرك الله لـه واضـحة
كلهم أروغ مـن ثعلـب ... ما أشـبه الليلـة بالبارحـة!

وللصابي من رسالة في وصف الصيد والمتصيد: ومعنا فهود أخطف من البروق وأثقف من الليوث، وأجرى من الغيوث، وأمكر من الثعالب، وأدب من العقارب، وأنـزى من الجنادب.

قال الجاحظ: الثعلب جبان جدا مستضعف، ولكنه مفرط الخبث والحيلة،

---
(١) سورة الزيتون: ٤.

يجري مجرى كبار السباع. قال: ومن خبثه ودهائه أن له حيلة عجيبة في طلب مقتل القنفذ، فإنه إذا مد شوك فروته واستدار كأنه كرة ، قرب من ظهره فبال عليه، فإذا فعل ذلك انبسط القنفذ ، فعندها يقبض على مراق بطنه. قال : ومن العجب في قسمة الأرزاق أن الذئب يصيد الثعلب فيأكله، والثعلب يصيد القنفذ فيأكله ، والقنفذ يصيد الأفعى فيأكلها ، والحية تصيد الفأرة فتأكلها، والفأرة تصيد الفراخ وبيض كل شيء في أفحوصته فتأكله، والعصفور يصيد الزنبور فيأكله، والزنبور يصيد النحلة فيأكلها، والنحلة تصيد الذبابة فتأكلها، والذبابة تصيد البعوضة ؛ ولابد للصائد من أن يصاد، وكل صغير فهو يأكل ماهو أصغر منه، وكل قوي فهو يأكل ما هو أقل منه، والناس في بعضهم بعضا على شبه بذلك، وإن قصروا عن ذلك المقدار، وقد جعل الله بعضها حياة لبعض، وبعضها موتا لبعض. وذم رجل رجلا فقال: اجتمعت فيه ثلاث: طبيعة العقعق -يعني السرقة- وروغان الثعلب -يعني الخبث- ولمعان البرق الخلب -يعني الكذب.

٦٤٥-(صيد ابن آوى): يضرب مثلا لما يشق طلبه، ويصعب الظفر به، فإذا وجد لم يكن له طائل، قال الشاعر:

كان ابن آوي وهو صعب فإذا ... ما صيد يوما لا يساوي خردله

ومثله-فيه زيادة- لابن الرومي في الخنـزير:

أصبحت كالخنـزير في الطرائد ... ليس لمن يطلبـه مـن صـائد

*** وربما أتلف نفس الطارد ***

٦٤٦-(قبح القرد): يضرب به المثل، يقال: القرد قبيح ولكنه مليح. وروى أن بشارا لم يجزع من هجاء قط كجزعه من بيت حماد عجرد فيه حيث قال:

ويا أقبح مـن قـرد ... إذا ما عمـي القـرد

ويحكى أن بشارا لما سمع البيت بكى وقال: يراني فيصفني ولا أراه فأصفه! ويحكى أن رجلا قبيح الصورة قال لمنصور بن الحسين الحلاج رحمه الله: إن كنت صادقا فيما تدعيه فامسخني قردا، فقال: أما لو هممت بذلك لكان نصف العمل مفروغا منه. وقال بعض الخلفاء لبعض ندمائه: عرفت أن في وجه بختيشوع قردية؟

فقال: الغلط من غيرك يا أمير المؤمنين، بل في وجه القرد بختيشوعية.

٦٤٧-(حكاية القرد): قال الجاحظ: وقد عرفت شبه ظاهر القرد بظاهر الإنسان ؛ يرى ذلك في طرفه وتغميض عينه وضحكه وحركته وحكايته، وفي كفه وأصابعه، وفي رفعها ووضعها، وكيف يتناول ا، وكيف يجهز اللقمة إلى فيه، وكيف يكسر الجوز، ويستخرج ما فيه، وكيف يتقن كل ما أخذ به وأعيد عليه.

وقال القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز : نحن نجد القرد أكثر شبها بالإنسان من سائر الحيوان؛ ولذلك سماه القائلون بالتناسخ بالصورة المكشوفة. ويزعم أهل الشرع أنم لم يجدوا في ضروب الحيوان أشبه بالإنسان تركيبا وأعضاء وجوارح، ولم يروا أقرب منه خلقة وصورة وأدنى إليه شبها ومشاكلة من القرد، وإن من تقدم جالينوس من الأطباء لم يفصلوا قط إنسيا ولم يشرحوا آدميا، وإنما عرفوا تلك الأمور الغامضة، والسرائر الكامنة ، بما فصلوا من أجسام القرود، وبعض من وجد من القتلى على ندرة في بعض معارك الملوك، فلم يهدهم من الاختلاف إلا علي اليسير الذي لا يعتد به. وقال غيره: لما أشبه القرد الإنسان أربى عليه في الحكاية، وضرب به المثل، وقيل: أحكى من قرد، وقيل: أولع من قرد، لولوعه بحكاية من يراه، وقد أحسن ابن الرومي في قوله يهجو قوما:

ليتهم كانوا قـرودا فحكـوا شيم الناس كما تحكي القـرود

والتفت يوما إلى أبي الحسن الأخفش وهو يختال في مشيته، فأنشد يقول:

هنيئا يا أبـا الحسـن هنيئـا بلغت من الفضائل كل غايـة

شركت القرد في قبح وسخف وما قصرت عنـه في الحكايـة

٦٤٨-(كراع الأرنب): يضرب مثلا فيما قل وذل ، ويشبه ما صغر وهان؛ قال الشاعر: يهجو حارثة بن بدر الغداني:

زعمت غدانة أن فيهم سـيدا ضخما يواريه جناح الجنـدب

يرويه ما يروي الذباب وينتشي سكرا ويشبعه كراع الأرنـب

قال الجاحظ: إنما ذكر كراع الأرنب؛ لأن يد الأرنب قصيرة، ولذلك يسرع

في الصعود فلا يلحقه من الكلاب إلا كلب قصير اليد، وذلك محمود في الكلب.

٦٤٩-(ظباء مكة): يضرب ا المثل في الأمن ، لأنا لا تاج ولا تصاد في الحرم لـاورتا الحرم، فهي ترتع وتلعب آمنة، وقد ضرب ا المثل عبد الله بن حسن ابن حسن، فأحسن في قوله يصف نسوة:

أنس حرائر ماهممن بريبـة　　　كظباء مكة صيدهن حـرام

يحسبن من لين الكلام زوانيا　　　ويصدهن عن الخنا الإسلام

٦٥٠- (جآذر جاسم): يقال: جآذر جاسم، كما يقال: وحش وجرة، وللقاضي أبي الحسن فصل في ذكرهما لم أر أحسن وأبلغ ، ولا أكفى وأشفى منه وهو: قد علمت أعزك الله ، أن الشعراء قد تداركوا عيون الجاذر ، ونواظر الغزلان، حتى إنك لا تكاد تجد قصيدة نسيب تخلو منه إلا النادر والفذ ومتى جمعت ذلك ثم قرنت إليه قول امرئ القيس:

تصد فتبدي عن أسيل وتتقـي　　　بناظرة من وحش وجرة مطفل

وقابلته بقول عدي بن الرقاع:

فكأ ا بين النساء أعارها　　　عينيه أحور من جآذر جاسم

رأيت إسراع القلب إلى قبول هذين البيتين، وتبينت قر ما منه، والمعنى واحد، وكلاهما خال من الصنعة، بديع من البديع، إلا ما حسن من الاستعارة اللطيفة التي كسته هذه البهجة. هذا وقد تخلل كل واحد منهما من حشو الكلام مالو حذف لاستغني عنه، ومالا فائدة في ذكره، لأن امرأ القيس قال: «من وحش وجرة» وعديا قال : «من جآذر جاسم»، ولم يذكرا هذين الموضعين إلا استعانة ما في إتمام النظم وإقامة القافية، ولا تلتفت إلى ما يقال في وجرة وجاسم، فإنما يطلب بعضهم الإغراب على بعض، وقد رأيت ظباء جاسم فلم أرها إلا كغيرها. وسألت من لا أحصي من الأعراب عن وحش وجرة فلم يروا لها فضلا على وحش صريمة، وغزلان بسيطة. وقد يختلف خلق الظباء وألوانا باختلاف المنشأ والمرتع، وأما العيون فقل أن تختلف لذلك، وأما ما أتم به عدي الوصف وأضافه إلى المعنى المبتدأ به بقوله:

وسنان أقصده النعاس فرنقـت في **عينه سـنة ولـيس بنـائم**

فقد زاد به على كل من تقدم ، وسبق بفضله من تأخر، ولو قلت : إنه اقتطع على هذا المعنى فصار له، وحظر على الشعراء الشركة فيه، لم أرني بعدت عن الحق، ولا جانبت الصدق فيما قلته.

٦٥١-(داء الظبي): من أمثال العرب عن أبي عمرو الشيباني في صحة الجسم قولهم : داء الظبي، قال: ومعناه ليس به داء كما أنه لا داء بالظبي، قال أبو عبيدة: وهذا نحو قول النابغة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم **ن فلول من قراع الكتائـب**

٦٥٢_(عين الظبي): تشبه ا العيون المستحسنة، ويشبه ا ما يوصف بشدة السواد، كما قال المتنبي:

لقى ليل كعـين الظـبي لونـا **وهـم كالحميـا في المشـاش**

وقال بعض أهل العصر في الجمع بين عين الظبي وعين الديك- ولعله لم يسبق إليه- في بيت واحد، فقال:

وليل كعين الظبي غيرت لونـه **بكأس كعين الديك بل هي ألمع**

فلما مزجت الروح مني براحها **ترحل عني الغم والهـم أجمـع**

الباب الحادي والثلاثون

في السنور والفأر

سنور عبد الله. فأرة العرم. فأرة المسك. فأرة البيش. فأرة الإبل.

الاستشهاد

٦٥٣-**(سنور عبد الله)**: يضرب مثلا لمن يكون مرجوا في صغره؛ فإذا كبر تراجع ولم يفلح ، وفيه يقول بشار بن برد الأعمى:

أبا مخلد مازلت سباح غمرة ... صغيرا فلما شبت خيمت بالشاطئ

كسنور عبد الله بيع بدرهم ... صغيرا فلما شب بيع بقيراط

وقال قبله الفرزدق:

رأيت الناس يزدادون يوما ... فيوما في الجميل وأنت تنقص

كمثل الهر في صغر يغالى ... به حتى إذا ما شب يرخص

٦٥٤-**(فأرة العرم)**: تضرب مثلا في الضعيف يقوى على الأمر الكبير، وفي المهين يجر الخطب الجليل، ويضرّ الضرر الكبير.

قال الجاحظ: لا يشك الناس في أن أرض سبأ وجنتها إنما خربت حين دخلها سيل العرم وأن الذي فجر المياه فأرة، وكانت سببا لدخول الماء الذي إذا دخل خرب بقدر قوته.

قال الله تعالى: ﴿**فأرسلنا عليهم سيلَ العرِم**﴾[(١)]، والعرم : المسناة التي كانوا أحكموا عملها لتكون حاجزا بين ضياعهم وبين السيل، ففجرته فأرة ليكون أظهر في الأعجوبة؛ كما أفار الله ماء الطوفان من جوف تنور ليكون ذلك أثبت في العبرة، وأعجب في الآية؛ ولذلك قال خالد بن صفوان لليماني الذي فخر عند المهدي وهو ساكت ، فقال له المهدي: مالك لا تقول؟ قال: وما أقول في قوم ليس منهم إلا دابغ جلد، أو ناسج برد، أو قائد قرد، أو راكب عرد؛ أغرقتهم فأرة، وملكتهم امرأة،

---

(١) سورة سبأ: ١٦

ودل عليهم هدهد. وفي هذه الفأرة يقول :

خرقت فأرة بأنف ضئيل عرما محكم الأساس بصخر
فجّرته وكان جيلان عنه عاجزا لو يرومه بعد دهر

وجيلان: فعلة الملوك وكانوا من أهل الجبل؛ يقول: فجرته فأرة ولو أن جيلان أرادت ذلك لامتنع عليها، لأن الفأرة أنما خرقته لما سخر الله تعالى لها من ذلك العرم. وأنشدني الخوارزمي لنفسه من قصيدة له في ماس الحاجب الذي سعى في قتل أبي الحسن المرزباني:

لاتعجبوا من صيد صعو بازيا إن الأسود تصاد بالخرفان
قد غرقت أملاك حمير فأرة وبعوضة قتلت بني كنعان

يعني فأرة العرم والبعوضة التي يروى أنها دخلت في أنف نمروذ بن كنعان وكان ا حتفه.

٦٥٥-(فأرة المسك): قال الجاحظ: الناس يجدون ريح المسك في بيوتهم في بعض الأحايين، وهي ريح فأرة يقال لها فأرة المسك .

قال: والتي تكون في ناحية خراسان ، ويقال لها فأرة المسك ليست بالفأرة ، وهي بالخشف حين تضعه الظبية أشبه منه بالفأرة، وإنما يأخذون سرة فأرة وهي ملأى من دم عبيط ، فإذا يبس طاب، وإياها عنى الراجز بقوله:

كأن بين فكها والفك فأرة مسك ذبحت في مسك

وربما وجد الناس في بيوتهم الجرذ يضرب إلى السواد، ويجدون من بدنه إذا عدا إلى جحره رائحة تشبه المسك: وبعض الناس زعم أن هذا الجنس هو الذي يخبأ الدراهم والدنانير والحلي كما يصنع العقعق. وقال غيره: وربما قيل للنوافج فأرة المسك، على طريق التشبيه والمقاربة.

٦٥٦-(فأرة البيش): قال الجاحظ: فأرة البيش دويبة تغتذي السموم فلا تضرها، وحكمها حكم الطائر الذي يقال له السمندل، فإنه يدخل في التنور ولا يحترق ريشه، قال بشر بن المعتمر في هذه الفأرة:

وفأرة البيش عاـى بيشـها أحرص من ضب على جحر

٦٥٧-(فأرة الإبل): قال الجاحظ: تقول العرب في فأرة الإبل صادرة: إن أرج تلك الفئرة أطيب من المسك الأذفر في ذلك الزمان، ذلك الوقت من الليل والنهار . قال الشاعر وهو يصف إبلا:

كأن فأرة مسك في مباء ـا إذا بدا من ضياء الصبح تبشير

وقال الراعي:

لها فأرة ذفـراء كـل عشـية كما فتق الكافور بالمسك فاتقه

الباب الثاني والثلاثون

في الضب والظربان والقنفذ والسرطان

ضب الكدية. ضب السحا. إ ام الضب. درج الضب. ذماء الضب. ري الضب. عقوق الضب. سن الحسل. فسو الظربان. سرى أنقد. ليلة أنقد. خشونة القنفذ. مشية السرطان. أنامل السرطان.

الاستشهاد

٦٥٨-(ضب الكدية): من أمثال العرب: ما هو إلا ضب كدية أي لا يقدر عليه، والكدية: قطعة من الأرض غليظة؛ وإنما نسب الضب إليها لأنه لا يحفر أبدا إلا في صلابة خوفا من انيار الجحر عليه، قال كثير:

فإن شئت قلـت لـه صـادقا وجدتك بالقف ضبا جحـولا

من اللاء يحفرن تحت الكـدي ولا يبتغين الـدماث السـهولا

وقال الحصين بن قعقاع:

ترى الشر قد أفنى دوابر وجهه كضب الكدي أفنى براثنه الحفر

٦٥٩-(ضب السحا): قال الجاحظ: العرب تقول: ضب السحا، كما تقول: تيس الربل، وقنفذ برقة، وأرنب الحلة وشيطان الحماطة فيفرقون بينها وبين غيرها؛ إما في السمن ، وإما في الخبث ، وإما في القوة. والله أعلم .

٦٦٠-(إ ام الضب): يضرب به المثل في القصر، فيقال: أقصر من إ ام الضب، كما يقال: أقصر من إ ام القطا، وأقصر من إ ام الحبارى، قال الشاعر:

*** وكف ككف الضب بل هي أقصر ***

والعرب تحمد سعة الكف وتذم ضيقها، وضيق الراحة . وفي صفة النبيﷺ: إنه كان رحب الراحة.

٦٦١-(درج الضب): من أمثال العرب: خله درج الضب، أي: خل سبيله يذهب حيث شاء، ويضرب لمن يستغنى عنه، ودرج الرياح: طريقها، ومدرجة

الطريق: قارعته.

٦٦٢-(ذماء الضب): يضرب المثل في الطول بذماء الضب، كما يضرب بذماء الأفعى، والذماء: ما بين القتل وخروج النفس.

وقال آخر: الذماء حركة القتيل إلى أن يسكن.

وقال آخر: الذماء بقية النفس، وشدة النـزع بعد الذبح ، أو هشم الرأس.

وقال آخر: هو دم القلب الذي يبقى في الإنسان.

قال الجاحظ: العرب تقول: الضب أطول شيء ذماء، والكلب في ذلك أعجب منه؛ وإنما عجبوا من الضب لأنه يصير ليلته مذبوحا مفري الأوداج، ساكن الحركة، حتى إذا قرب من النار تحرك فيظن حيا وإن كان ميتا، والأفاعي تذبح فتبقى أياما وهي تتحرك. قال : وقال لي أبو الفضل العنبري : يقول الضب أطول شيء ذماء، والخنفساء أطول ذماء منه، وذلك أنه يغرز في ظهرها شوكة نافذة وفيها ذبالة، تستوقد وتصبح لأهل الدار، وهي تدب ا وتجول حتى الصباح. فأما الأفعى فربما قطع منها الثلث من قبل ذنبها فتعيش إن سلمت من الذر.

٦٦٣-(ري الضب): يضرب به المثل، فيقال: أروى من الضب؛ لأنه لا يشرب الماء أصلا، وذلك أنه إذا عطش استقبل الريح فاتحا فاه، فيكون ذلك ريه. والعرب تقول في الشيء الممتنع : لا يكون ذلك حتى يرد الضب، وفي تبعيد ما بين الجنسين:

* حتى **يؤلف** بين **الضب والنون** *

لأن الضب لا يريد الماء ولا يريده، والنون لا يصبر عنه، ولا يعيش إلا فيه.

٦٦٤-(عقوق الضب): من عقوقها أنا تأكل أولادها، وذلك أن الضبة إذا باضت حرست بيضها، فإذا أخرجت أولادها ظنتها شيئا يريد بيضها، فوثبت عليها فقتلتها وأكلتها .

ومن العجائب أن الهرة تأكل أولادها فتنسب إلى البر، فيقال: أبر من هرة، والضبة تأكل أولادها فتنسب إلى العقوق، فيقال: أعق من ضبة، ولايقال: أعق من هرة.

٦٦٥-(سن الحسل): من أمثالهم في التأبيد ، لا أفعل ذلك أو يسقط سن الحسل، وهو ولد الضب، وهو لا يسقط له سن، أي لا أفعل ذلك أبدا، قال الشاعر:

إنك لو عمرت سـن الحسـل **أو عمر نوح زمـن الفطحـل**

والصخر مبتل كالطين الوحـل **كنت رهـين هـرم أو قتـل**

قال الأصمعي : سمعت خلفا الأحمر، يقول: كنت أسأل الأعراب عن زمن الفطحل، فتقول: هو أيام كان السلام رطبة. والعرب تضرب المثل في الطول بعمر الضب وتعده من الحيوانات الطويلة الأعمار كالحية والنسر، فتقول: لا أفعل ذاك ولايكون هذا عمر الضب وسن الحسل. وتقول: فلان أعمر من الضب.

حكى الزيادي عن الأصمعي أنه قال:يبلغ الحسل مائة سنة ثم يسقط سنه، فحينئذ يسمى ضبا.

٦٦٦-(فسو الظربان): يضرب به المثل في النتن، والظربان: دويبة فوق جرو الكلب، كريهة النتن، وأنتن خلق الله فسوا، وقد عرف ذلك من نفسه فجعله سلاحه، كما عرفت الحبارى ما في برازها من السلاح على الصقر، كذلك الظربان يدخل على الضب جحره وفيه بيضه وحسوله، فيأتي أضيق موضع في الجحر فيسده بيده ويحول دبره إليه، فما يفسو ثلاث فسوات حتى يصرع الضب فيخر مغشيا عليه فيأكله ، ثم يقيم في جحره حتى يأتي على آخر حسوله. وتقول الأعراب: ربما أنه دخل في خلال الهجمة فيفسو فلا يتم له ثلاث فسوات حتى تتفرق الإبل وتنفر، كما تنفر عن مبرك فيه قردان، فلا يردها الراعي إلا بالجهد الشديد؛ فمن أجل هذا سمت العرب الظربان مفرق النعم. ويقال للرجلين يتشاتمان ويتفاحشان: إنما ليتجاذبان جلد الظربان، وإنما ليتماشنان جلد الظربان، وقالوا للقوم إذا وقع بينهم الشر فتفارقوا: فسا بينهم الظربان، فلا يلتقي منهم اثنان. وقال الربيع بن أبي الحقيق يهجو قوما:

وأنتم ظرابين إذ تجلسون **وما إن لنا فيكم من نديد**

وأنتم نفوس وقد تعرفون **بريح التيوس ونتن الجلود**

وقال الحكم بن عبدل:

لاتدن فاك من الأمير ونحـة حتى **يداوي ما بأنفك أهرن**
إن كان للظربان جحر منتن **فلجحر أنفك يا محمد أ**نـتن

ونظر صديقنا أبو عبد الله الغواص إلى قوم جيدي الأكل ، خبيثي الريح، فقال:

أنـاس أكلـهم يـربي **علـى أكـل الثعـ**البين
ونتن **ريـاحهم يـ**ربي **علـى نـ**تن **الظـرابين**

٦٦٧-(سرى أنقد):أنقد هو القنفذ، يضرب به المثل في السرى والسهر؛ لأنه لا ينام الليل كله، بل يجول طول الليل، كما وصفه الصاحب في رسالة مقصورة عليه فقال هو أمضى من الأجل، وأرمى من بني ثعل، إن رأته الأراقم رأت حينها، أو عاينته الآساد رأت حتفها، صكوك ليل لا يحجم عن دامسه، وفارس ظلام لا يجبن عن حنادسه

فأتت به حوش الفؤاد مبطنا **سهدا إذا ما نام ليل الهوجلِ**

٦٦٨-(ليلة أنقد): من أمثال العرب في من لم يذق غمضا: بات بليلة أنقد، أي ساهرا لم ينم، وقالوا: اجعلوا ليلتكم ليلة أنقد، في السرَى والسهر، قال الطرماح:

* **فبات يقاسي ليل أنقد دائبا** *

وأنشدني إسماعيل بن محمد من قصيدة الهمذاني:

وظلت تصيح البوم منه مهابـة **وبت له وعيـا بليلـة أنقـد**
فكان كصنع النار في **يابس الغضي** **شددت على الأحشاء من حره يدي**

وأحسن ما سمعت في ليلة أنقد قول الأمير السيد:

يـا مـن يبيـت محبـه **منـه بليلـة أنقـد**
إن غبت عـني سمـتني **وشك الردى وكأن قـد**

فانظر إلى رشاقة هذا الكلام وكثرة رونقه وأخذه بطرفي الحسن والجودة!

٦٦٩-(خشونة القنفذ): يضرب ا المثل، فيقال: أخشن من قنفذ وللصاحب

في وصفه: يلقاك بأحسن من حد السيف، ويستتر بألين من متنه، متى جد وجمع أطرافه. ولكشاجم في وصف البطيخ:

وطيب أهدى لنـا طيبـا — فدلنا المهدى على المهدي
لم يأتنا حـتى أتتنـا لـه — روائح أغنت عن النـد
بظاهر أخشن من قنفـذ — وباطن ألين مـن زبـد
كأنما تكشف منه المـدى — عن زعفران شيب بالشهد

٦٧٠-(مشية السرطان): يضرب به المثل في الإدبار ورجوع القهقري. وكان الخوارزمي إذا وصف راجعا إلى وراء قال: مشية السرطان، وكبول الجمل إذ يرجع إلى الخلف. وأنشدت لأبي منصور العبدوني في أبي أحمد بن أبي بكر بن حامد الكاتب- وكان يلقب بالعطواني لفرط ميله إلى شعر العطوي وحفظه إياه وكثرة تمثله به وذكره له:

أبا أحمد ضيعت بالخرق نعمـة — أفادكها السـلطان والأبـوان
فقد صرت مهتوك الجوانب كلـها — ولقبـت للإدبـار بـالعطواني
وأفكرت في عود إلى ما أضعته — وقد حيل بين العير والنـزوان
فرأيك في الإدبار رأي أخذتـه — وعلمته من مشـية السـرطان

٦٧١-(أنامل السرطان): قرأت لبعض ظرفاء الكتاب فصلا استملحته في وصف خط رديء، وهو : نظرت في خط منحط، كأرجل البط، على الشط، أو أنامل السرطان، على الحيطان.

الباب الثالث والثلاثون

في الحية والعقرب

حية الوادي. شيطان الحماطة. صل أصلال. ابنة الجبل. صماء الغبر. شجاع البطن. أفاعي سجستان ثعابين مصر. ظلم الحية.عري الحية. رجلا الحية. رقية الحية. لسان الحية. إطراق الشجاع. رداء الشجاع. ضحك الأفاعي. عقارب شهر زور. خبث العقرب. ليلة العقرب. رقية العقرب. دبيب العقرب.

الاستشهاد

٦٧٢-(حية الوادي): يقال: حية الوادي قد حمته فلا يقربه شيء ، يضرب مثلا للرجل المنيع الجانب، قال الشاعر:

إذا وجدت بواد حية ذكـرا فاذهب ودعني أمارس حية الوادي

وقال أبوتمام:

ملئتك الأحساب أي حياء وحيا أزمـة وحيـة واد

٦٧٣-(شيطان الحماطة): قال الجاحظ: من أمثال العرب: ماهو إلا شيطان الحماطة، إذا رأت منظرا قبيحا. والشيطان: الحية، والحماطة من الشجر ومن العشب، يريدون حية تأوي الحماطة، كما يقولون : أمم الضلال، وذئب الغضي، وتيس الرمل، قال الراجز:

عنجرد تحلف حـين أحلـف كمثل شيطان الحماط أعـرف

٦٧٤-(صل أصلال): من أمثال العرب عن أبي زيد: إنه لصل أصلال، قال: وأصله من الحيات، يشبه ا الرجل المنيع الداهية، وفيه يقول الشاعر:

ماذا رزئنا به من حيـة ذكـر نضناضة بالرزايا صل أصـلال!

٦٧٥-(ابنة الجبل): هي الحية الصماء التي لايقرب أحد جبلها من خوفها؛ تنسب إلى الجبل، فيقال: ابنة الجبل، أي صاحبته، لأنه لا يقربه شيء غيرها، كما يقال: حية الوادي، يضرب مثلا للداهية، ويقال صمي صمام ابنة الجبل، إذا أبى

الفريقان الصلح وأرادوا الحرب واختلف ما بينهم ، كما قال الكميت:

فإياكم إيـاكم وملمـة يقول لها الكانون صمي ابنة الجبل

والكانون هو الذي يكنى عنه. وابنة الجبل أيضا، هي الصل، وقد تقدم ذكره آنفا.

٦٧٦-(صماء الغبر): هي الحية، يضرب مثلا للداهية العظيمة الشديدة، قال الشاعر:

يابن المعلى نـزلت إحدى الكـبر داهية الدهر وصـماء الغـبر

٦٧٧-(شجاع البطن): كناية عن الجوع؛ لأن أذاه يشبه بمضرة الحية، والعرب تزعم أن في بطن الإنسان حية يقال لها الصفر، وأنا تؤذيه إذا جاع، وإياها عني من قال:

*** ولا يعض على شر سوفه الصفر ***

وقال أبو خراش الهذلي:

أرد شجاع البطن قد تعلمينـه وأوثر غيري من عيالك بالطعم

أي: أصبر على أذى الجوع وأحمل مضضه.

٦٧٨-(أفاعي سجستان): يضرب ا المثل في الخبث وسوء الأثر، كما يضرب المثل بثعابين مصر، وجرارات الأهواز، وعقارب شهر زور. ووصف شبيب ابن شبة أفاعي سجستان، فقال: كبارها حتوف، وصغارها سيوف. وجاء في عهد أهل سجستان على العرب حين افتتحوها: ألا يقتلوا قنفذا، ولايصيدوه، لأنا بلاد أفاعي. قال الجاحظ: وأكثر ما يجلب أهل صنعة الترياق والحواءون الأفاعي من سجستان؛ وذلك كسب لهم وحرفة ومتجر، ولولا كثرة قنافذها لما كان لهم ا قرار ولا إقامة. والقنفذ لا يبالي أي موضع قبض من الأفعى، وذلك أنه إن قبض على رأسها أو قفاها فهي مأكولة على أسهل الوجوه، وإن قبض على وسطها أو على ذنبها جذب ما قبض عليه فاستدار، وتجمع ومنحه سائر بدنه ، فمتى فتحت فاها لتقبض على شيء منه لم تصل إلى جلده مع شوكه النابت فيه. والأفعى تهرب منه، وطلبه لها وجرأته عليها على قدر هر ا منه وضعفها عنه.

وقال في موضع ، وهو يصف إنسانا بالطمع: لو أعطي أفاعي سجستان

وجرارات الأهواز، وثعابين مصر، لأخذها، إذ كان الأخذ واقعا عليها.

٦٧٩-(ثعابين مصر): قال الجاحظ: الثعابين لا تكون إلابمصر وإليها حول الله تعالى عصا موسى عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿**فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ**﴾[1]، يعني أنه حولها ثعبانا، والثعبان عجيب الشأن في إهلاك بني آدم، فليس له عدو إلا النمس، وهي إحدى عجائب الدنيا؛ وذلك أنه دويبة متحركة، فإذا رأت الثعبان دنت منه، فينطوي الثعبان عليها يريد أن يعضها ويأكلها فتحتبس في بطنها ريحا ، وتزفر زفرة فتقد الثعبان قطعتين ولولا النمس لأكلت الثعابين أهل مصر، وهي هناك أنفع لأهلها من القنافذ لأهل سجستان.

٦٨٠-(ظلم الحية): العرب تقول ليس شيء أظلم من الحية، لأن الحية لا تتخذ لنفسها بيتا، كل بيت قصدت نحوه هرب منه أهله وخلوه لها فدخلته؛ واثقة أن ذلك الساكن بين أمرين: فإما أقام فصار طعاما لها، وإما هرب فصار البيت لها ، فأقامت فيه ساعة أو ليلة، قال الراجز:

فأنت كالأفعى التي لاتحتفر ثم تجي **سائرة فتنجحر**

٦٨١_(عري الحية): يقال: أعرى من الحية، كما يقال: أكسى من الكعبة؛ ويقال: أعدى من الحية، لأنا تمشي على بطنها، قال ابن الحجاج يمدح من وهب له دابة:

فديت من صيرني راكبا **وكنت أعدى قبل من حية**
فديته إن فدائي له في **قلب من** يحسدني **كيه**

٦٧٢-(رقية الحية): يضرب مثلا في شيئين متضادين : أحدهما الكلام الطويل الذي لا يفهم ، كما قال علي بن الجهم في وصف توقيعات محمد بن عبد الملك الزيات:

على ابن عبد الملك الزيات **لعائن الله موفرات**
يرمي الدواوين بتوقيعات **مطولات ومقصرات**

---
(١) سورة الشعراء: ٣٢.

*** أشبه شيء برقى الحيات ***

والآخر الكلام الذي يزيل السخيمة ويصلح ذات البين، وهو اللين اللطيف؛ كما قال أبو تمام في وصف قصيدة له:

خذها مثقفة القوافي ربها ... لسوابغ النعماء غير كنود

كالدر والمرجان ألف نظمه ... بالشذر في عنق الفتاة الرود

كشقيقة البرد المنمنم وشيه ... في أرض مهرة أو بلاد تزيد

كرقى الأساود والأراقم طالما ... نزعت حمات سخائم وحقود

روى أبو حاتم عن الأصمعي عن خلف الأحمر، قال: كنت أرى أنه ليس في الدنيا رقية أطول من رقية الحية، فإذا رقية الخبز أطول منها- يعني ما يتكلفه الإنسان من النظم والنثر والتآليف والخطب لطلب المال.

٦٨٣-(لسان الحية): يشبه به القدم اللطيفة، كما قال بعض البلغاء في وصف امرأة حسناء : لها صدغ كالعقرب، وعنق كالإبريق الفضة، وسرة كمدهن العاج، وقدم كلسان الحية. يشبه به السنان، كما قال دعبل:

وأسمر في رأسه أزرق ... مثل لسان الحية الصادي

٦٨٤-(إطراق الشجاع): من أمثال العرب: أطرق إطراق الشجاع، إذا سكن وسكت ، قال المتلمس:

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى ... مساغا لنابيه الشجاع لصمما

٦٨٥-(رداء الشجاع): هو قشر الحية ، يضرب مثلا في الرقة، ويشبه به الثوب الناعم الرقيق، كما قال أبو تمام في وصف خلعة خلعها عليه الحسن بن سهل، وهي أحسن ما قيل:

قد كساني من كسوة الصيف خرق ... مكتس من مكارم ومساع

حلة سابرية ورداء ... كسحا القيض أو رداء الشجاع

كالسراب الرقراق في الحسن إلا ... أنه ليس مثله في الخداع

يطرد اليوم ذا الهجير ولو شبه في حره بيوم الوداع
سوف أكسوك ما يفوق عليه من ثناء كالبرد برد الصناع
حسن هاتيك في العيون وهذا حسنه في القلوب والأسماع

قال الجاحظ: الحية لا تسلخ جلدها، وإنما يخلق لها كل عام قشر وغلاف، فهي تسلخ القشور الناعمة والغلاف الذي على مقدار أجسادها، وإنما تستبدل القشور، فأما الجلود فإن أبدانا لا تفارقها إلا بسلخ السكين. قال : وليس في الأرض قشر ولا ورقة ولا ثوب ولاجناح ولا ستر عنكبوت إلا وقشر الحية أحسن منه وأرق وأتقن، وأعجب تضليعا وصنعة؛ والحية تسلخ قشرها كما يسلخ الجنين المشيمة، وكذلك أكثر الحيوان، أما الطير فسلخها تغييرها، وأما الحوافر فسلخها زيادتا ،وسلخ الإبل طرد أوبارها وانجراد جلودها، وسلخ الأيابيل نصول قرونا، وسلخ الأشجار إلقاء ورقها، والسراطين تسلخ فتضعف عند ذلك عن المشي. والأسروع: دويبة تسلخ فتصير فراشة والدعموص تسلخ فتصير إما بعوضا وإما فراشة، ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾[1].

وقد شبه محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي سلخ الحية حيث قال:

نهت أولها بضربة صادق كانت كما شق الرداء المعلم
وعلي مسبوغ الحديد كأنه سلخ كسانيه الشجاع الأرقم

٦٨٦-(ضحك الأفاعي): قال أبو مزعون:

إن أبا فرعون زين الكوره أحسن شيء طللا وصوره
يضحك إن مرت به مكورة ضحك الأفاعي في جريب النوره

وذلك مثل قول أهل بغداد: ضحك الجوزة بين حجرين.

٦٨٧-(عقارب شهر زور): قال الجاحظ: العقارب القتالة تكون بموضعين: بشهر زور وقري الأهواز ، إلا أن القواتل بالأهواز جرارات . ولم يذكر عقارب

(١) سورة المؤمنون: ١٤ .

نصيبين، لأن أصلها فيما يشكون فيه من شهر زور حين حوصر أصلها ورموا بالمانيق بكيزان محشوة من عقارب شهر زور حتى توالدت هناك، فأعطى القوم بأيديهم.

وقال ابن الرومي في عقارب شهرزور يهجو فتاة اسمها شنطف:

إذا ما شنطف نكهت أماتت ... فمن نكهتها القتلى وصرعى

يلاقي الأنف من فمها عذابا ... وترعى العين منها شر مرعى

وإن سكوا عندي لبشرى ... وإن منت عددت المن منعا

فقرطقها كعقرب شهر زور ... إذا غنت مطوقة بأفعى

ومما يتمثل به من عقارب قاشان- فإنا معروفة بالخبث- ماكتب به الصاحب: كتبت من قاشان وقد قاسيت من خوف عقاربها ما يقاسيه شيخنا أبو عبد الله من عقارب الأصداغ.

وعلى ذكر عقارب الأصداغ قد كنت أظن الصاحب أبا عذرة قوله:

إذا لم يكن يكفف عقارب صدغه ... فقولوا له يسمح بترياق ريقه

حتى أنشدته يوما للأمير السيد أدام الله تأييده، فقال: إنما أخذه ممن قال:

ضربت عينك قلبي ... إنما عينك عقرب

لكن المصة من ريـ ... ـقك ترياق مجرب

٦٨٨-(خبث العقرب): يضرب به المثل ، لأن العقرب يتعرض لمن لا يتعرض له، ولاكذلك الحية. وفي الحديث: إن عقربا لسعت النبي ﷺ فقال: «**لعن الله العقرب، ما أخبثها !تلسع المؤمن والمشرك والنبي والذمي**».

٦٨٩-(ليلة العقرب): يضرب بها المثل في الطول؛ لأن صاحبها لا ينامها، فهي تطول عليه جدا. ويقال: إن أطول الليالي ثلاث: ليلة العقرب، وليلة الصد، وليلة الهريسة، وفي رواية: مكان «ليلة الصد» ليلة العاشق. وأنشدني أبوالفتوح كشاجم في كتابه:

ما ليلة المهجور بها ... عدت النوى عنه أنيسه

أو ليلة الملدوغ حـا ذر ميتة النفس النفيسه

بأمر من ليـل الظـر يف إذا تجوع للهريسه

٦٩٠-(رقية العقرب): يشبه ا مالا يفهم من الكلام، كما تقدم ذكره في أحد وجهي ضرب المثل برقية الحية، قال ابن الرومي في ذم شعر البحتري:

كنافض حم حمى الخـيبريّ لـه برد وكرب فمن يرويه من كرب

كأنه حين يصغى السامعون له ممن يميز بين النبـع والغـرب

رقى العقارب أو هدر القطاط إذا أضحوا على سقف الجدران في صخب

٦٩١-(دبيب العقرب): يستعار للنمام وما يجري مجراه من الشر، فيقال: دبت عقاربُ فلان، إذا دنت طلائع شره، قال الشاعر:

من نم في الناس لم تؤمن عقاربه على الصديق ولم تؤمن أفاعيـه

كالسيل بالليل لا يدري به أحد من أين جاء ولا من أين يأتيـه!

ومن فصل للصاحب: أخذت عواصف شُره تب، وعقارب ضُره تدِبّ.

الباب الرابع والثلاثون

في سائر الحشرات والهوام

بيت العنكبوت. نسج العنكبوت. دودة الخل . دودة القز. صنعة السرفة. لجاج الخنفساء. وادي النمل. أمل النمل. قرية النمل. عض النملة. جناح النملة. كسب النملة. خيط النملة. جمع الذر. مخ الذر. مثقال ذرة. علم الحكل.

الاستشهاد

٦٩٢-(بيت العنكبوت): يضرب به المثل في الوهن والضعف ، قال الله تعالى:﴿**كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت**﴾[(١)]، فدل بوهن بيته على وهن خلقه ، ولا أوهن مما ذكر الله أنه أوهن البيوت! وقد أشار الفرزدق إلى هذا المثل الذي نطق به القرآن حيث قال لجرير:

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنـزل

وقال الأحنف:

العنكبوت بنت بيتا على وهـن تأوي إليه ومالي مثلـها وطـن
والخنفساء لها من جنسها سكن وليس لي مثلها إلف ولا سكن

وقال آخر:

إنما الـدنيا عنـاء ليس للدنيا ثبـوت
إنما الـدنيا كبيـت نسجته العنكبـوت

٦٩٣-(نسج العنكبوت): قال الحمدوني في طيلسان ابن حرب، وهو يضرب المثل بنسج العناكب:

يا بن حرب كسوتني طيلسـانا مل من صحبة الزمان وصـدا
فحسبنا نسج العناكب إن قيـ س إلى نسج طيلسـانك قـدا

(١) سورة العنكبوت: ٤١

ثم قال :

طال ترداده إلى الرفو حــتى	**لو بعثناه وحده لتهــدى**

وقال بعض أهل العصر:

صديق لنا مذ ذقت طعم إخائه	**غصصت وقد أربى على المر شهده**
فأضعف من نسج العناكب عهده	**وأضيع من نار الحباحــب وده**

٦٩٤-(دودة الخلّ): تضرب مثلا للرجل الساقط يعيش مكان السوء في حالة رذلة راضيا بها، إذ لم يعرف سواها، ولم يتعود غيرها. وفي الحديث: «**يعيشون كدود الخل في الخل**» . ومن أمثال العرب: لا يصبر على الخل إلا دوده.

قال الجاحظ: كأنك لا ترى أن في ديدان الخل، والديدان التي تتولد في السموم إذا عتقت وعرض لها العفن- وهي تعد قواتل- عبرة وأعجوبة، وأن التذكر فيها موقظ للأذهان، ومنبه لذوي الفطنة، وتحليل لعقدة البلادة، وسبب لاعتياد الروية، وانفساح في الصدور، وعز في النفوس، وحلاوة تقتاتها الروح، وثمرة تغذو العقل، وترق في الشريعة، وتشوق إلى معرفة الغايات البعيدة.

٦٩٥-(دودة القز): تضرب مثلا فيمن يضر نفسه وينفع غيره، فيقال: ما فلان إلا دودة القز، وفتيلة المصباح، وعود الدخنة.

٦٩٦-(صنعة السرفة): يضرب بها المثل في عجيب نظمها، وبديع تركيبها، وصنعة كنها، ونظرها في عواقب أمرها؛ ومن أظرف ما قرأته في ذلك قول محمد بن حبيب: هي دودة تنسج على نفسها بيتا، فهو ناوسها حقا ، والدليل على ذلك أنه إذا نقض هذا البيت، لم توجد الدودة فيه حية أصلا.

وقال غيره: كان الناس يتعلمون الحيل من أفعال البهائم وصنوف الحيوان فتعلموا الحذر من السرفة، وتعلموا الحقنة من الطائر الذي إذا تخم من كثرة أكل السمك جاء البحر فأخذ منه بمنقاره ترابا، ثم أدخله في دبره قليلا، فإذا فعل ذلك استطلق بطنه من ساعته، واستخرجوا آلات الحرب فأخذوا الرمح من قرن الكركدن، والسيف من ناب الخنــزير، والسهم من شوك القنفد ، والترس من ظهر السلحفاة.

٦٩٧-(لجاج الخنفساء): يضرب به المثل؛ لأن الخنفساء إذا نحيت عادت، وكلما رمي ا رجعت مستمرة في أدراجها، ولم تبق ولم تدر في اللجاج. قال الشاعر:

لنا صاحب مولع بالخلاف كثير المراء قليل الصـواب
أشد لجاجا من الخنفساء وأزهى إذا ما مشى من غراب

٦٩٨-(وادي النمل): يضرب مثلا للمكان الكثير السكان.

قال الجاحظ في قوله تعالى: ﴿**حتى إذَا أتوا على وادِ النمل قَالت نملةٌ يا أيها النملُ ادخلُوا مساكِنكُم لا يحطِمنكُم سليمانُ وجنوده وهم لا يشعرونَ**﴾[1]: أخبر بأنم بأجمعهم وقفوا على ذلك الوادي، وأن ذلك الوادي معروف بوادي النمل، فكأنه كان حمى، والنمل ربما أجلى أمة من الأمم عن بلادهم.

٦٩٩-(قرية النمل): يشبه ا المحل أو الدار الكثيرة الأهل، وغير هذا المعنى أراد أبو تمام بقوله في وصف الحجر:

وكأس لمعسول الأماني شـربتها ولكنها أجلت وقد شربت عقلي
إذا ما تحساها الفتى ظن قلبـه لما دب فيه قرية من قرى النمل

فأما مدب النمل فإن فرند السيف يشبه به، كما قال امرؤ القيس:

متوسدا عضبا مضـاربه في متنه كمدبة النمـل
يدعى صقيلا وهو ليس له عهد بتمويه ولا صـقل

ثم أتبعه الشعراء فأكثروا من هذا التمثيل، قال أبو فراس في وصف البازي:

كأن فوق صدره والهـادي آثار مشي الذر في الرمـاد

ووصف بعضهم الخبز، فقال: رغفان كأن في خللها مداب أرجل النمل .

قال أبو الفتح بن العميد : والشعراء يشبهون الشيء الصغير القصير بإ ام القطا والحبارى وأظفور العصفور.

---

(١) سورة النمل: ١٨.

وأراد أن يبتدع عليهم في اللفظ والمعنى ، فكتب إلى أبي الحسين بن فارس رقعة صدرها: وصلت رقعة الشيخ ، فكانت أقصر من أنمل الرمل، وأقصر من منفقة بقة.

٧٠٠-(عض النملة): قال بعض العلماء وهو يضرب المثل بما يستهان ولا يبالى به ، فيقال: ما عسى أن يكون عض النمل، وقرص القملة، ولسع النحلة ، ووقوع البقة على النخلة، ونباح الكلاب على السحاب! وما موقع الذباب من ذي ناب!

٧٠١-(جناح النملة): يضرب مثلا لارتياش الضعيف واستغناء الفقير بما فيه هلاكه، إذ من أقوى أسباب هلاك النمل نبات أجنحته. ويقال: لم يرد الله بالنملة صلاحا، إذا أنبت لها جناحا. وقال أبو العتاهية:

أحببت دارا همها قدر ... جم العروج كثيرة شعبه

إن استهانتها بمن صرعت ... لبقدر ما تعلو به رتبه

وإذا استوت للنمل أجنحة ... حتى يطير، فقد دنا عطبه

وأنشدني الأمير السيد -أدام الله تأييده:

ارض من دنياك بالقو ... ت وإن كان يسيرا

فهلاك النمل أن يكـ ... سى جناحا فيطيرا

٧٠٢-(كسب النمل): يضرب به المثل؛ لأن النمل والذر والفأر من الحيوانات الدائبة في الكسب والجمع.

٧٠٣-(قوة النمل): يضرب ا المثل؛ لأن النملة تجر نواة التمرة وهي أضعافها وزنا.

ودعا رجل لبعض الملوك فقال: جعل الله جرأتك جرأة ذباب، وقوتك قوة نملة، وكيدك كيد امرأة، فغضب الملك من قوله، فقال له: على رسلك أيها الملك، إنه يبلغ من جرأة الذباب أن يقع على أنف الملك، ويبلغ من قوة النملة أن تحمل أضعاف وزنا، والفيل لا يستقل ببعض ذلك، ويبلغ من كيد المرأة مالا يبلغه دُهاةُ الرجال.

٧٠٤-(شم الذرة): قال الجاحظ: للذرة مع لطافة شخصها وخفة وزنا من الشم والاسترواح ما ليس لشيء ، وربما أكل الإنسان الجراد أو ما يشبهه فتسقط من يده واحدة أو رجل واحدة منها ، وليس يرى بقربه ذرة ولا له بالذر عهد في ذلك المنـزل، فلا يثبت أن يرى الذرة قد أقبلت إلى تلك الجرادة فترومها ، وربما نقلتها وسحبتها وجرتا، فإذا أعجزتا بعد أن تبلي عذرا مضت إلى جحرها راجعة، فلا يلبث الإنسان أن يراها قد أقبلت وخلفها كالخيط الممدود من الذر حتى يتعاون عليها فيحملنها. فأول ذلك صدق الشم لما يشمه الإنسان الجائع، ثم بعد الهمة ، والجرأة على محاولة نقل شيء في وزن جسمها مائة مرة أو أكثر ، وليس شيء من الحيوان يحمل ضعف وزنه مرارا غيرها، على أنا لا ترضى بأضعاف الأضعاف إلا بعد انقطاع الأنفاس.

٧٠٥-(جمع الذرة): قال الجاحظ: أما ترون إلى خلق الذرة وما فيها من بديع التأليف ، ومن الإحساس الصادق ، والتدابير الحسنة،ومن الروية والنظر في العاقبة، والاختيار لكل ما فيه صلاح المعيشة، ومع ما فيها من البراهين النيرة، والحجج الظاهرة ! وقال في موضع آخر: قد علمنا أن الذرة تدخر في الصيف للشتاء، وتتقدم في حالة المهلة، ولا تضيع أوقات الفرصة، ثم تبلغ من نقدها، وصحة تمييزها والنظر في عواقبها أنا تخاف على الحبوب التي تدخرها للشتاء أن تعفن وتسوس فتنقلها من بطن الأرض إلى ظهرها لتعيد إليها جفافها، وليضر ا النسيم وينفي عنها الفساد ، ثم ربما- بل في أكثر الأوقات- اختارت ذلك ليلا؛ لأنه أخفى؛ وفي القمر لأنا فيه أبصر، فإن كان مكانا نديا وخافت أن ينبت نقرت موضع القطمير من وسط الحبة، وهي تعلم أنا من ذلك الموضع تبتدئ تنبت، وهي تفلق الحب كله أنصافا، وإذا كان الحب من حب الكزبرة فلقته أرباعا، لأن أنصاف حب الكزبرة تنبت من جميع جهاته ، فهي من هذا الوجه مجاوزة لفطنة جميع الحيوانات. وفي وصية لقمان لابنه: يا بني لا تكن الذرة أكيس منك ، تجمع في صيفها لشتائها. وقال بعض الشعراء:

تركت والله له عرضـه كرامة للشعر لا للتقـى
لأنه أحـرص مـن ذرة على الذي تجمعه للشـتا

وفي حديث عمرو بن معدي كرب حين سأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن سعد بن أبي وقاص قال: أسد في خيسه ، أعرابي في شملته، نبطي في حبوته، ينقل إلينا نقل الذرة إلى جحرها.

قوله: «نبطي في حبوته» ، لم يرد احتباء النبطي، لأن الاحتباء للعرب كما يقال: حباء العرب حيطانا ولكن أراد أنه في حبوة العرب كالنبطي في علمه بالخراج وعمارة الأرض.

وقد يجمع بين النمل والذر في الوصف بالجمع، قال الجمحي:

ولهـا بالمـاطرون إذا ... أكل النمل الذي جمعـا

وقال الكميت وهو يصف محلا:

وأنفد حتى النمل ما في بيـوتـه ... وعلل بالسوف الوليد المهـذب

وقال آخر:

يجمع للوارث جمعا كمـا ... تجمع في قريتـها النمـل

وذكر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه زيادا فقال: قاتل الله زيادا ! جمع لهم كما تجمع الذرة، وحاطهم كما تحوط الأم البرة ، وحبا العراق مائة ألف ألف درهم وثمانية عشر ألف ألف.

٧٠٦-(مخ الذر): يضرب به المثل في العسر والنكد، فيقال: أنكد من مخ الذر، كما يقال: أنكد من صوف الكلب، وأعز من لبن الطير، قال ابن الرومي في سليمان بن عبد الله بن طاهر:

رمت نداكم يابني طـاهر ... فرمت مخ الذر في عسـرته

أملت من رفد سليمانكم ... ما أمل المعتز مـن نصـرته

٧٠٧-(مثقال ذرة): يضرب مثلا في القلة والخفة، قال الجاحظ: قد ذكر الله تعالى ذلك فقال: ﴿**فَمن يعملْ مِثْقَالَ ذَرَةٍ خيرا يره * ومن يعملْ مِثْقَالَ ذَرَةٍ شرا يره**﴾[1]، فكان في ذلك دليل على أنه في الغاية من الصغر والخفة وعدم الرجحان،

---

(١) آخر سورة الزلزلة.

قال الشاعر في بعض المعلمين:

معلم صبيان وحامل درة   وليس له علم بمقدار ذرة

٧٠٨ - (علم الحكل): الحكل من الحيوان مالم يكن له صوت يستبان باختلاف مخارجه عند جزعه وضجره وطلبه ما يعدوه ، يضرب مثلا لإعظام التفرس وسمو التفكر، كما يتمثل به عند الجزع والضجر وطلب الأمر العزيز المنال، قال رؤبة:

لو أنني علمت علم الحكل   علم سليمان وعلم النمل

وقال العماني:

ويفهم قول الحكل لـو أن ذرة   تساود أخرى لم يفته سـوادها

يقول: الذر الذي لا يسمع لمناجاته صوت لو كان بينه وبين صاحبه سرار لفهمه، والسرار والسواد واحد، والله أعلم بالصواب.

الباب الخامس والثلاثون

في النعام

بيض النعام. عدو النعام. شراد النعام. ظل النعامة. جناحا النعامة. رجلاً النعامة. شم النعامة. موق النعامة. صحة الظليم.

الاستشهاد

٧٠٩- (بيض النعام): يضرب به المثل في الضياع ، لأن النعامة تترك بيضها وتحضن بيض غيرها، وتشبه ا النساء في البياض والبضاضة ، والعذارى في الصحة والسلامة من الافتضاض ، كما قال الفرزدق :

خـرجن إلي لم يطمـثن قبلـي   وهن أغض من بـيض النعـام

وللبيض باب في هذا الكتاب ، أخذ بطرفي الصواب، إن شاء الله تعالى.

٧١٠-(عدو النعام): يضرب به المثل ، فيقال: أعدى من النعامة، وأعدى من ظليم ، لأنه إذا عدا مد جناحه، وكان يجمع في حضره بين العدو والطيران، لاسيما إذا نفر من شيء يخافه فإنه يسبق الريح. ومن خفة النعام وسرعة هر ا وطيرانا على وجهها وذها ا قالوا في المثل: شالت نعامتهم، وخفت رأسهم ، وللمنهزمين : أضحوا نعاما.

وكتب أبو إسحاق الصابي في وصف قوم هاربين : أجفلوا إجفال النعام، وأقشعوا إقشاع الغمام.

٧١١- (شراد النعام) قال الجاحظ: من أعاجيب النعام أنا لا تأنس بالطير الانسة لها، ولا بالإبل لمشاكلة الإبل إياها ، فهي نوافر شوارد أبدا ويضرب بنفارها وشرادها المثل ، قال الشاعر:

وهم تركوك أحير من حبـارى   رأت صقرا وأشرد مـن نعـام

وقال عمران بن حطان للحجاج:

أسد علي وفي الحروب نعامـة   ربداء تنفر من صفير الصـافر

٧١٢-(ظل النعامة): يقال للمفرط في الطول: ظل النعامة، كما يقال

للضخم المتكبر: ظل الشيطان، قال جرير في هجائه شبة بن عقال:

فضح المنابر يوم يسلح قائمـا ظل النعامة شـبة بـن عقـال

قال بشار بن برد:

وأعرج يأتينـا كظـل نعامـة يقوم على الأبواب في السبرات

٧١٣- (جناحا النعامة): يقال لمن شمر عن ساق الجد في أمره: قد ركب جناحي نعامة، قال الشماخ في مرثية عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق

٧١٤-(رجلا النعامة): يضرب مثلا للاثنين لا يستغني أحدهما عن الآخر بحال من الأحوال ، قال الجاحظ : كل ذي رجلين وكل ذي أربع إذا اندقت إحدى قائمتيه أو إحدى قوائمه ظلع وتحامل ، ومشى مشيا إذا استكره نفسه ، واحتاج أن يستعين بالصحيحة فعل، إلا النعامة فإنا متى انكسرت إحدى رجليها عمدت إلى السقوط وفقدان الاستعانة بالصحيحة ، وعدم التقرب ا إلى مادنا من بعض الحاجة، وليس في الأرض ذو أربع ولا ذو رجلين كذلك.

وأنشد بعض الأعراب يخاطب امرأته:

ففي لا تزلي زلة لـيس بعـدها جبور وزلات النسـاء كـثير

أدحية عني تطـردين تبـددت بلحمك طير طرن كل مطـير!

وإني وإيـاه كرجلـي نعامـة على كل حال من غنى وفقـير

وكانت امرأته تجفو أخاه دحية وتطرده، فأخبر أنه وأخاه كرجلي نعامة إن أصاب أحدهما شيء بطلت الأخرى .

ويقال للفرس: له ساقا نعامة، وذلك لقصر ساقها، كما قال امرؤ القيس:

*** له أيطلا ظبي وساقا نعامة ***

وكما قال الآخر:

له ساق ظلـيم خـا ضب فوجئ بالـذعر

ويقال: جؤجؤ نعامة؛ وذلك لارتفاع جؤجؤها.

٧١٥- (شم النعامة): هي موصوفة بصدق حاسة الشم وجودة الاسترواح، مضروب ا المثل كالذئب والذر ، ويقال: إن الهيق يشم ريح أبويه وريح السبع والإنسان من مكان بعيد؛ ولذلك قال الراجز:

* **أشم من هيق وأهدى من جمل** *

وزعم أبو عمرو الشيباني أنه سأل الأعراب عن الظليم: هل يسمع؟ فقالوا: لا، ولكنه يعرف بأنفه مالا يحتاج معه إلى سمع ، قال: وإنما لقب بيهس بنعامة لأنه كان شديد الصمم، وإذا دعا الرجل من العرب على صاحبه بالصمم قال: اللهم أصنجه صنجا كصنج النعامة. والصنج:ِأشد الصمم.

٧١٦-(موق النعامة): قال الجاحظ : النعام موصوف بالموق وفي المثل: أموق من نعامة، ومن موقها أنا تخرج للطعم فربما رأت بيض نعامة أخرى قد خرجت لمثل ماخرجت له فتحضن بيضها وتدع نفسها، وإياها أراد ابن هرمة بقوله:

كتاركة بيضـها بـالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا

٧١٧-(صحة الظليم): يقال في المثل: أصح من ظليم ، لأنه لا يشتكي؛ فإذا اشتكى لا يلبث أن يموت.

ويقال: إن الظبي أيضا كذلك . وفي فصل للصاحب من كتاب صدر جوابا عن كتاب عبارته: تركني كتابك- والظليم ينسب إلى صحة بعد أمراض اكتنفت، وأسقام اختلفت.

الباب السادس والثلاثون

في الطير

عتاق الطير. بغاث الطير . قواطع الطير . خطباء الطير . لبن الطير . غناء الطير. مجير الطير . مخالب طائر. حسو طائر . جناح طائر . قادمة الجناح. عنقاء مغرب. طير النار. طير العراقيب.

الاستشهاد

٧١٨-(عتاق الطير) : أحرارها، وهي تصيد ولا تصاد ولا تملك ، قال الشاعر:

ولا عيب فيها غير زرقة عينـها كذلك عتاق الطير زرق عيو ا

وقال معاوية -رضي الله عنه- لصعصعة: يا أحمر ، فقال: الذهب أحمر، قال: يا أزرق ، قال: البازي أزرق. وقال خلف الأحمر: عتاق الطير هي الجوارح، وعتاق الخيل هي التى تفوت إذا طلبت، وتدرك إذا طلبت. وقال الجاحظ : عتاق الطير كالعقبان والبزاة والصقور والشواهين ، ولاسيما العقبان؛ فإنا تبيت حيث لا ينالها سبع ولا ذو أربع، وتحيد عنها سباع الطير ولا تعاني الصيد إلا في الضرورة ، لأنا تسلب كل ذي صيد صيده، وإذا اجتمع صاحب الصقر وصاحب الشاهين وصاحب البازي وصاحب العقاب لم يرسلوا أطيارهم خوفا من العقاب. وهي طويلة العمر، عاقة بولدها، وإن شاءت كانت فوق كل شيء، وإن شاءت تفوق كل شيء، لأنا تتغذى بالعراق، وتتعشى باليمن، وريشها الذي عليها هو فروتا في الشتاء.

٧١٩-(بغاث الطير): قال بعض اللغويين: بغاث الطير ما لا مخلب له، كما أن البزاة والصقور والعقبان من عتاقها وسباعها، فالرخم والحدأ والغربان من بغاثها. قال الجاحظ: بغاث الطير ضعافها وسفلتها من العظام الأبدان والخشاش مثلها، إلا أنا من صغار الطير، قال الشاعر:

بغاث الطير أكثرها فراخـا وأم الصقر مقلاة نـزور

٧٢٠-(قواطع الطير): قال الجاحظ: قال أبو زيد الأنصاري: إذا كان الشتاء قطعت إلينا الطير والغربان أي جاءت من بلادها، فهي قواطع، وإذا كان الصيف رجعت فهي رواجع، والطير التي تقيم بأرضنا صيفا وشتاء أوابد.

٧٢١-(خطباء الطير): هي الفواخت والقماري والرواشين والعنادب وما أشبهها ، وأظن أول من اخترع هذه الاستعارة المليحة أبو العلاء السروي في قوله:

أما ترى قضب الأشجار لابسة حسنا يبيح دم العنقود للحاسي

وغردت خطباء الطير ساجعة على منابر من ورد ومن آس

٧٢٢-(لبن الطير):تضرب به العجم مثلا لما لايفيد الأمل به، كما يضرب المثل في ذلك بالأبلق العقوق ومخ البعوض، وسلا الجمل، وحلم العصفور.

٧٢٣- (غناء الطير): يضرب به المثل في الطيب، ومن أحسن ما قيل في ذلك ما حكاه الجاحظ عن إبراهيم بن السندي بن شاهك قال: قلت في أيام ولايتي الكوفة لرجل من وجوهها، كانت لا تجف كبده ولا يستريح قلبه ولا تسكن حركته في طلب حوائج الناس وإدخال السرور على الضعفاء، وكان عفيف الطعمة، وجيها مفوها: خبرني عن الشيء الذي هون عليك النصب، وقواك على هذا التعب ، ماهو؟ ومن أي شكل هو؟ فقال: سمعت غناء الأطيار، بالأسحار على الأشجار، وسمعت خفق الأوتار، وتجاوب العود والمزمار؛ وما طربت من صوت حسن كطربي من ثناء حسن على رجل قد أحسن، فقلت: لله درك !لقد أحسنت كرما.

٧٢٤-(مجير الطير): كان ثور بن شجنة سيدا شريفا قد أجار الطير، فكان لا يثار، ولا يصاد بأرضه، فسمي مجير الطير، كما أجار مدلج بن مرثد بن خيبرى الجراد فسمي مجير الجراد.

٧٢٥-(مخالب الطير): يضرب مثلا للمكان الذي يقلق فيه ساكنه، قال الشاعر:

كأن فؤادي في مخالب طائر إذا ذكرتك النفس شد ا قبضا

وقد يضرب مثلا لما لا يرجى، فيقال: هو في مخالب الطير.

٧٢٦-(حسوة طائر): يضرب مثلا في الخفة، فيقال: أخف من حسوة طائر،

كما يقال: أخف من لمعة بارق، ومن كلام أبي العيناء وقد سأله أعرابي عن نجاح بن سلمة، قال لله دره من ناقص أوتار. ومدرك ثار، وموقد نار، يتلهب كأنه شعلة باتت على مدرجة الجائين ؛ ينتظر إلى أن يردنا قدمه، فيحكم في ماله قلمه، له في الغيبة بعد الغيبة جلسة عند الخليفة كحسوة طائر، أو خلسة سارق، فيقوم وقد أفاد نعما، أو دفع نقما.

وذكر ابن الرومي عبة الطائر، فضر ا مثلا في القلة حيث قال في محمد بن عبد الله بن طاهر:

وما كانت الدنيا وأنت أميرها لتعدل عند الله عبة طـائر

٧٢٧-(جناح طائر): يقال :كأنه في جناح طائر، إذا كان قلقا دهشا، كما يقال: كأنه على قرن أعفر، وكأنه في كف مصاب. ويقال: هو في جناح طائر. وقلت في باب الضباع من كتاب المبهج: ارتفاع الضبعة العادية، كالعقيان، في أجنحة العقبان. ويقال في الإسراع: استعار جناح نسر،وترك الصبا في عقال أسر. ومن الأجنحة المستعارة: جناح الرجل، وجناح الحائط، وجناح الطريق، وجناح النجاح.

وقد أحسن ابن المعتز في قوله:

شربنا بالصـغير وبـالكبير ولم نحفل بأحداث الـدهور
وقد ركضت بنا خيل الملاهي وقد طرنا بأجنحة السـرور

٧٢٨-(قادمة الجناح): يضرب مثلا في تفضيل بعض الشيء على كله، كما يقال: وجه الخير ، وأول الرزمة ،وواسطة العقد، ودرة التاج.

قال ابن هرمة لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك من قصيدة:

أعبد الواحد المرجـو إني أغص حذار سخطك بالقراح
وجدنا غالبا كانت جناحا وكان أبوك قادمـة الجنـاح

وأنشده إياها، وكان عنده عبد الله بن حسن، فلما فرغ قال له: قبحك الله إذ قلت لعبد الواحد:

*** وكان أبوك قادمة الجناح ***

فما الذي تركت لنا! قال: يا بن رسول الله، أما سمعت قولي فيها:

*** وبعض القول يذهب في الرياح ***

فضحك منه، ورضي عنه.

٧٢٩-(عنقاء مغرب): ويقال: أعز من عنقاء مغرب، قال الجاحظ:الأمم كلها تضرب المثل بالعنقاء في الشيء الذي يسمع به ولا يرى، كما قال أبو نواس:

وما خبزه إلا كعنقـاء مغـرب ... يصور في بسط الملوك وفي المثـل

يحدث عنها الناس من غير رؤية ... سوى صورة ما إن تمر ولا تحلي

وما أكثر من ينكر أن يكون في الدنيا حيوان يسمى كركدن ويزعمون أن هذا ، وعنقاء مغرب سواء، وإن كانوا يرون صورة العنقاء مصورة في بسط الملوك، وحيطان قصورهم، واسمها عندهم مسموع؛ واسمها عنده بالفارسية «سيمرك»، كأنهم قالوا: هو وحده عندهم ثلاثون طائرا؛ ولأن قولهم بالفارسية «سي»، هو ثلاثون، ومرغ بالفارسية اسم لطائر بالعربية والعرب إذا أخبرت عن هلاك شيء وبطلانه قالت: حلقت به في الجو عنقاء مغرب؛ كما قال الكميت:

محاسن من دنيا ودين كأنما ... حلقت في الجو عنقاء مغـرب

وحكى الصولي عن بعض مشايخه، قال: عبيد الله بن سليمان يقول: سمعت سيدنا المعتضد بالله يقول: عجائب الدنيا ثلاث: اثنتان لا تريان، وواحدة ترى، فأما اللتان لا تريان فعنقاء مغرب والكبريت الأحمر؛ وأما التي ترى فابن الجصاص؛ وهو أبو عبد الله بن الحسين بن الجصاص الجوهرى؛ كان يقال له قارون الأمة، لفرط يساره، وكثرة أمواله، وكان أجهل الناس إلا في الجوهر، فإنه كان باقعة في التبصر به. ولما عرضت للمقتدر الضيقة التي كادت تتك ستره لم يتسع إلا بما أخذ من أمواله. قال الصولي : سمعت أبا الحسن بن عبد الحميد كاتب السر يقول: الذي صح مما قبض من مال ابن الجصاص من العين والورق والآنية والفرش والكراع والخدم- ولا ضيعة في ذلك ولا عقار- ما قيمته ستة آلاف ألف دينار.

٧٣٠-(طير النار): هو طائر هندي يسمى السمندل: قال بعضهم: هو ناري، يعيش في النار ، كما يعيش طير الماء في الماء. وقال آخرون: هو طير إذا هرم دخل نار الأتون أو نارا جاحمة، فيمكث ساعات فيعود شابا، وإياه عنى البهراني بقوله:

وطائر يسبح في **جـاحم كأنه يسـبح** في **غمـر**

قال الجاحظ : وفي السمندل آية غريبة، وصفة عجيبة، وداعية إلى التفكر، وسبب للتعجب، وذلك أنه يدخل أتون النار فلا تحترق له ريشة.وقال في مكان آخر: خبرت عن فأرة البيش واغتذائها السموم، وعن الطائر الذي يدعى السمندل وطيرانه في جاحم الأتون ، فلا السم الـهز يضر بتلك الفأرة،ولا النار المضرمة تحرق من ذلك الطائر زغبة.

وقال في مكان آخر: هذا الطائر في طباعه وفي طباع ريشه مزاج من طلاء النفاطين، وأظن هذا الطلاء من طلق وخطمي ومغرة، وقد كنت رأيت عودا يؤتى به من ناحية كرمان لا يحترق . وكان عندنا نصراني في عنقه صليب منه، وكان يقول لضعفاء الناس: هذه العود من الخشبة التي كان المسيح صلب عليها، والنار لا تعمل فيه؛ فكان يكتسب بذلك حتى فطن له، وعورض ـذا العود. وزعم ثمامة أن الإنسان إذا أخذ من هذا الطحلب الذي يكون على وجه الماء في مناقع المياه فجففه في الظل وأحرقه فإنه لا يحترق.

٧٣١-(طير العراقيب): كل طير يتطير منه للإبل فهو طير العراقيب؛ كأنه يعقرها ويعرقبها، قال الفرزدق وهو يخاطب ناقته:

إذا قطنا بلغتنيه ابـن مـدرك فلاقيت من طير العراقيب أخـيلا

ومن أمثالهم إذا دعوا فى المسافر: رأيت أخيلا، وهو شقراق يتطير منه العرب للظهور، ولا تتطير منه لأنفسها، وإذا لقي المسافر منهم الأخيل أيقن بالعقر إن لم يك موت في الظهور.

الباب السابع والثلاثون

في **عتاق الطير**

عقاب الجو. عقاب ملاع. قاب العقاب. شأو العقاب. فرخ العقاب. خوافي العقاب. بازي البر. بازي جحا. صدرُ البازي. بخر الصقر.

الاستشهاد

٧٣٢-(عقاب الجو): يضرب به المثل في الرفعة والمنعة، ولما حث قصير عمرو ابن عدي على الطلب بثأر خاله جذيمة من الزباء وقال له: تيأ واستعد ولا تطلن دم خالك، قال له عمرو: وكيف لي ا، وهي أمنع من عقاب الجو! فصار قوله مثلا.

٧٣٣-(عقاب ملاع): العرب تقول في أمثالها: أبصر من عقاب ملاع، قال محمد بن حبيب : ملاع اسم هضبة. وقال غيره: ملاع اسم للصحراء؛ لأن عقاب الصحراء أبصر وأسرع من عقاب الجبال، قال امرؤ القيس:

كأن دثارا حلقت بلبونـه　　عقاب ملاع لا عقاب القواعل

والقواعل: الجبال الصغار.

٧٣٤-(قاب العقاب): مقدار مطارها في الهواء علوا وارتفاعا، قال ابن الرومي:

طار قوم بخفـة العقـل حـتى　　لحقوا رفعـة بقـاب العقـاب

ورسا الراجحون من جلة النـا　　س رسو الجبال ذات الهضـاب

هكذا الصخر راجح الوزن راس　　وكذا الذر شائل الوزن هـاب

ومن فصل للبديع الهمذاني: قبلت من يمناه مفتاح الأرزاق، ومفتاح الآفاق،ولحقت منه بقاب العقاب.

٧٣٥-(شأو العقاب): شأو العقاب: مدى طيرانا، وهي تتغذى بالعراق، وتتعشى باليمن. وفي كتاب المبهج: أحسن الخيل ماكان بين الشهاري والعراب، وجمع مشية الغراب إلى شأو العقاب.

٧٣٦-(فرخ العقاب): العرب تضرب به المثل في الحزم ، وكانت تقول:

سنان أحسن من فرخ العقاب- يعنون سنان بن أبي حارثة- وذلك أن العقاب تتخذ وكرها في رءوس الجبال، فلو تحرك الفرخ إذا طلب الطعم وقد أقبل إليه أبواه، أوزاد في حركته شيئا من موضع مجثمه لهوى من رأس الجبل إلى الحضيض، فهو يعرف مع صغره وضعفه وقلة تجربته أن الصواب له في ترك الحركة. وقال مسرور مولى حفصويه الكاتب المروزي وهو يرثي ابنه نصرا:

يا دار بـالقفر الخـراب والمنـزل الوحش اليباب

بيدي فيك دفنت نصـ ـرا بين أطبـاق التـراب

كشبا المهنـد أو كجـر و الفهد أو فرخ العقـاب

٧٣٧-(خوافي العقاب): يضرب بها المثل في السرعة، كما كتب الصاحب: المنهزمون نكصوا على الأعقاب، وطاروا في الجو بأجنحة العقاب. وفي كتاب المبهج: إذا نبت بك بلدك فاستعر قادمة الغراب، في الاغتراب، وخافية العقاب، في اقتحام العقاب، فربما أسفر السفر ، عن الظفر، وتعذر في الوطن قضاء الوطر. ومن فصل لأبي محمد الخازن الأصفهاني: هذا ولو كنت عاقلا -وهيهات - لكنت اليوم في أعلى الدرجات، فقد وردت ورأيت جماعة -لم أكن يومئذ دونا- قد صارت في منـزلة أحتاج إلى خافية حتى ألحق بها.

٧٣٨-(بازي البر): يقال بازي البر كما يقال: عقاب ملاع، لأن بازي البر أبصر وأطير وأصيد من بازي الجبل، قال الشاعر:

وكنت كبازي الجو قص جناحه يرى حسرات كلما طار طـائر

يرى طائرات الجو يصفقن حوله فيذكر إذ ريش الجناحين طـائر

٧٣٩-(باري جحا): كثيرا ما يسمع العامة يتمثلون بباري جحا وكنت أحفظ قصة أنسانيها الشيطان، فلم أذكرها في هذا المكان.

٧٤٠-(صدر البازي): يشبه به كل شيء حسن التخطيط، بديع التحسين، ويذكر في الحسن والملاحة مع سالفة الغزال، وطوق الحمامة، وجناح الطاووس، قال بعض أهل العصر في وصف الربيع:

ويوم عبيري النسيم سبى طرفي ... وقلبي بما أبدى من الحسن والظرف
كأن موشى الغيم فيـه مقـابلا ... موشى الربا والشمس تنظر من سجف
صدور البزاة البيض صفت وقابلـت ... صدور طواويس تفوت مدى الوصف

ومنها:

ولما وهى من صيب المزن عقده ... وأقبل يروي غلة النبت بل يشفي
رأيت به في الروض أعجب منظر ... يدل على صنع المهيمن ذي اللطف
فضحك بلا ثغر، ونسج بلا يد ... وحلى بلا صوغ، ودمع بلا طرف

ولأبي نصر سهل بن المرزبان في معناه:

ألست ترى يا غرة الشهر والـدهر ... محاسن هذا الفصل ذا النور والزهر
سماء كصدر الباز والأرض تحتها ... كأجنحة الطاووس فاشرب أبا نصر
عقار كعين الديك يحلو بمسمع ... يغني غناء العندليب على قدر
ولازلت بين السمر والبيض ناعمـا ... يروقك غض العيش في الورق الخضر

٧٤١-(بخر الصقر): الصقر والأسد بمنـزلة في البخر، والمثل سائر بذلك، قال الشاعر:

ولـه نكهـة ليـث ... خالطت نكهة صـقر

ووصف بعضهم رجلا فرد إليه: شملت من المحاسن أخشنها، ومن الماء زبده، ومن الباز شوكته، ومن الصقر بخره، ومن النار دخانا، ومن الخمر خمارها، ومن الدار كنيفها. ومن كلام البديع الهمذاني في حكاية مقامة : والله لقد صادفت من فمه صقرا، ومن يده صخرا، ومن صدره سم خياط، لا يرشح بقيراط .

الباب الثامن والثلاثون

في الغراب

غراب عقدة . غراب البين. غراب الليل. غراب الشباب. بكور الغراب. حذر الغراب. ثمرة الغراب. بازيار الغراب.

الاستشهاد

٧٤٢-(غراب عقدة): من أمثال العرب قولهم: آلف من غراب عقدة. إذا كثر النخل والخصب فهي عقدة يألفها الغراب ولايبرحها لأنه يجد فيها كل ما يريد، فهو لا يفارقها . قال ابن الأعرابي: كل أرض ذات خصب عقدة، وعقدة الدور والأرضين من ذلك ، وغراب عقدة يضرب مثلا للرجل يألف الأرض من الخصب ومواطن الخير فلا يختار عليهما، ولا يبغي حولا عنهما.

٧٤٣-(غراب البين): قال الجاحظ : غراب البين نوعان: أحدهما غربان صغار معروفة بالضعف واللؤم، والآخر كل غراب يتشاءم به، وإنما لزمه هذا الاسم لأن الغراب إذا بان أهل الدار وقع في مواضع بيوتم يلتمس ما تركوا، فتشاءموا به، وتطيروا منه؛ إذ كان لا يعتري منازلهم إلا إذا بانوا، فسموه غراب البين، واشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب، وليس في الأرض بارح ولا قعيد ولا شيء مما يتشاءم به إلا والغراب عندهم أنكد منه.

وللبديع الهمذاني فصل في ذكره يليق بهذا الموضع وهو: ما أعرف لفلان مثلا إلا الغراب، لا يقع إلا مذموما على أي جنب وقع، إن طار فمقسم الضمير، وإن وقع فمروع بالنذير، وإن حجل فمشية الأمير، وإن شحج فصوت الحمير، وإن أكل فدبرة البعير.

قال مؤلف الكتاب : قد أكثر الشعراء في ذكر غراب البين؛ فمن ذلك قول الشاعر:

يا غراب البين في الشؤ ... م وميـزاب الجنابـه
يا كتابـا بطـلاق ... وعـزاء بمصابـه

وقال آخر:

بت على رغم غراب البين **أنا ومن أحب ناعمين**

قرير عين بقرير عـين **فظن ما شئت بعاشقين**

وقال أبو عثمان في وصف السمك والصياد:

أنعتــه أبــيض كــاللجين **سماكه أشعث ذو طمــرين**

في اللون لا الطيب مسكين **أشد شؤما من غراب الـبين**

٧٤٤- (غراب الليل): يضرب مثلا لمن لا يؤنس بأشكاله، قال الجاحظ: غراب الليل هو الذي ترك أخلاق الغربان وتشبه بالبوم وأخذ أخلاقها؛ فأما قول ابن المعتز:

وكابدنا السرى حـتى رأينـا **غراب الليل مقصوص الجنـاح**

فإنما هو على الاستعارة لا الحقيقة، وليس هو غراب بعينه.

٧٤٥-(غراب الشباب): يذكر ذلك على وجه الاستعارة، وهو كثير في الألسنة نظما ونثرا ، كما يقال: برد الشباب، رداء الشباب، قال مسلم بن الوليد:

وليل كغربان الشباب وصلته **بيوم كأن الشمس تقبسه جمرا**

وأنشد حمزة الأصبهاني لابن المعتز هذه الأبيات- ولم أجدها في النسخ العراقية من شعره:

شعرت في الرأس بيض ودعــج **حل فيها جيشــان روم وزنــج**

أيها الشيب لم حللت برأســي **إن عمري عشر وعشر وبــنج!**

طار عن مفرقي غراب شــبابي **وعلاني مــن بعــده شــاهمرج**

٧٤٦-(حنك الغراب): من أمثال العرب: حنك أشد سوادا من حنك الغراب، وحلك الغراب؛ فحنك الغراب منقاره، وحلكه سواده.

٧٤٧-(عين الغراب): يضرب ا المثل في الصفاء وحدة البصر؛ فيقال: أصفى من عين غراب ، وأبصر من غراب ، كما يقال: أبصر من عقاب، وأنشد الجاحظ لابن ميادة:

ألا طرقتنـــا أم أوس ودو ـــا حراج من الظلماء يعشى غرا ا

يقول:إذا كان الغراب لا يرى في حراج الظلماء مع حدة بصره فما ظنك بغيره! وواحدة الحراج حرجة، وهي هاهنا مثل ، حيث جعل كل شيء التف وكثف من الظلام حراجا، قال أبو الطمحان القيني:

إذا شاء راعيها استقى من وقيعة كعين غراب صفوها لم يكـدر

والوقيعة: كل مكان صلب يمسك الماء ، والجمع وقائع.

وإنما يقال للغراب: أعور لأنه يغمض إحدى عينيه مقتصرا على إحداهما من قوة بصره. ويقال إنما سموه أعور على طريق التثاقل عليه، قال الشاعر:

لقبوني الشحيح من سوء حـالي مثل ما سمي الشـواحج عـورا

أنا في ضـده كمأسـور قـوم ظل يـدعي بضـده كـافورا

٧٤٨-(زهو الغراب): يضرب به المثل ، فيقال : أزهي من غراب، لأنه إذا مشي اختال ونظر في عطفه ، قال حسان.

***في فحش مومسة وزهو غراب ***

وقال آخر:

***وأزهى إذا ما مشى من غراب ***

٧٤٩-(صحة الغراب): يضرب به المثل، كما يضرب بصحة الظليم؛ فيقال: أصح بدنا من الغراب، وكأنه من الحيوان الذي لا يشتكي، ولا يعرف من الأسقام إلا شكاية الموت.

٧٥٠-(شيب الغراب): يضرب مثلا لما لا يكون، فيقال: لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب، كما يقال: حتى يبيض القار ويؤوب القارظ، ويلج الجمل في سم الخياط، أي لا يكون ذلك أبدا، وهذه من أمثال التأبيد، قال الجعدي:

فإنك سوف تحلم أو تنـاهي إذا ما شبت أو شاب الغراب

وقال ساعدة بن جؤية:

شاب الغراب ولا فؤادك تارك ذكرى الغضوب ولا عتابك يعتب

٧٥١-(بكور الغراب): المثل سائر بذلك معروف، قال بعض العلماء: تعلموا من الغراب بكوره وحذره وإخفاءه للسفاد .

وقيل لبزرجمهر: بما أدركت ما أدركت؟ قال: ببكور كبكور الغراب، وصبر كصبر الحمار، وحرص كحرص الخنـزير. قال الشاعر:

لبسوا الدجى لبس الغراب لريشه وغدوا لحاجتهم بكور الغـراب

٧٥٢-(حذر الغراب): تقول العرب: أحذر من غراب؛ قال الشاعر:

يحذر مما قضـاه خالقــه وليس ينجو الغراب من حـذره

وفي رموز الأعراب: إن الغراب قال لابنه: إذا رميت فتلوص؛ قال: ياأبت إني أتلوص قبل أن أرمي.

٧٥٣-(ثمرة الغراب): إذا أصاب الرجل عند صاحبه أفضل ما يريد من الخير والخصب قالوا: وجد ثمرة الغراب، وذلك أن الغراب إنما يبتغي من الثمر أجوده وأنضجه لقرب تناوله عليه في رءوس النخل .

ومن كلام السيد الأمير- أدام الله تأييده- من كتابه، كتاب المخزون في وصف الكتاب: كتابك شهدة النحل، وثمرة الغراب، وثمرة الفؤاد، وبيضة العقر، وزبدة الأحباب؛ فانظر إلى حسن هذه التشبيهات وجودة هذه التلفيقات من محاسن المطعومات .

٧٥٤-(بازيار الغراب): يشبه به الكريم يلابس ما يصغر عن قدره ويتعاطى عند الضرورة ما لايليق به ، قال ابن المعتز في وصف نبيذ أسود سئم شربه:

علني أحمـد مـن الدوشـاب شربة نغصت سواد الشـباب

لو تراني أعل من قـدح الـدو شاب أبصرت بازيـار غـراب

الباب التاسع والثلاثون

في الحمام

حمامة نوح. حمام الحرم. طوق الحمامة. حذق الحمامة. غناء الحمام. سجع الحمام . هداية الحمام.

الاستشهاد

٧٥٥-(حمامة نوح): ويقال لها أيضا : حمامة السفينة، وسيمر ذكرها قريبا، وهي التي أرسلها نوح عليه السلام مكان الغراب الذي لم يعد إليه لينظر: هل غاض الماء وبدا من الأرض شيء ؟ فرجعت إليه بالبشارة.

٧٥٦_(حمام الحرم): يضرب به المثل في الأمن و الصيانة، كما يضرب بظباء مكة، وقد تقدم ذكرها، ويقال لها أيضا: حمام مكة،قال الشاعر:

وأية أرض أنت فيها ابن معمـر … كمكة لم يطرق بشـر حمامهـا

إذا اخترت أرضا للمقام رضيتها … لنفسي ولم يغلظ علي مقامهـا

وقال كثير في أمن الظبي والحمام بمكة:

لعن الله من يسـب عليـا … وحسينا من سـوقة وإمـام

يأمن الظبي والحمام ولايـأ … من آل الرسول عند المقام!

وقال آخر:

ليال تمنى أن تكـون حمامـة … بمكة يأويك الستار المحـرم

وقال ابن القيس:

بلد تـأمن الحمـائم فيـه … حيث عاذ الخليفـة المظلـوم

يعني به عبد الله بن الزبير. ومن أمثال العرب: هو آمن من حمام مكة.ومن أمثل وأبلغ ما سمعت في التمثيل بحمام الحرم قول عبدان الأصبهاني- وقد أحسن على إساءته:

رغيفك في الأمن يا سيدي … يحـل محـل حمـام الحـرم

فللـه درك مـن سـيد … حرام الرغيف حلال الحرم

٧٥٧-(طوق الحمامة): يضرب مثلا لما يلزم ولا يبرح، ويقيم ويستديم، قال الجاحظ: قد أطبق العرب والأعراب والشعراء على أن الحمامة هي التي كانت دليل نوح ورائده، وهي التي استعجلت عليه الطوق الذي في عنقها، وعند ذلك أعطاها الله تلك الزينة، ومنحها تلك الحلية، بدعاء نوح عليه السلام ، حين رجعت إليه ومعها من الكرم ما معها، وفي رجليها من الطين والحمأة ما فيها، فعوضت من ذلك خضاب الرجلين، ومن حسن الدلالة والطاعة طوق العنق، وفيها يقول ابن أبي الصلت:

وأرسلت الحمامة بعد سبع ... تدل على المهالك لا تهاب

فعادت بعد ما ركضت بشيء ... من الأمواه والطين الكباب

فلما فتشوا الآيات صاغوا ... لها طوقا كما عقد السخاب

إذا ماتت تورثه بنيها ... وإن قتلت فليس له استلاب

وهذا من أحسن ما وصف به الطوق. وقال جهم بن خلف:

وقد شاقني صوت قمرية ... طروب الغناء هتوف الضحى

مطوقة كسيت زينة ... بدعوة مرسلها إذ دعا

والعرب تسمي القماري واليمام والفواخت والدباسي والشفانين والوراشين وما جانسها كلها حماما، فجمعوها بالاسم العام ، وفرقوها بالاسم الخاص، ورأينا صورها متشابهة من جهة الزواج ، ومن طريق الغناء والدعاء والنوح، وكذلك هي في القدور وصور الأعناق وقصب الريش وصيغة الرءوس والأرجل والسوق والبراثن.

إلى هنا كلام الجاحظ. وقد أكثر الشعراء في طوق الحمام والتمثيل به، قال الفرزدق:

ومن يك خائفا لأذاة شعري ... فقد أمن الهجاء بنو حرام

هم منعوا سفيههم وخافوا ... قلائد مثل أطواق الحمام

وقال ابن هرمة:

إني امرؤ لا أصوغ الحلى تعمله ... كفاي لكن لساني صائغ الكلم

إني إذا ما امرؤ خفت نعامتـه في **الجهل واستحصدت منه قوى الأدم**
عقدت في **ملتوى أوداج لبتـه** **طوق الحمامة لا يبلى على القدم**

وقال الباهلي:

اني **أن أطيل الشعر قصدي** إلى المعنى **وعلمي بالصـواب**
وأبعـثهن أربعـة وخمسـا **بألفـاظ مثقفـة عـذاب**
وهن إذا وسمت ن قومـا **كأطواق الحمامة** في **الرقـاب**

وقال أبو الطيب :

أقامت في **الرقاب لـه أيـاد** **هي الأطواف والناس الحمام**

ومن أمثال العرب: طُوِّقَ طَوقَ الحمامة، أي تقلدها تقليدا باقيا بقاء طوق الحمامة، إلى يوم القيامة.

٧٥٨-(خرق الحمامة): يتمثل بذلك لأنا لا تحكم عشها، وربما جاءت إلى الغصن في الشجرة فتبني عليه عشها في الموضع الذي تب فيه الريح؛ فبيضها أضيع شيء وما ينكسر منه أكثر مما يسلم، قال عبيد بن الأبرص:

عيبـوا بـأمرهم كمـا **عيبت ببيضـتها الحمامـه**
جعلت لها **عـودين مـن** **نشم وآخـر مـن** ثمامـه

٧٥٩-(سجع الحمام): العرب تجعل صوت الحمام مرة سجعا، ومرة غناء، وأخرى نوحا، وتضرب به المثل في الإطراب والشجى ، وبجميعه جاء الشعر، قال البحتري:

إذا سجع الحمام هنـاك قـالوا **لفرط الشوق أين ثوى الوليد!**

وقال ابن الرومي:

رأيت الشعر حين **يقال فـيكم** **يعود أرق من سـجع الحمـام**

ومن ألفاظ الصاحب: كلام كصوب الغمام، وسجع كسجع الحمام، وقال ابن القاشاني في غناء الحمامة:

ياليلة جمعتني والمدام ومن **أهواه** في **روضة تحكي الجنان لنا**
لأشكرنك ما غنت مطوقة **على الغصون كما طوقتني مننا**

وقال أبو فراس في نوحها:

أقول وقد ناحت بقربي حمامة **أيا جارتي هل تشعرين بحالي**

٧٦٠-(هداية الحمام): يضرب ا المثل، والحمام الهدي معروف بأرض الشام والعراق، يشرى بالأثمان الغالية، ويرسل من الغايات البعيدة، وتكتب الأخبار فيؤديها ويعود بالأجوبة عنها.

وقال الجاحظ: لولا الحمام الهدي التي تجعل بردا لما جاز أن يعلم أهل الرقة والموصل وبغداد وواسط ما كان بالبصرة وحدث بالكوفة في يوم واحد، حتى إن الحادثة لتكون بالكوفة غدوة فيعلمها أهل البصرة عشية ذلك اليوم، وهذا مشهور متعارف.

الباب الأربعون

في سائر أصناف الطير

ديك العرش . ديك الجن . ديك مزبد. حسن الديك. سفاد الديك. سماحة الديك. بيضة الديك. عين الديك. دجاجة هلال. دجاجة أبي الهذيل. دراجة الحكم، نسر لقمان. مطمح النسر. حسن الطاوس. جناح الطاوس. رجل الطاوس. جيش الطاوس. حسن التدريج. سرق العقعق. صدق القطا. هداية القطا. إ ام القطا. وعيد الحبارى. سلاح الحبارى. كمد الحبارى. طيران الحبارى. جبن الصفرد. هدهد سليمان. سجود الهدهد. عذاب الهدهد. نتن الهدهد. كلام الببغاء. قهقهة القمري. غناء العندليب. مشية القبج. كذب الفاختة. حلم العصفور.شؤم البوم. شؤم القز. حزم القرلي. اختطاف الخطاف.

الاستشهاد

٧٦١-(ديك العرش): روى الجاحظ: عن الحسن بن عمارة عن عمرو ابن مرة ، عن سالم بن أبي الجعد، يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال:«**إن مما خلق الله لديكا عرفه تحت العرش، وبراثنه تحت الأرض السفلى، وجناحه في الهواء ، فإذا مضى ثلثا الليل وبقي ثلثه ضرب بجناحه قائلا: سبحان الملك القدوس، سبوح قدوس ، رب الملائكة والروح؛ فعند ذلك تضرب الديكة وتصيح**» . وعن كعب: «**إن لله ديكا عنقه تحت العرش، وبراثنه في أسفل الأرضين ، فإذا صاح صاحت الديكة، يقول : سبحان الملك القدوس؛ لا إله غيره**». وقد ضرب ابن طباطبا المثل في قوله لأبي عمرو بن جعفر بن شريك يعاتبه على منعه إياه شعر ديك الجن:

يا جوادا يمسي ويصـبح فينـا ... واحدا في الندى بغير شـريك
أنت من أسمح الأنام بشعر النـ ... اس ماذا اللجاج في شعر ديك!
يا حليف السماح لو أن ديك الـ ... جن من نسل ديك عرش المليك
لم يكن فيه طائل بعـد أن يـد ... خله الذكر في عـداد الـديوك

٧٦٢-(ديك الجن): يضرب مثلا للديك النجيب الحاذق الكثير السفاد، ومنه

سمي ديك الجن الشاعر المشهور، وهو أحد شعراء سيف الدولة بن حمدان، وقد تقدم بعض ذلك في الباب الثالث.

٧٦٣-(ديك مزبد): يضرب مثلا للحقير يجلب النفع الكثير، والوضيع له شأن كبير، وقصته أنه كان لمزبد ديك قديم الصحبة ، نشأ في داره، وعرف بجواره، فأقبل عيد الأضحى ؛ ووافق من مزبد رقة الحال، وخلو بيته من كل خير ومير ، فلما أراد أن يغدو إلى المصلى، أوصى امرأته بذبح الديك، واتخاذ الطعام لإقامة رسم العيد، فعمدت المرأة لتمسكه، فجعل يصيح ويثب من جدار إلى جدار، ومن دار إلى دار؛ حتى أسقط على هذا من الجيران لبنة، وكسر لذلك غضارة، وقلب للآخر قارورة ، فسألوا المرأة عن القصة في تعرضها له، فأخبرتم ، فقالوا: والله ما نرضى أن يبلغ حال أبي إسحاق إلى ما نرى- وكانوا هاشميين مياسير أجوادا - فبعث بعضهم إلى داره بشاة وبعضهم بشاتين، وأنفذ بعضهم بقرة، وتغالوا في الإهداء حتى غصت الدار بالشياه والبقر، وذبحت المرأة ما شاءت، ونصبت القدر، وسجرت التنور، وكر مزبد راجعا إلى منـزله، فرأى روائح الشواء، قد امتزجت بالهواء، فقال للمرأة: أنى لك هذا الخير؟ فقصت عليه قصة الديك، وما ساق الله إليهم ببركته من الخيرات، فامتلأ سرورا، وقال لها: احتفظي ذا العلق النفيس، وأكرمي مثواه؛ فإنه أكرم على الله من نبيه إسماعيل عليه السلام! قالت: وكيف؟ قال:لأن الله تعالى لم يفد إسماعيل إلا بذبح واحد، قال الله تعالي: ﴿**وفديناه بذبح عظيم**﴾[1]، وقد فدى هذا الديك بكل هذه الشياه والبقر.

٧٦٤-(حسن الديك): يضرب به المثل كما يضرب بحسن الطاوس. قال الجاحظ: كان جعفر بن سعيد يزعم أن الديك أحسن من الطاوس، وأنه مع حسنه وانتصابه واعتداله وتقلعه إذا مشى، سليم من مقابح الطاوس، ومن موقه وقبح

(١) سورة الصافات١٠٧.

صورته، ومن تشاؤم أهل الدار به، ومن قبح رجليه، ومن نذالته، وكان يزعم أنه لو ملك طاوسا لألبسه خفا.وكان يقول: وإنما يفخر له بالتلاوين وبتلك التعاريج والتهاويل التي لألوان ريشه، ولربما رأيت الديك النبطي وفيه شبه بذلك، إلا إن الديك أجهل من الدراج لمكان الاعتدال والانتصاب والإشراف ، وأسلم من العيوب من الطاوس. وكان يقول: ولو كان الطاوس أحسن من الديك النبطي في تلاوين ريشه فقط لكان فضل الديك عليه باعتدال القد والخرط وبفضل حسن الانتصاب، وجودة الإشراف أكثر من فضل حسن ألوانه على ألوان الديك ، ولكان السليم من العيوب في العين أجمل، لاعتراض تلك الخصال القبيحة على حسن الطاوس في عين الناظر إليه، وأول منازل الحمد السلامة من الذم وكان يزعم أن قول الناس: فلانة أحسن من الطاوس، وما فلان إلا طاوس ، وأن قول الشاعر:

*** خدودها مثل طواويس الذهب ***

إنما قال ذلك لأن العامة لا تبصر الجمال؛ ولفرس رائع كريم أحسن من كل طاوس في الدنيا، وكذلك الرجل والمرأة. وإنما ذهبوا من حسنه إلى حسن ريشه فقط، ولم يذهبوا إلى حسن تركيبه، وتنصبه كحسن البازي وانتصابه ، ولم يذهبوا إلى أعضائه وجوارحه وإلى الثياب والوجه الذي فيه .

٧٦٥-(سفاد الديك): يضرب به المثل، كما قال الشاعر:

صيرني الدهر إلى تـدليك بعد سفاد كسـفاد الـديك

٧٦٦-(سماحة الديك): قولهم: أسمح من اللاقطة، مختلف فيه؛ فبعضهم يقول: هي الحمامة، لأنا تخرج ما في حواصلها لفراخها، و بعضهم يقول: هو الديك ، لأنه يأخذ الحبة بمنقاره فلا يأكلها بل يلقيها للدجاج، والهاء فيها للمبالغة. وبعضهم يقول:هي الرحا، لأنا تلقط ما تطحنه ، أي تقذف به، وبعضهم يقول: هو البحر، لأنه يلقط الدرة التي لا قيمة لها، قال الشاعر:

تجود فتجزل قبل السـؤال وكفك أسمح مـن لافطـه

٧٦٧-(عين الديك): يضرب ا المثل في الصفاء،ويشبه ا الشراب الصافي، كما قال الأخطل:

عقار كعين الديك صرفا كأ ـا **لعاب جراد في الفـلاة يطـير**

وحكى الموصلي قال: سمعتني أعرابية وأنا أنشد:

وكأس مدام يحلف الديك أ ـا **لدى المزج من عينيه أصفى وأنور**

فقالت: يا أبا محمد، بلغني أن الديك من صالح طيوركم، وما كان ليحلف بالله كاذبا. وقال بعض المحدثين:

هات مداما كأن فيهـا **تصب أحداقها الـديوك**

٧٦٨-(دجاجة هلال): هي كديك مزبد في البركة وحسن الأثر على صاحبها؛ ومن قصتها أن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، بينما يتعشى على مائدته، إذ قدمت له دجاجة فائقة مشوية، فاستطا ا، وسأل عنها ، فقالوا له: إن هلالا أهداها للأمير، فقال: يا غلام، أخرج كتابا من ثني فراشي، فأخرجه ، فإذا هو كتاب الحجاج إليه يأمره بقتل هلال: وابعث إليه برأسه، فلما قرأه هلال تغير وارتعد ،فقال له ابن الأشعث: لا عليك يا هلال، أقبل على طعامك أترانا نأكل دجاجتك ونبعث إليه برأسك! والله لا يوصل إليك حتى يوصل إلي. وأنشد هلال:

وبنفســي دجاجــة لم تخــني **وضعت** لي **نفسي مكان الأنوق**

فرجت كربــة المنيــة عــني **بعدما كدت أن أغص بريقـي**

يا بن قيس ويا بن خير بني **كنـ** **دة** بين **الأشج بـل والصـديق**

إن شكري شكر الطليق من القت **ل ووجدي عليك وجد الشفيق**

٧٦٩-(دجاجة أبي الهذيل): تضرب مثلا للشيء اليسير يستعظمه مهديه فيكثر ذكره. قال الجاحظ: ومن البخلاء المذكورين أبو الهذيل، أهدى مرة إلى مويس ابن عمران دجاجة، وكانت دون ما يتخذ لمويس، إلا إنه لكرمه وحسن خلقه أظهر التعجب من سمنها وطيب لحمها، فقال له: كيف رأيت يا أبا عمران تلك الدجاجة؟ قال: كانت عجبا من العجاب، قال: أو تدري ما حسنها، وتدري ما سمنها؟ فإن

الدجاجة إنما تطيب بالسمن والحسن، أتدري بأي شيء كنا نسمنها؟ وفي أي مكان كنا نعلفها؟ ولا يزال في هذا ومويس يضحك ضحكا نعرفه نحن ولا يعرفه أبو الهذيل؛ وصار بعد ذلك إن ذكروا دجاجة قال: أين كانت يا أبا عمران من تلك الدجاجة! وإن ذكروا بطة أو عناقا أو جزورا أو بقرة قال: فأين كانت هذه الجزور في الجزر من تلك الدجاجة في الدجاج ! وإن استسمنوا شيئا من الطير أو البهائم أو الدجاج قال : لا والله ولا تلك الدجاجة! وإن ذكروا عذوبة الشحم قال: عذوبة الشحم تصاب في البقر والبط وبطون السمك والدجاج، ولاسيما ذلك الجنس من الدجاج، وإن ذكروا ميلاد شيء أو قدوم إنسان قال: كان ذلك قبل أن أهدي إليك تلك الدجاجة بشهر، وكان بعد أن أهديتها لك بسنة ، وما كان بين فلان وبين البعث بتلك الدجاجة إلا يوم، وكانت مثلا في كل شيء ، وتاريخا لكل شيء.

٧٧٠-(دراجة الحكم): أمرها على الضد من دجاجة هلال، لأن تلك الدجاجة مثل في الشيء اليسير يجر النفع الكثير، وهذه الدراجة مثل في النفع القليل يجلب الضرر العظيم، ومن قصتها أن بعض عمال الحكم ابن الثقفي تغذى معه يوما، فتناول من بين يديه دراجة مشوية، فحقدها عليه الحكم، فعزله عن عمله. فقال فيه الفرزدق:

فقد كان بالعرق صيد لو قنعت بـه ... فيه غنى لك عن دراجة الحكم

وفي عوارض لا تنفك تأكلـها ... لو كان يشفيك لحم الإبل من قرم

العوارض من الإبل: التي تعرض لها الآفات فتنحر من أجلها. والعبط التي تعتبط اعتباطا؛ وكان الشريف من العرب يأتي القوم وقد نحروا فيقول: أعبيط أم عارضة؟ فإن قالوا: عبيطا أصاب معهم من لحمه، وإن قالوا: عارضة أنف من أكلها.

٧٧١-(نسر لقمان): العرب تضرب المثل بطول عمر النسر، وتزعم أنه يعيش خمسمائة سنة، وأن لقمان بن عاد خير فاختار عمر سبعة أنسر، فأوتي سؤله، فكان يأخذ فرخ النسر فيجعله في خربة من الجبل الذي هو في أصله، فإذا استوفى عمره أخذ فرخا آخر فوضعه مكان الآخر، إلى آخر النسور. وأطولها عمرا لبد الذي يقال له نسر لقمان، ويضرب مثلا في طول العمر والبقاء فيقال: أتى أبد على لبد:

*** أخنى عليه الذي أخنى على لبد***

قال لبيد:

ولقد جرى لبد فأدرك جريه ... ريب المنون وكان غير مثقل
لما رأى لبد النسور تطايرت ... رفع القوادم كالكسير الأعزل
من تحته لقمان يرجو نهضة ... ولقد رأى لقمان ألا يأتلي

قال الجاحظ: إن أحسنت الأوائل في ذكر نسر لقمان فقد أحسن بعض المحدثين وهو الخزرجي ، وذكره وضرب المثل به وبصحة بدن الغراب حين ذكر طول عمر معاذ بن مسلم بن رجاء ؛ مولى القعقاع بن شور، وكان من المعمرين، طعن في السن مائة وعشرين سنة، وهو قوله:

إن معاذ بن مسلم رجل ... ليس لميقات عمره أمد
قد شاب رأس الزمان واكتهل الدهر ... وأثواب عمره جدد
قل لمعاذ إذا مررت به ... قد ضج من طول عمرك الأبد
يانسر لقمان كم تعيش وكم ... تخلق ثوب الحياة يالبد!
وقد أصبحت دار دارم خاوية وأنت فيها كأنك الوتد
تسأل غربانها إذا نعقت ... كيف يكون الصداع والرمد؟
مصححا كالظليم ترفل في ... برديك مثل الجبين يتقد
صاحبت نوحا ورضت بغلة ذي ال ... قرنين شيخا لولدك الولد
ما قصر الجد يا معاذ ولا ... زحزح منك الثراء والعدد
فاشخص ودعنا فإن غايتك المـ ... وت وإن شد ركنك الجلد

وقد أحسن ابن طباطبا في قوله:

بأبي الذي أنا في لذاذة عمره ... مستقرض أعمار سبعة أنسر
مد الهوى بيني وبينك غاية ... أدنى مداها خلق يوم المحشر

٧٧٢-(مطمح النسر): ما أحسن ما جمع ابن الرومي بين مطمح النسر وبين سبح النون بقوله:

انظر إلى الدهر هل فاتته بغيته في مطمح النسر أو في مسبح النون

وذلك أن سلطان النسر في الهوى، وسلطان الحوت في الماء، ولا يكادان ينجوان من غير الدهر.

٧٧٣-(حسن الطاوس): يضرب به المثل، فيقال: أحسن من الطاوس، وأزهى من الطاوس، ويقال للإنسان الحسن : طاوس الحسن، كما يقال: يوسف الحسن، ومن أحسن ما سمعت في ذلك قول البحتري في إسرائيل النحاس النصراني الأعور، وقد قوم غلاما له فارسيا بثمن بخس، فقال فيه:

متى أرضى ودجال النصارى يقوم ما أبيع بفرد عين

وأعجب ما ترى طاوس حسن يحكم في شراه غراب بين!

فانظر إلى حسن ما جمع بين الطاوس والغراب في بيت واحد، ولما كان المهجو أعور شبهه بغراب البين، والغراب يقال له الأعور لتغميض إحدى عينيه . وما أحسن قول الخبزأرزي:

طاوس حسن بل أتم محاسنا جمع الملاحة بل أعز وألطف

ما ضره ألا يكون مقلدا سيفا وفي عينيه سيف مرهف

سل ورد خدك أي ورد جنسه إني أراه يعود ساعة يقطف

وقال غيره:

أيا طاووسة الحسن ويا عصفورة الجنه

ويا من قبلة من فيه لي أحلى من المنه

ومن بارع أوصاف الطاوس قول القائل:

سبحان من من خلقه الطاوس طير على أشكاله رئيس

كأنه في نفسه عروس كأنما يجلو به التعريس

ديباجــة تنشــر أو ســدوس **في الريش منه ركبــت فلــوس**
تشرق مــن دارا ــا شمــوس **في الرأس منه شــجر مغــروس**
كأنـــه بنفســـج يمـــيس **أو زهــر مــن حــزم ينــوس**

ووصف علي بن عبيد الريحاني الطاوس بكلام طويل، ثم قال في أواخره: والعين من كثرة ما يروقها منه،أكثر مما يحكي اللسان عنه.

٧٧٤-(جناح الطاوس): بلغني عن الصاحب أنه كان إذا نظر في خط الأمير شمس المعالي، وهو نـاية في استيفاء أقسام الحسن ، قال: هذا جناح طاوس. وأنشدني أبو طالب المأموني لنفسه من قصيدة وصف فيها دار أبي نصر بن أبي زيد ببخارى:

وكأن الأبواب صحب تلاقيــ **ــن انقفالا ثم افترقن انفتاحــا**
وكأن الستور قد نشــر الطــا **وس منها في كل باب جناحــا**

وقد استعار للطاوس حلة من قال:

طالع يــومي غــير منحــوس **فســقني يــا طــارد البــوس**
كأسا كعين الديك في روضــة **قــد ألبســت حلــة طــاوس**

٧٧٥-(رجلا الطاوس): يضرب مثلا لما يستقبح من جملة حسنة، وللعوذة فيمن تكثر محاسنه ، لأن رجلي الطاوس قبيحتان جدا، والطاوس هو ما هو في الحسن ، قال الصاحب:

أبــوك أبــو علــي ذو عــلاء **إذا عد الكــرام وأنــت نجلــه**
وإن أبـــاك إذ تعـــزى إليـــه **لكالطاوس تقبح منــه رجلــه**

كأنه قلب قول أبي الطيب:

فإن تفق الأنام وأنــت منــهم **فإن المسك بعــض دم الغــزال**

ووصف علي بن أبي عبيدة الطاوس ثم قال في آخر كلامه: وإنه ليفضي إلى رجل حمشة، وصيحة وحشة، وصوت هائل، وجسم غير طائل. قال مؤلف الكتاب: قد يذكر في مقابح المحاسن وعوذ المناقب رجل الطاوس، وكلف البدر، وأنف الظبي،

وشوك الورد، ودخان النار، وخمار الخمر:

*** وأي نعيم لا يكدره الدهر ***

وللبديع الهمذاني من فصل إلى صديق من طوس: لك يا سيدي دلال، وفضل خصال، لا يدفعك عنها أحد، وذلك في أكثر المطارح، لسان صائح، ويد لائح، معها من تورية طويسية،ورجل طاوسية، لو خلوت عنها لكنت الإمام الذي تدعيه الشيعة، وتنكره الشريعة.

٧٧٦-(جيش الطواويس): كان يقال لجيش عبد الرحمن بن محمد الأشعث الخارج على الحجاج: جيش الطواويس؛ لكثرة من كان فيه من الحسان الوجوه الموصوفين .

٧٧٧-(**حسن التدرج**): ذكر أبو الحسن بن الناصر العلوي حسن التدرج في قوله وهو يصفه:

صدور من الديباج نمق **وشـيها**   **وصلن بأحناء اللجين السوارج**
وأحداق تبر في **خدود شـقائق**   **تلألأ حسنا كاشتعال** المسـارج
وأذناب طلع في **ظهور كسو ا**   مجزعة **الأعطاف صهب** الـدمالج
فإن فخر الطاوس يوما بحسـنه   **فلا حسن إلا دون حسن التدارج**

ولم يقصر المأموني في وصفها، حيث يقول:

قد بعثنا بـذات لـون بـديع   **كبنات الربيع أو هي أحسـن**
في **قنـاع مـن جلنـار وآس**   **وقميص مـن يـ**اسمين **وسوسـن**
دبجت وهـي بنـت درة بحـ**ر**   **كل عن وصف حسنها كل ملسن**

٧٧٨-(**سرق العقعق**): يضرب به المثل؛ فيقال: أسرق من عقعق،لأن له حذقا بالاستلاب وسرعة الخطف، ومن حذقه أنه لا يستعمل ذلك فيما ينتفع به، فكم من عقد ثمين خطير، وكم من قرط شريف نفيس، قد اختطفه من بين أيدي قوم، فإما رمى به بعد تحليقه في الهواء وإما جره ثم لا يلتفت إليه أبدا.

وقد أحسن من قال يصف خلقه وخلقه:

إذا بـــارك الله في طـــائر **فــلا بـــارك الله في العقعــق**
طويل الذنابي قصير الجنــاح **متى ما يجــد غفلــة يســرق**
يقلــب عيــنين في رأســه **كأ ـمــا قطرتــا زئبــق**

وهو مما يضرب به المثل من أخلاقه حذره ولفته وموقه في تضييعه بيضه وفراخه، مع حياطته أشد الحياطة، قال: ومن الحيوان الذي يدرب فيستجيب ويكيس ويملح العقعق، فإنه يستجيب من حيث يستجيب العصفور، ويدجن ويعرف ما يراد منه، ويخبأ الحلي ويسأل عنه، ويصاح به، فيمضي حتى يقف بصاحبه على المكان الذي خبأه فيه، ولكنه لا يتولى البحث عنه، وهو مع هذا كله كثيرا ما يضيع بيضه وفراخه.

٧٧٩-(صدق القطاة): يضرب ا المثل فيقال:أصدق من قطاة؛ لأن لها صوتا واحدا لا تغيره، وصوتا حكاية لاسمها، تقول: قطا قطا، قال الشاعر:

*****يا صدقها حين تدعوها فتنتسب*****

ويقال: أنسب من قطاة، لأنا تنتسب حين تصوت باسم نفسها.

٧٨٠-(هداية القطا): يضرب المثل ـداية القطا في الـاهل، قال الشاعر:

وما القطا الكــدر إلى القفــر **أهدى مــن القفــر إلى الحــر**

وقال الطرماح:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا **ولو سلكت طرق المكارم ضلت**

وقال ابن لنكك:

نشأتم جميعا من وجوه ســحيقة **تكنفهم جهــل ولــؤم فأفرطــا**
وإن زمانــا أنــتم رؤســاؤه **لأهل بأن يخرى عليــه ويضــرطا**
إلى كم تعيبون اللئــام وإنــني **أراكم بطرق اللؤم أهدى من القطا**

٧٨١-(إ ام القطا): من أمثالهم، أقصر من إ ام القطا، ومن إ ام الحبارى قال جرير:

ويوم كإ ـام القطـاة مـزين إلي صـباه غالـب لي باطلـه

وفي رسالة للصاحب: أقصر من أباهيم القطا، وأنامل الحبارى.

وفي رسائل الخوارزمي: أقصر من ليل السكارى، وإ ام الحبارى. وفي بعض شعر المولدين:

*** أقصر من أظفور عصفور***

٧٨٢-(وعيد الحبارى): يضرب مثلا للضعيف يتوعد القوي. ومن أمثال العرب: وعيد الحبارى الصقر؛ وذلك أ ا تقف وتحاربه، قال الشاعر:

أقل عناء عنك إيعـاد بـارق وعيد الحبارى الصقر من شدة الرعب

٧٨٣-(سلاح الحبارى): يضرب مثلا للضعيف يستعين بالآلة اللئيمة على مقاومة من هو أقوى منه، فربما يغلبه ا، وذلك أن الحباري سِلاحها سلاحها، إذا أراد الصقر أن يصيدها ترميه بذرقها فيدبق جناحيه، ويعطل طيرانه؛ حتى تجتمع عليه الحباريات، فينتفن ريشه طاقة طاقة، فيموت الصقر،وإلى هذا المعنى أشار المتنبي بقوله:

فلا تنلك الليـالي إن أيـديها إذا ضربن كسرن النبع بـالغرب

ولا تعن عـدوا أنـت قـاهره فإ ن يصدن الصـقر بـالخرب

وما أحسن ما قال أبو فراس في المعنى:

ولا خير في دفع الردى بمذلـة كما ردها يوما بسوءته عمـرو

٧٨٤-(كمد الحبارى): يضرب مثلا لمن يموت كمدا، فيقال: مات فلان كمد الحبارى. قال أبو الأسود:

وربة ميت كمد الحبـارى إذا ظعنت هنيدة أو تلـم

وذلك أن الحبارى تلقي ريشها كله مرة واحدة، وغيرها من الطير يلقي الواحدة بعد الواحدة، فليست تلقي واحدة إلا بعد نبات الأخرى، والحبارى إذا تحسرت فترت همتها، فإذا نظرت إلى صويحبا ا يطرن ولا وض لها فربما ماتت كمدا.

٧٨٥-(طيران الحبارى): يضرب ا المثل، فيقال: أطير من حبارى، وليس في الطير أسرع طيرانا منها،لأ ا تصاد بظاهر البصرة فتوجد في حواصلها الحبة الخضراء غضة طرية، وبينها وبين بلادها بعد. وقد نضرب أيضا بطيران العقاب المثل لأنه

يتغذى بالعراق، ويتعشى باليمن.

٧٨٦-(جبن الصفرد): يضرب مثلا في جبن الضعيف. وزعم أبو عبيدة أن هذا المثل مولد، والصفرد طائر من خشاش الطير، قال الشاعر:

تراه كالليث لدى أمنــه وفي الوغى أجبن مــن صــفرد

٧٨٧-(هدهد سليمان): يضرب مثلا للإنسان الحقير يدل على الملك الخطير، قال بعض العلماء: للعلم دالة يعتز بها الصغير على الكبير، والمملوك على المالك، ألا ترى أن الهدهد وهو من محقرات الطير قال لسليمان عليه السلام وهو الذي أوتي ملكا لا ينبغي لأحد من بعده: ﴿**أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين**﴾(١).

قال الجاحظ: هدهد سليمان هو الذي كان يدل سليمان على مواضع المياه في قعور الأرضين إذا أراد استنباط شيء منها. ويروى أن نجدة الحروري قال لابن عباس: إنك تقول: إن هدهد سليمان كان إذا نقر الأرض عرف مسافة ما بينه وبين الماء، وهو لا يبصر الفخ دون التراب حتى إذا نقر الحبة انضم عليه الفخ! قال: أجل، إذا جاء القدر، عمي البصر. وفي رواية أخرى: إذا جاء الحين، غطي العين.

قال تعالى: ﴿**وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين**﴾(٢)؛ لما دخلت على الاسم الألف واللام جعلته معرفة، فدل بذلك على أنه لم يكن هدهدا من عرض الهداهد، بل كان هدهدا بعينه مخصوصا بما لا يختص به غيره. وقال: ولو أنكم حملتم جميع الهداهد على حكم هدهد سليمان، وجميع الغربان على حكم غراب نوح، وجميع الحمام على حكم حمامة السفينة، وجميع الذئاب على حكم ذئب أهبان ابن أوس، وجميع الحمير على حكم حمار العزير، لكان ذلك حكما مردودا. وقد تعرض لخصائص الأمور أسباب في دهر الأنبياء ونــزول الوحي لا يعرض مثلها في غير زمانهم، عليهم الصلاة والسلام.

٧٨٨-(سجود الهدهد): يضرب مثلا لمن يكثر السجود قال ابن المعتز:

وصلت هداهدة كــالوس متى تــر نيرا لــها تســجد

---

(١) سورة النمل ٢٢

(٢) سورة النحل ٢٠

وقال ابن الرومي في ضرب المثل وهو يهجو الأخفش:

أسجد من هدهـد إذا برزت فيشة فحـل عظيمـة العكـر

وسمعت البديع الهمذاني يقول: لما أدخلني أبي على الصاحب وأنا صبي أقمت رسم خدمته بتقبيل الأرض مرارا؛ فقال لي: يا بني اقعد، لم تسجد كأنك هدهد!
وقال بعض أهل الفضل في وصف فتى حسن الصورة، مسترخي التكة:

قد حرت في **وصف صديق لنـا مطـرز التكـه بالعسجـد**

في **الحسـن طـاوس ولكنـه أسجد** في **الخلوة مـن هدهـد**

٧٨٩-(عذاب الهدهد): يضرب مثلا لمن يسام سوء العذاب، لأن الله تعالى حكى عن سليمان قوله في الهدهد: ﴿**لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه**﴾[1]. وعن بعض المفسرين، أي لأنتفن ريشه وألقينه في مدارج النمل. وعن بعضهم: لأفرقن بينه وبين إلفه.
عن آخر: لأحشرنه مع غير أبناء جنسه.

٧٩٠-(**نتن الهدهد**): الهدهد طير منتن البدن من جوهره وذاته، ورب حيوان يكون منتنا من نفسه من غير عرض كالتيوس والحيات والظربان، قال الشاعر:

تشاغلت عنا أبا الطيب بغير شـهي ولا طيـب

بأنتن من هدهد ميـت أصيب فكفن في **جـورب**

فجعله ◌اية في النتن، لأن الهدهد منتن في حال حياته، فإذا مات ازداد نتنا بمماته؛ فإذا كفن في الجورب الذي سار المثل بنتن رائحته ازداد نتنا على نتنه، قال الشاعر:

أثني **عليك** بما **علمـت فـإنني** أثني **عليك** بمثل **ريح الجـورب**

وما على ذلك مزيد في النتن، ولعمري إن هذا لهو المبالغة في التشبيه.

٧٩١-(كلام الببغاء): يضرب مثلا لمن يقول بغير علم ولا معرفة، وإنما يؤدي شيئا سمعه ويحكي ما يلقنه ولما غلب وصيف وبغا على أمر المستعين كله حتى

(١) سورة النحل٢١.

كان لا يصدر إلا عن رأيهما قال في ذلك جنبذ الكاتب:

خلاقــة جــــائرة **فاسدة مــا تبتغـى**
صاحبها محتجــب **يفرق من حر الوغى**
مقتسم معتبـــد بين **وصــيف وبغــا**
يقول ماقالا لـــه **كما تقـول الببغــا**

ومن ملح أوصاف الببغاء:

أنعتــها صــبيحة مليحــة **ناطقة باللغــة الفصــيحه**
عدت من الأطيار، واللسان يــوهمني بأ ـــا إنســان
تنهي إلى **صاحبها الأخبــارا** **وتكشف الأستار والأسرارا**
ســكاء إلا أ ـــا سميعـــه **تعيد ما تســمعه مطيعـــه**

٧٩٢-(قهقهة القمري): لم أسمع من ضرب ا المثل إلا أبا عبد الله بن الحجاج فإنه ظرف وملح حيث قال:

وقينــة تنغيمهــا في **الفنــا** **أملح من قهقهــة القمــري**
غناؤها الممــدود بي **فاعــل** **فعل الغنى المقصــور بالعســر**

٧٩٣-(غناء العندليب): يضرب به المثل في الملاحة والطيب، قال بعض العصريين:

سماء **كصدر الباز والأرض** تحته **كأجنحة الطاوس فاشرب أبا نصر**
عقارا كعين الديك تحلو بمسمع **يؤدي غناء العندليب على فدر**

وقال أيضا في غلام:

فديتك يا أتم **النــاس ظرفــا** **وأصــلحهم** لمتخـــذ **حبيبــا**
فوجهك نزهة الألحاظ حســنا **وصوتك متعة** الأسمــاع **طيبــا**
وسائلة تسائل عنــك قلنــا لها في **وصفك العجب العجيبا**

رنا ظبيـا وغـنى عنـدليبا ولاح شقائقا ومضى قضـيبا

وفي الكتاب المبهج: ليس للبلابل، كخمر بابل.

٧٩٤- (بيضة الديك) يضرب ا المثل للشيء يقع نادرا ويحدث مرة، فيقال: هذا بيضة الديك، أي لم يجر أكثر من مرة، قال الشاعر- وقد تلطف وبر بمحبوبته:

يا أحسن الناس ريقا غير مختـبر إلا شهادة أطراف المسـاويك

قد زرتني مرة في العمر واحـدة ثني ولا تجعليها بيضة الـديك

وقد تقدم في غير هذا الباب ضمنا، وإن كان أخص به الباب الآتي.

٧٩٥-(مشية القبح): تشبه ا كل مشية ظريفة، قال الشاعر:

وكم عفعق قد رام مشية قبجة فأنسي ممشاه ولم يمش كالحجل

وقال بعض أهل العصر:

لقاؤك يحكي قضـاء الحـوائج ووجهك للغم والهـم فـارج

وفيـــك لنـــا فـــتن أربـــع تسل علينا سـيوف الخـوارج

لحاظ الظباء ومشـي القبـاح وطوق الحمام وزي التـدارج

٧٩٦-(كذب الفاختة): يضرب ا المثل، كما قال الشاعر:

أكذب من فاختة تقول وسط الكرب

والطلع لم يبد لها هذا أوان الرطب

وكما قال الشاعر:

وقـــول أبي جعفـــر كلـــه كقول الفواخت جاء الرطـب

وهـــن وإن كـــن أشـــبهنه فلســن يدانينــه في الكـذب

وكما قال آخر:

وقد كنت تصدق صدق القطا فأصبحت أكذب مـن فاختـه

٧٩٧-(حلم العصفور): قال الجاحظ: العرب تضرب المثل بحلم العصفور لأحلام السخفاء، قال دريد بن الصمة:

يا آل شيبان ما بـالي وبـالكم **أنتم كثيرون** في **أحلام عصـفور**

وقال حسان بن ثابت:

لا بأس بالقوم من طول ومن قصر **جسم البغال وأحلام العصـافير**

وقال ابن الرومي:

أرى رجالا قد خوا_وا نعمـا في **خفـة الحلـم كالعصـافير**

تبـارك الله كيـف يـرزقهم! **لكنـ ـ ـه رازق الخنـ ـ ـازير**

٧٩٨-(سفاد العصفور): ليس في الطير أكثر سفادا من العصافير، ولذلك قالوا: إ ا أقصر الطير أعمارا، ويقال: إنه ليس شيء مما يألف الناس ويعايشهم في دورهم أقصر عمرا منها- يعنون الخيل والبغال والحمير والإبل والبقر والغنم والكلاب والسنانير والخطاطيف والحمام والدجاج- ويقال في المثل: أسفد من عصفور، قال بعض أهل العصر:

سـقيا لأيـام الصـبا إذ أنـا في **طلــب اللــذة عفريــت**

أصــيد كالبــازي ولكــنني **أســفد كالعصــفور ماشـيت**

٧٩٩-(شؤم البوم): البوم يضرب ا المثل في النكد والشؤم. لأنه يأوى الخراب ولا يأنس بأشكاله من ذوات الأجنحة، وإياه عني أبو الطيب بقوله في المصراع الثاني:

خير الطيور على القصور وشـرها **يأوى الخراب ويسكن الناووسا**

وقال أبو عثمان الخالدي:

ولي صاحب نحس **على كل صاحب** **هو الداء أعيا أن يصـيب دواء**

أخف الورى عقلا وأثقل طلعة **وأفحم إلا أن يقـول خطـاء**

٨٠٠-(شؤم القز): قال ابن الحجاج: القز طائر يتشاءم منه،وإذا رآه أهل السفينة لم يشكوا في الغرق. وكثيرا ما يذكره ابن حجاج متمثلا به، كقوله:

يا سيدي دعـوة ذي حرقـة **أقدم** في **الشـؤم مـن القـز**

عمـــامتي كانـــت أميريـــة — مليحـــة الشـــربش والطـــرز
ولست الباكي علـــى فقـــدها — فـــالخزي أولى بي مـــن الخـــز

٨٠١-(حزم القرلى وخطف القرلى): قال حمزة بن الحسن الأصفهاني: القرلى طير من بنات الماء، صغير الجرم، شديد الغوص، سريع الخطف، لا يرى إلا مرفرفا على وجه الماء على جانب كطيران الحدأة يهوي بإحدى عينيه إلى قعر الماء طمعا، ويرفع الأخرى إلى الهواء حذرا؛ فإن أبصر في الماء ما يستقل بحمله من سمك وغيره انقض عليه كالسهم المرسل، فأخرجه من قعر الماء، وإن أبصر في الهواء جارحا أهوى إلى الأرض. فضربوا به المثل في الخطف، وكذلك ضربوا به المثل في الحزم والحذر.

وفي أسجاع ابن الحسن: كن حذرا كالقرلى، إن رأى خيرا تدلى، وإن رأى شرا تولى. وقد خالف هذا رواة النسب فقالوا: قرلى هو اسم رجل من العرب كان لايتخلف عن طعام أحد، ولا يترك موضعا إلا قصد إليه، فإن صادف في طريق يسلكه خصومة ترك ذلك الطريق ولم يمر فيه، فقالوا: أطمع من قرلي. وأقول أنا: خليق أن يكون هذا الرجل شبه بذلك الطير، وسمي باسمه، قال الشاعر:

يامن جفـــاني وملا — أنسيت أهلا وســـهلا
ومات مرحـــب لمـــا — رأيـــت مـــالي قـــلا
إني أظنـــك تحكـــي — بمـــا فعلـــت قـــرلى

٨٠٢_(اختطاف الخطاف): يضرب المثل باختطاف الخطاف كما يضرب باستلاب الحدأة، وفيه يقول الصنوبري:

ومؤاتي العنـــاق غـــير مـــؤات — مطمع اللحظ مؤنس اللفظـــات
لا ينيل التقبيـــل إلا اختطافـــا — كاختطاف الخطاف ماء الفرات

الباب الحادي والأربعون

في البيض

بيض الأنوق. بيض السماسم. بيض النعام. بيضة البلد بيضة العقر. بيضة الديك. بيضة الإسلام. بيضة البقيلة. بيضة الذهب.

الاستشهاد

٨٠٢-(بيض الأنوق): العرب تضرب المثل ببيض الأنوق في الشيء الذي لا يوجد، فتقول: أعز من بيض الأنوق، وأبعد من بيض الأنوق. والأنوق: الرخم الذكر، وإنما البيضة للأنثى. هذا قول أبي عمرو. وأما غيره من اللغويين والمعنويين فإ م أجمعوا على أن الأنوق تلتمس لبيضها الأوكار البعيدة، والأماكن الوحشية، والجبال الشامخة،وصدوع الصخر الغامضة، فلا يصل إليها سبع ولا آدمي، كما قال الشاعر:

وكنت إذا استودعت سرا كتمته   كبيض أنوق لا ينال له وكـر

ويروى أن رجلا من أهل الشام طلب إلى معاوية حاجة فأبى، وسأله أخرى، فتمثل معاوية ذا البيت:

طلب الأبلـق العقـوق فلمـا   فاته ذاك رام بـيض الأنـوق

وقال بعض ولد عيينة بن حصن لعمر بن عبد العزيز:

إنى أولى بالحق في كـل حـق   ثم أحرى بأن يكـون حقيقـا

من أبوه عبد العزيز بن مـروا   ن ومن كان جـده الفاروقـا

رد أموالنــا علينــا وكانــت   في ذرا شاهق يفـوق الأنوقـا

وأنشدني الخوارزمي لنفسه:

تغربت أسـأل مـن عـن لي   من الناس هل من صديق صدوق!

فقـالوا عزيـزان لا يوجـدان   صديق صدوق وبيض الأنـوق

وقرأت للصاحب من رسالة إلى أبي سعيد بن أبي بكر الإسماعيلي هذا الفصل:

وهل غاية من أفنى الطوامير واستقصى الأضابير، وكتب الكتب الطوال، وشحن الصحف العراض، يحاول أن يدل على حالك، حتى يخطر بباله أن يكشف عن بلبالك، إلا أن يقال له: أردت بيض الأنوق، كلا بل بيض النوق؛ وقد أبعد النجعة، ولم يطبق المفصل وأراد أن يجيء بعائدة،فجاء بآبدة،ولكل جواد كبوة،كما أن لكل صارم نبوة.

٨٠٣-(**بيض السماسم**): من أمثال العرب عن اللحياني: كلفني بيض السماسم، وواحدة السماسم سمامة، والسمائم: طير مثل الخطاف لا يقدر على بيضه.

٨٠٤-(**بيض النعام**): قد تقدم القول في أن العرب تضرب المثل للعذارى به في الصحة والسلامة، كما قال الفرزدق:

*** وهن أصح من بيض النعام ***

٨٠٥ - (بيضة البلد): من أمثال العرب:فلان بيضة البلد، فيضعو ا مرة في موضع المدح، وتارة في موضع الذم، فأما التي يراد ا المدح فكما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنا بيضة البلد. وكما قالت عمرة ابنة عمرو بن عبد ود ترثي أباها وتذكر قتل علي إياه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتلـه بكيته ما أقام الروح في جسـدي
لكن قاتله مـن لا يعـاب بـه وكان يدعى قديما بيضة البلـد

وإنما يراد ببيضة البلد واحدها الذي تجتمع إليه وتقبل قوله. وأما التي يراد ا الذم فهي كما قال الراعي:

تأبى قضاعة لم تعرف لكم نسبا وابنا نـزار فأنتم بيضة البلـد

وإنما نسبهم إلى غير نسب، وشبههم ببيضة النعام التي يحضنها غير صاحبها، فقد يراد ببيضة البلد الانفراد والذل والضياع، لأن النعامة تقوم عنها وتتركها منفردة بدار مضيعة، كما تقدم ذكره، ولهذا المعنى أراد من قال:

لكنه حوض من أودى بإخوتـه ريب المنون فأمسى بيضة البلد

٨٠٦-(**بيضة الديك**): يضرب المثل ببيضة الديك في الشيء يكون مرة

واحدة لا ثانية لها، والذي يعطي عطية لا يعود لمثلها؛ وذلك أن الديك يبيض في عمره مرة واحدة لا يكون لها أخت، وقد تمثل ا بشار حيث قال:

قد زرتنا مرة في **الدهر واحــدة** ثني **ولا** تجعليها **بيضة الــديك**

٨٠٧-(بيضة العقر): اختلفوا فيها؛ فمن قائل إ ا البيضة التي تستبرأ ا المرأة؛ أبكر هي أم ثيب؛ ومن قائل: إ ا بيضة الديك ولا ثانية لها قط، ومن قائل: إ ا آخر بيضة للدجاجة، ولا بيضة لها بعدها، فتضرب مثلا للشيء لا يكون بعده شيء من جنسه؛وهذا أسد الأقاويل وأقر ا من الصواب. ويحكى أن رجلا أخذ من بين يدي بعض الملوك البخلاء بيضة، فقال: خذها فإ ا بيضة العقر، ثم لم يدعه بعد ذلك إلى مائدته.

٨٠٨-(بيضة البقيلة): تذكر في عيون الأطعمة ولايستحسن المبادرة إليها.

وهجا الحمدوني طفيليا فقال:

* **ويبدرهم إلى بيض البقيلة** *

ويقال: ثلاثة ينتهي الحمق إليها، وهي أن يستظل الرجل بمظلته وهو في الظل، وأن يسابق إلى بيضة البقيلة، وأن يحتجم في غير داره.

وحكى الجاحظ عن الحارثي أنه قال: الوحدة خير من جليس السوء وجليس السوء خير من أكيل السوء، وكل أكيل جليس، وليس كل جليس أكيلا، فإن كان لابد من المؤاكلة فمع من لا يستأثر بالمخ، ولا ينتهز بيضة البقيلة، ولا يلتهم كبد الدجاجة، ولا يبادر إلى دماغ، ولا يختطف كلى الجدي، ولا ينــزع خاصرة الحمل، ولا يزدرد قانصة الكركي، ولا يتعرض لعيون الرءوس،ولا يستولي على صدور الدراج،ولا يسابق إلى أسقاط الفراخ.

وحكي عن محمد بن أبي المؤمل، أنه قال في كلام: ولقد كانوا متحامين بيضة البقيلة، ويدفعها كل امرئ لصاحبه، وأنت اليوم إن أردت أن تمتع عينيك بنظرة واحدة إليها لم تقدر عليها. وسمعت السيد أبا جعفر الموسوي يقول: عاتب بعض الناس صديقا له على إخلاله بإضافته بعد أن كان يدعوه كثيرا، فقال: ما الذي أنكرت مني؟ هل نبشت وسادتك؟ هل قلبت حملك؟ هل بعثرت أبزارك؟ هل أكلت

بيضة بقيلتك؟ هل تفلت في طستك؟

٨٠٩-(بيضة الإسلام): هي مجتمعه وحوزته، ويقال للجند: حماة الحوزة ورعاة البيضة، قال الشاعر يهجو بعض الحكام:

أبكي وأندب بيضـة الإسـلام إذ صرت تقعد مقعد الحكـام

إن الحوادث ما علمت كـثيرة وأراك بعض حـوادث الأيـام

ويقال أيضا: بيضة العشيرة؛ ومنها قول أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: نحن عشيرة رسول الله ﷺ وبيضتها التي انفقأت عنها؛ وإنما دارت العرب عنها كما دارت الرحا عن قطبها. ومن البيضة المستعارة: بيضة الحديد، وبيضة العنبر.

٨١٠-(بيضة الذهب): تضرب للشيء النفيس تنقطع مادته بعد أن تكون العادة جارية ا، وأصلها أن الروم كانوا ينفذون إلى الأكاسرة في الإتاوة كل عام ألف بيضة ذهب، كل واحدة زنتها مائة مثقال، فلما ولي الإسكندر أتاه من قبل دارا بعد دارا من يتقاضاه الإتاوة، فقال: قل له إن الدجاجة التي كانت تبيض الذهب قد ماتت؛ فسار قوله مثلا، وكان ذلك سببا لالتحام الشر بين دارا والإسكندر حتى قتل دارا، وفي هذا المثل قال الشاعر يهجو بعض الحكام:

من كـان ينفعـه الأدب ويحلـه أعلـى الرتـب

فلقد خسرت عليه مـا ورثـت مـن أم وأب

كم ضيعة كانت تصـو ن الوجه عن ذل الطلب

أتلفتـها لا في القيـا ن ولا هوى بنت العنب

بل في الحوادث والجوائح والشوائب والنـوب

كم قلـت لمـا بعتـها وحصلت في أسر الكرب

ضاعت دجاجتنـا الـتي كانت تبيض لنا الـذهب

الباب الثاني والأربعون

في الذباب والبعوض

طيش الذباب. جرأة الذباب. زهو الذباب. لجاج الذباب. طنين الذباب. أير الذباب. منجى الذباب. بق البطائح.ضعف البقة. مخ البعوض. فراش النار. جهل الفراشة. خفة الفراشة حلم الفراشة. لعاب النحل. كيس النحل. إبر النحل. آنية النحل. نحل السكر. خصر زنبور.

الاستشهاد

٨١١-(طيش الذباب): يضرب مثلا فيقال: أطيش من ذباب، وأنشد الأصمعي:

ولأنت أطيش حين تغدو شاردا رعش الجنان من القدوح الأقـرح

قال: وكل ذباب أقدح يقدح بيديه، كما قال عنترة:

هزجا يحـك ذراعـه بذراعـه حك المكب على الزناد الأجذم

٨١٢-(جرأة الذباب): يضرب ا المثل، لأن الذباب يقع على فم الأسد، وهو لايبقي شيئا، وهو مع ذلك يذاد ويعود.

٨١٣-(زهو الذباب): قال الجاحظ: يقال: أزهى من ذباب، لأنه يسقط على أنف الملك الجبار وعلى موق عينيه ليأكله ثم يطرد فلا ينطرد.وحكى أن ذبابا وقع على أنف المنصور وهو يخطب، فحرك رأسه ليطرده - وكان الخلفاء لا يحركون أيديهم على المنابر- فطار حتى سقط على رأسه، فحركها فطار حتى وقع على عينه، فحرك رأسه فطار حتى وقع على عينه الأخرى؛ حتى أضجره، فذبه بيده، فلما نـزل سأل عمرو بن عبيد: لم خلق الله الذباب؟ فقال ليذل به الجبابرة! ثم قرأ قوله تعالى: ﴿**وإن يسلُبهم الذباب شيئًا لا يستنقِذُوه مِنه ضعف الطالِب والمطلُوب**﴾[1] .

٨١٤-(لجاج الذباب): حكى الجاحظ في لجاج الذباب ما هو اية الفصاحة

---

(١) سورة الحج ٧٣.

والاتساع قال: كان عندنا بالبصرة قاض يقال له عبد الله بن سوار، لم ير الناس

حاكما ذكيا ولا وقورا رزينا ضبط من نفسه، وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك. وكان يصلي الغداة في منـزله، وداره قريبة من مسجده، ثم يأتي مجلسه فيحتبي ولا يتكئ، ويبقى منتصبا لا يتحرك له عضو، ولا يلتفت، ولا يحل حبوته؛ولا يحول رجلا عن رجل، ولا يعتمد على أحد شقيه، حتى كأنه بناء مبني، وصخرة منصوبة، فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة الظهر، ثم يعود إلى مجلسه؛ فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى صلاة العصر، ثم يرجع إلى مجلسه، فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب، ثم ربما عاد إلى مجلسه، بل كثيرا ما يكون ذلك إذا بقي عليه شيء من قراءة العهود والسجلات، ثم يصلي العشاء الأخيرة وينصرف. فالحق يقال لم يقم طول تلك المدة و الولاية مرة واحدة من مجلسه إلى وضوء، ولا احتاج إليه، ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب، كذلك كان شأنه في طوال الأيام وقصارها، وصيفها وشتائها، وكان مع ذلك لا يحرك له يدا ولا عضوا، ولا يشير برأسه، وليس إلا أن يتكلم ثم يوجز، ويبلغ باليسير من الكلام إلى المعاني الكثيرة. فبينما هو ذات يوم في مجلسه وأصحابه حواليه والسماط بين يديه إذ سقط على أنفه ذباب فأطال المكث، ثم تحول إلى مؤق عينه، فرام الصبر في سقوطه على المؤق وصبر على عضته ونفاذ خرطومه كما رام الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته أو بعض وجهه،أو يذب بأصابعه؛ فلما طال ذلك عليه من الذباب، وشغله وأوجعه وأحرقه وقصد مكانا لا يحتمل التغافل، أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل، فلم ينهض؛ فدعاه ذلك إلى أن والى بين الإطباق والفتح فتنحى؛ فلما سكن جفنه عاد إلى مؤقه بأشد من مرته الأولى، فغمس خرطومه في مكان كان قد آذاه فيه قبل ذلك، وكان احتماله أقل، وعجزه عن الصبر على الثانية أقوى،فحرك أجفانه، وزاد في شدة الحركة وفي فتح العين ومتابعة الفتح والإطباق، فتنحى عنه بقدر ماسكنت حركته، ثم عاد إلى موضعه، فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره، وبلغ مجهوده، فلم يجد بدا من أن يذب عن عينه بيده، ففعل -وعيون القوم ترمقه، وكأ م لا يرونه- فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته، ثم عاد إلى موضعه، فألجأه إلى أن ذب على وجهه بطرف كمه، ثم ألجأه إلى أن تابع ذلك، وعلم أنه كان بعين من حضر

من أمنائه وجلسائه، فلما نظروا إليه قالوا: نشهد أن الذباب ألح من الخنفساء، وأزهى من الغراب؛ قال: استغفر الله! فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله أن يعرفه من ضعفه ما كان مستورا عنه؛ قد علمتم أني عند الناس من أرزن الناس، فقد غلبني وفضحني أضعف خلق الله؛ ثم تلا قوله تعالى: ﴿**وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب**﴾[1].

٨١٥-(طنين الذباب): يضرب المثل به للكلام يستهان ولا يبالى به، قال حضرمي بن عامر:

مازال إهداء القصائد بيننا — شتم الصديق وكثرة الألقاب
حتى تركت كأن أمرك بينهم — في كل مجتمع طنين ذباب

وقال ابن عروس:

يامن يروعه طنين ذباب — ويفل عزمته صرير الباب

فجعله يرتاع مما لا يرتاع منه.

٨١٦-(منجى الذباب): يضرب مثلا للئيم الذليل يكون عليه واقية من لؤمه وذله، كما قال إبراهيم بن العباس:

كن كيف شئت وقل ماتشا — وأبرق يمينا وأرعد شمالا
نجا بك لؤمك منجى الذباب — حمته مقاذيره أن ينالا

وقال مسلم بن الوليد:

فاذهب فأنت طليق عرضك إنه — عرض عززت به وأنت ذليل

٨١٧-(أير الذباب): يضرب مثلا لما قل وذل، وأنشد الجاحظ:

لما رأيت القصر أغلق بابه — وتعلقت همدان بالأسباب
أيقنت أن إمارة ابن مقرب — لم يبق منها قيس أير ذباب

قالوا: ولم يرد مقدار أيره، إنما ذهب إلى مثل قول ابن أحمر في مخ البعوض، وقد تقدم ذكره، وسيأتي قريبا.

(١) سورة الحج ٧٣.

٨١٨-(بق البطائح): يضرب به المثل في الكثرة وسوء الأثر، يذكر مع جرارات الأهواز، وعقارب شهرزور، وبلغني أ ا ربما ظفرت بالإنسان السكران النائم، فأكلت لحمه وشربت دمه ولم تبق منه إلا عظاما عارية.

٨١٩-(ضعف بقة): يضرب به المثل، كما قال الشاعر في رجل اسمه ليث:

أيا من اسمــه ليــث وهو أضعف مــن بقــه

لقد باعد رب النــا س بين الاسم والخلقــه

ويضرب المثل بصغر البقة، قال الخوارزمي:

ضنيت لو أدخلت في حلق بقة خريفية من دقــتي لم تغــص بي

وأصبح قلبي في يد الهم واغتدت أماني في أظفار عنقــاء مغــرب

٨٢٠-(جناح بعوضة): يضرب به المثل في القلة والصغر والخفة، كما يضرب بمثقال ذرة؛ وفي الحديث: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء**».

٨٢١-(مخ البعوض): من أمثال العرب: كلفتني مخ البعوضة، أي: كلفتني مالا أطيق ولا يوجد ولا يكون؛ ولم يذكر ذلك أحد من الشعراء إلا ابن أحمر؛ إذ قال:

كلفتني مخ البعوض فقــد أقصرت لا نجــح ولا عــذر

ثم تبعه ابن عروس، فقال:

ولو أيقنت أن سيموت قلبي صغير السن كالرشإ الغضيض

أبحتك كل ما يحويــه كفــي ولو كلفتني مــخ البعــوض

٨٢٢-(فراش النار): قال الجاحظ:يقال في موضع الذم والهجاء بالطيش والجهل والتهور: ما هو إلا فراش نار وذباب طمع، كما قال الشاعر:

كأن بني طهية رهط ســلمى فراش حول نــار مصــطلينا

يطفن بحرها ويقعــن فيهــا ولا يــدرين مــاذا يتقينــا!!

قال: والفراش وأصناف الذباب أجهل خلق الله، لأ ا تغشى النار من ذوات أنفسها حتى تحترق؛ وقال الشاعر:

ختمت الفـؤاد علـى حبـها كـذاك الصـحيفة بالخـاتم
هـوت بي إلى حبـها نظـرة هـوي الفراشـة في الجـاحم

٨٢٣-(جهل الفراشة): يضرب به المثل،لأن الفراشة تطلب النار لتلقي نفسها فيها، قال الشاعر:

إذا ما دنا حنف الفراشة أقبلت إلى وهجان النار تطلب مخلصـا

وهذا كما يقال: إذا جاء أجل البعير، حام حول البير.

وكتب أبو إسحاق الصابي: افت الفراش في الشهاب، وولوع الذباب بالشراب.وكتب مثله في مخالفة طرائق الحصفاء، وخلائق الحزماء: مثل الفراش المتهافت في الشهاب، والنقد المتهجم على ليوث الغاب.

٨٢٤-(خفة الفراشة): يضرب ا المثل، لأن الفراشة أكبر من الذباب الضخم، فإذا أخذ ا بيدك صارت بين أصابعك كالدقيق. وتقول العامة لمن تستخف روحه: ما أنت إلا من فراش الجنة.

٨٢٥-(حلم الفراشة): يقال ذلك كما يقال: حلم عصفور، قال الشاعر:

سفاهة سنور وحلـم فراشـة وإنك من كلب المهارش أجهل

٨٢٦-(لعاب النحل): هو العسل يضرب المثل بحلاوته، ويقال أيضا: ريق النحل وعاب بعض القراء الفالوذج عند الحسن، فقال الحسن: لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن، ما عاب هذا مسلم؛ ﴿**قُلْ من حرم زِينةَ اللهِ الَتِي أخرج لِعِبادِهِ والطيباتِ مِن الرزق**﴾[1].

ومن كلام السيد الأمير أدام الله تأييده في تشبيه الكلام بريق النحل: وصل كتابك فأذعنت القلوب لفضله بالاعتراف، واختلفت الألسن في تشبيهه ببديع الأوصاف، فمن مدع أنه رقية الفضل وريق النحل، ومنتحل أنه سلاف العنقود ونظم العقود، وقائل: إنه نظم خمائل وسحر بابل، فأما أنا فتركت التمثيل، وتركت التحصيل، وقلت: هو سماء فضل جادت بصوب الحكم،ووشي طبع حاكته سن

(١) سورة الأعراف ٣٢.

القلم، ونسيم خلق تنفست عنه روضة الكرم.

٨٢٧-(كيس النحل): قال الجاحظ: من يقدر على نعت النحل وكيسها ووصف ما فيها من غريب الحكم وعجيب التدبير، ومن التقدم فيما ما يقو ا والادخار ليوم العجز عن كسبها، وشمها مالا يشم، ورؤيتها مالا يرى، وحسن هدايتها والتدبير، والتأمير عليها، وطاعة ساد ا، وتقسيط أجناس الأعمال على أقدار معارفها، وقوة أبدا ا ﴿**فَتبارك الله أحسن الخَالِقين**﴾!

وكتب أبو الفرج يعقوب بن إبراهيم إلى ابنه أبي سعيد مع غلام تركي بعث به إليه من بخارى: قد أهديت إليك غلاما يجمع أشغال الناس، وكيس النحل؛ ونمو الهلال، بورك لك فيه!

٨٢٨-(إبر النحل): تضرب مثلا في الوصل إلى المحبوب بمقاساة المكروه، وهو يجري مجرى شوك التمر، قال أبو تمام:

ذريني أنل مالا ينال مـن العـلا ... **فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل**

تريدين تحصيل المعـالي رخيصـة ... **ولا بد دون الشهد من أبر النحـل!**

٨٢٩-(آنية النحل): ذكر الزبير بن بكار بإسناد له أن مصعب بن الزبير كان يقال له آنية النحل من كرمه وجوده، وكان من أجمل الناس وأشجعهم وأجودهم، وذكره عبد الملك بن مروان فقال: كان رئيسا نفيسا.

وقال بعض الأشراف في قتله:

فلا تحسبن السلطان عارا عقابه ... **ولا ذلة عند الحفائظ والأصـل**

فقد قتل السلطان عمرا ومصعبا ... **قريعى قريش واللّذين هما مثلي**

عماد بني العاص الرفيع عماده ... **وقرم بني العوام آنيـة النحـل**

٨٣٠_(نحل السكر): سمعت أبا الفتح البستي يقول: الحر كنحل السكر إن أجناه المرء من بره شكرا أجناه من شكره شهدا؛ ثم أنشدني لنفسه:

لا تحقر المـرء إن رأيـت بـه ... **دمامـة أو رثاثـة الحلـل**

فالنحل لا شـيء في طبولتـه ... **ينال منه الفتى جـنى العسـل**

٨٣١-(خصر زنبور): يشبه به خصر المعشوق من الجواري والغلمان كما قال عمر بن أبي ربيعة:

وثلاث لقيت في الحـج يومـا كظباء المهـا مـلاح ظـراف
يتقابلن كالبدور على الأغـ ـصان في مثقل مـن الأرداف
بخصور تحكي خصور الزنابيـ ـر دقاق همـن للانتصـاف

الباب الثالث والأربعون

في الأرض وما يضاف إليها

خبايا الأرض. شحمة الأرض. سمع الأرض وبصرها. دابة الأرض. جنة الأرض. أمانة الأرض. كتمان الأرض. أوتاد الأرض.حلية الارض. نبات الأرض. أديم الأرض. خد الأرض. سرة الأرض. ظهر الأرض وبطنها. ابن الأرض. جدري الأرض. بعل الأرض. سنام الأرض. حية الأرض.

الاستشهاد

٨٣٢-(خبايا الأرض): هي الزرع، يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «**التمسوا الرزق** في **خبايا الأرض**» .

وعن مصعب بن الزبير، عن عبيد بن شهاب قال: كان عروة بن الزبير يقول لي: ازرع، أمالك أرض؟! أما سمعت قول الشاعر:

أقــول لعبــد الله لمــا لقيتــه ... يسير بأعلى الــرقمتين مشــرقا

تتبع خبايا الأرض وادع مليكها ... لعلك يوما أن تجــاب فترزقــا

٨٣٣-(شحمة الأرض): هي الموضع المريع منها؛ قيل لعمر رضي الله عنه: إن نازلة البصرة اتخذوا الضياع وعمروا الأرض، فكتب إليهم: لا تنهكوا وجه الأرض، فإن شحمتها في وجهها. قال الجاحظ: شحمة الأرض هي ما يغوص في الرمل ويسبح فيها سباحة السمك في الماء، وهي دود صغار، يشبه ا كف المرأة، قال ذو الرمة في تشبيه بنان النساء ا:

كواعب أملــود كــأن بنا ــا ... بنات النقا تخفى مرارا وتظهــر

قال أبو سليمان الغنوي: هي أعرض من العظاية، بيضاء حسنة متقطعة بحمرة وصفرة، وهي أحسن دواب الأرض.

٨٣٤-(سمع الأرض وبصرها): من أمثال العرب: لقيته بين سمع الأرض وبصرها، قال الأصمعي: كأن ذلك بالفلاة بموضع لا أحد فيه. وقال غيره: أي بين طول الأرض وعرضها، وقال: ووجه ذلك أنه في موضع لا يراه أحد ولايسمع

كلامه إلا الأرض.وكتب الصاحب في وصف منهزم: طار بين سمع الأرض وبصرها، لا يدري مايطأ من حجرها ومدرها.

٨٣٥-(دابة الأرض): هي التي ذكره الله تعالي في قصة سليمان عليه السلام في قوله: ﴿**ما دلهم على موتِهِ إلا دابةُ الأرض تأكُلُ مِنسأته**﴾[1]. وإياها عنى ابن المعتز بقوله وهو يشكرها ويذمها ويصف إفسادها:

كنت امرأ دون الأنام معتــزل	**على ستر دون ديني منســدل**
لا راجيا لدولة مــن الــدول	**ولا أخاف آجلا علــى أمــل**
شغلي إذا ما كان للناس شــغل	**دفتر فقه أو حديث أو غــزل**
لا عائبي ولا يرى مــني زلــل	**فإن مللت قربه مــني اعتــزل**
أرقط ذو لون كئيب المكتــهل	**راكب كف أينما شئت رحــل**
ولا أحل موضعا حــتى يحــل	**ولا يمل صــاحبا حــتى يمــل**
فدب فيهن دبيب قــد أكــل	**عصا سليمان فظــل ينجــدل**
يبني أنابيب لــه فيهــا سـبل	**بالماء والطين وما فيهــا بلــل**
مثل العروق لا يرى فيها خلــل	**يأكل أثمار القلــوب لا أكــل**
حتى يرى العالم مجهــول المحــل	**يعود وفاقا وقــد كــان بطــل**

وشتم رجل الأرضة في مجلس بكر بن عبد الله المزني فقال بكر: مه! هي التي أكلت الصحيفة التي تعاقد المشركون فيها على رسول الله ﷺ أكلتها إلا ذكر رسول الله ﷺ؛ و ا: ﴿**تبينتِ الجن أن لو كانوا يعلمونَ الغيب ما لبثُوا في العذَابِ المُهين**﴾[2]. فبها كشف أمرهم عند العوام بعد الفتنة العظيمة عليهم،وكانت على الخاصة منهم أعظم المحن. فهذه دابة الأرض التي هي الأرضة. وأما دابة الأرض التي ذكرها الله تعالى فقال: ﴿**وإذَا وقَع القَولُ عليهم أخرجنا لَهم دابةً من الأرض**

---

(١) سورة سبأ١٤ .

(٢) سورة سبأ ١٤.

تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾[1]؛ فهي تضرب مثلا للمنتظر البطيء الحضور، وتذكر مع ظهور مهدي الشيعة ونـزول عيسى وطلوع الشمس من مغر ا. وقد ذكرها أبو الفتح البستي في معنى آخر، فقال وهو يذم بعض الحكام:

صح بالحاكم مـا أو عــده الله يقينــا
وقع القــول علينــا إذ تولى الحكم فينـا

٨٣٦-(جنة الأرض): يقال لبغداد: جنة الأرض ومجتمع الرافدين: دجلة والفرات وواسطة الدنيا ومدينة السلام وقبة الإسلام، لأ ا غرة البلاد ودار الخلافة، ومجمع المحاسن والطيبات، ومعدن الظرائف واللطائف؛ و ا أرباب النهايات في كل فن، وآحاد الدهر في كل نوع.

وكان أبو إسحاق الزجاج يقول: بغداد حاضرة الدنيا، وما عداها بادية. وكان أبو الفرج الببغاء يقول: هي مدينة السلام، بل مدينة الإسلام، فإن الدولة النبوية، والخلافة الإسلامية، ا عششتا وفرختا، وضربتا بعروقها وسمتا بفروعها، وإن هواءها أعدل من كل هواء،وماءها أعذب من كل ماء، ونسيمها أرق من كل نسيم، وهي من الإقليم الاعتدالي بمنـزله المركز من الدائرة، ولم تزل موطن الأكاسرة في سالف الأزمان، ومنـزل الخلفاء في دولة الإسلام. وكان أبو الفضل بن العميد إذا طرأ عليه أحد من منتحلي العلم وأراد امتحان عقله، سأله عن بغداد، فإن فطن عن خواصها، ونبه على محاسنها، وأثنى عليها خيرا، جعل ذلك مقدمة فضله، وعنوان عقله، ثم سأله عن الجاحظ،فإن وجد عنده أثرا بمطالعة كتبه، والاقتباس من ألفاظه، وبعض القياس بمسائله، قضى بأنه غرة شادخة في العلم، وإن وجده ذاما لبغداد، غافلا عما يجب أن يكون موسوما به من الانتساب إلى المعارف التي يختص ا الجاحظ، لم ينتفع بعد ذلك عنده بشيء من المحاسن. ولما رجع الصاحب من بغداد وسأله ابن العميد عنها قال: بغداد في البلاد، كالأستاذ في العباد، فجعلها مثلا في الغاية من الفضل والكمال، وأنشد ابن زريق الكوفي الكاتب:

---

(١) سورة النحل ٨٢

سافرت أبغي لبغداد وساكنها   مثلا قد اخترت شيئا دونه الياس
هيهات بغداد الدنيا بأجمعها   عندي وسكان بغداد هم الناس

قال: وانشدني لغيره:

سقى الله بغداد من جنة   حوت كل ما تشتهي الأنفس
على أ ا جنة الموسرين   ولكنها حسرة المفلس

ومن عجيب شأ ا على أ ا كو ا الحضرة الكبرى لاستيطان الخلفاء إياها لا يموت ا خليفة، كما قال عمارة بن عقيل بن جرير بن بلال:

أعاينت في **طول من الأرض والعرض   كبغداد دارا إ ا جنة الأرض**
قضى ر ا ألا يموت **خليفة   ا إنه ما شاء** في **خلقه يقضي**

ولما فرع المنصور من بنائها في سنة ست وأربعين ومائتين أمر نوبخت المنجم- وكان متقدما في علم النجوم-بأن يأخذ المطالع ويتعرف أحوالها، ففعل، ووجد المشتري في القوس- والقوس طالعها - فأخبره بما تدل عليه النجوم من طول ثبا ا، وكثرة عمار ا، وانصباب الدنيا عليها، وفقر الملوك والسوقة إليها فسر المنصور، وقرأ: ﴿**ذَٰلِكَ فَضلُ اللهِ يؤتيهِ من يشاءُ والله ذُو الفَضل العظِيم**﴾[1]. ثم قال له نوبخت: وخصلة أخرى يا أمير المؤمنين هي من أعجب خصائصها، قال: ما هي؟ قال: لا يموت ا خليفة أبدا؛ فجرى الأمر فيه على حكمه إلى زماننا هذا بإذن الله تعالى؛ وذلك أن المنصور مات بمكة، والمهدي بما سبذان، والهادي بعيسا آباد، والرشيد بطوس، وقتل الأمين، ومات المأمون بطرسوس والمعتصم بسر من رأى والواثق ا، وقتل المتوكل، ومات المنتصر بسر من رأي، وخلع المستعين وكذلك المعتز،وقتل المهتدي، ومات المعتمد بالحسنية، وكذلك المعتضد والمكتفي، وقتل المقتدر،وقتل القاهر، ومات الراضي بالحسنية، وقتل المتقي والمستكفي، ومات المطيع بدير العاقول، وخلع الطائع.

---

(١) سورة الحديد٢١.

٨٣٧- (عرض الأرض): من أمثالهم: أوسع من عرض الأرض، والعرب إذا ذكرت عرض الشيء أرادت به الطول والعرض، كما قال الله تعالى: ﴿**وجنةٍ عرضها السموات والأرض**﴾(1)، فأراد الطول والعرض. وقال الشاعر:

كأن بلاد الله وهـي عريضـة ... على الخائف المذعور كفة حابل

٨٣٨-(أمانة الأرض): يتمثل ا فيقال: آمن من الأرض، لأ ا تؤدي ما تستودع.

٨٣٩-(كتمان الأرض): يضرب به المثل، كما قال ابن المعتز في الفصول القصار: لا تذكر الميت بسوء فتكون الأرض أكتم عليه منك.

٨٤٠-(أوتاد الأرض): هي الجبال، من قوله -تعالى: ﴿**والْجِبالَ أوتادا**﴾(2)

وفي الخبر إن الله عز وجل لما خلق الأرض مادت فأوتدها بالجبال فسكنت. قال الفرزدق يمدح سليمان بن عبد الملك:

وما أصبحت في الأرض نفس فقيرة ... ولا غيرها إلا سـليمان مالهـا

وجدنا بني مروان أوتاد ديننـا ... كما الأرض أوتادا عليها جبالها

٨٤١-(حلية الأرض): ذكر أبو عبد الله المرزباني بإسناد له عن بعض الرواة أنه قال: أدركت طبقة بالكوفة يقال لهم: حلية الأرض، ونقش الزمان، وهم حماد عجرد، ووالبة بن الحباب، مطيع بن إياس، ويحي بن زياد، وشراعة بن الزندبوذ.

٨٤٢-(نبات الأرض): يضرب به المثل في الكثرة، كما قال ابن المعتز في فصوله القصار: مصائب الدنيا أكثر من نبات الأرض.

٨٤٣-(أديم الأرض): يدخل من باب الاستعارة، كما يقال: أديم السماء، وأديم الأرض لما حسن؛ وذكر الأعشى في أديم الأرض قوله:

والأرض حمالة لما حمـل الـ ... ـله وما إن تـرد مـا فعـلا

يوما تراها اكتست بأردية الـ ... ـعصب ويوما أديمهـا نغـلا

---

(١) سورة آل عمران ١٣٣.

(٢) سورة النبأ ٧ .

وفي استعارة الأديم لغير الأرض يقول بعض الكتاب: كثرة العتاب تنغل أديم المودة.

٨٤٤-(خد الأرض): لما استعير لها الوجه، استعاد لها الخد ابن المعتز حيث قال:

ومزنة حار في **أجفا ـا المطـر فالروض منتظم والقطر منتشـر**

مازال يلطم وجه الأرض وابلها حتى **وقت خدها الغدران والخضـر**

٨٤٥-(سرة الأرض): يقال للإقليم الرابع وفارسية إيران شهر- وهو ما بين ر بلخ إلى منتهى أذربيجان وأرمينية إلى القادسية إلى الفرات إلى بحر اليمن وبحر فارس إلى مكران إلى كابل وطبرستان: سرة الأرض، إذ هي واسطة الأرض وفي خط الاعتدال منها لاعتدال أهلها؛ واستواء أجسامهم، أما تراهم قد سلموا من شقرة الروم والصقالبة وسواد الحبشة، واحتراق الزنج وقطافة الترك وقصر الصين. قال الجاحظ: إقليم بابل موضع التميمة، وواسطة القلادة، ومكان السرة من الجسد، واللبة من المرأة، ومكان العذار من خد الفرس، والمحة من البيضة والغرة من القرطاس.

٨٤٦_(ظهر الأرض وبطنها): هما من الاستعارات المشهورة، قال ابن الرومي لأبي الصقر:

لاقيت أكرم من خب المطي به ومن مشى فوق ظهر الأرض مذ سطحا

وكتب الصاحب في وصف قتلى معركة: بطون الأرض أعمر م من ظهورها،وبطون السباع والطير أحصر من قبورها.

٨٤٧-(جدري الأرض): عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج على الصحابة رضوان الله عليهم وهم يذكرون الكمأة، وبعضهم يقول: هو جدري الأرض، فقال: **الكمأة من المن، وماؤها شفاء العين، والعجوة من الجنة، وهي شفاء من السم.**

٨٤٨-(بعل الأرض): هو المطر، قال ابن عباس رضي الله عنهما: المطر بعل الأرض، أي: يلقحها، قال ابن المعتز:

ومزنـــة مشـــعلة البـــارق تبكي على الأرض بكاء العاشق

تلقح بـالقطر بطـون الثـرى والقطر بعـل التربـة العـاتق

٨٤٩-(سنام الأرض): يستعار لما ارتفع منها، أنشدني أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني لأبي القاسم عبد الصمد بن بابك:

ألام وأتقـــى واـــع المـــلام بحلم شاب في بــردى غــلام

أجر على لسان الأرض ذيلــي وأعقــد بــردتي علــى شمــام

٨٥٠-(حية الأرض): العرب تقول للرجل المنيع الجانب: حية الأرض، كما تقول: حية الوادي، وقد تقدم ذكرها، قال ذو الإصبع العدواني:

عذير الحي مــن عــدوا ن كــانوا حيــة الأرض

الباب الرابع والأربعون
في الدور والأبنية والأمكنة

دار الندوة. دار سفيان. دار البطيخ. حصن تيماء. كعبة نجران. قصر غمدان. قبة أزدشير. إيوان كسرى. أهرام مصر. منارة الإسكندرية. كنيسة الرها. مسجد دمشق. غوطة دمشق. وادي القصر. دير هرقل. جانبا هرشى. قنطرة سنجة.

الاستشهاد

٨٥١-(دار الندوة): مشتقة من الندى والنادي وهو المجلس، يضرب ا المثل في انتياب الناس إياها واجتماعهم ا، وهي دار قصي بن كلاب بمكة، كانت توضع فيها الرفادة، ولا تزوج قرشية ولا قرشي إلا ا، ولا يعقد لواء الحرب إلا فيها. ثم تنقلت ا الأملاك بعده حتى صارت في يد أسد بن عبد العزى بن قصي وولده؛ وآخر من وليها منهم حكيم بن حزام، وكان ولد في الكعبة؛ وذلك أن أمه دخلت الكعبة مع نسوة من قريش وهي حامل به؛ فضر ا المخاض في الكعبة وأعجلها عن الخروج، فأتيت بنطع فوضع تحتها، فوضعت حكيما على النطع؛ ولم يكن يدخل دار الندوة أحد من قريش لمشورة حتى يبلغ أربعين سنة، إلا حكيم بن حزام فإنه دخلها وهو ابن خمس عشرة سنة. وجاء الإسلام ودار الندوة بيد حكيم، فباعها بعد من معاوية بمائة ألف درهم، فقال له عبد الله بن الزبير: بعت مكرمة قريش! فقال حكيم: ذهبت المكارم إلا من التقوى يا بن أخي، إني اشتريت ا بيتا في الجنة، أشهدك أني جعلت ثمنها في سبيل الله.

وكان حكيما أحد الأربعة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «**إن بمكة أربعة من قريش أرغب م عن الشرك، وأرغب لهم في الإسلام، قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: عتاب بن أسيد، وجبير بن مطعم، وحكيم بن حزام، وسهيل ابن عمرو، فرزقوا كلهم الإسلام**». وكان حكيم يفعل المعروف، ويصل الرحم، ويحض على البر؛ عاش في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام ستين سنة.

٨٥٢-(دار أبي سفيان): يضرب ا المثل في الأمن والأمان. وذلك أن

النبيﷺ لما فتح مكة ودخل دار أبي سفيان أحب أن يتألف أبا سفيان ويريه كرم القدرة فقال:«**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن**»، فقال أبو سفيان: أداري يا رسول الله! أداري يا رسول الله! قال:«**نعم دارك يا أبا سفيان**». فاستمر الأمر على ذلك.

ولما فتح الأمير الجليل صاحب الجيش أبو المظفر نصر بن ناصر الدين-أدام الله تأييده- سرخس ودخلها قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن _ يعني دار أبي سفيان السرخسي القاضي- فاستحسن الناس هذه المقالة.

٨٥٣-(**دار البطيخ**): يباع فيها جميع الفواكه والرياحين، وتنسب إلى البطيخ وحده، وقد ضرب ا ابن لنكك مثلا فأحسن حيث قال يهجو أبا الهندام كلاب ابن حمزة الشاعر المقيم بديار ربيعة:

أنت ابن كل البرايا لكـن اقتصـروا ... على ابن حمزة وصفا غـير تشـميخ
كدار بطيخ تحوي كل فاكهـة ... وما اسمها الدهر إلا دار بطـيخ

قال الجاحظ في كتاب الأمصار: أكثر الدور غلة ثلاث: دار البطيخ بسر من رأى، ودار الزبير بالبصرة، ودار القطن ببغداد. وقال الصولي: كنت يوما عند عبد الله بن طاهر، فجرى بين يديه ذكر قصيدة ابن الرومي النونية التي في أبي الصقر، فقال عبد الله: هي دار البطيخ، فضحك الجماعة، فقال: اقرءوا نسيبها فانظروا أهي كما قلت أم لا! وقد ظرف عبيد الله فإن نسيبها قوله:

أجنت لك الوجد أغصان وكثبـان ... فهن نوعـان: تفـاح ورمـان
وفوق ذينك أعنـاب مهدلـة ... سود لهن من الظلمـاء ألـوان
وتحت هاتيك عناب تلوح بـه ... أطرافهن قلوب القـوم قنـوان
غصون بان عليها الدهر فاكهة ... وما الفواكه مما يحمـل البـان
ونرجس بات كسر الطـل يضـربه ... وأقحوان مـنير النـور ريـان
ألفن من كل شيء طيب حسن ... فهن فاكهـة شـتى وريحـان
ثمار صدق إذا عاينت ظاهرهـا ... لكنها حين تبلو الطعم خطـان
بل حلوة مرة طورا يقـال لهـا ... أرى وطورا يقول الناس ذيفان

وذكر أبو نصر سهل بن المرزبان في كتابه«كتاب أخبار الوزراء»: أن ابن الرومي عمل قصيدته في أبي الصقر التي أولها:

*** أجنت لك الوجد أغصان وكثبان***

فبلغت الأخفش، فقال: إذا يكون الوزير ملازما لدار البطيخ؛ فحكيت كلمته لابن الرومي، فهجاه بقصيدة، ثم عاود رعونته، فمزق عرضه بالهجاء في عدة قصائد.

٨٥٤-(حصن تيماء): بلدة بين الشام والحجاز، لها حصن يتمثل به في الحصانة؛ يقال إن سليمان عليه السلام بناه بالحجارة والكلس؛ فسمته العرب الأبلق لما يشوبه من البياض والسواد، وكان ملكه عاديا اليهودي ثم ابنه السموءل، وفيه يقول الأعشى:

ولا عاديا لم يمنع الموت ماله وفرد بتيماء اليهود أبلق
بناه سليمان بن داود حقبة له أزج صم وطيء موثق
يوازي كبيداء السماء ودونه ملاط ودارات وكلس وخندق

قوله: «**أزج صم**»، كما يقال: دار بلاقع، أي: مكبوسة الجوانب بالحجارة وغيرها حتى استوت بالسطوح، وإنما قال: أزج صم، كما يقال: دار بلاقع، وبرمة أعشار،وثوب أسمال.

ومن أمثال العرب في العز والمنعة: تمرد مارد وعز الأبلق- يعني حصن تيماء، ويقال له الأبلق والفرد، كما مر ذكره في شعر الأعشى.

٨٥٥-(كعبة نجران): نجران: أقدم بلاد اليمن، وكانت لها كعبة تحج فخربت وضرب ا المثل في الخراب وزوال الدولة، قال الجاحظ: قال أبو عبيدة: أحبت العرب أن تشارك العجم بالبنيان، وتنفرد بالشعر، فبنوا غمدان، وكعبة نجران، وحصن مارد، والأبلق الفرد، وغير ذلك من البنيان.

٨٥٦-(قصر غمدان): أحد الأبنية الوثيقة للعرب، يتمثل به في الحصانة والوثاقة، وكان بصنعاء اليمن تسكنه ملوك حمير، ثم تنقلت به أحوال أدت إلى خرابه، وتحول الملك عنه إلى قلعة كحلان، ويقال: إنه بني قبل غمدان، وأول بناء بني بعد الطوفان، قال الشاعر لعبد الله بن طاهر:

اشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا بشاذ مهر ودع غمدان لليمن
فأنت أولى بتاج الملك تلبسه من هوذة بن علي وابن ذي يزن

٨٥٧-(قبة أزدشير): بجوار فارس قبة عظيمة مشرفة على سائر البلاد يتمثل بها في العلو والإشراف والوثاقة، بناها أزدشير من الحجارة، وقدر فيها من الصخر ما تجاوز الحد في العد، وفي الصخر منها نحو ألفي من وأرجح.

ويحكى أن أزدشير بعث بعد الفراغ من بنائها من يأتيه بخبرها، فأخبره أن فيها صبيانا يتلاعبون ويتحاربون ويتضاربون، فتطير من ذلك، وقال: اجعلوها دار الاستخراج، فبقيت على ذلك إلى اليوم.

٨٥٨-(أهرام مصر): زعم أبو معشر المنجم البلخي أن الأوائل من الأمم السالفة قبل الطوفان لما علموا أن آفة سماوية تصيب الناس من الغرق والنيران فتأتي على كل شيء من الحيوان والنبات بنوا في ناحية صعيد مصر أهراما كثيرة بالحجارة على رءوس الجبال والمواضع المرتفعة، يتحرزون بها من الماء والنار، وجعلوا هرمين منها أرفعها، كل هرم منها ارتفاعه أربعمائة ذراع في الهواء، مبني بحجارة المرمر والرخام، غلظ كل حجر وطوله وعرضه ما بين عشرة أذرع إلى ثمان، مهندم لا يتبين هندامه إلا الحاد البصر، عليه منقور في الحجر بالكتابة المسند، يقرؤه كل من يقرأ القلم المسند فيقرأ كل سحر وكل عجب.

وقرئ على بعض الهرمين: إني بنيتهما فمن كان يدعي قوة في ملكه فليهدمهما، فإن الهدم أيسر من البناء. فأراد المأمون هدمها؛ فإذا خراج الدنيا لا يقوم به، فتركهما، ويروى أن الطعام كان يجمع فيهما أيام يوسف -عليه السلام-.

وقد خرج المثل في هرمي مصر في الثبات والقدم والحصانة. وذكرهما أعرابي مع جبلي طيئ، فقال وهو يهجو امرأته بالقبح والبرودة والثقل:

ألام على بغضي لما بين حية وضبع وتمساح أتاك من البحر
تحاكي نعيما زال من قبح وجهها وصفحتها لما بدت سطوة الدهر
هي الضربان في المفاصل دائبا وشعبة برسام ضممت إلى صدري

إذا سفرت كانت لعينك محنـة وإن برقت فالفقر في غاية الفقر
حديث كقلع الضرس أو نتف شارب وغنج كهشم الأنف عيل به صـبري
وتفتر عن ثلج عدمت حـديثها وعن جبلي طى وعن هرمي مصـر

٨٥٩-(منارة الإسكندرية): إحدى عجائب الدنيا، وأصلها مبني على زجاج، والزجاج منصوب في ظهر سرطان من نحاس في بطن أرض البحر، وبين المنارة إلى يابس الأرض قناطر من زجاج، وفي المنارة ثلاثمائة وخمسة وستون بيتا، وكان في أعلاها مرآة كبيرة ينظر الناظر فيها فيبصر مراكب الروم إذا أراد ملكهم أن يجهز جيشا فيها إلى مصر، فإذا دفعت تلك المراكب في البحر ورفع الشراع أبصرها هذا الناظر في المرآة فينذر المسلمين حتى يستعدوا ويأخذوا حذرهم، فاشتد ذلك على ملك الروم، فلما صار بعض الخلفاء إلى الإسكندرية وجه إليه ملك الروم جاسوسا يعلمه أن في تلك المنارة كنوزا لذي القرنين، فأمر بهدمها، فلما هدمت وقلعت المرآة بطل الطلسم ولم يجدوا الكنوز، فتقرر عندهم أنها حيلة لقلع المرآة، وطلب الجاسوس فلم يوجد، فأمر الخليفة ببناء ماهدم بالجص والآجر وهو ثلث المنارة، وكان طول هذه المنارة ثلاثمائة ذراع بذراع الملكي، فيكون أربعمائة وخمسين ذراعا، وهي غاية ما يرفع في الهواء من البناء.

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: عجائب الدنيا أربع: منارة الإسكندرية، عليها مرآة إذا جلس الجالس تحتها رأى من بالقسطنطينية وبينهما عرض البحر، وفرس من نحاس بأرض الأندلس عليه رجل من نحاس قائلا بيديه كذا، باسطا يديه- أي ليس خلفي مسلك- فلا يطأما خلفه أحد إلا ابتلعه الرمل، ومنارة من نحاس عليها فارس بأرض عاد، فإذا كانت الأشهر الحرم هطل منها الماء فشرب منه الناس وسقوا دوابهم وصبوا في الحياض، فإذا انقضت الأشهر الحرم انقطع ذلك الماء، وشجرة من نحاس عليها زرزورة من نحاس بأرض أرمينية رومية، إذا كان أوان الزيتون صفرت الزرزورة النحاس فتجيء كل زرزورة من الطيارات بثلاث زيتونات: ثنتان في رجليها وواحدة في منقارها، فتلقيها عند تلك الزرزورة فيجتمع من الزيتون ما يعصر أهل الروم فيكفيهم لإدامهم وسرجهم إلى قابل. ومن الشائع المستفيض أن عجائب الدنيا أربع: منارة الإسكندرة، وكنيسة الرها، ومسجد دمشق، وقنطرة سنجة، وقد ضرب الصاحب المثل بمنارة الإسكندرية حيث قال:

زادت قرونك يا عميـ ـر على مساويك الجليـة
وأقــل قــرن حزتــه كمنــارة الإســكندرية

٨٦٠-(كنيسة الرها): إحدى عجائب الدنيا الأربع، والرها بلد من عمل حران، والكنيسة منسوبة إليه، وهي في جريان من الأرض متخذة على رءوس أعمدة أربعة من الرخام، بطيقان معقودة بينها، وفيها من العجائب والتصاوير والتـزاويق والطلسمات والقناديل التي تتقد من غير اتقاد ما يطول ذكره، وقد تقدم كلام الجاحظ في تلك القناديل

٨٦١-(مسجد دمشق): هو أثر بني أمية المضروب به المثل في الحسن، وكان كل من خلفائهم يزيد فيه زيادة، ويؤثر أثرا حتى تناهى حسنه وتكاملت جلالته، فصار من عجائب أبنية الدنيا الأربع، وما رأى الراءون؛ ولا سمع السامعون بأحسن ولا أجل منه، وهو منقوش الحيطان والسقوف والأعمدة، مرصعة كلها بالجواهر، ملتهبة بالذهب، مشرقة بألوان الفصوص.

وقال الجاحظ وهو يمدح بعض الرؤساء: وأما قول الشاعر:

يزيدك وجهها حسـنا إذا مازدتــه نظــرا

وقول الدمشقيين: ما تأملنا قط تأليف مسجدنا وتركيب محرابنا وفيه مصلانا إلا أثار لنا التأمل، وأخرج لنا التفرس غرائب حسن لم نعرفها، وعجائب صنعة لم نقف عليها، وما ندري أجوهر مقطعاته أكرم في الجواهر، أم تنضيد أجزائه في الأجزاء؛ فإن ذلك معنى مسروق مني في وصفك ومأخوذ من كتبي في مدحك. وحكى السلامي قال: سمعت اللحام يقول: سمعت بعض مشايخ جيران مسجد دمشق يقول: لم تفتني فيه صلاة منذ علقت، ولم أدخله في وقت من الأوقات إلا وقعت عيني من نقوشه وتحاسينه وتزاويقه على شيء لم تقع عليه فيما تقدم. هذه جملة كافية.

٨٦٢-(قنطرة سنجة): سنجة: نـهـر عظيم لا يتهيأ خوضه، لأن قراره رمل سيال كلما وطئه إنسان برجله سال به فغرقه، وهو يجري بين حصن منصور وكيسوم -وهما من ديار مضر- وعلى النهر القنطرة العجيبة التي هي إحدى العجائب الأربع، وهو طاق واحد من الشط إلى الشط، والطاق يشتمل على مائتي

خطوة، وهو متخذ من حجر مهندم، طول الحجر عشرة أذرع في ارتفاع خمسة أذرع، وله فرجان، وهما طاقان صغيران في جنب الطاق الكبير إلا إ ما كبيران إذا أضيفا إلى غيره.

٨٦٣-(**غوطة دمشق):** إحدى نـزه الدنيا وهي الأربع: غوطة دمشق، و ر الأبلة وشعب بوان، وصغد سمرقند؛ يضرب بكل منها المثل في الطيب. وكان الخوارزمي يقول: قد رأيتها كلها، فكانت غوطة دمشق أطيبها وأحسنها، ولم أميز بين رياضها المزخرفة بالأنوار والأزاهر، وبين غدرا ا المعمورة بطيور الماء التي هي أحسن من الدوارج والطواويس، ولم أشبهها بالجنة وصور ا منقوشة على وجه الأرض! وأما ر الأبلة فهو بالبصرة، وحواليه من ميادين النخل والأترج والنارنج وسائر الأشجار، وفيها من أصناف الزرع وأنواع الخضراوات مالا أحسن ينظر منه وعليه من القصور المتناظرة، والأبنية الرائقة ما تحار فيه العيون، و ش له النفوس، وفيه يقول ابن عيينة:

ويا حبذا ـر الأبلـة منظـرا إذا مد في أثنائه الماء أو جـزر

وأما شعب بوان من فارس فهو الذي يقول فيه القائل:

إذا أشرف المكروب من رأس تلعة على شعب بوان أفاق من الكرب
وألهاه بطن كـالحريرة مسـه ومطرد يجري من البارق العذب
فبالله ياريح الجنـوب تحملـي إلى شعب بوان سلام فتى صب

وفيه يقول المتنبي:

مغاني الشعب طيبـا في المغـاني بمنـزلة الربيع مـن الزمـان

ولما نـزله عضد الدولة متوجها إلى العراق ومعه أبوالحسن السلامي: قال له: قل في الشعب فقد سمعت ما قاله المتنبي فيه، فعاد إلى خيمته وكتب:

اشرب على الشعب وانـزل روضه الأنفا قد زاد في حسنه فازدد بـه شـغفا
إذ ألبس الهيـف مـن أغصـانه حلـلا ولقن العجم من أطيـاره نتفـا
وأنظـر إليـه تـر الأغصـان مثمـرة من قارع قرطا أو لابـس شـنفا
والمـاء يـمشي علـى أعطافهـا أزرا والريح تعقد في أطرافـه شـرفا

وهي قصيدة طويلة.

وأما صغد سمرقند، فإن قتيبة بن مسلم لما أشرف من الجبل قال لأصحابه: شبهوة، فلم يأتوا بشيء، فقال قتيبة: كأنه السماء في الخضرة، وكأن قصوره النجوم الزاهرة، وكأن أ اره الرة؛ فاستحسنوا هذا التشبيه وتعجبوا من إصابته.

٨٦٤-(وادي القصر): بالبصرة وهو الذي يقول فيه الخليل:

زر وادي القصر نعم القصر والوادي ... **في منـزل حاضر إن شئت أوغادي**

ترى به السفن والظلمان حاضـرة ... **والضب والنون والملاح والحـادي**

قال الجاحظ: من أتى هذا الوادي ورأى القصر هذا رأى أرضا كالكافور، ورأى ضبابا تحترش وغزالا وسمكا وصيادا، وسمع غناء ملاح في سفينته، وحداء جمال خلف بعيره، وفي هذا المكان يقول الخليل أيضا:

يا جنة فاقـت الجنـان فمـا ... **يبلغهــا قيمــة ولا ثمــن**

ألفتــها فاتخــذ ا وطنــا ... **إن فــؤادي لحبــها وطــن**

زواج حيتا ـا الضـباب ـا ... **فهــذه كنــة وذا خــتن**

انظر وفكر فيما نطقـت بـه ... **إن الأديــب المفكــر الفطــن**

من سـفن كالنعـام مقبلـة ... **ومــن نعــام كأ ــا ســفن**

٨٦٥-(دير هزقل): يضرب به المثل لتمع الانين، ويقال للمجنون: كأنه من دير هزقل، وذلك أنه مأوى الانين بإحدى الديارات يشدون هناك ويداوون.

قال دعبل في أبي عباد- وكان رمى بعض كتابه بدواة فشجه ا:

أولى الأمور بضـيعة وفسـاد ... **أمــر يــدبره أبــو عبــاد**

سمح علـى أصـحابه بدواتـه ... **فمزمــل ومضــمخ بمــداد**

وكأنه من دير هزقـل مفلـت ... **حرد يجـر سلاسـل الأقيـاد**

وقيل للمأمون: إن دعبلا هجاك، فقال: من هجا أبا عبادة على نـزقه وعجلته جسر أن يهجوني مع أناتي وعفوي! وكان أبو عباد إذا دخل على المأمون

يقول له المأمون: ما أراد منك دعبل حيث قال لك:

*** وكأنه من دير هزقل مفلت ***

فيقول: أراد مني الذي أراده من أمير المؤمنين حيث قال فيه:

إني من القوم الـذين سـيوفهم قتلت أخاك وشـرفتك بمقعـد

شادوا بذكرك بعد طول خموله واستنقذوك من الحضيض الأوهـد

فقال له المأمون: إني عفوت عنه، فلا تعرض له، ولك في أسوة حسنة. وكان المأمون إذا أنشد هذا الشعر يقول فيه: سبحان الله! أما يستحي دعبل من الكذب! متى كنت خاملا، وبدر الخلافة غذيت، وفي حجرها ربيت! خليفة وابن خليفة وآخر خليفة.

٨٦٦-(جانبا هرشى): هرشى أكمة بتهامة يسلكها الحاج، ولها طريقان من جانبيها؛ أيهما سلك كان صوابا، فيضرب بها المثل للأمر له بابان، وينشد:

خذوا جنب هرشى أوقفاها فإنما كلا جانبي هرشى لهن طريـق

الباب الخامس والأربعون
فيما يضاف وينسب
إلى البلدان والأماكن من فنون شتى

خراج مصر. كتان مصر. حمير مصر. قراطيس مصر. تفاح الشام. زجاج الشام. زيت الشام. عود الهند. سيوف الهند. ياقوت سرنديب. برود اليمن. سيوف اليمن. ثياب الروم. عنبر الشحر. دجاج كسكر. سكر الأهواز. ورد جور. عسل أصفهان. بسط أرمينية. برود الري. طين نيسابور. سبج طوس. قشمش هراة. ثياب مرو. فلوس بخارى. كواغد سمرقند. طرائف الصين. مسك تبت.

الاستشهاد

٨٦٧-(خراج مصر): يضرب به المثل في الكثرة، قال أبو الخطاب: إن أرض مصر جبيت في بعض الأزمان أربعة آلاف ألف دينار. وزعم غيره أ ا جبيت ألف دينار، سوى ما دفعت عليه من الخيل والدواب ودق الطرز.

٨٦٨-(كتان مصر): قال الجاحظ: قد علم الناس أن القطن بخراسان والكتان بمصر، ثم للناس من ذلك في تفاريق البلدان مالا يبلغ بعض بلاد هذين الموضعين. وربما بلغت قيمة الحمل من دق مصر الذي هو من الكتان لا غير مائة ألف دينار.

٨٦٩-(قراطيس مصر): قال بعض الشعراء:

حملت إليـك عـروس الثنـاء على هودج مالـه مـن بعـير

على هودج من قراطيس مصر يلين على الطي لـين الحريـر

٨٧٠-(حمير مصر): موصوفة بحسن المنظر وكرم المخبر، وكذلك أفراسها، إلا أن بعض البلاد يشارك مصر في عتق الأفراس، وكرمها. وتختص مصر بالحمير التي لا تخرج البلدان أمثالها. وقد تقدم في نفائس الدواب حمير مصر، وبغال برذعة، وبراذين طبرستان. وكان الخلفاء لا يركبون إلا حمير مصر في دورهم وبساتينهم، وكان المتوكل يصعد منارة سر من رأى على حمار مريسي، ودرج تلك المنارة من خارج وأساسها على جريب من الأرض، وطولها تسع وتسعون ذراعا. ومريس:

قرية بمصر إليها ينسب بشر المريسي.

٨٧١-(تفاح الشام): يضرب به المثل في الحسن والطيب، قال الشاعر:

تفاحـــة شـــامية   من كف ظبي غـزل
ما خلقت مذ خلقت   لغـير تلـك القبـل
كأنمـــا حمر ـــا   حمـرة خـد خجـل

وقال الصنوبري:

أرى الشام جاد بتفاحـه   لنا والعراق بأترجـه

وكان المأمون يقول: اجتمعت في التفاح الحمرة الخمرية، والصفرة الوردية مع شعاع الذهب، وبياض الفضة، يلتذه من الحواس ثلاث: العين للونه، والأنف لعرفه، والفم لطعمه.وكان يحمل إلى الخلفاء من خراج حمص ودمشق كل سنة أربعمائة وعشرون ألف دينار، ومن خراج أجناد الشام ثلاثون ألف تفاحة.

٨٧٢-(زجاج الشام): يضرب به المثل في الرقة والصفاء، قال بعض الحكماء: ارفق بالعدو كما يرفق بزجاج الشام، إلى أن تجد الفرصة، فإما أن يضربه الحجر فيقصه وإما أن تضربه بالحجر فترضه.

٨٧٣-(زيت الشام): يضرب به المثل في الجودة والنظافة، وإنما قيل له الزيت الركابي لأنه كان يحمل على الإبل من الشام، وهي أكثر بلاد الله زيتونا، وفيه ما فيه من البركة والمنفعة، قال الأصمعي: حدثني شيخان من أهل البصرة؛ أحدهما هارون الأعور، أن قتيبة بن مسلم قال: أرسلني أبي إلى هزار بن القعقاع بن سعيد بن زرارة، وقال: قل له: أرسلني إليك أبي في أنه قد صارت في قومك دماء وجراح، وأحبوا أن تحضر الجامع فيمن يحضر. قال: فأبلغته الرسالة، فقال: يا جارية غدينا. فجاءت بأرغفة خشن فثردهن في تمر مرسوس وماء، ثم صب عليها زيتا، وعرض على الغداء معه، فتذكرت مافي منـزلي مما أعد لنا من الدجاج، فقلت: مالي حاجة ذا، وصغر في عيني، وأنا يومئذ حدث، قال: فأكل ثم قال: ياجارية اسقيني، فجاءت بماء فشرب ومسح بفضله وجهه، ثم قال: الحمد لله حنطة الأهواز، وماء الفرات وزيت هجر، وتمر الشام، ومتى نؤدي شكر هذه النعمة! ثم قال: علي بردائي فارتدى وانتعل، ثم

أتى المسجد فصلى ركعتين، ثم احتبى، فما بقيت حلقة إلا تقوضت إليه، واختصموا فتحمل جميع ما كان عليهم وانصرف، وتفرق الناس.

٨٧٤-(عود الهند): يضرب مثلا في أمهات الطيب، قال ابن مطران يستهدي الند:

يا أكرم الأكرمين سـيره نعـم وأزكـاهم سـريره

ومـن مماتـه العـوالي أضحت عيون العلا قريره

لتـرمني راحتـاك شـهبا مضـلعات ومسـتديره

بـلاد مجموعهـا ثـلاث الهند والتـرك والجزيـره

يعني عود الهند، ومسك التبت، وعنبر الشحر.

ووصف واصف الهند فقال: بحرها در، وجبلها ياقوت، وشجرها عود، وورقها عطر. وفي كتاب العطر: خير العود الهندي المندلي، وكلما كان أصلب فهو أجود، وامتحان جودته إذا كانت فيه رطوبة بأن يوضع عليه نقش الخاتم فينطبع، وإذا كان يابسا فالنار تفصح عنه. ومن خصائصه ثبات رائحته في الثوب أسبوعا وأكثر، والثوب لا يقمل ما دامت فيه رائحة منه. ولبلاد الهند من الخصائص مالم يكن لغيرها، فمنها الفيل، والكركدن، والببر، والببغاء والطاوس، والدجاج الهندي، والياقوت الأحمر، والصندل الأبيض، والعاج والساج، والتوتيا، والقرنفل، والسنبل، والفلفل، وغيرها من العقاقير.

٨٧٥-(سيوف الهند): يضرب ا المثل في الجودة والصفاء، يقال: إن السيف إذا كان من صنع الهند ومن طبع اليمن فناهيك به! وقد أكثر الشعراء من ذكر سيوف الهند، قال الفرزدق:

كذلك سيوف الهند تنبو ظبا ا ويقطعن أحيانا مناط القلائـد

وقال الصاحب من أرجوزة:

أجفان هند كسيوف الهند

وقال أبو محمد الخازن من نتفه ولطائف ظرفه:

هند تـرى بسـيوف مقلتـها مالا تـرى بسـيوفها الهنـد

٨٧٦-(يافوت سرنديب): زعم الجوهريون أن الياقوت لا يكون إلا من جبل سرنديب بالهند، وخيره الأحمر البهرماني، ثم الوردي، ثم الرماني، وإذا بلغ البهرماني، نصف مثقال كانت قيمته خمسة آلاف دينار، وكان وزن الفص الذي يسمى الجبل مثقالين، قوم بمائة ألف دينار؛ فاشتراه المنصور بأربعين ألفا.

وسأل المقتدر ابن الجصاص فقال: بم تعرف فضل الياقوت؟ قال يا أمير المؤمنين، بحسنه وصفائه في العين، ورزانته في اليد، وبرودته في الفم، وصبره على النار، ونبو المبرد عنه؛ فاستحسن ذلك من قوله.

٨٧٧-(برود اليمن): يقال له: وشي اليمن، وعصب اليمن. ويضرب ا المثل في الحسن ، وتشبه ا الرياض والألفاظ، كما قال البحتري:

جئناك نحمـل ألفاظـا مدبجـة   كأنما وشيها من يمنـة الـيمن

ويقال في نفائس الملابس: برود اليمن، وريط الشام، وأردية مصر وأكسية الدامغان، وتكك أرمينية، وجوارب قزوين.

٨٧٨-(سيوف اليمن): يضرب ا المثل، كما يضرب بسيوف الهند، ونصل الردين، ورماح الخط، ونبال الترك، قال الشاعر:

مقاديم جوالون في الروع خطـوهم   بكل رقيـق الشـفرتين يمـآن

وقال آخر:

ذكر على ذكر يصول بصـارم   ذكـر يمـان في يمـين يمـان

ولو لم يكن في سيوف اليمن إلا صمصامة عمرو السائر ذكرها الموصوف فضلها، لكفى ا وجها لضرب المثل، وسيمر ذكرها في باب السلاح. ومن خصائص اليمن الزرافة، كما أن من خصائص الهند الكركدن. وكان الأصمعي يقول: أربعة قد ملأت الدنيا ولا تكون إلا باليمن: الورس والكندر والخطي، والعقيق.

٨٧٩-(ثياب الروم): هي الديباج، يضرب بحسنها المثل، ويشبه ا ما يستحسن من آثار الربيع، قال الشاعر:

هـذا الربيـع كأنمـا أنـواره   أبناء فارس في ثيـاب الـروم

وأظنه قال: «في بنات الروم»، ليجمع بين البنين والبنات، فيكون أحسن في صنعة الشعر، وإن كان لثياب الروم وجه من التشبيه حسن. ومن خصائص الروم المذكورة مع ديباجها: المصطكي، والسقمونيا، والطين المختوم، والسندس الذي يقال له البزيون.

٨٨٠-(عنبر الشحر): يضرب به المثل، قال الشاعر:

ولو كنت عطرا كنت من عنبر الشحر

قال صاحب كتاب المسالك والممالك: الشحر جزيرة من عمان على مائتي فرسخ، ويقال: إن العنبر من زبد بحر سرنديب، ويقال: بل من معدن ا. ومن الناس من يزعم أنه روث دابة في بحر الهند.

قالوا: وخيره الأشهب، ثم الأزرق، وأدونه الأسود. وكان يحمل من مكة والمدينة والحجاز كل عام إلى السلطان من العنبر ثمانون رطلا، ومن المتاع أربعة آلاف ثوب، ومن الزبيب ثلاثمائة راحلة.

٨٨١-(دجاج كسكر): كسكر إحدى كور السواد من ريف دجلة والفرات، ودجاجها موصوف بالجودة والسمن، مذكور في أطايب الأطعمة، وربما بلغت الواحدة منها وزن الجدي والحمل، قال الشاعر يصف أطعمة عنده لمن يدعوه:

لنــا سمــك بكســبرة مشــبر وعند غلامنــا حــب مبــزر

وفروجان قــد رعيــا زمانــا لباب البر في أبيــات كســكر

قال الجاحظ: ومما ينسب إلى كسكر الجداء والسمك والصحناة.

٨٨٢-(سكر الأهواز): السكر من خواص الأهواز ومفاخرها ومتاجرها، ولا يكون إلا ا على كثرة قصب السكر في سائر النواحي، والمثل مضروب بسكر الأهواز، كما قال أبو الطيب المتنبي:

تقضم الجمر والحديد الأعادي دونه قضــم ســكر الأهــواز

وكان يحمل إلى السلطان كل عام مع خراج الأهواز، وهو خمسة وعشرون ألف درهم من السكر ثلاثون ألف رطل. ومما ينسب إلى الأهواز من النفائس ديباج تستر وخز السوس، قال كشاجم وهو يصف الروض:

كـأن الـذي دبجـت تسـتر وطرزت السوس فيـه نشـر

وحكى أبو النصر العتبي في فصوله القصار: لهم في وخز النفوس، أثر السوس، في خز السوس. وقال بعض العصريين:

ومهفهف فـتن الإلـه عبـاده إذ ساق حسن العـالمين إليـه

وكأن بابل أصبحت في جفنـه وكأنمـا الأهـواز في شـفتيه

٨٨٣-(ورد جور): جور من كور فارس، مخصوصة بالورد الذي لا أطيب منه في سائر البلاد، يضرب به المثل، وتقدم مع بنفسج الكوفة، ومنثور بغداد، وزعفران قم، ونيلوفر السيروان، ونارنج الصيمرة، وأترج طبرستان، ونرجس جرجان، وماء ورد جور موصوف مضروب به المثل في الطيب، مجلوب إلى أقاصي المشرق والمغرب، وقد أكثروا من ذكره، قال أحدهم في وصف قوارير منه:

ومخطفات كالعـذارى الحـور مشمرات القمـص كـالمنثور

كـل فتـاة نشـأت بجـور تختـال في دواجهـا القصـير

حاسـرة عـن أرج العـبير مثل نسـيم لزهـر الممطـور

*** أشهى من الوصل إلى المهجور ***

وكان يحمل من فارس إلى الخلفاء كل عام من خراجها - وهو سبعة وعشرون ألف ألف قارورة، ومن الزبيب الأسود عشرون ألف رطل، ومن الأنبجات خمسة عشر ألف رطل، ومن الرمان والسفرجل مائة وخمسون ألفا عددا، ومن التين السيرافي خمسون ألف رطل، ومن الجلنجبين ألف رطل، ومن الموميا رطل واحد.

٨٨٤-(كحل أصفهان): يوصف بالجودة مع عسل الموصل. وكان يحمل من أصفهان إلى حضرة السلطان كل سنة مع خراجها، وهو أحد وعشرون ألف ألف درهم، ومن العسل عشرون ألف رطل، ومن الشمع عشرون ألف رطل، ومن الموصل مع خراجها وهو أربعة وعشرون ألف ألف درهم، ومن العسل عشرون ألف رطل. ويحكى أن الحجاج قال لعامله على أصبهان: قد وليتك بلدة حجرها الكحل،

وذُباً ا النحل، وحشيشها الزعفران، وذلك أن كحلها موصوف بالجودة، والزعفران ا كثير، وكذلك النحل. وقرأت في رسالة لعلي بن حمزة بن عمارة الأصفهاني إلى أبي الحسن بن طباطبا في وصف النحل والشهد: أفضل الأعسال كلها عسل أصفهان وخيره ما إذا قطر على الأرض منه استدار كالزئبق ولم يختلط بالأرض.

٨٨٥-(بسط أرمينية): يذكر في الفرش الفاخرة مع زلالي قاليقلا، ومطارح ميسان وحصر بغداد، وستور نصيبين. وكان يحمل إلى حضرة السلطان مع خراج أرمينية كل عام منه بقدر ثلاثة عشر ألف الف درهم، ومن البسط المحفورة ثلاثون بساطا، ومن الرقم خمسمائة وثمانون قطعة، ومن البزاة ثلاثون بازيا.

٨٨٦-(برود الري): برود الري موصوفة كبرود اليمن، ويقال لها العدنيات، تشبيها لها ببرود عدن من اليمن، قال المرادي يصف شاهينا:

وتخالــه لمــا تــنفض بالنــدى ... نثر الجمان فويــق بــرد رازي

وقال الهرثمي:

هب الــبرد بــالري لم **ينســج ... وفي ســـقط البـــز** لم **يـــدرج**

رسولك ذاك الــذي قــال لي ... **تجيء مع الفجــر** لم **لا تجــي!**

ومن خصائص الري الثياب الحسنة، والمفاريض الرشيقة، والأمشاط الفائقة، والرمان المعروف بالهرج، والمعروف بالإمليسي. وكان يحمل إلى السلطان مع خراج الري، وهو اثنا عشر ألف درهم، ومن الرمان مائة ألف، ومن الخوخ المقدد ألف رطل.

٨٨٧_(طين نيسابور): هو طين الأكل الذي لا يوجد مثله في الأرض، يحمل إلى أدنى البلاد وأقاصيها، ويتحف به الملوك السادة. وربما بيع الرطل منه بدينار. وقد قصر محمد بن زكريا قوله على ذكر منافعه إذ صنف فيه كتابا، وفي وصفه يقول أبو طالب المأموني:

جدلي من النقل بــذاك الــذي ... منــه خلقنــا وإليــه نصــير

ذاك الذي يحســب في شــكله ... أحجار كــافور عليهــا عــبير

وكان عمر بن الليث يقول في ذكر نيسابور ومناقبها وخصائصها: لم لا أقاتل

عن بلدة ترا ا نقل، وحجرها فيروزج! وذلك أن الفيروزج لايكون إلا ا، وربما بلغت قيمة منه إذا أربى على مثقال وجمع الخضرة وصبر على النار، وامتنع على المبرد، ولم يتغير بالماء الحار مائتي دينار. ومن محاسنه ما في اسمه من الفأل الحسن، وحسن موقعه عند الملوك لما يجمع من حسن المنظر وجيد الفأل. ويقال: إن له خاصية قوية في تقوية القلب، وفيه يقول بعض العصريين:

يامن بطلعتـه الهـلال ا ـلا ... ورآه من جحد الإلـه فهلـلا

وافاك بالنيروز طـرف مسـرة ... فاركبه هملاجا أغـر محجـلا

نحو المنى وأعر لحاظـك كلمـا ... يحوي محلا في الصدور مـبجلا

فيروزجـــا أهديتـــه متبركـــا ... لك باسمـه متيمنـا متفـائلا

ولرب فص قد أتـى متـدللا ... فإذا وعى الألفاظ منـه تـذللا

وفيروزج نيسابور يعد في نفائس الجواهر مع ياقوت سرنديب، ولؤلؤ عمان، ولعل بذخشان، وزبرجد مصر، وعقيق اليمن، وبجادي بلخ. ومن خصائص نيسابور الثياب الحفية والتاختج والراختخ والمصمت؛ فأما الحلل والعتابيات والسقلاطونيات فإن بغداد وأصبهان تشاركت فيها، والسابري وهو الرقيق الناعم من كل ثوب، والأصل فيه النسبة إلى نيسابور، وعرب فقيل: سابري.

٨٨٨-(سبج طوس): السبج لا يكون إلا بطوس، ومنها يحمل إلى الآفاق، فهو من خصائص طوس؛ كما أن من خصائصها هذا الحجر الذي تتخذ منه القدور والمقالي والـامر؛ وقد يتخذ منه كل ما يتخذ من الزجاج، كالأقداح والكيزان وغيرها. وكثيرا ما يقول السيد أبو جعفر الموسوي الطوسي: قد ألان الله لنا الحجارة، كما ألان لداود -عليه السلام- الحديد.

٨٨٩-(قشمش هراة): القشمش من خصائص هراة، وكذا الزبيب المعروف بالطائفي، يحملان منها إلى الأداني والأقاصي، ويتخذ من القشمش الشراب والدبس؛ وقد يعد من طرائف ثمرات البلاد قشمش هراة، وتين حلوان، وعناب جرجان، وإجاص بست، ورمان الري، وتفاح قومس، وسفرجل نيسابور، ورطب بغداد وأنشدني المأموني لنفسه في وصف القشمش:

وفشــمش كخــرز مــنظم لم يثقــب
يجلى بــه الكــأس لهــا بينــهما مــن نســب
يحظى به الشارب في النــادي ومن لم يشــرب
كأنـــه أوعيـــة يحملــن ذوب العنــب
أو لؤلؤ قد عــل أعــلاه بمــاء الــذهب
خصت به هراة فاخــتصت بأعلى الرتــب

وأنشدني أيضا في الزبيب الطائفي:

وطــائفي مــن الزبيــب بــه ينتقل الشــرب حــين ينتقــل
كأنـــه في الإنـــاء أوعيـــة من البجــادي ملئهــا عســل

ومن خصائص هراة الحواصل التي هي أجود من المصرية، والآبسكونية. ومما يحمل منها إلى الآفاق الكرابيس والمبارم والديابيج وطرائف الصفريات.

٨٩٠-(**ثياب مرو**): كانت العرب تسمي كل ثوب صفيق يحمل من خراسان: المروي، وكل ثوب رقيق يجلب منها الشاهجاني، لأن مرو عندهم أم خراسان. ويقال لها مرو الشاهجان، وقد بقي إلى الآن اسم الشاهجان على الثياب الرقيقة. ومما تختص به مرو من الثياب الملحم.

وقال لي أبو الفتح البستي يوما: هل تعرف بلدة أول اسمها ميم، يحمل منها برسم العراضة أربعة أسماء أول كل اسم منها ميم؟ فقلت: أما على البديهة فلا، ولعلي أتذكرها مع الروية، فقال: هي مرو، ويحمل منها الملحم والملبن والمري والمكانس.

٨٩١-(**فلوس بخارى**): أهل بخارى يضربون المثل في المحقرات بالفلوس، وقد ضر ا بشار بن برد مثلا في قوله:

ارفق بعمرو إذا حركت نسبته فإنــه عــربي مــن قــوارير
إن جاز آباؤه الأنذال من مضر جازت فلوس بخارى في الدنانير

٨٩٢-(كواغد سمرقند): هي من خصائصها التي عطلت قراطيس مصر، والجلود التي كان الأوائل يكتبون فيها، إلا إ ا أنعم وأحسن وأرفق، ولا تكون إلا بسمرقند والصين.

وذكر صاحب المسالك والممالك أنه وقع من الصين إلى سمر قند في سبي سباهم زياد بن صالح في وقعة أطلح من اتخذ الكواغيد، ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت متجرا لأهل سمرقند، فعم خبرها، والارتفاق ا جميع البلدان في الآفاق.

ومن خصائص سمر قند النوشادر والثياب الوذارية. ومن خصائص الصغد الحجر الرهجي، والملح الكشي، وهو جوهر يقطع من الغيران في الجبال يكون أحمر، فإذا دق صار أشد بياضا وأصلح من كل ملح.

٨٩٣-(طرائف الصين): كانت العرب تقول لكل طرفة من الأواني وما أشبهها صينية، وقد بقي هذا الاسم إلى الآن على هذه الصواني المعروفة. وأهل الصين مختصون بصناعة اليد، والحذق في عمل الطرف، يقولون: أهل الدنيا ما عدانا عمي، إلا أهل بابل فإ م عور. ولهم الإغراب في خرط التماثيل، والإبداع في عمل النقوش والتصاوير، حتى إن مصورهم يصور الإنسان ولا يغادر منه شيئا، ثم لا يرضى بذلك حتى يصوره ضاحكا أو باكيا، ثم لا يرضى بذلك حتى يفصل بين ضحك الشامت وضحك الخجل وبين المبتسم والمستغرب وبين ضحك المسرور وضحك الهازئ، فيركب صورة في صورة. ولهم الغضائر المستشفة يطبخ فيها الطبيخ فتكون الواحدة قدرا مرة، وقصعة أخرى، وخيرها المشمشي اللون، والرقيق الصافي الشديد الطنين، ثم الزبدى على هذا الوصف. ولهم الفرند الفائق، والحديد المدفون الذي تخفى فيه الصور وتظهر، ويقال له: الكيمخاو، وهو في شعر لابن الرومي. ولهم المماطر المشمعة التي لاتبتل على الأمطار الكثيرة، ولهم مناديل الغمر التي إذا اتسخت ألقيت في النار فنقيت ولم يحترق منها شيء. ولهم الحديد المصنوع يعمل منه المرائي والتعاويذ. وربما اشتري بأضعاف وزنه فضة، ولهم السنجاب الفارماني الذي هو من أنفس الأوبار، ولهم اللبود التي تفضل على اللبود المغربية.

وذكر الجاحظ في كتاب التبصر بالتجارة أن خير اللبود الصينية، ثم المغربية

الحمر، ثم الطالقانية البيض. وذكر غيره أن أجود الصوف صوف مصر، ثم أرمينية، ثم تكريت، ثم رويان.

٨٩٤-(مسك تبت): تبت مخصوصة من بين بلاد الترك بالمسك الأصهب المضروب به المثل في الطيب والجودة، كما أن خرخير منها مخصوصة بالسنجاب الفاخر، وكيماك بالسمور الفائق. وبلاد الترك توازي بلاد الهند في كثرة الخصائص، كالمسك والسمور والسنجاب والقاقم والفنك والثعالب السود، والأرانب البيض والختو واليشم والخدنك والبزاة البيض والخيل والرقيق، والخشقاء الذي تتخذ من ذنبه وعرفه المذاب ورءوس المطارد ولبسط الكلام في كل منها، وخصائص البلدان، وتفصيل معاد ا وتركيب أماكنها وتلخيص أحوالها مكان من كتاب «خصائص البلدان» المستفتح أيضا باسم الأمير السيد أدام الله تأييده، فأما هذا الكتاب فلا يتسع لأكثر مما أوردته، وهو يسير من كثير، وغيض من فيض.

الباب السادس والأربعون

فيما يضاف إلى البلدان وينسب إليها من الأعراض

طاعة أهل الشام. طواعين الشام. طرب الزنج. ظرف الحجاز. نعمة المدينة. حمى خيبر. حمى الأهواز. دماميل الجزيرة. طحال البحرين. لواط خراسان. حساب الهند.هواء جرجان. برد همذان.

الاستشهاد

٨٩٥-(طاعة أهل الشام): أهل الشام مخصوصون بطاعة السلطان من بين جميع البلدان، و م يضرب المثل في الطاعة والمتابعة، وإنما وريت زناد معاوية م، وكثيرا ما كان يقول: أعنت على علي بأربع: كنت رجلا كتوما، وكان ظهرة، وكنت في أطوع جند وأصلحه- يعني أهل الشام- وكان في أعصى جند وأخسه- يعني أهل العراق- وتركته وأصحاب الجمل وقلت: إن ظفروا به كفيته، وإن ظفر م اعتددت ا عليه في ذنوبه، وكنت أشد تألفا لقريش، وأكثر تحننا منه عليها، فيالك من جامع إلي ومفرق عنه، ومن عون لي وعون عليها! وذكر عبد الملك بن مروان روح بن زنباع فمدحه وقال: لقد جمع أبو زرعة فقه الحجاز، ودهاء العراق، وطاعة الشام.

٨٩٦-(طواعين الشام): ذكر أبو الحسن المدائني عن أشياخه، عن الحجاج، أنه كان يقول: لما نـزلت الأشياء منازلها قالت الطاعة: أنا أنـزل الشام، فقال الطاعون: وأنا معك، وقال الخصب: أنا أنـزل العراق فقال النفاق: وأنا معك، وقالت الصحة: أنا أنـزل البادية، فقال الشقاق: وأنا أنـزل معك؛ ولم تزل الشام كثيرة الطواعين حتى صارت تواريخ، وكانت تظهر بالشام ثم تمتد على العراق، وأول طاعون وقع في الشام في الإسلام طاعون عمواس، وذلك في زمن عمر بن الخطاب، وفيه مات معاذ بن جبل وأبو عبيدة بن الجراح -رضي الله عنهما-. ثم الجارف، ثم طاعون العذارى، ثم طاعون الأشراف؛ ولم يقع بالمدينة ولا مكة قط. ولما ولي بنو العباس انقطع الطاعون إلى أيام المقتدر كما تقدم ذكره عند ذكر رماح الجن. وقال بعض بني المغيرة فيمن مات منهم في طواعين الشام

أيام ذلك:

من ينـزل الشام ويعرس بـه **فالشـام إن لم يفننـا كـارب**
أفـنى بـني ريطـة فرسـا م **عشرين لم يقصص لهم شـارب**
ومن بـني أعمـامهم مثلـهم **لمثل هـذا يعجـب العاجـب**
طعـن وطـاعون منايـاهم **ذلك ما خـط لنـا الكاتـب**

ولما قدم عبد الله بن حسن على عمر بن عبد العزيز كره مكانه بالشام وعرف سنه وسمته وعقله ولسانه وفضله، فلم يكن شيء أحب إليه من ألا يراه أحد من أهل الشام، فقال: إني أخاف عليك طواعين الشام، وإنك لم تغنم أهلك خيرا منك، فالحق م فإن حوائجك ستتبعك. فكان ظاهر كلامه حسنا مذكورا وباطنه أجود التدبير في تسريحه سراحا جميلا.

٨٩٧-(طرب الزنج): هم مخصصون من بين الأمم بشدة الطرب وحب الملاهي والأغاني، وإيثار الخلاعة والتصابي، والمثل سائر بإطرائهم لا سيما إذا دب الشراب فيهم، وانضاف حره إلى حر أمزجتهم المكتسبة من حرارة أهويتهم. ووصف بعض البلغاء رجلا بالطرب، فقال: والله إنه لأطرب من زنجي عاشق سكران. وقال أبو الشمقمق:

وليس على باب ابن إدريس حاجب **وليس على باب ابن إدريس من قفل**
طربـت إلى معروفـه فطلبتـه **كما طربت زنج الحجاز إلى الطبـل**

ويحكى من طيب عرسهم وبلوغهم فيه كل مبلغ؛ من الأخذ بأطراف القصف والعزف، وإثارة الرهج في اللعب والرقص، ما تمثل به ابن طباطبا يصف ليلة ممتعة:

وليلـة أطـربني جنحهـا **فخلـتني في عـرس الـزنج**
كأنما الجوزاء جـنح الـدجى **طبالـة تضـرب بالصـنج**
قائمة قـد حـررت قصـفها **مائلـة الـرأس مـن الغـنج**

٨٩٨-(ظرف الحجاز): المثل جار بذلك على الألسنة، قال الشاعر:

شادن لم يـر العـراق وفيـه **مع ظرف الحجاز شكل العراق**

٨٩٩-(نعمة المدينة): قال الجاحظ: سميت المدينة طيبة لطيبها ولطيبها تنفي خبثها و يتضوع طيبها في ريح ثراها، وعرف ترا ا، ونسيم هوائها، والفغمة التي توجد في سككها وحيطا ا دليل على أ ا جعلت آية حين جعلت حرما، و ا للعطر والبخور والنضوح من الرائحة الطيبة أضعاف ما توجد روائحه في سائر البلدان، إذ كان العطر فيها أفخر وأثمن. وما رأيت بلدة يستحيل فيها العطر ويفسد وتذهب رائحته كقصبة الأهواز وأنطاكية، وإن الجويرية السوداء بالمدينة تجعل في رأسها شيئا من بلح وشيئا من نضوح مما لا قيمة له لهوانه على أهله، فتجد لذلك طيب رائحة لا يعدلها بيت عروس من ذوي الأقدار، حتى إن النوى المنقع الذي يكون عند أهل العراق في غاية النتن إذا طال إنقاعه يكون عندهم في غاية الطيب.

٩٠٠-(حمى خيبر): يضرب ا المثل، لأن خيبر مخصوصة بالحمى والوباء، قال أوس بن حجر:

كـأن بـه إذ جئتـه خيبريـة ... يعود عليـه وردهـا وملالهـا

وقال أعرابي كثرت عياله وقل ماله: ما أراني إلا سأنتجع خيبر عسى أن يخف عني ثقل هؤلاء. فارتحل إلى خيبر فلما شارفها أنشأ يقول:

قلت لحمى خيـبر اسـتعدي ... وبـ ـاكري بصـ ـالب وورد

هاك عيالي فاجهـدي وجـدي ... أعانـك الله علـى ذا الجنـد

فلما وصلها حم حمامه، وعاش أيتامه.

وقال بعض المحدثين:

يا فاتر الظـل غلـيظ الهـوى ... أنت على نفسـك لي شـاهد

ليست لحمـى خيـبر رقيـة ... تعـرف إلا شـعرك البـارد

٩٠١-(حمى الأهواز): قال الجاحظ: قصبة الأهواز مخصوصة بالحمى الدائمة اللازمة؛ قتالة الغرباء، على أن حماها ليست إلى الغريب بأسرع منها إلى القريب، أخبرنا إبراهيم بن العباس، عن مشيخة من أهلها، عن القوابل، أ ن ربما قبلن الطفل المولود فيجدنه محموما؛ يعرفن ذلك ويتحدثن به. قال: ولم أر ا وجنة حمراء لصبي

ولا لصبية، ولا دما ظاهرا ولا قريبا من ذلك، وإنما وباؤها وحماها في وقت انكشاف الوباء ونـزوع الحمى عن جميع البلدان، ولقد قلبت كل من نـزلها إلى كثير من طبائعهم وشمائلهم. ولا بد للهاشمي؛ قبيح الوجه كان أو حسنه، ودميما كان أو بارعا رائعا من أن يكون لوجهه طبائع يتبين ا من جميع قريش، ومن جميع العرب. ولقد كانت البلدة تنقل ذلك وتبدله، ولقد تحيفته، وأدخلت الضنى عليه، وبينت أثرها فيه، فما ظنك بصنيعها في سائر الأجناس! قال: وليس يؤتي أهلها والطارئون عليها من كثرة الحميات من قبل التخم، أو من قبل الحبط والإكثار، وإنما يؤتون من عين البلدة، ولذلك جمعت سوق الأهواز الأفاعي في جبلها الطاعن في منازلها، المطل عليها، والجرارات في منازلها. ولو كان في العالم شيء هو شر من الأفعى والجرارات لما قصرت قصبة الأهواز عن توليده وتلقيحه. وبليتها أن من ورائها سباخا، ومناقع مياه غليظة، وفيها أ ار تشقها مسايل كنفهم ومياه أمطارهم ومتوضا م، فإذا طلعت الشمس فطال مقامها وطالت مقابلتها لذلك الجبل قبل بالصخرة التي هي في تلك الجرارات فإذا امتلأت يبسا وحرارة، وعادت جمرة واحدة، قذفت ما قبلت من ذلك عليهم، وقد تحدث تلك السباخ وتلك الأ ار هواء فاسدا يفسد كل شيء يشتمل عليه ذلك الهواء.

٩٠٢-(دماميل الجزيرة): الدماميل بالجزيرة كالحمى بالأهواز، قال عبد الله ابن هاشم:

*** به من دماميل الجزيرة ناخس ***

يقال: داء ناخس إذا كان لا يبرأ منه.قال الجاحظ: أخبرني أبو زرعة قال: مات ضرار بن عمرو وهو ابن تسعين سنة بالدماميل، فقلت له: إن هذا لعجب؛ فقال: كلا، إنما احتملها من الجزيرة.

٩٠٣-(طحال البحرين): قال الجاحظ في خصائص البلدان عن ثقاة التجار الذين نقبوا في البلاد: من أقام في البحرين مدة ربا طحاله، وانتفخ بطنه، قال الشاعر:

ومن يسكن البحرين يعظم طحالـه ويغبط بما في بطنه وهو جـائع

ومن أقام بقصبة تبت اعتراه سرور لا يدري ماسببه! ولا يزال متبسما

ضاحكا حتى يخرج منها، ومن مشى واختلف في طرقات المدينة وجد فيها عرفا طيبا ورائحة عجيبة، وشيراز من بين جميع فارس لها نعمة، وأجمع أهل البحرين أن لهم تمرا يسمى النابجي، وأن من فضخه وجعله نبيذا ثم شربه وعليه ثوب أبيض صبغه عرقه حتى كان عليه ثوب لاذ.

ومن أطال الصوم بالمصيصة في أيام الصيف هاجت به المرة، وإن كثيرا منهم قد جنوا من ذلك الاحتراق. ومن أقام بالموصل حولا ثم تفقد عقله وجد فيه فضلا. ولا بد لك من قدم من شق العراق إلى بلاد الزنج أنه لا يزال جربا ما أقام به، فإن أكثر من شرب النارجيل طمس الخمار على عقله حتى لا يكون بينه وبين المعتوه إلا الشيء اليسير.

٩٠٤-(حساب الهند): قال الجاحظ: لولا خطوط الهند لضاع من الحساب البسيط والكثير، ولبطلت معرفة التضاعيف، ولعدموا الإحاطة بالتنورات، وتنورات التنورات، ولو أدركوا ذلك لأدركوه بعد أن تغلظت المئونة وتنتقص المنة. قال غيره: التنور مقدار من مقادير الهند يجمع الألف الكثيرة، قال أبو إسحاق الصابي يهنئ بالعيد:

لم أطـول في دعـوتي لمليـك ... طول الله في السـلامة عمـره
بل تلطفت في اختصار محـيط ... بالمعـاني لمـن تأمـل أمـره
فهو مثل الحروف في عدد الهنـ ... ـد قليل قد انطوت فيه كثره
جمـع الله كـل دعـوة داع ... مستجاب دعاؤه فيـه صـبره
وأعاد العيد الذي زاد ذا العـ ... ـالم فـيمن يحـوزه ومسـره
وأراه الآمـال فيـه ورقـا ... ه سـعاداته ووفـاه أجـره

٩٠٥-(لواط خراسان): قال الجاحظ: كان السبب الذي أشاع في أهل خراسان اللواط وعودهم ذلك، كثرة خروجهم في البعوث، وكانوا لا يستطيعون إخراج النساء والجواري معهم، ولم يكن لهم بد من غلمان يئ مؤ م؛ فلما طال مكث الغلام مع صاحبه بالليل والنهار، وفي حال التبذل والتكشف، وفي حال اللباس والستر، وكانت الغلمة يج م، شغفوا بغلما م وهم فحول، والرجل يهيج فيواقع

البهيمة ويخضخض بيديه، ومن كان كذلك لم يميز بين غشيان البهائم والتدليك، وبين غنج الغلمان الحسان، فتعودوا ذلك في أسفارهم، ورجعوا إلى منازلهم وقد تمكنت تلك الشهوة فيهم مع الذي لهم فيه عند أنفسهم من خفة المؤونة والأمن من السلطان، ومن الحيل، وغير ذلك من المرافق، ولو كانت هذه الشهوة شائعة في الأعراب لتعشقوا الغلمان، ولو تعشقوهم لنسبوا م، ولجاءهم فيه باب من النسيب ولتهاجوا به وتفاخروا، ولتنافسوا في الغلمان، ويجري في ذلك مالا يخفى، ولحدثت فيه أشعار وأخبار. والذي يدل على سلامتهم من ذلك عدم هذه المعاني، وإن كان هناك شيء من هذا فليس هو إلا في بعض من ينـزل قارعة الطريق، أو يقرب الأسواق، وهؤلاء ليس فيهم من خصال الأعرابية إلا الجوهرية، فأما الأخلاق والفصاحة والأنفة والفروسية فهم على خلاف ذلك كله، وقد ذكر الناس أن بالهند شيئا من هذه الفاحشة ليس بالفاشي، وذكر بعض أهل البلدان وبعض قبائل الجاهلية وبعض ملوك اليمن ذا الشأن، ولكن لم نجد الأشعار بذلك متسعة، والأخبار به متفقة.

٩٠٦-(هواء جرجان): أنشدت للصاحب:

نحن والله من هوائـك يـاجر جان في حـيرة وأمـر شـديد
حرها ينضـج الجلـود فـإن هبت شمال تكـدرت بركـود
كحبيــب مواصـــل كلمـــا هم بوصـل أحالـه بصـدود

وهواء جرجان موصوف بشدة تغيره، وفرط نقاوته، واختلافه في يوم واحد، كما قال بعضهم:

ألا رب يوم لي بجرجان أرعـن ضحكت له من خرفه أتعجـب
وأخشى على نفسي اختلاف هوائها وما للفتى مما قضى الله مهـرب
وما خير يوم أخـرق متلـون بـبرد وحـر بعـده يتلـهب
فأوله للفحم والجمـر متعـب وآخره للثلج والخيش يضـرب

وهواء البصرة أيضا يوصف بما يوصف به هواء جرجان، قال ابن لنكك:

نحـــن بالبصـــرة في لـــو ن مـــن العـــيش ظريـــف

نحـــن مــا هبـــت شمـــال بــين جنــات وريــف
فـإذا هبـــت جنـــوب فكأنــــا في كنيــــف

٩٠٧-(برد همذان): همذان موصوفة من بين بلدان الجبل بشدة البرد، وما هي بأشد البلاد بردا ولكن المثل سائر ببردها، وقد أكثر الشعراء في وصفها، وقال أبو علي كاتب بكر:

يابلـــدة أســلمني بردهــا وبرد مــن يســكنها للقلــق
لا يسلم الشاتي بهــا مــن أذى من زهــق أو نتــق أو زلــق

وقال آخر:

همذان مثقلة النفــوس ببردهــا والزمهريــر وحرهــا مــأمون
غلب الشتاء ربيعها وخريفهــا فكأنمـــا تشـــرينها كـــانون

وقال ابن خالويه:

إذا همذان اعتادها القر وانقضى برغمك أيلول وأنــت مقــيم
فعينك عمشاء وأنفك ســائل ووجهك مسود البياض بهــيم
وأنت أسير البرد تمشــي بغلــة على السيف تحبو مرة وتقــوم
بلاد إذا ما الصيف أقبل جنــة ولكنها عند الشــتاء جحــيم

الباب السابع والأربعون

في الجبال والأمكنة

ثقل أُحد. ثالثة الأثافي. ابنة الجبل. قسوة الحجر. ظل الحجر. نقش الحجر. رشح الحجر. حجر المغناطيس. قالب الصخر.

الاستشهاد

٩٠٨- (ثقل أحد): من الجبال التي يمثل بها في الثقل أُحد، وهو جبل بالمدينة، وفيه قال النبي ﷺ: «**أحد جبل يحبنا ونحبه**». ويروى: «**جبل يعرفنا ونعرفه**».

وقال القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز من قصيدة:

وصرت في ثقل أحد عنده ورأى في طلعتي رأي أهل الرفض في عمر

ومن الجبال التي يضرب بها المثل بالثّقل ثهلان، وهو بالعالية، ويقال له ثهلان الجرع ليبسه وقلة خيره، وفيه قيل:

*** ثهلان ذو الهضبات هل يتحلحل ***

ومنها عماية، وهي بالبحرين، ومنها أبو قبيس بمكة شرفها الله تعالى.

٩٠٩- (ثالثة الأثافيّ): قطعة من الجبل، ومعناها أن يوضع أثفيتان إلى جانب قطعة من الجبل، ثم توضع القدر على الأثفيتين، والقطعة من الجبل ومن أمثال العرب: رماه بثالثة الأثافي؛ أي بما يهلكه. ومن أحسن ما قيل في استعمال ثالثة الأثافيّ قول بديع الزمان من قصيدة:

خلقت كما ترى صعب الثّقاف أردّ يد الخليفة في الخلاف

ولي جسد كواحدة المثاني له كبد كثالثة الأثافي

فأنظر إلى حسن ما تأنق بين الواحدة وبين الثانية والثالثة، على بعد ما بين الجنسين من الكثافة والنحافة!

٩١٠- (ابنة الجبل): يعني القطعة من الجبل ضربت مثلا في الثقل.

٩١١- (قسوة الحجر): يضرب بها المثل في، قال الله تعالى: ﴿**ثُم قَست**

قُلُوبكُم من بعدِ ذَلِك فَهي كَالْحِجارةِ أو أشد قَسوةً﴾[1]، قال الأصمعي: ومن أمثالهم: هو أقسى من حجر. وقال كثير:

كأني أنادي صخرة حين أعرضت … من الصم لو تمشي بها العصم زالت

٩١٢- (ظلّ الحَجر): يشبه به كل شيء أسود كثيف، لأنّ ظلّ كل شيء أسود وظل الحجر أشد سوادا، لأنه مصمت لا يتخلّله خلل، قال الراجز:

كأنّما وجهك ظِلّ من حجر

وقال آخر:

سود غرابيب كأظلال الحجر … لا صغر أزرى بها ولا كبر

٩١٣- (نقش الحجر): يضرب مثلا لما يثبت ويبقى ولا يضمحلّ ومن أمثال المؤدبين: التعلّم في الصغر كالنقش في الحجر، والتعلم في الكبر كالكتابة في الماء.

وسمع الأحنف هذه الكلمة فقال: الكبير أكبر عقلا لكنه أكثر شغلا.

٩١٤- (رشح الحجر): يضرب مثلا للبخيل يجود بالشيء القليل على عسرة ونكد.

*** والرشح أدنى ما يكون من السيال ***

وكذلك البض، ومنه قولهم: فلان ما يبض حجره ولا يثمر شجره. وكان عبد الملك بن مروان يلقب برشح الحجر لبخله.

٩١٥- (حجر المغناطيس): وهو الذي يجذب الحديد بطبعه، فيضرب مثلا للجاذب الشيء إلى نفسه؛ كما قال ابن طباطبا:

بأبي الذي نفسي عليه حبيس … مالي سواه من الأنام أنيس

لا تنكروا أبدا مقاربتي له … قلبي حديد وهو مغناطيس

٩١٦- (قالب الصّخرة): يضرب به المثل، فيقال: أطمع من قالب الصخرة. وكان رجل من معد رأى صخرة عظيمة ببلاد اليمن مكتوبا عليها بالمسند: اقلبني أنفعك، فاحتال في قلبها ولقى الأمرين من ذلك، فإذا على الجانب الآخر: "رب طمع أدى إلى طبع"، فما زال يضرب برأسه الحجر تلهفا حتى انتثر لحمه ومات.

---

(١) سورة البقرة ٧٤.

الباب الثامن والأربعون

في المياه وما يضاف إليها

ماء زمزم. ماء صداء. ماء المفاصل. ماء الغادية. ماء السماء. ماء طريق الحج. ماء عناق. ماء الوجه. ماء الشباب. ماء الحسن. ماء الندى. ماء النعيم. ماء الكرم. ماء الظّرف. لاعق الماء. أديم الماء. جلدة الماء. سيل العرم. درج السيول. نيل مصر. عجائب البحر.

الاستشهاد

٩١٧- (ماء زمزم): يتمثل بشرفه على سائر المياه لشرف مكانه، فيقال: كأنه ماء زمزم، وليس هذا ماء زمزم، ويقال: إنه أثر جبريل عليه السلام، فإنه لما شرب له، ومن يحصى فضائله! فكم من مبتلى قد عوفي بالمقام عليه والشرب منه، والاغتسال به، بعد أن لم يدع في الأرض ينبوعا إلا أتاه واستنقع فيه! وكم من متزود منه في القوارير إلى أقاصي البلدان لدوائه، وغاسل ثيابه بمائه؛ لما يرجوه من بركته وحسن عائدته! قال الأعشى وهو يؤنب رجلا ويخبره أنه مع شرفه لم يبلغ مبلغ قريش الذين هم سكان حرم الله ولهم حظ الشراب من زمزم:

فما أنت من أهل الحجون ولا الصّفا ... ولا لك حظّ الشّرب من ماء زمزم

وقال أبو هفان وهو يمدح رجلا:

لو كنت نوءا كنت نوء المرزم ... أو كنت ماء كنت ماء الزمزم

٩١٨- (ماء صداء): صداء بئر ماؤها أعذب مياه العرب، وفيه يقول ضرار السعدي:

وإني و يامي بزينب كالذي ... يحاول من أحواض صداء مشربا

وقال غيره:

كصاحب صداء الذي ليس واجدا ... كصدّاء ماء فهو ذا الدهر ظاميء

ومن أمثال العرب: ماء ولا كصداء، أي هذا مالا بأس به، ولكن ليس كماء صداء، يضرب لما يحمد بعض الحمد ويفضل عليه غيره، كما يقال: مرعى ولا كالسعدان.

٩١٩- (ماء مأرب): مأرب اسم لقصر ملك سبأ، ثمّ صار اسما للبلدة، وهي التي وصفها الله بالطيب، فقال: ﴿**كُلُوا مِن رزق ربكُم واشكُروا لَه بلْدةٌ طَيبةٌ ورب غَفُور**﴾[1]، ولا أطيب مما وصفه الله تعالى بالطيب ولا أعذب من مائه، ومأرب هي التي أرسل الله تعالى عليها سيل العرم، والمثل مضروب بعذوبة ماء مأرب، قال جابر بن رالان في وصفه وأحسن كل الإحسان:

أيا لهف نفسي كلما التحت لوحة ... على شهوة من ماء أحواض مأرب

بقايا نطاف أودع الغيم صفوها ... مصقلة الأرجاء زرق الجوانـب

ترقرق دمع المزن فيهن والتقت ... عليهنّ أنفاس الرياح الجنائـب

وللصاحب من فصل: أنا على حافة حوض ذي ماء أزرق، كصفاء مودتي لك، ورقة قولي في عتبك، ولو رأيته لنسيت أحواض مأرب، ومشارع أم غالب.

٩٢٠- (ماء المفاصل): من أمثال العرب: أصفى من ماء المفاصل؛ جمع المفصل بين الجبلين، وماؤه أصفى ما يكون وأرقّه، قال الشاعر:

صفراء من حلب الكروم كأنّها ... ماء المفاصل أو لعاب الجندب

وقال أبو ذؤيب:

*** يشاب بماء مثل ماء المفاصل ***

وزعم بعض الرواة أن ماء المفاصل ماء اللّحم الطري، واحتج بقول كثّير في الخمر:

وما قرقف من أذرعات كأ ا ... إذا نـزلت من دّنها ماء مفصل

ويجوز أن يكون شبه الخمر بما تقدم ذكره من ماء المفاصل في رقّته وصفائه لا بماء اللّحم في حمرته.

٩٢١- (ماء الغادية): من أمثال العرب عن أبي عمرو: أعذب من ماء الغادية، وأعذب من ماء البارق، والغادية: السحابة التي تغدو، والبارق: السحاب الذي يكون فيه البرق.

---

(١) سورة سبأ ١٥.

٩٢٢- (ماء السماء): المنذر بن ماء السماء ينسب إلى أمه، وكانت تسمى ماء السماء تشبيها لها في الحسن والصفاء والطهارة، وهو المنذر بن امرئ القيس بن النعمان بن امرئ القيس بن عدي؛ وأمه من النمر بن قاسط، وأبوها عوف بن جشم.

٩٢٣- (ماء طريق الحجّ): يضرب مثلا لما يستعمل على علاته ويذم، كما يقال: خبز الشعير يؤكل ويذم، قال ابن المعتز:

وصاحب سوء وجهه لي أوجـه ... وفي فمه طبل بسرّي يضـرب
ولا بدّ لي منه فحينـا يغصـني ... وينساغ لي طورا ووجهي مقطب
فماء طريق الحجّ في كلّ منـهل ... يذمّ على ما كان منه ويشـرب

٩٢٤- (ماء عناق): ماء عناق؛ من أمثال العرب، يضرب للداهية وللأمر الملتبس، وكان من حديثه أنّ رجلا بينا هو يسقي وبيته تلقاء وجهه إذ نظر فإذا برجل قد عانق امرأته يقبلها، فأخذ العصا وأقبل مسرعا، فلما رأته المرأة أخفت الرجل فيما بين النضد، فنظر يمنة ويسرة فلم ير شيئا، فنظر إلى الأرض فلم يبصر أحدا، فكذب بصره وكر راجعا، فلما كان الورد الثاني قالت المرأة: هل لك في أن أكفيك السقي وتتورع اليوم؟ قال: نعم إن شئت، فأقام في البيت وانطلقت تسعى وتحينت منه غفلة، فأخذت العصا وأقبلت حتى علت بها رأسه؛ فقال: ويلك! وما دهاك!قالت: أين المرآة التي رأيتك معها معانقا لها؟ فقال: والله ما كانت عندي امرأة، قالت: بل أنا نظرت إليها بعيني وأنا على الماء، فتحالفا، فلما أكثرت قال: إن تكوني صادقة فإن ماءكم هذا ماء عناق؛ فصار مثلا يضرب في الدواهي.

٩٢٥- (ماء الوجه): العرب تستعير في كلامها الماء لكلّ ما يحسن موقعه ومنظره ويعظم قدره ومحله، فتقول: ماء الوجه، وماء الشباب، وماء السيف، وماء الحيا، وماء النعيم، كما تستعير الاستقاء في طلب خبر، قال علقمة بن عبدة:

وفي كل حيّ قد خبطت بنعمـة ... فحق لشأس مـن نـداك ذنـوب

وقال رؤبة:

يأيها الماتح دلوي دونكا إني رأيت الناس يحمدونكا

وهما لم يستقيا ماء، وإنما طلب أحدهما ماء، وكان الآخر أسيرا، وكذلك سموا السائل والمتدي مستميحا، وإنما الميح جمع الماء في الدلو، وغاية دعائهم للمرجو والمشكور أن يقولوا: سقاك الله، فإذا تذكروا أياما طابت لهم قالوا: سقى الله تلك الأيام! وربما دعوا لديار المحبوب بالسقيا كما قال طرفة:

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمي

فأما قولهم: ماء الوجه، فهو عبارة عن الحياء الذي هو أفضل من الماء، وقد أحسن أبو تمام في قوله لأبي سعيد الطائي:

رددت رونق وجهي في صحيفته رد الصقال بهاء الصارم الخذم

وما أبالي وخير القول أصدقه حقنت لي ماء وجهي أم حقنت دمي

وسرقه اللّحام فقال:

ما إن أرقت بحرصي قطرة فجرت من ماء وجهي إلا خلت ذاك دمي

وقال أبو الطيب:

ولقد بكيت على الشباب ولمتي مسودة ولماء وجهي رونق

ولا مزيد على حسن قول ابن المعتز:

لم ترد ماء وجهه العين إلا شرقت قبل ريها برقيب

ولأبي تمام استعارات في الماء أحسن في وصفها، كقوله في وصف نساء ثكالى:

خاضت محاسنها مخاوف غادرت ماء الصبا والحسن غير زلال

وقوله في الأفشين:

قد كان بوأه الخليفة منزلا من قلبه حرما على الأقدار

فسقاه ماء الخفض غير مصرّد وأنامه في الأمن غير غرار

وقوله وهو يرثي من قصيدة أولها:

نعاء إلى كل حي نعاء فتى العرب احتل ربع الفناء

ألا أيهـــا المـــوت فجعتنـــا بمـــاء الحيـــاة ومـــاء الحيـــاء

وقد أغار السري الموصلي عليه في هذين البيتين ونقل إلى المدح حيث قال:

*** وكف ترقرق ماء الحياة ***

وقوله - أعني أبا تمّام:

وكيف ولم يزل للشعر ماء يرفّ عليه ريحان القلوب

وقوله:

محمد بن حميد أخلقت رممه أريق ماء المعالي مذ أريق دمه

فقد أحسن كما تراه في استعارة ماء الصبا وماء الحسن وماء الخفض وماء الحياة وماء الشعر وماء المعالي، وأما في استعارة ماء الملام حيث قال:

لا تسقني ماء الملام فإنني صبٌّ قد استعذبت ماء بكائي

فإنما تحسن الاستعارة بما يحسن فيه التشبيه والتمثيل. ولم يحسن في قوله ولم يسئ إذ قال:

تمّنت أن يعود لها حبيب منى شططا وأين لها حبيب!

ويستحسن قول الصنوبري في مرثيته غلاما:

إن يرق ماء ذلك الوجه في التر ب فإني لماء عيني مريق

٩٢٦- (ماء الشباب): قد أكثر الشعراء في ذكره، وأحسنوا التصرف فيه، قال أبو محمد البياضي:

وما بقيت من اللذّات إلا محادثة الكرام على الشراب

ولثمك وجنتي قمر مـنير يجول بخده ماء الشـباب

وقال أبو الفتح:

عودي وماء شبيبتي في عودي لا تعمدي لمقاتل المعمود

وقد جمع ابن الرومي في مرثيته قينة بين ثلاثة مياه مستعارة، فقال:

يا حر صدري على ثلاثة أمـ ـواه أريقت في الترب والمدر

ماءي شباب ونعمه مزجـا بماء ذاك الحيــاء والخفــر

ثم جاء بماء رابع فقال:

تبتــل العــود بعــد فقــدكم وازدجر اللــهو أيّ مزدجــر
وغاض مــاء النّعــيم بعــدكم وا همــر الــدمع أيّ منــهمر

٩٢٧- (ماء الحسن): من أحسن ما قيل فيه قول ابن المعتز:

لي مــــولى لا أسميــــه كلّ شيء حســن فيــه
تصف الأغصــان قامتــه بتـــــثنّ كتثنيـــــه
ويكــاد البــدر يشــبهه وتكاد الشــمس تحكيــه
كيف لا يخضرّ عارضــه ومياه الحســن تســقيه!

٩٢٨- (ماء الندى): قال العباس وأحسن:

أتتركني جدب المحلّة ضنكها وكفاك من ماء الندى تكفان

وقال البحتري:

وما أنا إلا غرس نعمتك الــذي أفضت له ماء النــوال فأورقــا
وقفت بآمالي عليــك جميعهــا فريتك في إمســاكهن موفقــا

وقال أيضا وزاد في الإحسان:

ووجه جال مــاء الجــود فيــه على العرنين والخــد الأســيل
يريك تــألق المعــروف فيــه شعاع الشمس في السيف الصقيل

٩٢٩- (ماء النّعيم): من أحسن ما قيل فيه قول أبي الفتح كشاجم:

ويح عين لم ترو من ماء وجــه قد سقاه الشباب مــاء نعــيم
مـــا ألقينـــا والحمـــد لله إلا مثل ما تلتقي جفــون الســليم

وقال السري في مزين:

إذا لمع البرق في كفه أفاض على الرّأس ماء النّعيم

٩٣٠- (ماء الكرم): قد أكثروا في ذكره، ومن أحسن ما قالوا فيه:

فإنّ الكرم من كرم وجود ... وماء الكرم للرجل الكريم

٩٣١- (ماء الظرف): طرف الصاحب في استعارة الماء للظرف حيث قال:

وشادن أحسن في إسعافه ... يقطر ماء الظرف من أعطافه

٩٣٢- (لاعق الماء): من أمثال العرب: أحمق من لاعق الماء، وأحمق من ناطح الماء، قال الشاعر:

وأحمق ممن يلعق الماء قال لي ... دع الخمر وأشرب من قراح معنبر

٩٣٣- (أديم الماء): يستعار الأديم للماء كما يستعار للسماء، فأما استعارته للماء فكما قال كشاجم يصف سمكة:

وابنة ماء في أديم ماء ... بيضاء مثل الفضة البيضاء

وأما استعارته للسماء فكما قال أبو عثمان في لابسة أزرق اسمها قتول:

ما تعددت فتول أن لبست زر ... قا شبيها بوجهها ذي البهاء

لبست أزرقا فجاءت بوجه ... يشبه البدر في أديم السماء

٩٣٤- (جلدة الماء): استعار البحتري الجلدة للماء في قوله:

أبديت لي عن جلدة الماء الذي ... قد كنت أعهده كثير الطحلب

كما استعارها للسماء ابن المعتز في قوله:

يا ربما نازعته ... روح دنان صافيه

في روضة كأنما ... جلد سماء عاريه

٩٣٥- (سيل العرم): قد تقدم ذكره عند فأرة العرم، وفي هذا الباب عند ذكر مأرب. سيل العرم هو الذي خرب سبأ وأباد أهلها، وذكره الله تعالى في قوله في قصة سبأ: ﴿**فَأَرسلْنا عليهم سيلَ العرِم**﴾[1].

وقد اختلفوا في العرم فقال ابن عباس: هو اسم الوادي. وقال مجاهد: هو اسم

---

(١) سورة سبأ ١٦.

السد، وقال أبو عبيدة والكسائي: هو المسناة؛ وقال جعفر الصادق: هو اسم الجراد الذي ثقب السد. وسيل العرم مثل في الدواهي العظام التي تفرق الناس وتمزقهم، كما يقال للقوم إذا تفرقوا لهلاك بعضهم وانتشار آخرين: ذهبوا أيدي سبا.

٩٣٦- (درج السيول): من أمثال العرب: هم درج السيول، وله معنيان: أحدهما الإذلال والآخر العود في موضع الذهاب والفناء، يقال: رجع فلان أدراجه، أي من حيث جاء، من أمثالهم: من يرد السيل على أدراجه! وأدراج السيول: مجاريها، قال الشاعر:

أ ب للمنية تعتريهم رجالي أم هم درج السيول

٩٣٧- (نيل مصر): يضرب به المثل كما يضرب بالبحور، قال الأعشى:

فما نيل مصر إذ تسامى عبابـه ولا بحر سيحان إذا راح مفعمـا

بأجود منه نـائلا إن بعضـهم إذا سئل المعروف صد وجمجما

قال الجاحظ: كفاك ماء نيل مصر وما هو عليه من خلاف جميع الأ ر، ونضوبه في وقت زيادة الأ ر، وزيادته في وقت نقصا ا، وليت التماسيح في شيء من الأ ار إلا فيه، ومضر ا معروفة بلا منفعة بوجه من الوجوه، ولم ير تمساح قط في دجلة ولا الفرات ولا سيحان ولا جيحان ولا ر بلخ.

٩٣٨- (عجائب البحر): في الخبر: "حدثوا عن البحر ولا حرج: وقيل لبعض ركاب البحر: ما أعجب ما رأيت عن عجائب البحر؟ قال: سلامتي منه.

قال الجاحظ: ما ظنك بماء إذا خبث وملح ولد الدر وأثمر العنبر.

وركب بعض الإعراب البحر مرة فرأى أهوالا من أمواجه، ثم أتاه مرة أخرى وهو ساكن فقال: ما يغرني حلمك، فإن عندي من جهلك العجائب.

قال الجاحظ: وليس ذلك بأعجب من شيء عاينه جميع من يركب البحر، وذلك أن الطائر من طيره يطير في الهواء فيعبث به طائر صغير، فإذا أحرجه ذلك ذرق فتلقاه الطائر فابتلعه، فلا هو يخطئ بذلك الذرق.

حلق الطائر الصغير، ولا الطائر الصغير يجهل مكان ذرقه وما يعيشه من ذلك الطائر الكبير والدخس من دواب البحر، ومما يعايش السمك وليس بسمك، وهو يعرف الغريق ويدنو منه حتى يضع الغريق يده على ظهره فيسبح به، والغريق يذهب

معه ويستعين بالاعتماد عليه والتعلق به حتى ينجيه، وهذا عند البحريين مشهور لا يتدافعونه.

الباب التاسع والأربعون

في النيران

نار الله. نار إبراهيم. نار موسى. نار القربان. نار الحرتين. نار الشجر. نار القرى. نار الحرب. نار الحلف. نار المسافر. نار الـوس. نار الاصطلاء. نار الإنذار. نار الاستكثار. نار الاستمطار. نار التهويل. نار الصيد. نار الزحفتين. نار الغضى. نار الحلفاء. نار الحباحب. نار البرق. نار المعدة. نار الحمى. نار الشوق. نار الشر. نار الحياة. نار الشباب. نار الشراب. نار الكي. نار الذبالة. قبسة العجلان. فراش النار. سرادق النار. سعد النار. نافخ ضرمة.

الاستشهاد

٩٣٩- (نار الله): قد تقدم ذكرها فيما يضاف إلى اسم الله تعالى، وهي نار الله التي أوعدها عباده. قال الجاحظ: معلوم أنه عز ذكره عذب الأمم في هذه الدنيا بالغرق والرياح وبالحاصب والخسف والرجم والمسخ والجوع والنقص من الثمرات؛ ولم يبعث عليهم نارا كما بعث عليهم ريحا وماء وأحجارا، وإنما جعلها في عقاب الآخرة وعذاب العقبى، و ى عن أن يعذب ا شيء من الحيوان، قال رسول الله ﷺ: «**لا تعذبوا بعذاب الله**»، فقد عظمها كما ترى، وخبر أنه تعالى ينتقم بالنار في الآخرة من جميع أعدائه، وليس يستوجبها بشر بصنيع ولا ظلم ولا جناية ولا يستوجب النار إلا بعداوة الله، و ا يشفي صدور أوليائه من أعدائهم في الآخرة.

٩٤٠- (نار إبراهيم): قد تقدم ذكرها في باب ما يضاف إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهي مثل في البرد والسلامة. وفي كتاب الأمثال المولدة: إنه يقال للمستعجل: ليس هذا نار إبراهيم؛ وذكرها الخوارزمي في بيت له متمثلا وهو يصف الانخزال وكسوف البال، فعدل بالمثل عنه حيث قال:

فكأنني في سجن يوسف أو أسى يعقوب أو في نار إبراهيم

وإنما توصف نار إبراهيم بالبرد والسلامة لا بالحر والشدة، لأ ا إحدى المعجزات، وفي الكتاب المبهج: خير الشراب ما يورد ريح الورد، ويحكي نار إبراهيم

في اللون والبرد.

٩٤١- (نار موسى): قد تقدم ذكرها ووجه ضرب المثل ا للشيء اليسير يطلب فيتوصل بسببه إلى الشيء الخطير والغنيمة الباردة، وذلك أنه كما نطق به القرآن في مواضع كثيرة، ذهب يقتبس نارا فكلم الله تكليما.

٩٤٢- (نار القربان): هي التي جعلها الله آية لبني إسرائيل في موضع امتحان إخلاصهم وتفرق نيا م، فكانوا يتقربون بالقربان، فمن كان مخلصا نـزلت نار من السماء حتى تحيط به فتأكله، ومتى لم يروها وبقي القربان على حاله قضوا بأنه مدخول القلب فاسد النية، ولذلك قال الله تعالى: ﴿**الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار**﴾.

والدليل على أن ذلك قد كان من شأ م معلوما قوله تعالى: ﴿**قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين**﴾[1].

قال الجاحظ: ثم إن الله تعالى ستر على عباده وجعل بيان ذلك في الآخرة،وكان ذلك التدبير مصلحة في ذلك الأمر، ووفق طبائعهم وعللهم، وقد كان القوم من المعاندة ومن الغباوة على مقدار لم يكن لينجع فيهم ويكمل لمصلحتهم إلا ما كانوا فيه.

٩٤٣- (نار الحرّتين): هي التي ذكرها الشاعر في قوله:

ونار الحرّتين لها زفير ... يصم لهوله الرجل السميع

وهي نار خالد بن سنان أحد بني مخزوم من بني عبس، ولم يكن من ولد إسماعيل عليه السلام نبي قبله، وهو الذي أطفأ الله به نار الحرتين، وكانت ببلاد عبس إذا كان الليل فهي نار تسطع في السماء، وكان طيي تنفش ا إبلهم من مسيرة ثلاث ليال، وربما تأتي على كل شيء فتحرقه، وإذا كان النهار فإنما هي دخان يفور فبعث الله خالد بن سنان فحفر لها بئرا ثم أدخلها فيها والناس ينظرون، ثم اقتحم فيها حتى غيبها، فلما حضرته الوفاة قال لقومه: إذا أنا مت ودفنتموني فاحضروا بعد ثلاث؛ فإنكم ترون عيرا أبتر يطوف بقبري، فإذا رأيتم ذلك فانبشوني فإني مخبركم

(١) سورة آل عمران ١٣٨.

بما هو كائن إلى يوم القيامة فاجتمعوا لذلك في اليوم الثالث من موته،فلما رأوا العير وذهبوا لينبشوا اختلفوا وصاروا فريقين؛ وابنه عبد الله في الفرقة التي أبت نبشه وهو يقول: إذا أدعى ابن المنبوش! فتركوه.

ويروى أن ابنته قدمت على رسول الله ﷺ فبسط لها رداءه وقال: هذه ابنة نبي ضيعه قومه، وسمعت سورة الإخلاص فقالت: كان أبي يتلو هذه السورة.

قال الجاحظ: والمتكلمون لا يؤمنون ذا، ويزعمون أن خالدا هذا كان أعرابيا وبريا، ولم يبعث الله قط نبيا من الأعراب ولا من أهل الوبر، وإنما بعثهم من أهل القرى وسكان الجزر. والله أعلم حيث يجعل رسالاته.

٩٤٤- (نار الشجر): هي التي ذكرها الله - تعالى- في كتابه، وامتن ا على عباده، فقال: ﴿**الذي جعلَ لكُم من الشجرِ الأخضرِ نارا فَإذَا أنتم منه توقِدونَ**﴾[١] يريد عيدان الاستقداح، والمرخ والعفار أكثر النيران وأسرعها قدحا؛ومن أمثالهم: في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار. وما أحسن ما قيل في استجلاب بادرة الحليم المحرج:

أخرجتموه بكره مـن سـجيته والنار قد تلتظي من ناضر السلم

أوطأتموه على جمر العقوق ولـو لم يحرج الليث لم يخرج من الأجم

قال الجاحظ: قد ذكر الله نعمته في هذه النار التي هي من أكبر النعم وأعظم المنافع والمرافق في هذه الدنيا على عباده، فقال: ﴿**أفَرأيتم النار الِتي تورونَ * أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المُنشِئُونَ**﴾[٢]، ثم قال تعالى: ﴿**نحن جعلْناها تذْكِرةً ومتاعا للْمقْوِين**﴾، حتى قوله: ﴿**نحن جعلْناها تذْكِرةً**﴾ من تبصرة، مع ما فيها من مقادير النعم وتصاريف النقم.

ووجه آخر من امتنان الله تعالى على عباده كقوله للثقلين: ﴿**يرسلُ عليْكُما شواظٌ من نارٍ ونحاس فَلا تنتصِران**﴾[٣] ثم قال على صلة الكلام: ﴿**فَبِأي آلاءِ**

(١) سورة يس ٨٠.
(٢) سورة الواقعة ٧١، ٧٢، ٧٣.
(٣) سورة الرحمن٣٥

ربكُما تكَذبان﴾، لا يريد أن إحراق الله العبد بالنار من آلائه ونعمائه، ولكنه أراد الوعيد الصادق، وإذا كان في غاية الزجر عما يطغيه ويرديه فهو من النعم السابغة والآلاء العظام.

٩٤٥- (نار القرى): هي مذكورة على الحقيقة لا على المثل، وهي من أعظم مفاخر العرب وأشرف مآثرها، وهي النار التي كانت ترفع للسفر ولمن يلتمس القرى، فكلما كانت موضعها أرفع كانت أفخر، والأشعار فيها كثيرة، ومن أحسنها قول الأعشى:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة　　　إلى ضوء نار في يفـاع تحـرق

فشبت لمقـرورين يصـطليا ا　　　وبات على النار الندى والمحلق

والمحلق هو الذي مدحه.

قال الجاحظ: وأحسن من هذا الشعر في هذا المعنى من كل شعر في معناه قول الحطيئة:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره　　　تجد خير نار عندها خير موقد

قال: وما ينبغي أن يمدح ذا البيت إلا خير أهل الأرض. وأنشد عمر -رضي الله عنه -هذا البيت، فقال: هذا لرسول الله ﷺ.

ومن أحسن ما قيل في هذه النار قول الشاعر:

لـه نـار تشـب بكـل واد　　　إذا النيران ألبسـت القناعـا

ولم يك أكثـر الفتيـان مـالا　　　ولكن كان أرحبـهم ذراعـا

وما أكرم وأشرف من قال وهو يأمر غلامه بالإيقاد والاستجلاب للأضياف:

أوقد فـإن الليـل ليـل قـر　　　والريح مـاتراه ريـح صـرّ

عسى يرى نـارك مـن يمـر　　　إن جلبت ضيفا فأنـت حـر

وقد جمع ابن الرومي نار القرى ونار الحرب في قوله لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر حيث قال:

له ناران نار قرى وحرب　　　ترى كلتيهما ذات التهاب

٩٤٦- (نار الحرب): هي على طريق المثل والاستعارة لا على الحقيقة كما قال جلّ ذكره: ﴿**كُلما أوقَدوا نارا للْحربِ أطفَأها الله**﴾ [(١)].

وقد أكثر الشعراء والبلغاء من ذكرها، وجاء الصاحب فأربى على المغالين في وصفها حيث كتب من رسالة: شبت الحرب واشتعلت نارها، واستطار شرارها، وثار عجاجها، وهال ارتجاجها.

ومن أخرى: حمي وطيسها، واغتبطت نفوسها.

ومن أخرى: قدحت نار القراع، وجالت قداح المصاع وتكايل الشجعان صاعا بصاع.

ومن أخرى: دارت رحى الحرب واستعرت جمرة الطعن والضرب.

ومن أخرى: اشتكت تصرف نا ا وتكشف ساقها، واستعر أوارها فحمى وطيس المراس، ودنت التراس من التراس.

٩٤٧- (نار الحلف): هي التي كانت العرب توقدها عند التحالف، فلا يعقدون حلفهم إلا عندها، ويذكرون عند ذلك مرافقها، ويدعون الله على من ينقض العهد بالحرمان من منافعها؛ وربما دنوا منها حتى تكاد تحرقهم، ويهولون الأمر فيها، قال أوس بن حجر يصف عيرا على نشز:

إذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صد عن نار المهول حالف

٩٤٨- (نار المسافر): هذه نار توقدها العرب خلف المسافر الذي لا يحبون رجوعه، وكان في الدعاء على الغائب: أبعده الله وأسحقه، وأوقد نارا على أثره! وهو معنى قول بشار، وضربه مثلا:

صحوت وأوقدت للجهل نارا ورد عليك الصبا ما استعارا

قال آخر:

وجملة أقوام حملت ولم تكن لتوقد نارا إثرهم للّتندّم

والحملة: الجماعة يمشون في الدم وفي الصلح: يقول: لم تندم على ما أعطيت

---

(١) سورة المائدة ٦٤.

من الحمالة عند كلام الجماعة فتوقد خلفهم نارا لئلا يعودوا.

٩٤٩- (نار المجوس): قال الجاحظ: مازال الناس كافة والأمم قاطبة - حتى جاء الله بالحق - مولعين بتعظيم النار، حتى ظن كثير من الناس لإفراطهم أنهم يعبدونها. ويزعم أهل الكتاب أن الله أوصاهم بها فقال: " لا تطفئوا النار من بيوتي"، ولذلك لا تجد الكنائس والبيع وبيوت العبادات تخلو من نار أبدا ليلا ونهارا، فأما المجوس فإنها لم ترض بمصابيح أهل الكتاب حتى اتخذت البيوت للنيران، وأقامت عليها السدنة، ووقفت عليها الغلات الكثيرة، وسجدت لها على جهة التعبد والمحبة وإيجاب الشكر على النعمة.

وقد ضرب المثل بنار المجوس من صحب قوما فلم يرعوا حق صحبته لهم، وخدمته إياهم، فقال:

عمري لقد جربتكم فوجدتكم ... نــار المجوس

وذلك أنها لا تفرق بين من يعبدها ويسجد لها، وبين من يبزق فيها ويبول عليها، بل تعم الجميع بالإحراق إذا أمكنها.

٩٥٠- (نار الاصطلاء): يضرب بها المثل في الحسن والإمتاع، كما قالت أعرابية: كنت أحسن من الصلاء في الشتاء. وقالت أخرى: كنت في أيام شبابي أحسن من النار الموقدة.

وما أحسن ما قال ابن المعتز في وصفها:

وموقدات بتن يضرمن اللهب ... يشبعنه من فحم ومن حطب

*** يرفعن نيرانا كأشجار الذهب ***

ومن أبيات التمثيل والمحاضرة:

النار فاكهة الشتاء ومن يرد ... أكل الفواكه شاتيا فليصطل

ويحكى أن أعرابيا اشتد عليه البرد، فأصاب نارا، فدنا ليصطلي منها وهو يقول اللهم لا تحرمنيها في الدنيا والآخرة.

٩٥١- (نار التهويل): كانت العرب توقد نارا يهولون بها على الأسود إذا خافوها، والأسد إذا عاين النار حدق إليها وتأملها، فما أكثر ما يشغله عن السابلة.

ومر أبو ثعلب الأعرج في رفقه بوادي السباع، فعرض لهم سبع، فقال له المكاري: لو أمرت غلمانك فأوقدوا نارا وضربوا الطساس الذي معهم! ففعلوا، فأحجم عنهم الأسد، فقال في حبه النار والصوت الشديد بعد بغضه لهما:

فأحببتها حبا هويت خلاطها ولو في الصميم النار نار جهنم

وصرت ألذ الصوت لو كان صاعقا وأطرب من صوت الحمار المرقم

٩٥٢- (نار الإنذار): كانوا إذا أرادوا حربا، وتوقعوا جيشا عظيما، فأرادوا الاجتماع، أوقدوا نارا ليبلغ الخبر أصحا م، قال عمرو بن كلثوم:

ونحن غداة أوقد في خزازى رفدنا فوق رفد الرافدينا

٩٥٣- (نار الاستكثار): كانوا إذا نـزلوا منـزلا وهم جيش يريدون محاربة قوم استكثروا من النيران، وأكثروا من الذبح مخافة أن يجزرهم جازر بقلة ذبحهم ونيرا م، فيستدل على العورة منهم.

٩٥٤- (نار الاستمطار): كانت العرب في الجاهلية الجهلاء إذا تتابعت عليهم الأزمان، وركد فيهم البلاء، واشتد الجدب، واحتاجوا إلى الاستمطار، استجمعوا ما قدروا عليه من البقر، وعقدوا في أذنا ا وبين عراقيبها السلع، ثم صعدوا ا في جبل، وأوقدوا فيها النار، وكانوا يرون ذلك من أسباب السقيا، وفيهم يقول الورل الطائي:

لا در در رجال خاب سـعيهم يستمطرون لدى الأزمان بالعشـر

أجاعل أنت بيقـورا مسـلعة ذريعة لـك بـين الله والمطـر

٩٥٥- (نار الصيد): هي التي توقد للظباء وصيدها لتعشى إذا رامت النظر إليها، ولا تخيل من وراءها. ويطلب ا أيضا بيض النعام في أفاحيصها ومكا ا وقال طفيل الغنوي:

عوازب لم تسمع نبوح مقامـة ولم تر نـارا تم حـول مجـرم

سوى نار بيض أو غزال بقفرة أغن من الخنس المناخر تـوءم

وقد وصف السري صيد الليل بالطّست والسراج والكلب، وذكرانه يقال له

صيد الدالوية في أرجوزة هي مثبتة في ديوان شعره.

٩٥٦- (نار الزّحفتين): هي نار أبي سريع، وأبو سريع هو العرفج، قال قتيبة ابن مسلم لعمر بن عباد بن الحصين: والله للسؤدد أسرع إليك من النار في يبيس العرفج، وإنما قيل لنار العرفج نار الزحفتين، لأن العرفج إذا التهبت فيه النار أسرعت فيه وعظمت واستفاضت في أسرع من كل شيء، فمن كان قريبا منها يزحف عنها، ثم لا تلبث أن تنطفئ من ساعتها، وفي مثل تلك السرعة؛ فيحتاج الذي يزحف عنها أن يزحف إليها من ساعته، فلا تزال للمصطلي كذلك، ولا يزال المصطلى ا كذلك؛ فمن أجله قيل: نار الزحفتين.

٩٥٧- (نار الغضى): يضرب ا المثل في الحرارة لأ ا أحر نار الجمر، والغضى من بين سائر العيدان لا يصلح إلا للوقود، فكأنه خلق للنار لا غير.

٩٥٨- (نار الحلفاء) يضر ا المثل في سرعة الإيقاد، قال الشاعر:

فما ظنك بالحلفا إذا دبت ا النار

وفي سرعة الانطفاء أيضا، فيقال: نار الحلفاء، سريعة الانطفاء.

٩٥٩- (نار الحباحب): هي نار الحباحب، ونار أبي حباحب، تضرب مثلا للشيء يروق ولا طائل فيه، وفيها أقاويل مختلفة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الحباحب رجلا بخيلا، وكان لا يوقد نارا بليل كراهية أن يلقاها من ينتفع بضوئها، وكان إذا احتاج إلى إيقادها أوقدها، وإذا أبصر مستضيئا ا أطفأها، فضربت العرب المثل ا وذكروها عند كل شيء لا ينتفع به.

وقال غيره: هي النار التي توريها الخيل بسنابكها من الحجارة إذا وطئتها كما قال الله تعالى ﴿**فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا**﴾[1].

وقال آخرون: هي طائر أحمر الريش، يظهر ما بين المغرب والعشاء فيخيل للناظر أنّ في جناحه نارا.

وقال الجاحظ: هي كل نار تراها ولا حقيقة لها عند التماسها، كقدح الخيل من حوافرها إذا وطئت المرو والصفا والجلاميد الكبار، قال النابغة:

---

(١) سورة العاديات٢.

*** ويوقدن بالصفاح نار الحباحب***

وقال القطامي:

إلا إنما نيران قيس إذا شتوا ... لطارق ليل مثل نار الحباحب

ويجوز أن تكون قد شبهت النار التي لا منفعة فيها ولا حاصل تحتها بنار الحباحب الذي اقتص ابن عباس رضى الله عنهما قصتها.

ووصف بليغ انقضاض الكواكب فقال: وإن الفلك ليفتر عن شهب ثواقب، كنيران أبي حباحب من كلام طويل، قال ابن المعتز:

وحين أخذنا ثأركم من عدوكم ... فعدتم لنا تورون نار الحباحب

٩٦٠- (نار البرق): ما أحسن ما وصفها أعرابي فقال:

نار تجدد للعيدان نضر ا ... والنار تشعل أحيانا فتحترق

يقول: كل نار في الدنيا تحرق العيدان وتستهلكها إلا نار البرق فإ ا تجيء بالغيث، فإذا غشيت الأرض أحدث الله للعيدان جدة، وللأشجار أغصانا لم تكن.

٩٦١- (نار المعدة): حكى أبو العيناء، قال: اجتمعنا في مجلس ابن الأعرابي ومعنا الجاحظ والجماز، فأخذنا نتناشد الأشعار، ونتذاكر الأخبار، ووقع الجاحظ والجماز في كياد وملاحاة، فقال له الجماز: هات، كم تعرف في كلام العرب من نار؟ فقال: على الخبير سقطت: نار الحرب، ونار الشر، ونار أبي حباحب، ونار الله الموقدة، ونار المعدة، ونار الطبع، ونار الاصطلاء فقال الجماز: تركت أبلغ النيران، وأوسعها في البلدان، وأصلحها بلسان الجيران، قال: وما هي؟ قال: نار حرأمك التي ﴿**كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير**﴾ [(١)]، قال الجاحظ: قد قضيت بأنّ لها حجابا وخزانا، ولكن الشأن في نار حرأمك التي يقول لها: ﴿**هل امتلأْتِ وتقُولُ هلْ مِن مزيدٍ**﴾[(٢)].

٩٦٢- (نار الحمى): يقال: إن النيران ثلاث: نار تأكل وتشرب، وهي نار الحمى تأكل اللحم وتشرب الدم، ونار تأكل ولا تشرب، وهي نار الدنيا، قال الشاعر:

---

(١) سورة الملك ٨.

(٢) سورة ق ٣٠.

النار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

ونار لا تأكل ولا تشرب، وهي نار جهنم.

٩٦٣- (نار الشوق): هي مذكورة على الاستعارة، وكذلك نار الوجد ونار اللوعة، ونار الغرام، وما أشبهها، وقد أكثر الناس فيها نظما ونثرا؛ قال أحمد بن أبي طاهر يهجو المبرد:

ويوم كنار الشوق في قلب عاشق على أنه منها أحر وأوقد

ظللت به عند المبرد قائظا فما زلت من ألفاظه أتبرد

وقال لي السيد أبو جعفر الموسوي يوما وأنا معه على المائدة، وقد قدم لي لون في غاية الحرارة: كأنما طبخت بنار شوقي إليك.

وقال البحتري في نار الوجد:

أما وهواك حلفة ذي اجتهاد يعد الغي فيك من الرشاد

لقد أذكى فراقك نار وجدي وألف بين عيني والسهاد

وقال ابن الرومى:

أترى عليل الوجد يطفئ ناره إلا رضاب الكاعب الغيداء!

وقال أبو تمام في نار اللوعة:

أجدر بجمرة لوعة إطفاؤها بالدمع أن تزداد طول وقود

وقال القاضي أبو الحسن في نار الغرام:

ولو كنت أدري ما أقاسي من الهوى لما حكمت للبين في وصلنا يد

فلا ينكر التخليد في النار عاقل فإني في نار الغرام مخلد

٩٦٤- (نار الشرّ): النار قد تستعار في الشر، كقولهم: من قدح نار الفتنة صار طعامها، وكما قال ابن الرومي من قصيدة يعزي بها ابن المسيب عن ابنة له:

تعزيت عمن أثمرتك حياته ووشك التسلي عن ثمارك أجدر

لأن احتيال المرء في ابن وفي ابنة يرجي وكرّ الدهر شخصك أعسر

وكم من أخي حرّية قد رأيته ـه **بنار ذوي الإصهار يكوى ويصهر**
لعل الذي أعطاك ستر حيا ـا **كساها من اللحد الذي هو أستر**

وكما قال أبو القاسم النقيب الموسوي أخو أبي الحسن:

ومولى علـني صـرفا أجاجـا **بما أسـقيه مـن عـذب زلال**
أرى في وجهه مـاء التصـافي **وفي أحشـائه نـار التقـالي**

٩٦٥- (نار الحياة): هي الحرارة الغريزية، ومنها الجماع، فإنه مقتبس من نار الحياة، فليكثر أو يقلّ، قال الصنوبري:

نار راح أو نـار خـد ونـار **لحشا الصّبّ في لظاها اسـتعار**
ما أبالي ما دام للضّيف عنـدي **كيف كان الثلـوج والأمطـار**

وقال كشاجم:

يا خليلـي جنبـاني الرحيقـا **إنني لسـت للرّحيـق مطيقـا**
قد تيقنت أنّهـا تطـرد الهـمّ **وتبـدي إلى السـرور طريقـا**
غير أني وحدت للـرّاح نـارا **تلهب الجسم والمزاج الرقيقـا**
فـإذا مـا جمعتـها ومزاجـي **حـرّقتني بنارهـا تحريقـا**

وقال:

فـلا تجمعـن علـيّ الضـنى **بنـار المـزاج ونـار المـدام**
فإن تكن الراح تنفـي الهمـوم **فربتمـا عرضـت للسـقام**

وأنشد أبو بكر الخوارزمي:

أعد الورى للبرد جندا من الصلا **ولافيتـه مـن بينـهم بجنـود**
ثلاث من النيران: نار مدامـة **ونار صـبابات ونـار وقـود**

٩٦٦- (نار الشباب): أنشدني أبو الفتح البستي لنفسه:

علـي ـا لا كنـار الخليـل **فبرد المـدام يزيـد الفتـورا**

ولكن كنار الشباب التي تحيي النفوس وتحيي السرورا
إذا شرب المرء منها ثلاثا رأى النار من فوق خديه نورا

٩٦٧- (نار الكيّ): يضرب بها المثل للأمر يقدر فيه الخير فيكون على الضد، وذلك أن رجلا رأى دخانا فظنه من نار الطبيخ فتبعه، فإذا هو نار الكي، كما قال ابن المعتز:

لا تتبعن كل دخان ترى فالنار قد توقد للكي

٩٦٨- (نار الذبالة): يشبه بها الحاسد الذي يضحك لك وهو يحترق حسدا عليك، كما قال ابن المعتز:

كم حاسد حنق علي بلا جرم فلم يضررني الحنق
متضاحك نحوي كما ضحكت نار الذبالة وهي تحترق

ويشبه بها أيضا من ينفع غيره ويضر نفسه، كما قال العباس بن الأحنف:

أحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأني ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق

وقال:

وفتيلة المصباح تحرق نفسها وتضيء للساري وأنت كذاكا

ولأبي إسحاق الصابي من رسالة: أنت ناصب نفسك فيهم نصب الذبال الذي يستضاء به وهو يحترق، والند ينفع الناس وهو ينمحق.

٩٦٩- (قبسة العجلان): يضرب بها المثل للمستعجل في الأمر، ويشبه بمن يدخل دارا ليقبس نارا فلا يمكث فيها إلا ريثما يقتبس، ثم يخرج ومثلها: عجالة الراكب، قال الشاعر:

وزائر زار وما زارا كأنه مقتبس نارا

٩٧٠- (فراش النار): قد تقدم ذكرها في باب الذباب والبعوض وما جانسهما. وفراش النار ذباب النار، وقال النبيﷺ: «**كل ذباب في النّار إلا النحلة**».

وحكى الجاحظ عن أشياخه؛ أنّ ما خلق الله من السباع والبهائم والحشرات

والهمج قبيح المنظر مؤلم، أو حسن المنظر ملذّ، فما كان كالخيل والظباء والطواويس والتدارج فإنه يلذ في الجنة، ويلذ أولياء الله بالنظر إليه، وما كان قبيحا مؤلم النظر جعله الله عذابا إلى أعدائه في النار، فإذا جاء في الأثر أن الذباب وغيره في النار فإنما يراد به هذا المعنى. وذهب بعضهم إلى أ ا تكون في النار وتلذها كما أن خزنة النار والذين يتولون من الكفار التعذيب يلذون موضعهم من النار. وذهب بعضهم إلى أن الله تعالى يطبعهم على استلذاذ النار والعيش ا، كما طبع ديدان الخل والثلج على أماكنها.

٩٧١- (كلاب النار): قد تقدم الكلام في كلاب النار، وهم الخوارج والنوائح على ما نطقت به الآثار، وقد يقال للأنذال الأشرار: إخوان الشر، ومن جانسهم أيضا: كلاب النار.

٩٧٢- (سرادق النار): هو من الاستعارات في القرآن التي لا أفصح منها، قال الله تعالى: ﴿**إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها**﴾(١).

وكان أبو الخطاب الكاتب يوما في سرادق، فحميت عليه الشمس ومنعته القيلولة فقال:

من قائل لعبيد الله عـن رجـل ... في صدره من بقايا شوقه مـذق
هل أنت منقذ نفس من حشاشتها ... بعض المنية مشدود ا الرمـق!
إذ نحن في النار صرعى قد أحاط بنا ... سرادق النار إلا أ ـا حـرق

٩٧٣- (سعد النار): كان بالمدينة رجل يقال له: سعد النار، وا م سعد بن مصعب بن الزبير بامرأة، وكانت تحته ابنة حمزة بن عبد الله بن الزبير فقال فيه الأحوص:

وليس بسعد النار من تذكرونه ... ولكن سعد النار سعد بن مصـعب
ألم تر أن القوم ليلـة جمعهـم ... بغوه فألفوه لدى شر مركـب
وما يبتغـي بالشـر لادر دره ... وفي بيته مثل الغزال المربـرب

فدعا بالأحوص وأمر به فأوثق، أراد ضربه، فقال الأحوص: دعني ولا والله لا أهجو زبيريا قط، ثم قال له: والله إني مالمتك على مزحك ولكني أنكرت قولك:

(١) سورة الكهف ٢٩.

*** وفي بيته مثل الغزال المربرب ***

٩٧٤- (نافخ النار): من أمثال العرب: ما ا نافخ ضرمة، كما يقال: ما ا ديار؛ والضرمة: ما أضرمت فيه النار كائنا ما كان. وفي حديث علي رضي الله عنه: لود معاوية أنه ما بقي من بني هاشم نافخ ضرمة إلا طعن في نيطه" والنيط: نياط القلب، وهو علاقته التي يتعلق ا، فإذا طعن في ذلك المكان فقد مات.

الباب الخمسون

في الشجر والنبات

نخلتا حلوان. نخلة مريم. سروة بست. شجر الأترج. شجر الخلاف. سدرة المنتهى. نسيم الروض. برد الورد. خدود الورد. عيون النرجس. دمع الكرم. شق الأيلمة. طرف الثمام. نقيع الحنظل. فقع قرقر. خرط القتاد. حسك السعدان. عصب السلمة. قلع الصمغة.

الاستشهاد

٩٧٥- (نخلتا حلوان): كانتا بعقبة حلوان من غرس الأكاسرة؛ فضرب ا المثل في طول الصحبة وقدم ا اورة. وقد أكثر الشعراء من ذكرهما، فمنهم مطيع بن إياس حيث قال:

أسعداني يـا نخلـتي حلـوان وابكيالي من ريب هـذا الزمـان

واعلما إن علمتمـا أن نحسـا سـوف يلقاكمـا فتفترقـان

وقال حماد عجرد:

جعل الله سدرتي قصر شـيرين فـداء لـنخلتي حلـوان

جئت مستسعدا فما أسـعداني ومطيع بكـت لـه النخلتـان

وأنشد الصولي لحماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

أيهـا العـاذلان لا تعـذلاني ودعاني مـن البكـاء دعـاني

وابكيـا لي فـإنني مسـتحق منكما للبكـاء أن تسـعداني

وأنـا منكمـا بـذلك أولى من مطيـع بـنخلتي حلـوان

فهما يجهلان ما كـان يشـكو من جـواه وأنتمـا تعلمـان!

ولما صار المهدي في شخوصه إلى الري بعقبة حلوان استطاب الموضوع، فنـزل به ونشط للشرب، فأنشد بيتي مطيع في نخلتي حلوان، فتطير منهما وقال: لئن رجعت لأفرقن بينهما، فبلغ قوله المنصور، فكتب إليه: يا بني، أقسمت عليك ألا

تكون ذلك النحس الذي يلقاهما.

ويقال: إن حسنة جاريته هي التي قالت له هذا الكلام؛ فأمسك لهذا عن قطعهما.

ويروى أن الرشيد في مسيره الأول إلى الري أحتاج إلى الجمار لحرارة ثارت به، فأخذ جمار إحدى النخلتين لدوائه فجفت، ولم تلبث صاحبتها أن جفت أيضا وبطلتا جميعا.

٩٧٦- (نخلة مريم): من أمثالهم: أعظم بركة من نخلة مريم، وقصتها معروفة، قال الشاعر:

ألم تــر أن اللــه قــال لمريم وهزي إليك الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزه جنته ولكن كل رزق لــه سبب

٩٧٧- (سروة بست): كانت بقرية كشمير من رستاق بست نيسابور سروة من السرو الضخم من غرس يستاسف، لم ير مثلها طولا وعرضا واستواء ونضارة، وكانت من مفاخر خراسان إذ لم يكن لها شبيه في الحسن في الآفاق. وكان المثل يضرب ا في الحسن والأعجوبة، وكانت ظلالها فرسخا، فجرى ذكرها غير مرة في مجلس المتوكل، فأحب أن يراها، وحين لم يقدر له النهوض إلى خراسان كتب إلى طاهر بن عبد الله يأمره بقطعها، وبعث أقطاع جذعها وأغصا ا كلها في اللبود وحملها على الجمال إلى الحضرة لينصبها النجارون بين يديه حتى لا يفقد منها أوراقها؛ فأشار عليه جلساؤه بالإضراب عنها، وخوفوه عاقبة أمرها، وأخبروه بما في قطعها من الطيرة، فكأ م أغروه ا، ولم ينفع السروة شافعة الشافعين، ولم يجد طاهر بدا من امتثال الأمر فيها، وأنفذ النجارين لقطعها، والجمال لحملها.

ويحكى أن أهل رستاق ضمنوا لطاهر مالا جزيلا على إعفائها من القطع، فأبى وقال: لو ضمنتم مكان كل درهم دينار لم أقدر على مخالفة أمر أمير المؤمنين. ولما قطعت عظمت المصيبة ا على أهل الناحية، وارتفعت ضجا م بالبكاء عليها وقالت شعراؤهم في رثائها، ثم عبئت في اللبود وحملت على ثلاثمائة جمل إلى الحضرة؛ فتفاءل ا علي بن الجهم على المتوكل فقال:

فأل سرى بســبيلة المتوكــل فالسرو يسري والمنيــة تنــزل

مـا سـربلت إلا لأن إمامنـا بالسيف من أولاده متسـربل

فجرى الأمر على ما تفاءل به، وقتل المتوكل قبل وصول السروة إلى حضرته؛ وتذاكر الناس البيتين بعد قتله.

٩٧٨- (شجرة الأترج): تضرب مثلا لمن طاب أصله وفرعه وكل شيء منه، وأول من شبه به الممدوح ابن الرومي فقال وأحسن:

كل الخلال التي فيكم محاسنكم تشابهت منكم الأخلاق والخلق
كأنكم شجر الأترج طاب معا حملا ونورا وطاب الطعم والـورق

وقال بديع الزمان الهمذاني:

فإن يكن شجر الأترج طاب معا حملا ونورا وطاب العود والـورق
فإن لون عسيب الكلب خس معا فدا وقدرا وخس اللحم والمرق

٩٧٩- (شجر الخلاف): يشبه ما يروق منظره ولا يحصل ثمره، قال ابن الرومي:

فغدو كالخلاف يورق للعين ويأبى الإثمار كل الإباء

وحله من قال: فنظر في الخلاف، كشجر الخلاف، يزهر للعين، ولا يثمر في اليدين. وقصد ابن لنكك هذا المعنى فنقله إلى السرور حيث قال:

في شجر السرو منهم مثل لـه رواء ومالـه ثمـر

٩٨٠- (سدرة المنتهى): قال الله جل ذكره: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَـزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى**﴾ (١) فجعلها النهاية في محل القرب والكرامة.

وتمثل ا الصاحب بحضرة عضد الدولة فقال: حضرة هي الغاية القصوى من الـد، وسدرة المنتهى بين أهل الأرض.

٩٨١- (نسيم الروض): من أحسن ما قيل فيه على كثرته قول البحتري:

يـذكرنيك والـذكرى عنـاء مشابه فيك طيبـة الشـكول
نسيم الروض من ريـح شمـال وصوب المزن من راح شمـول

---

(١) النجم ١٣، ١٤.

وهو القائل نثرا أيضا - وحكاه الصاحب عنه فقال: أنا أستحسن قول البحتري: الشكر نسيم النعم.

٩٨٢- (برد الورد): يقال للبرد المستطاب: برد الورد، وهو برد الربيع كما يقال للبرد الكرية برد العجوز، وشتان ما بينهما! ويقال: إن برد الربيع مورق، وبرد الخريف موبق.

٩٨٣- (خدود الورد): لما شبهت الخدود المستحسنة بالورد استعيرت له الخدود، كما قال ابن الرومي:

خجلت غصون الورد من تقبيلها خجلا توردها عليه شاهد

ومن أحسن ما قيل في ذلك قول محمد بن موسى الحدادي البلخي:

ما بال فرقة شملنا لا تجمع وإلى متى يصل الزّمان ويقطع!

كم خلفت تلك الركاب وراءها من منزل فيه لنا مستمتع

فالورد يلطم خده والجلنار عيون نرجسه علينا تدمع

٩٨٤- (عيون النرجس): تشبيه العيون بالنرجس معروف مشهور واستعارة العيون له كذلك، قال ابن المعتز:

كأن عيون النرجس الغض حولنا مداهن در حشوهن عقيق

وقال الصنوبري:

أرأيت أحسن من عيون النرجس أم من تلاحظهن وسط المجلس!

در تشقق عن يواقيت على قضب الزبرجد فوق بسط السندس

٩٨٥- (دمع الكرم): يشبه به كل شيء دقيق لطيف. ومن أحسن ما قيل في ذلك، قول ابن المعتز:

بكيتك حتى قيل قد ألف البكا ونحتك حتى قيل إلف حنين

ورقت دموع العين حتى كأنها دموع كروم لا دموع جفون

فأخذه الصابي وزاده حيث يقول:

وكأن ما في العين من كأسي جرى وكأن ما في الكأس من أجفاني

٩٨٦- (شق الأبلمة): من أمثال العرب قولهم: المال بيني وبينك شق الأبلمة؛ والأبلمة بالضم والكسر، لأن الأبلمة إذا شققتها طولا انشقت نصفين سواء من أولها إلى آخرها. وعن ابن الأعرابي أ ا بقلة تخرج لها قرون كالباقلاء وليس لها أرومة؛ وليس شيء أبلغ من التنصيف منها، ولذلك قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه للأنصار رضي الله عنهم يوم السقيفة:

الأمر بيننا وبينكم شق الأبلمة؛ فنحن الخلفاء وأنتم الوزراء. وكان ذلك جوابا عن قولهم: منا أمير ومنكم أمير.

٩٨٧- (طرف الثمام): يضرب مثلا لتسهيل الحاجة وقرب تناولها، فيقال: على طرف الثمام، لأن الثمام شجر لا يطول فيشق على متناوله.

٩٨٨- (نقيع الحنظل) يضرب مثلا لما يوصف بالمرارة والكراهية؛ لأن الحنظل أمر شيء وأكرهه، قال عنترة:

والخيل ساهمة الوجوه كأنما سقيت سوابقها نقيع الحنظل

وكان سفيان بن عيينة يتمثل في ذم الدنيا ـذين البيتين:

دنيا تساق لها العبـاد ذميمـة شيبت بأكره من نقيع الحنظـل

وبنات دهر لا تـزال صـروفه فيها وقائع مثل وقـع الجنـدل

٩٨٩- (فقع قرقر): يضرب ا المثل للذليل الضعيف الذي لا امتناع به على من يضيمه، والفقع ثخين الكمأة، وهو أبيض ضخم سريع الفساد قليل الصبر على الحياة، يقال: أذل من فقع بقاع قرقر، قال النابغة في النعمان:

حدثوني بني السقيفة ما يمنع فقعا بقرقـر أن يزولا

وقال آخر:

*** ولا تحسبني فقع قاع بقرقر ***

٩٩٠- (خرط القتاد): من أمثال العرب في الأمر دونه مانع قولهم: من دون ذلك خرط القتاد، لأن شوك القتاد مانع من خرط ورقه، وشوك القتاد مضروب به المثل في الخشونة والشدة، كما قال أبو تمام:

نثا خبر كأن القلب أمسى يجر به على شوك القتاد

وخطب علي رضي الله عنه يوما وحث على الجهاد، فقام إليه رجل ومعه أخوه فقال: يا أمير المؤمنين، أنا وأخي كما قال الله تعالى: ﴿**رب إني لا أملِك إلا نفْسِي وأخِي**﴾ [1]، فمرنا بأمرك؛ فوالله لننتهين إليه ولو حال بيننا وبينه شوك القتاد. فدعا لهما بخير. وفي خرط القتاد يقول كعب بن جعيل شاعر معاوية:

أرى الشام تكره أهل العـراق وأهل العـراق لهـم كارهينـا

وكـــل لصـــاحبه مـــبغض يرى كل ما كان من ذاك دينـا

وقـــالوا علـــي إمـــام لنـــا فقلنا رضينا ابن هنـد رضـينا

ومن دون ذلك خرط القتـاد وضرب وطعن يفـيض الشـئونا

٩٩١- (حسك السعدان): يضرب به المثل في الخشونة، كما قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه في كلام له عند موته: والله لتتخذن نضائد الديباج وشقق الحرير، ولتألمن النوم على الصوف الأذربي كما يألم أحدكم النوم على شوك السعدان.

٩٩٢- (عصب السلمة): السلمة شجرة إذا أرادوا قطعها عصبوا أغصا ا عصبا شديدا حتى يصلوا إلى أصلها فيقطعوه.

ومن أمثال العرب في الإلحاح على سؤال البخيل وإن كرهه: عصبه عصب السلمة، أي فعل به كما يفعل بالسلمة في الإلحاح والتضييق عليها.

وقد رووا هذا المثل عن الحجاج في خطبته لأهل العراق فيما كان يتوعدهم به من الشدة؛ إلا إنه لم يرد استخراج المال، وإنما أخذهم بالتشديد عليهم في إلزامهم الطاعة.

٩٩٣- (قلع الصمغة): ضرب مثلا في الاستئصال، لأن الصمغ إذا قلع انقلع كله؛ ولم يبق له أثر، وكذلك يقال: تركتهم على مثل الصمغة إذا لم يبق لهم شيء إلا ذهب.

ويروى أن الحجاج قال يوما لأنس بن مالك رضي الله عنه: والله لأقلعنك قلع

---

(١) سورة المائدة ٢٥.

الصمغة ولأعصبنك عصب السلمة.

ومثله قول العامة: كسره كسر الجوز، وقشره قشر اللوز، وأكله أكل الموز.

الباب الحادي والخمسون

في اللباس والثياب

ديباجة الوجه. برد الشباب. برود تزيد. رداء العز. قميص الشمس. سراويل قيس. طيلسان ابن حرب. قطيفة المساكين. كساء آل محمد. شعار الصالحين. حلة الأمن. خفا حنين. صف النعال. ريح الجورب.

الاستشهاد

٩٩٤- (ديباجة الوجه): الديباجة تستعار للوجه في الوصف بالحسن، وفي الوصف بوفور الحياء والماء، فأما عن الوصف بالحسن فكما قال أبو صخر الهذلي؛ ووصف امرأة في الغزل والنسيب بما يمدح به سادة الرجال:

أبى القلب إلا حبها عامرية … لها كنية عمرو وليس لها عمرو

ووجه له ديباجة قرشية … ا تدفع البلوى ويستنزل النصر

تكاد يدي تندى إذا ما لمستها … وينبت في أطرافها الورق الخضر

وكما قال الكميت:

أغر كالبدر يستسقى الغمام به … كأن ديباجتي خديه من ذهب

وكما قال البحتري:

وأخضر موشى البرود وقد بدا … منهن ديباج الخدود المذهب

وكما قال ابن المعتز:

ومالي أرى ديباج وجهك أصفرا … ونرجستي عينيك ذابلتين

وأما عند الوصف بالحياء والماء فكما قال أبو تمام:

وطول مقام المرء في الحي مخلق … لديباجتيه فاغترب تتجدد

وكما قال أبو الفتح البستي:

منزلتي يحفظها منزلي … وباحتي تحفظ ديباجتي

٩٩٥- (برد الشباب): قد أكثروا من هذه الاستعارة، ومن أحسن ما سمعت

فيها ما أنشدنيه الأمير السيد أدام الله تأييده لابن الرومي في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

أيا برد الشباب وكنت عندي ... من الحسنات والقسم الرغاب
لبستك برهة لبس ابتذال ... على علمي بفضلك في الشباب
ولو ملكت صونك فاعلمنه ... لصنتك في الجديد من العياب
ولم ألبسك إلا يوم فخر ... ويوم زيارة الملك المهاب

وما أحسن ما قال ابن طباطبا:

يا طيب ليل خلوت فيه بمن ... أقصر عن وصف كنه وجدي به
ليل كبرد الشباب حالكه ... نعمت في ظله وفي طيبه

وفي المثل: أحسن من برد الشباب، وأطيب من برد الشباب.

٩٩٥- (برود تزيد): يضرب بها المثل كما يضرب ببرود اليمن، والعرب تنسب البرود الفاخرة إلى تزيد، وتزعم أنها قبيلة للجن؛ كما قال أبو تمام يصف شعره:

كشقيقة البرد المسهم وشيه ... في أرض مهرة أو بلاد تزيد

وقال الصاحب:

*** تزيد على أبراد آل تزيد ***

٩٩٦- (رداء العزّ): قد أحسن البحتري في قوله وأجراه مجرى المثل السائر:

أصاب الدّهر دولة آل وهب ... ونال الليل منها والنهار
أعارهم رداء العز حتّى ... تقاضاهم فردوا ما استعاروا

وللشعراء استعارات في الرداء في غاية الحسن، كقولهم: رداء الشمس، ورداء الشباب، ورداء الفتوة، ورداء النور، ورداء الجمال، ورداء اللهو، وغيرها، قال طرفة:

ووجه كأن الشمس ألقت رداءها ... عليه نقي اللون لم يتخدد

ولما أنشد النمري الرشيد قصيدته التي أولها:

ما تنقضي حسرة منّي ولا جزع ... إذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
ما كنت أوفي شبابي كنه عزته ... حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع

فبكى الرشيد وقال: ما خير دنيا لا يحظى فيها برداء الشباب! وقال البحتري:

خلياه وجدّة اللهو مادا م رداء الشباب غضا جديدا
إن أيامه من البيض بيض ما رأين المفارق السود سودا

وقال أيضا:

رقة النور واهتزاز القضيب خبرا منك عن أغر نجيب
في رداء من الفتّوة فضفا ض وعهد من التصابي قريب

وقال ابن المعتز:

خليليّ اتركا قول النّصيح وقوما فامزجا راحا بريح
فقد نشر الصباح رداء نور وهبت للنّدى أنفاس ريح

وقال نصر الخبز أرزي:

نسيم عبير في غلالة ماء وتمثال نور في أديم هواء
تسربل سربالا من الحسن وارتدى رداءي جمال طرزا ببهاء

وقال الصنوبري:

ألقت رداء اللهو عن عاتقي خمس وخمسون مضت واثنتان

ولما قالت امرأة خالد بن صفوان له: إنك لجميل، قال: كيف وما علي برنس الجمال ولا عموده ولا رداؤه! ولكن قولي: إنك لمليح؛ يعني ببرنس الجمال الشعر، وبعموده القد، وبردائه البياض.

٩٩٨- (قميص الشمس): قد تصرفوا في استعارة القميص كما تصرفوا في استعارة الرداء، ولم أسمع في استعارة الشمس للقميص أحسن من قول الحسن بن وهب نثرا: شربت البارحة على وجه السماء، وعقد الثريا، ونطاق الجوزاء، فلما انتبه الصبح نمت، فلم استيقظ إلا بعد أن لبست قميص الشمس. ولم أسمع في قميص الليل كقول ابن المعتز:

وجاءني في قميص الليل مستترا يستعجل الخطو من خوف ومن حذر

وقوله:

فلو ترانا في قميص الدجى حسبتنا في جسد واحـد

وقوله:

لبسنا إلى الخمار والنجم غائر غلالة ليـل طرزت بصباح

وأما قول ابن عروس:

خفض عليك فلو كساك قميصه تموز كنت فتى وحقك باردا

فهو كما تراه في حسن السبك وجودة الاستعارة.

وأنا استملح قول الصنوبري:

نثرت على تلك الثرى حلـل مـما يحـوك الرّعـد والـبرق

قمصـــان خــيرى ملونـــة وغلائـل مــن ســندس زرق

٩٩٩- (سراويل قيس): يضرب مثلا لثوب الرجل الضخم الطويل. وكان قيصر بعث إلى معاوية رضي الله عنه بعلج من علوج الروم طويل جسيم، معجب بكمال خلقته، وامتداد قامته؛ فعلم معاوية أنه ليس لمطاولته ومقاومته إلا قيس بن سعد بن عبادة، فإنه كان أجسم الناس وأطولهم، فقال له يوما وعنده العلج: إذا أتيت رحلك فابعث إلي بسراويلك؛ فعلم قيس مراده، فنـزعها ورمي ا إلى العلج والناس ينظرون، فلبسها العلج فطالت إلى صدره، فعجب الناس، فأطرق الرومي مغلوبا، وليم قيس على البذل بحضرة معاوية، فأنشد يقول:

أردت لكيما يعلم الناس أ ـا سراويل قيس والوفود شـهود

وألا يقولوا غاب قيس وهـذه سراويل عـادي نمتـه ثمـود

وإني من القوم اليمـانين سـيد وما الناس إلا سـيد ومسـود

وبز جميع الناس أصلي ومنصبي وجسم به أعلو الرجال مديـد

١٠٠٠- (طيلسان ابن حرب): كان محمد بن حرب أهدى إلى الحمدوني طيلسانا خلقا، وكان الحمدوني يحفظ قول أبي حمران السلمي في طيلسانه، وهو:

يا طيلسان أبي حمران قد برمت بك الحياة فما تلتـذّ بـالعمر

وفي كل يوم لــه رفــا يجــدده هيهات ينفع تجديد مع الكــبر
إذا ارتــداه لعيــد أو لجمعتــه تنكب الناس لا يبلى من النظر

فاحتذى حذوه وانثالت عليه المعاني، حتى قال في وصف الطيلسان قرابة مائتي مقطوعة، ولا تخلو واحدة منها من معنى بديع، وصار الطيلسان عرضة لشعره، ومثلا في البلى والخلوقة والانخراط في سلك حمار طياب وشاة سعيد، وسرطة وهب، وأير أبي حكيمة المتقدم ذكر كل منها، فمن نوادر ما قال فيه مقتبسا من القرآن:

يا بن حرب كسوتني طيلســانا أمرضته الأوجاع فهــو ســقيم
وإذا ما رفوتــه قــال ســبحا نك محيي العظام وهي رمــيم!

وقوله:

طيلسان لو كان لفظا إذا مــا شــك إنســان أنــه هذيــان
فهو كالطور إذ تجلــى لــه الله فــدكت قــواه والأركــان
كم رفونــاه إذ تمــزق حتّــى بقي الرفو وانقضى الطيلســان

وقوله:

فيما كسانيه ابن حرب معتــبر فانظر إليه أنه إحــدى الكــبر
قد كان أبيض ثم ما زلنــا بــه نرفوه حتى أسود من صدأ الإبر

وقوله:

يا بن حرب أطلت فقري برفــوي طيلسانا قد كنت عنــه غنيــا
فهو في الرفو آل فرعون في العرض علــى النــار بكــرة وعشــيا

ومما اقتبسه من قول النبي ﷺ قوله:

وطيلســـــان إن تأملتـــــه شــققته بــالطول والعــرض
لــو أنـــه بعـــض بـــني آدم كـــان أســـير الله في الأرض

لأن في الخبر: "إن العبد إذا بلغ تسعين سنة كتبت له الحسنات، وكفّرت عنه السيئات، وسمي أسير الله في الأرض".

ومن ملح مضمنات الحمدوني قوله:

كساني ابن حرب طيلسانا كأنه ... **فتى عاشق بال من الوجد كالشن**
يغني لإبـراهيم حـين لبسـته ... **ذهبت من الدنيا وما ذهبت منّي**

وقوله:

يا طيلسان ابن حرب قد هممت بما ... **يودي بجسمي كما أودى بك الزمن**
فقد تراني لدى الرّفّاء مرتبطـا ... **كأنّني في يديه الـدّهر مـرتهن**
غنيت حين رآني الناس ألزمـه ... **كأنمــا لي في حانوتــه وطــن**
من كان يسأل عنّا أين منــزلنا ... **فالأقحوانة منّا منــزل قمــن**

وقوله أيضا:

قل لابن حرب طيلسانك قـد ... **أوهى قـواي بكثـرة الغـرم**
متــبين فيــه لمبصــره ... **آثــار رفــو أوائــل الأمــم**
فكأنه الخمـر الـتي وصـفت ... **في "ياشقيق الروح من حكـم"**
وإذا رممنــاه وقيــل لنــا ... **قد صح قال له البلـى انهـدم**
مثل السـقيم بـرا فراجعـه ... **نكـس وأسـلمه إلى السـقم**
أنشدت حين طغـى فـأعجزني ... **ومن العنـاء رياضـة الهـرم**

وفي بدائع معانيه قوله:

يا بن حرب كسوتني طيلسـانا ... **مل من صحبة الزمان وصـدا**
طال ترداده إلى الرفـو حـتى ... **لـو بعثنـاه وحـده لتهـدى**

والشك في أن ابن الرومي تعقبه، فقال على لسانه ما لا يقصر عن إبداعه كقوله:

يا بن حرب كسوتني طيلسـانا ... **يزرع الرّفو فيه وهـو سـباخ**
نسر دهر كنسر لقمان والنسـران ... **إن قسـتها إليــه فــراخ**

مـات رفـاؤه ومـات بنـوه وبدا الشّيب في بنيهم وشاخوا
تستطير الشقوق طولا وعرضا فيـه حتّـى كـأنّهنّ رخـاخ

وضرب ابن سكرة المثل بطيلسان ابن حرب فقال يهجو أبا الطيب المتنبي من قصيدة:

هاجـت بلابـل قلـبي وقـام شـعري يلبـي
لمـا تبـدى لعـيني في زيّـه المتـنبي
طوبى لمالـك لـو أنـه أعـين بلـبّ
ياليت خصـبك عنـدي وحـل عنـدك جـدبي
حتّـى أراك مـردي بطيلسان ابـن حـرب

١٠٠١- (كساء آل محمد): الذي يضافون إليه فيقال: آل الكساء كما قال ديك الجن في قوله:

والخمسة الغرّ أصحاب الكساء معا خير البرية من عجم ومن عرب

وكما قال أبو عثمان الخالدي:

أعاذل إن كساء التقى كسانيه حبّي لأهل الكساء

ومن طريف التمثيل به قول أبي علي البصير لمن وعده كساء فأخلف:

غزل الكساء ترى من النساج مـن وبأرض عمّان تطرّز أم عـدن
ولأي وقت بعـد ريـح قـرة هبت وأمطار ألحّـت يختـزن
هبه الكساء كساء آل محمـد هل مطلنا هذا الطويل به حسن!

ومن قصة هذا الكساء ما روت الرواة من أنّ وفدا بنجران من النصارى قدموا على النبي ﷺ، فكان ما جرى بينهم وبينه أن قال: يا محمد، لم تعيب عيسى وتسميه عبدا؟ فقال: أجل، عبد الله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم، قالوا: فأرنا مثله يحيى الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويخلق من الطين كهيئة الطير، وبايعنا على أنه ابن الله، ونحن نبايعك على أنك رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: معاذ الله أن

يكون لله ولد أو شريك فما زالوا يحاجونه ويلاحونه حتى أنـزل الله: ﴿**فَمن حاجك فِيهِ مِن بعدِ ما جاءَك مِن العِلمِ فَقُلْ تعالَوا ندع أبناءَنا وأبناءَكُم ونساءَنا ونساءَكُم وأنفُسنا وأنفُسكُم ثُم نبتهلْ فَنجعل لعنةَ اللهِ على الكاذِبين**﴾(١)؛ فعرض عليهم المباهلة، وهي الملاعنة، فتواعدوا لها، وجمع إليه ﷺ عليا وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ثم قال: ﴿**إنما يريد الله لِيذْهِب عنكُم الرجس أهلَ البيتِ ويطَهركُم تطْهيرا**﴾(٢).

ويروى أن جبريل عليه السلام انضم إليهم واندس فيهم تقربا إلى الله تعالى بمداخلتهم، فعدل النصارى عن المباهلة، وقال بعضهم لبعض: إنّ هذا الرجل لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون نبيا أو ملكا، فإن كان نبيا فإن الله لا يخالفه فينا، وإن كان ملكا فليس إلا استخفافًا بنا، والرأي أن نصالحه ونعرض عن مباهلته؛ فجنحوا إلى مسالمته على ألا يغزوهم النبي ﷺ، ولا يردهم عن دينهم؛ وعلى أن يؤدوا إليه في كل عام ألف حلّة نجرانية، وثلاثين درعا عادية. وصالحهم النبي ﷺ وقال: «**لو باهلوني لما حال الحول على واحد منهم ولأهلك الله الكاذبين**» فمن ذلك الوقت سمي الخمسة أصحاب الكساء وسادسهم جبريل عليه السلام، وفيهم قيل: أفضل من تحت الفلك، خمسة رهط وملك.

١٠٠٢- (قطيفة المساكين): هي الشمس يسميها فقراء العرب في الشتاء: قطيفة المساكين، وفيها يقول قائلهم:

يا شمس يا قطيفة المساكين   قربك الله كمـا تعودين

١٠٠٣- (شعار الصالحين): في كتاب الكنى لمؤلف هذا الكتاب: لبس فلان شعار الصالحين، إذا افتقر، لأن في الخبر: " الفقر شعار الصالحين".

١٠٠٤- (حلة الأمن): قد استعار الناثرون للأمن حلة، ولم أسمع بمن ضمن ذلك قوله من الشعراء إلا ابن الرومي حيث قال:

أتنسـين أيامـا لنـا ولياليـا   محاسنها كالروض في صبحّة الدجن

---

(١) سورة آل عمران ٦١.
(٢) سورة الأحزاب ٣٣.

عهود مضت محمـودة فكأنهـا معانقة اللذات في حلة الأمـن

١٠٠٥- (خفا حنين): من أمثال العرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة: رجع فلان بخفي حنين. وكان حنين رجلا إسكافا من أهل الحيرة، فساومه أعرابي بخفين، فاختلفا حتى أغضبه الأعرابي، وأراد حنين غيظ الأعرابي، فلما ارتحل أخذ أحد خفيه، فطرحه، ثم ألقى الآخر في مكان آخر، فلما مر الأعرابي بأحدهما قال: ما أشبه هذا الخف بخفي حنين! ولو معه الآخر لأخذته، ومضى فلما انتهى إلى الآخر ندم على تركه الأول فأناخ راحلته ورجع في طلب الأول وقد كان حنين كمن له، فعمد إلى راحلته وما عليها فذهب بها وأقبل الأعرابي وليس معه إلا خفان: فقال له قومه: ماذا جئت به من سفرك؟ قال: جئتكم بخفي حنين، فذهبت كلمته مثلا. ويقال: جاء فلان بخفي حنين، وخصيي دكين وسخنة عين، ودكين اسم خادم خصي.

وأنشد أبو الفتح البستي لنفسه:

أكتاب بست كم تناجز كم علـى وزارة بست وهي سخنة عـين

وخفا حنين فوق مـا تطلبونـه فكم بينكم في ذاك حرب حنين!

وقد أحسن في الجمع بين حرب حنين وخفي حنين.

١٠٠٦- (صف النعال): يضرب مثلا لمكان الذليل، فيقال: هو في صف النعال، لافي صف الرجال، كمايقال: هو في مزجر الكلب، ويقال: أذل من النغل.

١٠٠٧- (ريح الجورب): يضرب مثلا في النتن، قال الشاعر:

غزا ابن عمير غزوة تركت له نثنا كريح الجورب المتمزق

وقال آخر:

أثنى علي بما علمت فإنني أثني عليك بمثل ريح الجورب.

الباب الثاني والخمسون

في الطعام وما يتصل به

عجالة الراكب. لهنة الضيف. طعام يد. ثريدة غسان. جفان ابن جدعان. حلية الخوان. كلب الخبز. قاضي الحلاوة. فالوذج السوق. حشو اللوزينج. مخ الأطعمة. أكلة خيبر. شهوة المريض. قدر الرقاشي. غداء ابن أبي خالد. مواعيد الكمون. دعوة السنة.

الاستشهاد

١٠٠٨- (عجالة الراكب): هي ما يتعجله الرجل من الطعام، أو ما يتزوده الراكب مما لا يتعبه؛ كالخبز والسويق وما أشبههما. وفي أمثال العرب: يقنع بعجالة الراكب في الرضا بيسير الحاجة إذا أعوز جليلها.

١٠٠٩- (لهنة الضيف): هي ما يقدم إلى الضيف ليتعلل به إلى أن يدرك الطعام، فيقولون: لهنوا ضيفكم؛ كأنه مثل في الاقتصار على اليسير إلى أن يلحقه الأكثر.

ومن أمثال العامة في هذا المعنى: كسيرة بملح إلى أن يدرك الشواء، قال أبو نواس:

نكنا رسـول عنـان ... والحزم ما قد فعلنـا

فكان خبـزا بملـح ... قبل الطعـام أكلنـا

١٠١٠- (طعام يد): لما كف بصر حسان بن ثابت رضي الله عنه كان إذا دعي إلى طعام قال: طعام يد، أو طعام يدين، فإذا قيل طعام يد مد إليه اليد، فأكل منه، وإذا قيل: طعام اليدين أمسك، وتعبيره: أن الطعام إذا كان حيسا أو ثريدا أوحريرة؛ مما يكتفي في تناوله بيد واحدة، فهو طعام يد، وإذا كان شواء أو غيره مما يحتاج فيه إلى استعمال اليدين، فهو طعام يدين.

١٠١١- (جفان ابن جدعان) كان عبد الله بن جدعان من مطعمي قريش، كهاشم بن عبد مناف، وهو أول من عمل الفالوذج للأضياف، وفيه يقول أمية بن أبي الصلت:

لـه داع بمكـة مشـمعل ... وآخر فـوق دارتـه ينـادي

إلى ردح من الشـيزى مـلاء   **لباب البّـر يلبـك بالشـهاد**

وكانت له جفان يأكل منهم القائم والراكب؛ ويحكى أنه وقع في إحداهما صبي فغرق، فجرى المثل ا في العظم. وجفان سليمان عليه السلام أولى بأن يتمثل ا، لقول الله عز وجل في وصفها: ﴿**وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ**﴾[1].

١٠١٢- (حلية الخوان): قال أبو علي السلامي في كتابه "كتاب نتف الظرف"؛ حاكيا عن بعض المشايخ أنه كان يقول: لكل شيء حليه، وحلية الخوان السكرجات والبقول.

١٠١٣- (كلب الخبز): حكى السلامي قال: كان بعض إخواننا لا يدخل بيته الجبن، ويقول: هو كلب الخبز يؤكل بغيره.

١٠١٤- (فالوذج السوق): يضرب مثلا للحسن المنظر السيء المخبر، كما قال الشاعر:

أعزز علي بأخلاق وسمت ا   **عند البرية يا فالوذج السوق**

وقال ابن حجاج:

كم من صديق يـروق عـيني   **في قالــب الحســن واللباقــه**

لــيس لـــه في الجميـــل رأي   **ولا بفعـــل الجميـــل طاقـــه**

كأنـــه في القمـــيص يمشـــي   **فـالوذج السـوق في رقاقـه**

١٠١٥- (قاضي الحلاوة): كان أبو الحارث جميز يقول: اللوزينج قاضي الحلاوة، والخبيص خاتمة الخبز.

١٠١٦- (حشو اللوزينج): يضرب مثلا للشيء يكون حشوه أجود من قشره وأفضل، وذلك أن حشو اللوزينج خير منه، فيشبه به الحشو في الكلام يستغنى عنه، وهو أحسن منه. وقيل هو نادر جدا في كلام العرب، ومن أشهر ذلك قول عوف بن محلم:

إن الثمانيـن وبلـغتهـا   **قد أحوجت سمعي إلى ترجمان**

---

(١) سورة سبأ ١٣.

فقوله: "وبلغتها" حشو مستغنى عنه، ومعنى الكلام يتم بدونه، ولكنه أحسن من جملته.

سمعت أبا الفرج يعقوب بن إبراهيم يقول: سمعت أبا سعد رجاء يقول: دخلت يوما على أبي الفضل بن العميد فقال لي: امض إلى أبي الحسين بن سعد، فقل له: هل تعرف لقول عوف:

*** إن الثمانين وبلغتها ***

ثانيا في كون الحشو أحسن من المحشو؟ قال: فسرت إليه وبلغته الرسالة، فقال: سألني عنه محمد بن علي بن الفرات، فسألت عنه أبا عمر غلام ثعلب، فقال سألت عنه ثعلبا فلم يأت بشيء، ثم بلغني أن عبيد الله بن عبد الله سأل المبرد عنه فأنشده قول عدي بن زيد لابنه زيد بن عدي في حبس النعمان:

فلو كنت الأسير ولا تكنه إذا علمت معد ما أقول

قوله: "ولا تكنه"، حشو مستغنى عنه ولكنه في الحسن نظير "وبلغتها".

قال مؤلف الكتاب: قد افتتحنا كتابا صغير الجرم، لطيف الحجم، في نظائر هذين الحشوين، وترجمته بـ "حشو اللوزينج"، فمما أودعته إياه أن المأمون قال يوما ليحيى بن أكثم: هل تغديت اليوم؟ فقال: لا، وأيد الله أمير المؤمنين، فقال المأمون: ما أظرف هذه الواو وأحسن موقعها! وذلك أنه لو قال: " لا أيد الله أمير المؤمنين" لكان أشبه بالدعاء عليه لا له، ولكنه استظهر بالواو، وجعلها حاجزة بين لا، وأيد الله أمير المؤمنين، حذرا من وقوع الشبهة.

وكان الصاحب يقول: هذه الواو أحسن من واوات الأصداغ في خدود المرد الملاح.

وقرأت في بعض الكتب أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه سبق إلى هذه اللفظة، وذلك أنه مر به رجل معه ثوب، فقال له أبو بكر: أتبيعه؟ فقال الرجل: لا رحمك الله! فقال أبو بكر: قد قومت ألسنتكم لو تستقيمون! ألا قلت: لا ورحمك الله!

ومما عثرت عليه من حشو اللوزينج في شعر البحتري قوله للمتوكل:

جزيت أعلى رتبة مأمولة في جنة الفردوس غير معجل

فقد تم الكلام عند قوله " في جنة الفردوس"، وقال: "غير معجل" أي بعد عمر طويل؛ لأن الجنة إنما يوصل إليها بالموت.

وفي شعر لأبي الطيب:

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا

فقوله: "وحاشاك" حشو، فيه ما من الحلاوة، وعليه ما عليه من الطّلاوة.

وفي شعر الصاحب:

قل لأبي القاسم إن جئته هنيت ما أوتيت هنيته

كل جمال فائق رائق أنت برغم البدر أوتيته

فقوله: "برغم البدر" حشو يتم الكلام دونه، ولكنه في اية الظرف والملاحة.

ومما أستجيده جدا لابن مالك قوله:

لله همتك التي من شأ ا جر الرماح على السماك الرامح

لأن "الرامح" حشو، ولكنه بمجانسة الرماح كما تراه غاية في الحسن.

وفي ضد حشو اللوزينج قولهم: حشو الأكر، لأ ا تحشى بكل شيء ساقط لا قدر له. قال جحظة: أنشدت لأبي الصقر شعرا لي، فقال: يا أبا الحسن، لا تزال تأتينا بالغرر والدرر، إذا جاءنا غيرك بحشو الأكر.

١٠١٧- (مخ الأطعمة): يقال للسكباج: مخ الأطعمة،وسيد المرق، ويقال: إذا طبخت اللحم بالخل فقد ألغيت من المعدة ثلث المئونة.

قال بعض الخلفاء لجارية له، يعرض ا: إلى كم سكباج! فقالت: يا أمير المؤمنين، هو مخ الأطعمة، لا يكره بارده، ولا يمل حاره، بل يستطاب في الحضر، ويتزود منه في السفر، ولا يؤثر عليه الضيف؛ في الشتاء والصيف. فضحك وأمر لها بصلة.

١٠١٨- (أكلة خيبر) تضرب مثلا للطعام الوخم العاقبة، وأصلها من قول رسول الله ﷺ: «**مازالت أكلة خيبر تعاودني فلا دأ أوان قطعت أ ري**»؛ وذلك أنه عليه الصلاة والسلام قدمت إليه بخيبر شاة مسمومة، فتناول منها لقمة ثم قال: «**إن هذه الشاة تخبرني أ ا مسمومة**». فكان يمرض في كل سنة عند الوقت الذي أكل

فيه تلك الأكلة إلى أن توفي علي ﷺ شهيدا بذلك السم.

١٠١٩- (شهوة المريض): تضرب مثلا لما يحسن ويطيب من الأطعمة وغيرها، وأنشدني أبو محمد العبد لكاني لنفسه:

قـريتكم يـا بـني البغـيض	**كـثيرة الخـل والمخـيض**
والخبـز في دور موسـريها	**أعـز مـن شـهوة المـريض**

١٠٢٠- (قدر الرقاشي): كان أبو نواس يتولع بالرقاشيين ويصف قدورهم بالبياض والنظافة والصغر؛ حتى صارت كالمثل، فمن ذلك قوله فيها:

رأيت قدور الناس سودا من الصلا	**وقدر الرقاشيين زهـراء كالبـدر**
يبيتـها للمعتفـي بفنـائهم	**ثلاث كنقط الثاء من نقط الحبر**
إذا ما تنادوا للرحيل سعى بها	**أمامهم الحولي من ولـد الـذر**

١٠٢١- (غداء ابن أبي خالد): ويقال له أيضا: غداء دينار، فإذا نسب إلى ابن أبي خالد؛ فهو مثل لمن يبيع الشيء الخطير بأكلة، وإذا أضيف إلى دينار فهو مثل لمن يطعم ويقري لاجتلاب المنفعة ودفع المضرة، وقصته أن أحمد بن أبي خالد وزير المأمون كان من الشره والنهم والتهاب المعدة- على كرم فيه- بحيث يضرب به المثل، فيقال: آكل من ابن أبي خالد، وأ م من ابن أبي خالد.

ويحكى أنه ولي كورة جليلة لرجل بخوان فالوذج أهدي إليه. وكان يقول إذا عوتب على قبول ما يهدى إليه من المأكول: ما أصنع بطعام يهديه إلي صديق لي، الله أعلم أني أستحي من رده عليه!

ولما عرف المأمون شرهه وقبوله كل ما يهدى إليه، وأجابته كل من يدعوه، أجرى عليه كل يوم ألف درهم نـزلا؛ فلم يفارق مع ذلك شرهه. وفيه يقول القائل:

شـكرنا الخليفـة إجـراءه	**على ابـن أبي خالـد نـزله**
فكـف أذاه عـن المسـلمين	**وصـير في بيتـه أكلـه**
وقد كان في الناس شـغل بـه	**فأصـبح في بيتـه شـغله**

وكان المأمون ولي دينار بن عبد الله الجبل ثم صرفه. ووافى المدائن، فأقام ا حولا لم يؤذن له في دخول الحضرة للموجدة عليه. ثم إن أحمد بن أبي خالد كلم المأمون في أمره حتى رضي عنه، وأذن له في دخوله بغداد. وقال يوما لأحمد: صر إلى دينار وقل له: فعلت كذا وكذا، ووافقه على ما بقي عليه من المال. فلما مضى أحمد إليه قال المأمون لياسر الخادم: اتبعه واسمع ما يجري بينهما وعرفنيه؛ فلما سبق خبر مجيء أحمد إلى دينار قال لقهرمانه: أعدد طعاما كثيرا طيبا - لما كان يعرفه من م أحمد وشرهه - ووافى أحمد فبدأ، بمناظرة دينار في أمر المال، فاعترف بسبعة آلاف ألف درهم، ووافقه على أن يحمل منها كل أسبوع ألف ألف درهم؛ثم قطع دينار الكلام، ودعا بالطعام وسأله عما يجب أن يبدأ به، فطلب فراريج فقدمت، فأكل منها عشرين فروجة كسكرية بماء الرمان، ثم قدم إليه الحار والبارد والحلو والحامض، فأكل منها أكل من لم يأكل شيئا، ثم غسل يده وقال لدينار: ينبغي أن تجد في أمر المال؛ فقال: الذي علي ستة آلاف ألف درهم، فقال ياسر لأحمد: إنه قد اعترف بسبعة آلاف ألف درهم، فقال: ما أحفظ ما قال، ولكن ليقل ما عنده الآن؛ ويطالب به، فتقرر الأمر بينهما على ستة آلاف ألف درهم.

وانصرف أحمد إلى المأمون- وكان قد تقدمه ياسر، فشرح له الخبر - فلما دخل قال: قد تقرر الأمر بيننا على خمسة آلاف ألف درهم، فقال المأمون وهو يضحك: قد ذهبت ألف ألف درهم بأكلة وألف ألف أخرى بم ذهبت؟ وألزمه ستة آلاف ألف درهم، وقال: ما رأيت غداء أذهب ألف ألف درهم إلا غداء دينار، وما رأيت أغلى منه.

١٠٢٢- (مواعيد الكمون): يضرب مثلا للمواعيد الكاذبة، وذلك أن الكمون لا يسقى، بل يوعد به بالسقي، فيقال: غدا نسقيك، وبعد غد نكفيك؛ فهو ينمو بالتمنية على المواعيد الكاذبة، قال الشاعر:

لا تجعلني ككمون بمزرعة … إن فاته الماء أغنته المواعيد

وقد أحسن ابن الرومي في الجمع بين الفلفل والكمون حيث قال:

كـم شـامخ بـاذخ بثروتـه … أضـحـى له قبلـي المضـلونا

جعلتـه بالهجـاء فلفلـة … إذ جعلـتني منـاه كمونـا

١٠٢٣- (دعوة السنة): يضرب مثلا لما يكون في السنة مرة واحدة، كدعوة البخيل التي يحتفل لها. ويقال: أربعة أشياء مفترطة: دعوة البخيل، وعشق العفيف، وغضب الحليم، وضربة الجبان. وفي دعوة السنة يقول الشاعر:

إ ـــا دعـــوة الســـنة فكلوهـــا مبطنـــه

لـــن تعـــودوا لمثلـــها إ ـــا فـــتح خرشـــنه

الباب الثالث والخمسون

في الشراب وما يتصل به ويذكر معه

برد الشراب. قذاة الكوز. داعي اللبن. خمر بابل. نسيم الراح. رضاع الكاس. سكر الولاية. سكر الشباب. بغض الخمار.

الاستشهاد

١٠٢٤- (برد الشراب): يتمثل به في كل محبوب وعند كل مشتهى، قال عمر ابن أبي ربيعة:

قال لي صاحبي لـيعلم مـا بي: أتحب القتول أخت الربـاب؟

قلت وجدي ا كوجدي بالماء إذا ما عدمت بـرد الشـراب

يريد: عند الحاجة، وبذلك يصح المعنى.

ويروى أن عليا رضي الله تعالى عنه سأله سائل، فقال: كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ فقال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وآبائنا وأمهاتنا وأبنائنا، ومن برد الشراب على الظمأ. وينشد لبعض الأعراب:

حديثك أشهى فأعلمي لو أناله إلى النفس من برد الشراب على الظمأ

لقد أكثر الواشون فيك ملامتي فكانوا بما أبدوا من اللوم ألوما

ومن رسالة للصاحب: كبرد الشراب على الأكباد الحرار، وبرد الشباب في خلع العذار.

١٠٢٥- (قذاة الكوز): يضرب مثلا لما يؤذي على قلته وحقارته وقال بعض المكابدين في خلع العذار لمن سابه: يا قذاة الكوز، يا صوم تموز، يا برد العجوز، يا درهما لا يجوز.

وحكى الجاحظ عن جعفر بن سعد أنه قال: الخلاف في كل شيء حتى قذاة الكوز، إن أردت أن تشرب جاءت إلى فيك، وإن أردت أن تصب من رأس الكوز لتخرج رجعت.

١٠٢٦- (داعي اللبن): من أمثال العرب: دع داعي اللبن، أي أبق في الضرع بقية من اللبن، ولا تستوعب كل ما فيه، فإن الذي تبقيه يستدعي ما وراءه من اللبن.

١٠٢٧- (خمر بابل): العرب تتمثل بخمر بابل، وتراه أفضل الخمور وبابل سر العراق. وقال: إن بغداد من أرضها، فممن ذكر خمر بابل بعض المحدثين حيث قال:

لما رأيت الدهر دهـر الجاهـل ولم أر المغبـون غـير العاقـل

شربت خمرا من خمـور بابـل فصرت من عقلي على مراحل

*** رحلت عيسا من خمور بابل ***

ليكون أقوى في طريق الاستعارة. وقال ابن الرومي:

ألا ذكرا نفسي حديث البلابل بمشمولة صفراء من خمر بابـل

وفي كتابي المنهج: ليس للبلابل، كخمر بابل؛ على غناء البلابل.

١٠٢٨- (نسيم الراح): يضرب مثلا في الذكاء والطيب، كما قال السري في استزارة صديق له:

نفسي فداؤك كيف تصبر طائعا عن فتية مثل البـدور صـباح!

ضوا لراحهم وذكرك بينـهم أذكى وأطيب من نسيم الـراح

١٠٢٩-(رضاع الكأس): يدخل في باب الاستعارات، وقد أكثروا فيه، قال الشاعر:

وإن رضاع الكأس أعظم حرمة وأوجب حقا من رضاع لبان

وقال آخر:

اذكر أبا جعفر حقا أمـت بـه إني وإياك مشـغوفان بـالأدب

وإننا قد رضعنا الكاس در ـا والكاس در ا من أقرب النسب

وقال عصابة الجرجاني:

اقر السلام على الأمير وقل له إن المنادمة الرضاع الثاني

١٠٣٠- (سكر الولاية): من أبيات التمثيل والمحاضرة قول ابن المعتز:

سكر الولاية طيـب وخماره صعب شـديد
كـم تائـه بولايـة وبعزله ركض البريـد

وقال آخر:

سكرت بامرأة السلطان جـدا فلم تفرق عدوك من صـديقك
رويدك من طريق صرت فيـه فإن الحادثات علـى طريقـك

١٠٣١- (سكر الشباب): يقال: سكر الشباب أشد من سكر الشراب.

ويقال: السكر ثلاث: سكر الشباب، وسكر الولاية، وسكر الشراب - وهو أهو ا.

وقد أبلغ هذه السكرات خمسا من قال وأحسن:

سكرات خمس إذا مـني المـرء ـا صـار أكلـة للزمـان
سكرة المال والحداثة والعشـق وسكر الشـراب والسـلطان

وأنشدت هذه الأبيات لبعض الزهاد فقال: أين هـو من سكـرة الموت! ثم قرأ: ﴿**وجاءَت سكْرةُ الموتِ بِالْحق ذَلك ما كُنت مِنه تحِيد**﴾[1].

وقال إبراهيم بن المهدي:

مازلت في سكرات الموت مطرحـا ضاقت علي وجوه الأرض من حيلي
فلم تزل دائبا تسعى لتنقـذني حتى اختلست حياتي من يدي أجلي

١٠٣٢- (بغض الخمار): يضرب مثلا لما يستثقل، ولذلك قيل: لو أن المخمور يعرف قصته، لقدم وصيته وفي المثل: ما أطيب الخمر لولا الخمار!

وقال الشاعر:

إذا أنا ميزت الخمـار وجدتـه يكدر ما في الخمر من لـذة الخمـر
فأحجم عن شرب المدام مخافـة على جسدي من أن يؤول إلى ضـر

---

(١) سورة ق ١٩.

وإن امرأ يبتاع سكرا بصحة ... لفي سكرة تغنيه عن لذة السكر

وقال أبو علي البصير في أبي العيناء:

إنما يحلو أبو العيناء ... في صدر النهار

فإذا طاولته أربى ... على بغض الخمار

الباب الرابع والخمسون

في السلاح وما يجانسه

سيف علي. صمصامة عمرو. سيوف الخوارج. مخراق لاعب. ظل السيف. بقية السيف. قوس حاجب. ظل الرمح. ظهر الترس. سهام الترك. عصا الأعرج. تفاريق العصا. عبيد العصا. عصا الجبان.

الاستشهاد

١٠٣٣- (سيف عليّ): يضرب المثل بسيف علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في المصائب، كما قال الصاحب:

أحسن من عود ومن ضـارب ... ومـن فتـاة طفلـة كاعـب

قد غـلام صـيغ مـن فضـة ... متصـل الحاجـب بالحاجـب

سل على الأمـة مـن طرفـه ... سيف علـي بـن أبي طالـب

١٠٣٤- (صمصامة عمرو): صمصامة عمرو بن معدي كرب أشهر سيوف العرب، و ا يضرب المثل في كرم الجوهر، وحسن المنظر والمخبر، والمضاء والتصميم؛ وكان عمرو - وهو فارس اليمن- حسن الاستعمال له في الجاهلية، كثير العناية به في الإسلام، وفيه يقول من شعر:

سنان ماحق لا عيب فيه ... وصمصامي يصم إلى العظام

قال عبد الله بن العباس لبعض اليمانيين: لكم من السماء نجمها، ومن الكعبة ركنها، ومن السيوف صمصامها - يغني سهيلا والركن اليماني وصمصامة عمرو.

وممن تمثل ا من المتقدمين عميثل بن جزى في قوله:

أغر كمصباح الدجنـة يتقـي ... قذى الزاد حتى يستفاد أطايبـه

أخ ماجد ما خانني يوم مشـهد ... كما سيف عمرو لم تخنه مضـاربه

ولما وهبها عمرو لخالد بن العاص عامل رسول الله ﷺ على اليمن قال فيه: عمرو بن معد يكرب:

خليـــل لم أخنــه ولم يخـــني إذا ما الخطب أنحـى بالعظـام
خليـل لم أهبـه عـن قـلاء ولكـن التواهـب للكـرام
حبوت به كريما مـن قـريش فسر به وصـين عـن اللئـام
وودعت الصفي صفى نفسـي على الصمصام أضعاف السلام

فلم يزل في آل سعد إلى أيام هشام بن عبد الملك، فاشتراه خالد بن عبد الله القسري بمال خطير، وأنفذه إلى هشام، وقد كان كتب إليه فيه؛ فلم يزل عند بني مروان حتى زال الأمر عنهم، ثم طالبه السفاح والمنصور والمهدي فلم يجدوه وجد الهادي في طلبه حتى ظفر به فجرده، ودعا بمكتل من دنانير، وقال لحاجبه: ائذن لمن بالباب من الشعراء، فلما دخلوا أمرهم أن يقولوا فيه، فقالوا وأطالوا، ولم يأتوا بطائل، فقام أبو الهول الحميري، وأنشأ يقول:

حاز صمصامة الزبيدي عمـرو من جميع الأنـام موسـى الأمـين
سيف عمرو، وكان فيما سمعنا خير ما أغمدت عليه الجفـون
أخضر اللون بين خديـه بـرد من ذباح تمـيس فيـه المنـون
أوقدت فوقه الصـواعق نـاراً ثم سالت به الرعـاف المتـون

قال الجاحظ: يزعم كثير من الناس أن بعض السيوف من نيران الصواعق، وذلك شائع على أفواه الأعراب:

فإذا ما سللته ــر الشـمس ضـياء فلـم تكـد تسـتبين
وكأن الفرند والجوهر الجـاري علـى صـفحتيه مـاء معـين
نعم مخراق ذي الحفيظة يوم الروع يعصـى بـه ونعـم القـرين
ما يبالي إذا الضـريبة حانـت أشمـال سـطت بـه أم يمـين
وكأن المنـون شـطت إليـه فهو من كـلّ جانبيـه منـون

فقال الهادي: السيف لك والمكتل، فأخذهما وفرق على الشعراء الدنانير وقال لهم: دخلتم معي، وحرمتم من أجلي، وليس في السيف عوض. وذكر أبو هفان أن

صاحب هذه القصيدة يامين البصري. وقال غيره: هو أبو الهول، وهو القائل في وصف هذا السيف:

كأن على متنيه أمـواج لجـة **تقفأ في ضحضـاحه وتطـول**
كأن صغار الذر كسرن فوقـه **عيون جـراد بينـهنّ ذحـول**
حسام غداة الروع ماض كأنـه **من الله في قبض النفوس رسول**

وأما يامين فهو القائل:

نصل كأن المنايا جنـد طاعتـه **في طولـه قصر إلا عن القصر**
أمضى من الأجل الماضي وأنفذ مـن **جاري القضاء وأضوا من سنا القمر**

١٠٣٥- (سيوف الخوارج): يضرب المثل بسيوف الخوارج؛ لأ م يتأنقون في استجاد ا، ثم يقاتلون ا تدينا إذا قاتل غيرهم تكسبا. وقد ذكرت السبب في استفاضة النجدة فيهم بعض العصريين فقال:

وفيـك لنـا فـتن أربـع **تسلّ علينا سـيوف الخـوارج**
لحاظ الظباء، وطوق الحمـام، **ومشي النعاج، وحسن التدارج**

١٠٣٦- (مخراق لاعب): هو سيف اللاعب، لا سيف المحارب، وذلك أخف له وهو أضرب به:

والضرب في الهيجاء غير **الضرب في الميـدان**

وقال عمرو بن كلثوم في السيف:

كأن سيوفنا فينا وفيهم **مخاريق بأيدي لاعبينا**

١٠٣٧- (ظل السيف): في الخبر: " لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية؛ فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف"، قال الشاعر:

العزّ تحت ظلال السيف مطلبه **فلا يفوتنك عز آخر الأبد**

وقال آخر:

مقامهم تحت ظل السيو **ف عافى الخلافة من دائها**

وقال آخر:

اليوم لا جبـل نلـوذ بظلـه   اليوم نتخذ السـيوف ظـلالا
اليوم نقدح زند كـل ملمـة   اليوم نسرع للنسـور رجـالا

١٠٣٨- (بقية السيف): قال علي كرم الله وجهه: بقية السيف أنمى عددا، وأكثر ولدا؛ فوجد ذلك عيانا في ولده وولد المهلب، وذلك أنه قتل مع الحسين بن علي رضي الله عنه عامة أهل بيته، فلم ينج منهم إلا علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم، وإنما نجاه صغر سنه، فلما أدرك أخرج الله من صلبه الكثير الطيب. وقتل المهالبة بالعقر دفعتين وبقندابيل حتى استؤصلوا، ثم أدرك منهم روح ويزيد ابنا حاتم. ويقال: إنه لو تفاخرت الجن والإنس لفخرها الإنس بابني حاتم: روح ويزيد، وأمثالهما من المهالبة كثير.

وذكر المدائني عن أشياخه أنه مكث آل المهلب بعد مقتل يزيد وأخيه نيفا وعشرين سنة لا يولد لهم أنثى، ولا يموت لهم غلام.

١٠٣٩- (قوس حاجب): هو حاجب بن زرارة التميمي، أتى كسرى في جدب أصاب قومه بدعوة النبي ﷺ، فسأله أن يؤذن له ولقومه في دخول الريف من بلاده حتى يحيوا ويمتاروا، فقال لهم كسرى: إنكم معشر العرب قوم غدر، فإذا أذنت لكم أفسدتم بلادي، وأغرتم علي رعيتي. فقال حاجب: أنا ضامن للملك ألا يفعلوا، قال: فمن لي بأن تفي؟ قال: أرهنك قوسي؛ فضحك من حوله، فقال كسرى: إنه لا يتركها أبدا. وقبلها منه، وأذن له في دخول الريف. ولما أحيا الله الناس بدعوة النبي ﷺ - وقد مات حاجب - ارتحل عطارد بن حاجب إلى كسرى في طلب قوس أبيه، فأمر بردها عليه، وكساه حلة، فلما وفد على النبيﷺ في وفد بني تميم وأسلم، أهدى الحلة إليه فلم يقبلها، فباعها بأربعة آلاف درهم من رجل من اليهود، وبقيت القوس عند ولد جعفر بن عمير ابن عطارد بن حاجب، لأ م أكبر ولده، وصارت مفخرة كبيرة لبني تميم.

ويروى أن كسرى لما عوتب على ار ا ا قال: لولا أ م عندي أقل منها لما أخذ ا.

ويحكى أن كسرى قال لحاجب: إن قوسك هذه لقصيرة معوجة، فقال: أيها الملك، إن وفائي طويل مستقيم.

ومن مليح ما سمعت في قوس حاجب قول المطراني:

تزهي علينا بقوس حاجبها زهو تميم **بقوس حاجبها**

١٠٤٠- (ظل الرّمح): يضرب به المثل في الطول، كما قال ابن الطثرية:

ويوم كظلّ الرمح قصر طوله دم الدن عنّا واصطفاق المزاهر

وقال الجاحظ: قولهم: منينا بيوم كظل الرمح، فإ م لا يريدون به الطول وحده، ولكنهم يريدون أنه مع الطول ضيق غير واسع، قالوا: وليس يوجد لظل الشخص اية مع طلوع الشمس، وقال ابن المعتز:

بدلت من ليل كظل حصاة ليلا كظل الرمح ليس موات

وقال آخر:

ار مثل إ ام الحبارى وليل مثل ظل الرمح طولا

١٠٤١- (ظهر الترس): يشبه به الأرض المستوية الخالية، قال البحتري:

والعيس ترمي بأيديها على عجل في **مهمه مثل ظهر الترس رجراج**

ويضرب ظهر ا ن مثلا لمن تحول عن عهده، قال الشاعر:

قلبت له ظهر ا ن فلم أدم على ذاك إلا ريثما أتحول

وقال بعض أهل العصر:

لقد قلب الدهر الخؤون مجنـه **فقلبي على** جمر **الغضى يتقلـب**

وأصبحت في **ظفر الزمان ونابه وما فيه ألا دون مـا أترقـب**

ومن حديث علي -رضي الله عنه- أنه كتب إلى العباس -رضي الله عنهما- حين أخذ من مال البصرة ما أخذ: إني أشركتك في أمانتي، ولم يكن رجل أوثق منك في نفسي، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب، والعدو قد حرب، قلبت لابن عمك ظهر ا ن ففارقته مع المفارقين، وخذلته مع الخاذلين، واختطفت ما قدرت عليه من مال الأمة اختطاف الذّئب دامية المعزي.

وإنما خص الدامية لأن من طبع الّذئب محبة الدم، فهو الدامية على غيرها، كما تقدم ذكره في باب الذئب.

١٠٤٢- (سهام الترك): يضرب ا المثل، وتذكر مع سهام الترك، رماح العرب، ومزاريق الهند، ورايات الديلم، ونصول الري.

١٠٤٣- (عصا الأعرج): تضرب مثلا فيقال: أقرب من عصا الأعرج، وذلك بأنه يقر ا من نفسه إذا قعد لحاجته إليها، فهي قريبة منه في حال قعوده وقيامه.

١٠٤٤- (تفاريق العصا): تضرب مثلا للمحقرات يحتاج إليها وينتفع ا، قالت غنية الأعرابية:

أحلف بالمروة حقا والصفا أنك خير من تفاريق العصا

تقوله لابنها، وكان غازيا كثير التعرض للناس، مع ضعف أمر ودقة عظم. فواثب فتى فقطع الفتى أنفه، فأخذت غنية دية أنفه، فحسن حالها بعد فقر مدقع، ثم واثب آخر فقطع أذنه فأخذت ديته، فزادت حسن حال، ثم واثب آخر فقطع شفته، فأخذت ديتها، فلما رأت ما صدر عندها من المال - وذلك من كسب جوارح ابنها - حسن رأيها فيه وذكرته في أرجوز ا.

وسئل ابن الأعرابي عن تفاريق العصا فقال: العصا تقطع فتصير سواجير ثم تقطع فتصير أوتادا، ثم تقطع فتصير كل قطعة شظاظا، ثم تقطع فتصير مهارا، وهو العود يجعل في فم الفصيل لئلا يرضع أمه.

١٠٤٥- (عبيد العصا): يضرب هذا المثل للقوم إذا استذلوا، وهو اسم لكل ذليل وتابع؛ ولزم ذلك بني أسد لقول صاحبهم بشر بن أبي خازم:

عبيد العصا لم يتقوك بذمـة سوى سيب سعدى إن سيبك واسع

وقال الشاعر:

فولا لدودان عبيد العصا ما غركم بالأسد الباسل!

ومن كلام الحجاج في خطبة له: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق، يا بني اللكيعة وأولاد الإماء، وعبيد العصا.

١٠٤٦- (عصا الجبان): يضرب ا المثل فيقال: عصا الجبان أطول؛ وإنما يطول الجبان عصاه من فشله يرى أن طولها أشد ترهيبا لعدوه من قصرها.

١٠٤٧- (فتيل العصا): العرب تقول: إياك وقتيل العصا؛ أي لا تكن قاتلا ولا مقتولا في شق عصا المسلمين. والله سبحانه وتعالى أعلم.

الباب الخامس والخمسون

في الحلي وما يشبهها

قرط مارية. طوق عمرو. سبحة زيدان. خاتم الملك. حلقة الخاتم. درة التاج. واسطة القلادة. فرائد الدر. قشور الدر. منطقة الجوزاء. خلاخيل الرجال.

الاستشهاد

١٠٤٨- (قرط مارية): من أمثال العرب: خذه ولو بقرط مارية. ومارية بنت ظالم بن وهب ابن الحارث بن معاوية الكندي، وابنها الحارث الأعرج، وإياه عني حسان بقوله:

أولاد جفنة حول قبر أبيهم   قبر ابن مارية الكريم المفضل

١٠٤٩- (طوق عمرو): يضرب مثلا للشيء يكبر عنه الإنسان، وأصله أن عمرو بن عدي كان له طوق يلبسه في صغره، فاستهوته الجن دهرا إلى أن وجده مالك وعقيل؛ نديما جذيمة، فأتيا به خاله جذيمة الأبرش؛ فألبسته أمه وطوقته بالطوق الذي كان يلبسه في الصغر، فلما رأى جذيمة ابن أخته عمرا والطوق في عنقه قال: شب عمرو عن الطوق؛ فصار مثلا، وإياه عنى السري بقوله:

تصابى فأضحى بعد سلوته صبا   وعاود عمرو طوقه بعد ما شبا

١٠٥٠- (سبحة زيدان): زيدان قهرمانة أم المقتدر، وكانت ممكنة من خزانة الجواهر، وفيها جوهر الخلافة، فاتخذت سبحة تشتمل على ثلاثين درة متشا ة في الوزن واللون، كل واحدة منها كبيضة العصفور مفصلة بعشر يواقيت، لم ير مثلها في عقد ملكة، ولا خزانة ملك، فصارت مثلا في النفائس والذخائر، وقد تقدم بعض ذكرها والله أعلم.

١٠٥١- (خاتم الملك): يضرب مثلا في النفاسة والشرف؛ كما قال بشار:

ألا يا خـاتم الملـك   الذي أملك إن نلتـه

فؤادي فيك مجنـون   ولو أسطيع سلسـلته

وأنت الحجر الأسـود ا ــو يخاــو لقبلتــه

وكتب الصاحب من رسالة: وصل كتاب مولاي فكانت فاتحته أحسن من كتاب الفتح، وواسطته أنفس من واسطة العقد، وخاتمته أشرف من خاتم الملك.

١٠٥٢ - **(حلقة الخاتم)**: يضرب ا المثل في الضيق، كما قال الشاعر:

كأن فجاج الأرض حلقة خاتم علي فما تزداد طولا ولا عرضا

وتذكر معها كفة حابل، وقال الشاعر:

كأنّ بلاد الله وهي عريضة على الخائف المذعور كفة حابل

ويحكى أن بشار بن برد، ضحك يوما بعد طول سكوته، فقيل له: ما يضحكك يا أبا معاذ؟ فقال: أهاهنا محتشم؟ قالوا: لا، قال: لو أعطي كل إنسان أمنيته هلك الناس وبطل الحرث والنسل، قيل: كيف؟ قال: ما على ظهرها رجل إلا وهو يتمنى أن يكون أيره أعظم من أير حمار، ولا امرأة إلا وهي تتمنى أن يكون فرجها أضيق من حلقة خاتم، فمتى يدخل ذاك في هذه؟!

١٠٥٣ - (درة التاج) يضرب ا المثل في تفضيل بعض الشيء على بعض، قال المتنبي:

إن الخليفة لم يسـمك سـيفه حتى بلاك فكنت خـير الصـارم
فإذا تتوج كنـت درة تاجـه وإذا تختم كنت فـص الخـاتم

١٠٥٤ - (واسطة القلادة): يضرب ا المثل أيضا في تفضيل بعض الشيء على كله، فقال: واسطة القلادة، ودرة التاج، وإنسان الحدقة، وعين الكتيبة، وأول الجريدة، وبيت القصيدة.

وفي الكتاب المبهج: الصديق الصدوق واسطة العقد، وأول العقد.

١٠٥٥ - (فرائد الدر): يضرب مثلا للمحاسن من النفائس، ويشبه ا الكلام الحسن والخط الرائق.

ولابن طباطبا كتاب مترجم بـ"فرائد الدر"، كتب إلى صديق كان قد استعاره يسترجعه منه:

يا در رد فرائد الدر وارفق بعبد في الهوى حر

١٠٥٦- (قشر الدّرّ): يشبه به الجلد الناعم، كما قال أبو نواس:

ظبي كأن الله ألبسه قشور الدّرّ جلدا
وترى على وجناته في أيّ حين شئت وردا

وقال ابن المعتز في تشبيه الكأس بقشر الدر:

من لي على رغم العذول بقهوة بكر ربيبة حانة عذراء
موج من الذهب المذاب تضمه كأس كقشر الدّرة البيضاء

وشتان ما بين هذه القشور والقشور التي ذكرها في قوله:

ويبرز للرائين وجها كأنه كساه أبوه من قشر الخنافس

١٠٥٧- (منطقة الجوزاء): يستعار للجوزاء المنطقة، كما تستعار الثريا للعقد، كما قال بعض أهل العصر وهو الهمذاني:

خليلي إني من محبتي العلا بليت بعلوي الصفات أخي البدر
فعقد الثريا من محاسن ثغره ومنطقة الجوزاء في خصره تجري

١٠٥٨- (خلاخيل الرجال): وهي القيود، قال علي بن الجهم وهو في الحبس:

إذا سلمت نفس الحبيب تشابهت صروف الليالي سهلها وشديدها
فلا تجزعي إما رأيت قيوده فإن خلاخيل الرجال قيودها

وقال أبو إسحاق الصابي:

الحبس قصر لكل حر والقيد خلخال كل فحل
والخطب كالضيف لا تراه ينزل إلا على الأجل

الباب السادس والخمسون

في الليالي المضافة

ليلة القدر. ليلة الميلاد. ليلة التمام. ليل المحب. ليلة النابغة. ليل الضرير. ليل السليم. ليلة الخلافة. ليلة حرة. ليلة الغدير. ليلة الهرير. ليلة الفرزدق. ليلة الحزيز. ليلة منبج. ليلة الصدر. ليل الشباب. حاطب الليل. فصل في ذكر الأيام المضافة.

الاستشهاد

١٠٥٩-(ليلة القدر): قال النبي ﷺ في ليلة القدر: «**اطلبوها في العشر الأواخر من رمضان**».

وأكثر العلماء على أ ا في السابعة والعشرين من شهر رمضان، ويروى عن بعضهم أنه قال: كلمات سورة القدر ثلاثون على عدد ليالي الشهر.

وقد ضرب ا المثل من قال:

فتى ترهب الأموال من ظل كفه ... كما يرهب الشيطان من ليلة القدر

سأدعو له والناس دعوة مخلص ... عسى أن يريح العاشقين من الهجر

ومن أحسن ما قيل في ضرب المثل ا قول أبي الفتح البستي:

قيل لي قد خفيت قلت كبدر ... صار يخفى من بعد أن كان بدرا

أنا خاف كليلة القدر في النا ... س وعال كليلة القدر قدرا

١٠٦٠- (ليلة الميلاد): هي الليلة التي ولد فيها عيسى عليه الصلاة والسلام، يضرب ا المثل في الطول، قال أبو نواس:

يا ليلة الميلاد هل عرفت ... أسهر مني عاشقا مذ كنت

ألم أصابرك فما صبرت ... حتى بدت غرة يوم السبت!

وقال عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

مضت ليلة الميلاد أطول ليلة ... وأقصرها، هذان مختلفان

فطالت بمعنى واحد وتقاصرت ... بقرب حبيب واجتماع معان

وقال ابن بسام:

يا مقيتًا يصور اليـوم حـولا ... سـاعة منـه ليلـة الميـلاد

خل عنـا فإنمـا أنـت فينـا ... واو عمرو أو كالحديث المعـاد

١٠٦١- (ليلة التمام): ليلة التمام أطول ليلة في السنة، قال امرؤ القيس:

فبـت أكابـد ليـل التمـا ... م والقلب من خشية مقشـعر

وقد أحسن القائل:

أيا قمر التمام أعنـت ظلمـا ... على تطـاول الليـل التمـام

١٠٦٢- (ليل المحب): قد أكثر الشعراء في وصف ليل المحب بالطول فما طالوا، وحصل خالد الكاتب على الغرة والنكتة حيث قال:

*** وليل المحب بلا آخر ***

١٠٦٣- (ليلة النابغة): حدث أبو العيناء عن الأصمعي أنه قال: انصرفت ليلة من دار الرشيد وأنا أشكو علة ثم غدوت إليه، فقال لي: يا أصمعي، كيف بت؟ فقلت: بليلة النابغة يا أمير المؤمنين، فقال: إنا لله! هو قوله:

فبت كأني سـاورتني ضـئيلة ... من الرقش في أنيابها السم ناقع

فقلت: والله يا أمير المؤمنين ما أخبرت خبره، وإنما أردت قوله:

كليني لهم يا أميمـة ناصـب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكـب

١٠٦٤-(ليل الضرير): لم يزل الشعراء يصفون الليل بالطول، ويزيد بعضهم على بعض في الإبداع والإبلاغ، حتى جاء سيدوك الواسطي، فسبق إلى وصف تفرد به، إذ وجد ما ضيعوه من ذلك، فأخذه وهو قوله:

عهدي بنا ورداء الشمل يجمعنا ... والليل أطوله كاللمح للبصـر

واليوم ليلى مذ غابوا فديتـهم ... ليل الضرير فصبحي غير منتظر

١٠٦٥-(ليل السليم): يضرب به المثل في الطول والسهر فيه، لأن السليم لا ينام لما به، ولا يترك والنوم إن غشية النعاس، لئلا يسري السم في بدنه، والعرب تعلق عليه الحلي وتسهره، كما قال النابغة:

يسهد من نوم العشاء سليمها **لحلي النساء** في **يديه قعاقع**

وقال السري في وصف القلم:

لك القلم الذي يضحي ويمسي **له الإقليم محمي الحريم**
هو الصل الذي لو عض صلا **لأسلمه إلى الليل السليم**

وفي كتاب المبهج: شتان ما بين ليل السليم، وليل النائم في فراش النعيم.

١٠٦٦- (ليلة الخلافة): هي ليلة لم يتفق مثلها قط، ويقال لها ليلة الخلفاء أيضا، وكانت ليلة السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة مائة وسبعين؛ مات فيها خليفة، وولد خليفة، واستخلف خليفة؛ مات الهادي، وولد المأمون واستخلف الرشيد.

١٠٦٧- (ليلة حرة): من أمثال العرب عن أبي عمرو: قولهم للمرأة: باتت بليلة حرة، إذا امتنعت على زوجها في ليلة زفافها فلم يقدر على افتضاضها، قال النابغة:

شمس موانع كل ليلة حرة **يخلفن ظن الفاحش المغيار**

أي: إذا أساء الظن الفاحش ن أخلفن ظنه لعفتهن، ومن أمثالهم: باتت بليلة شيباء، إذا أمكنت زوجها من نفسها ليلة عرسها، تشبه بمن شابت وجرت مجرى من لا تمتنع، لأن الحدثة أشد امتناعا من الطاعنة في السن.

١٠٦٨- (ليلة الغدير): هي الليلة التي خطب رسول الله ﷺ في غدها بغدير خم على أقتاب الإبل، فقال في خطبته: «**من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله**»، فالشيعة يعظمون هذه الليلة ويحيو ا قياما. وقد ذكر ابن طباطبا غداة غدير خم في قوله للوسمي:

يا من يسر لي **العداوة أبدها** **واعمد بجهدك أوذر**
لله عندي عادة مشكورة **فيمن يعاديني فلا تتجبر**
أنا واثق بدعاء جدي المصطفى **لأبي غداة غدير خم فاحذر**
والله أسعدنا بإرث دعائه **فيمن يعادي أو يوالي فاصبر**

١٠٦٩-(ليلة الهرير): كانت بصفين فاشتد فيها القتال، وكشفت الحرب

عن ساقها وتناثرت الرءوس، وكثر عدد القتلى. وكان علي رضي الله عنه كلما قتل واحدًا كبر تكبيرة، فأحصيت تكبيراته تلك الليلة فبلغت سبعمائة، وضرب المثل ذه الليلة في الشدة واستفحال المطاردة.

١٠٧٠- (ليلة الفرزدق): يضرب ا المثل لليلة يبلغ فيها الخليع النهاية من الخلاعة وتعاطي الفحش والركض في حلبة المآثم، وقصتها أن الفرزدق نزل ليلة بدير راهبة فأكل عندها طفيشلا بلحم خنـزير، وشرب من خمرها، وزنى ا، وسرق كساءها، ثم قال: لله در ابن المراغة! -يعني جريرا- في قوله:

وكنت إذا نزلت بـدار قـوم رحلت بخزية وتركـت عـارا

وبعض الرواة ينسب القصة إلى أبي الطمحان القيني.

١٠٧١-(ليلة الحزيز): قال الجاحظ: في مدينة البصرة موضع يقال له الحزيز، يقال إن الناس لم يروا قط هواء أعدل، ولا نسيما أرق، ولا أطيب من ذلك الموضع، وكان أمية بن عبد الله بن خالد يقول: ما أسيت على العراق إلا على ثلاث خلال: ليل الحزيز، وقصب السكر، وحديث ابن أبي بكرة، قال أبو عبيدة: وأي شيء بقي ويله! وأراد الحجاج أن يعالجه على هذا المكان تياذوق الطبيب، فقال: سفل عن يبس البرية وخشونتها وقحولتها، وعلا عن الآجام وعفنها. وكان يتعالج هناك.

١٠٧٢-(ليلة منبج): منبج بالشام كالحزيز بالعراق في طيب الهواء وعذوبة الماء ورقة النسيم وصحة التربة، وهي بلدة البحتري وأبي فراس الحمداني وقد ظهرت آثارها عليهما في اعتدال الطبع، وعذوبة اللفظ، واختلاط أشعارهما بأجزاء النفس، وقبلهما كانت مسقط رأس عبد الملك بن صالح الهاشمي ووطنه، وهو جبل قريش، ولسان بني العباس، ومن به يضرب المثل في البلاغة.

ولما دخل الرشيد منبجا قال لعبد الملك: وهذا البلد منـزلك؟ قال: يا أمير المؤمنين هو لك ولي بك، قال: كيف بناؤك به؟ قال: دون منازل أهلي وفوق منازل غيرهم، قال: كيف صفة مدينتك هذه ؟ قال: عذبة الماء، طيبة الهواء، قليلة الأدواء، قال: كيف ليلها؟ قال: سحر كله، قال: صدقت، إ ا لطيبة ؛ قال: بك طابت يا أمير المؤمنين، وأين تذهب ا عن الطيب ! وهي تربة حمراء، وسنبلة صفراء، وشجرة خضراء،فياف من قيصوم

وشيح! فقال الرشيد: هذا الكلام والله أحسن من الدر المنظوم.

وقد أخذ ابن المعتز قوله: «سحر كله» فقال:

يــارب ليــل كلــه ســحر مفتضح البدر عليـل النسـيم
تلتقط الأنفاس بـرد النـدى فيــه فتهديــه لحــر الهمــوم

١٠٧٣- (ليلة الصدر): تقول العرب في أمثالها: أنقى من ليلة الصدر، وهي الليلة التي يصدرون فيها ولا يبقى على الماء أحد. قال أبو عبيدة: من أمثالهم في اصطلام الدهر الناس بالجوع قولهم: تركتهم على مثل ليلة الصدر، قال: يعنون نفر الناس من حجهم، مثل قولهم: تركته على أنقى من الراحة.

١٠٧٤-(ليل الشباب): قال ابن الرومي:

وعزاك عن ليل الشباب معاشر فقالوا نهار الشيب أهدى وأرشد
وكان نهار المرء أهدى لرشـده ولكن ظل الليل أندى وأبـرد

وقال ابن المعتز:

ونهار شيب الرأس يوقظ مـن قد كان في ليل الشباب رقـد

١٠٧٥-(حاطب الليل): يشبه به المكثار؛ لأن حاطب الليل ربما احتطب واحتمل فيما يحتطبه حية وهو لا يشعر بها لمكان الظلمة؛ فيكون فيها حتفه، كذلك المكثار، ربما عثر لسانه في إكثاره بما يجني على رأسه، وإياه عنى بشر بن المعتمر بقوله في مزدوجته التي أنشدها الجاحظ وفسرها:

يا عجبا والدهر ذو عجائـب من شـاهد وقلبـه كالغائـب
كحاطـب يحطـب في بجـاده في ظلمة الليـل وفي سـواده
يحمل فوق ظهره الصل الـذكر والأسود السالخ مكروه النظـر

وقال ابن المعتز من قصيدة:

فرشنا لكم منا جناحي مـودة وأنتم زمانا تضمرون الـدواهيا
أظنكم من حاطب الليل جمعت حبائلــه عقاربــا وأفاعيــا

فصل في ذكر الأيام المضافة

وهي أكثر من أن تحصى، ورأيت الأخذ ببعض أطراف القول فيها يستغرق الصحائف الكثيرة، فاقتصرت من ذكرها على القدر الذي قدرت فيه الكفاية. وبالله التوفيق.

قال أبو بكر الخوارزمي: فيما يقولون: ما يومي من فلان بواحد،أي ما الشر علي منه من جهة واحدة؛ والغالب في اليوم أنه لا يذكر إلا في الشر كقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وذَكِّرهم بِأيامِ اللهِ**﴾[1]، أي عقوبته ووقائعه في أعدائه.

وقالوا في الدعاء: لا أراني الله يومك، أي يوم موتك. ويوم عبيد، يوم قتله، ويوم العنـز، يوم ذبحها.

وأنت إذا نظرت في قولهم: يوم البسوس - وهو يوم بكر وتغلب- ويوم تحلاق اللمم - وهو بينهما- ويوم الفجار - وهو بين كنانة وقيس- ويوم النباح وهو بين أسد وتميم وعامر، ويوم خزازى وهو لعدنان على قحطان- ويوم ذي قار- وهو بين بكر بن وائل والفرس- ويوم حليمة-وهو بين المنذر والحارث والغساني... حتى عد أكثر من مائة يوم، ثم قال: فإذا نظرت من الأيام إلى يوم بدر وأحد والخندق وحنين حتى عد أيام المغازي كلها، ثم قال: فإذا نظرت بعدها في يوم اليمامة على حنيفة، ويوم الحيرة لخالد على بني بقيلة، ويوم قنسرين في الروم لأبي عبيدة، ويوم القادسية والمدائن وجلولاء و اوند على الفرس لسعد بن أبي وقاص والنعمان وغيرهما، ويوم الدار، ويوم الجمل، ويوم صفين والنهروان..حتى عد أكثر وقائع الإسلام - علمت أن ذلك أكثر من قولهم: يوم الشورى، ويوم بركوار. قال غيره: وقد تقع الأيام على يوم السرور والخير، قال الله تعالى: ﴿**وتلْكَ الأيام ندَاولُهَا بَينَ الناس**﴾[2]، وقال الشاعر:

فيوم علينا ويوم لنـا ويوم نساء ويوم نسر

(١) سورة إبراهيم ١٤.
(٢) سورة آل عمران ١٤٠.

الباب السابع والخمسون

في الأزمان والأوقات

زمن الفطحل. زمن الورد. عام الحزن. عام الجحاف. زبدة الحقب. بكر الدهر. نسيم السحر. إغفاءة الفجر. تباشير الصبح. فلق الصبح. نفس الربيع. جمرات الظهيرة. قمر الشتاء. فاكهة الشتاء. برد الكوانين. ركوب الكوسج. سقوط الجمرة. هلال شوال. حد الأحد. ثقل الأربعاء.

الاستشهاد

١٠٧٦- (زمن الفطحل): من أمثال العرب: كان ذلك زمن الفطحل، قال رؤبة:

إنك لو عمرت عمر الحسـل أو عمر نوح زمـن الفطحـل
والصخر مبتل كطين الوحـل كنت رهـين هـرم أو قتـل

وسئل عن زمن الفطحل، فقال أيام كانت الحجارة رطبة، وإذ كل شيء ينطق قال: وزعم بعض أهل اللغة أن زمن الفطحل هو زمن الخصب والسعة، وأ م أرادوا برطوبة السلام ابتلال الصخر، ورفاهية العيش، واتصال الغيوث، وصدق الأنواء.

وقال الخليل: زمان الفطحل زمان لم يخلق الناس بعد.

قال القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز: أما قولهم: أيام كانت الحجارة رطبة وإذ كل شيء ينطق، فهما من الأمور التي يتداولها جهلة الأمم، وهو الظاهر بين أغفال العرب والعامة، هذا ابن أمية بن أبي الصلت - وهو من حكماء العرب والمتخصصين منها بالرواية - يقول:

وإذ هم لا لبوس لهم عـراة وإذ صم السلام لهم رطاب
بآية قام ينطق كـل شـيء وخان أمانة الديك الغـراب

وعن مقاتل بن سليمان أن كان يقول: إذ الصخور كانت لينة، وإذ قدم إبراهيم أثرت في صخرة المقام، للين الصخر كله يومئذ. وليس مذهب هؤلاء فيما رووه يذهب مذهب من جعلها أجزاء من الأرض، تناسبت فتضامت وتحجرت، فيزعم أن

الصخر إنما ييبس من ندوة ويصلب بعذر خلوة، ولو أرادوا ذلك لوجدوا متسعاً في القول؛ لكن الأوهام التي صورت لهم أن البهائم كانت ناطقة عاقلة وفروع السعدان ملساء لينة وأغصان السيال ناعمة خضراء هي التي أد م لذلك. ولا يبعد أن يكون القوم قصدوا استعطاف القلوب إلى الحكمة، وأرادوا تألفهم على الفهم، فوضعوا أمثالاً وشوها ببعض الهزل، وأدرجوا الجد في أثناء المزح؛ ليخف على القلوب احتمالها، ويسوغ إليها التفا ا، وظن من لم يقع من التمييز موقع الكمال بالبهائم أ ا كانت تنطق وتفصح وتبين عن نفسها وتعرب، فاختلقوا أحاديث أضافوها إليها؛ وكان للعرب في ذلك شأن خصوصاً ما ازدادت على سائر الأمم به، لفضل ما فيها من اللهج بالكلام، وما أوتيت من الاقتدار على التصرف في المنطق، فاختلقت لها قريضاً، وفصلت أسجاعاً، كالذي حكته عن الضب أنه قال في صبره على الماء؛ وهو عندهم أصبر ذي نفس:

آليـ ـ ـ ـت ألا أردا إلا ءــراداً ءــردا

وصــلياناً صــرداً وعنكثــاً ملتبــداً

وزعموا أن القطا قالت للحجل: حجل حجل، كفرس في الجبل، يهمز من خوف الأجل.

فقال لها الحجل: قطاقطاً، أرى قفاك أمعطاً، بيضك ثنتان وبيضي مائتا. هكذا جاءت الرواية؛ والأمثال تجري على ألفاظها، وأشباه ذلك كثير؛ والعرب تسمي ذلك الزمان زمان الفطحل، قال:

زمن الفطحل إذ السلام رطاب

١٠٧٧- (زمن الورد): زمن الورد يضرب به المثل في الحسن والطيب، قال أبو الفرج الببغاء:

زمن الورد أطيـب الأزمـان وأوان الربيــع خـيـر أوان

أشرق الزهر زاد في أشــرف الدهر فصل فيه أشرف الفتيان

وقال ابن سكرة الهاشمي:

وعادلة هبــت بليــل تلــومني وما عندها من لذة القصف ما عندي

توبخني الشيب والشيب مرشد لعمري ولكن لست أرشد للرشد

فقلت لها كفي ملامك إنني **بطيء عن العذال** في **زمن الورد**

١٠٧٨- (عام الحزن) هو العام الذي توفيت فيه خديجة رضي الله عنها وأبو طالب، وكانت وفاتهما في عام واحد لسنة ست من الوحي، فسمى النبي ﷺ ذلك العام عام الحزن.

١٠٧٩- (عام الجحاف): كما يقال: عام الفيل، للعام الذي وردت فيه الحبشة مكة بالفيل، وعام الرمادة للعام الذي اشتد فيه القحط، وذلك زمن خلافة عمر رضي الله عنه. ويقال: عام الجحاف، وهو سيل كان ببطن مكة سنة ثمانين للهجرة، أجحف بالناس، وذهب بالإبل عليها الحمولة.

١٠٨٠- (زبدة الحقب): يضرب مثلاً للشيء النادر الذي لا يتفق مثله إلا في الأحقاب، كما قال أبو تمام في ذلك.

حتى **إذا** مخض الله **السنين** لها **مخض البخيلة كانت زبدة الحقب**

١٠٨١- (نسيم السحر): يضرب به المثل لطيبه، وقد استكثر الصاحب من ذلك فكتب: سلام كما هب نسيم السحر، على صفحات الزهر، ولذ طعم الكرى بعد برح السهر، وكتب: نثر كما تفتح الزهر عن كميمه، ونظم كما تنفس السحر عن نسيمه، وتبتسم الدر عن نظيمه.

١٠٨٢- (بكر الدهر): قال إبراهيم بن العباس الصولي:

وليلة من الليالي الغر **قابلت فيها بدرها ببدري**

لم **تك غير شفق وفجر** حتى **تولت وهي بكر الدهر**

١٠٨٣- (إغفاءة الفجر): يضرب بها المثل فيقال: ألذ من إغفاءة الفجر. وأحسن ما سمعت في إغفاءة الفجر قول ابن طباطبا:

أقول وقد أوقظت من سنة الهوى **بعذل** يحاكي **لذعه لذعة الهجر**

دعوني وحلم اللهو في **ليلة** المنى **ولا توقظوني بالملام وبالزجر**

فقالوا لي **استيقظ فشيبك لائح** **فقلت لهم طيب الكرى ساعة الفجر**

١٠٨٤- (تباشير الصبح): تباشير الصبح أوائله، قال عبيد الله بن عبد الله بن

طاهر:

بكر فقد صـاحت العصـافير ولاح من صـبحك التباشـير

١٠٨٥- (فلق الصبح): من أمثالهم عن أبي عمرو: أبين من فلق الصبح؛ وأبين من عمود الصبح؛ قال أبو تمام:

نسب كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن ضوء الصباح عموداً

وقال البحتري:

كالصبح يضرب في الدجى بعموده

ويقال: كان ذلك من بياض الفلق، إلى سواد الغسق. أي من مفتتح النهار إلى مختتمه.

١٠٨٦- (نفس الربيع): يضرب المثل بطيبه، فيقال: أطيب من نفس الربيع، كما يقال: أطيب من نفس الحبيب، وقد ذكره من قال:

العذل والتفنيد غير صواب مع أربع أصبحن من أصحابي

نفس الربيع وصبوة عذريـة ومدامة تجلي وشرخ شباب

وقال:

تنفس هذا الربيـع المريـع وأصبح للروض كـالرائض

وما فرحي بشباب الزمـان والشيب يعرض في عارضي !

١٠٨٧- (جمرات الظهيرة): تقع في الاستعارات الحسنة، كما كتب بعض الظرفاء في وصف انتصاف نهار الصيف فقال: انتقل من كل شيء ظله وقام قائم الهجيرة، ورمت الشمس بجمرات الظهيرة.

١٠٨٨- (قمر الشتاء): يضرب به المثل في الضياع فقال: أضيع من قمر الشتاء، لأنه لا يجلس فيه كما يجلس في قمر الصيف، قال ابن حجاج:

خاطر يصفع الفرزدق في الشعر ونحو ينيـك أم الكسـائي

غير أني أصبحت أضيع في القوم من البدر في ليـالي الشـتاء

١٠٨٩- (فاكهة الشتاء): يقال للنار فاكهة الشتاء، قال الشاعر:

النار فاكهة الشتاء فمن يرد أكل الفواكه شاتياً فليصطل

١٠٩٠- (برد الكوانين): يشبه به كل ما يوصف بالبرد، قال الشاعر:

أبرد من برد الكوانين زيارة الواحل في الطين
لا يصلح التسليم يوم الندى إلا لأصحاب البراذين

وقد زاد ابن المعتز في هذا المعنى زيادة حسنة فقال:

بكرنا وقد طاب الشراب وأوقدت حياه في القيال نار نشاط

١٠٩١- (ركوب الكوسج): جرت العادة في أول يوم من شهر آذرماه الفارسي من كوسج أن يتناول في هذا اليوم بعض الأدوية المسخنة، ويطلى ببعض الأطلية الحارة، ويركب ويخرب في شهرة من الثياب المضحكة للناس، وهذه السنة مستعملة ببغداد وفارس، قال المرادي:

قد ركب الكوسج يا سيدي فأنزل على الدرهم والراح
وأنعم بآذرماه عيشاً وخذ من لذة العيش بمفتاح

١٠٩٢- (سقوط الجمرات): كناية عن انتهاء البرد وابتداء الحر، وسقوط الجمرات الثلاث في ما بين شاباط وآذرماه على ما تنطق به التقاويم. ووصف بعضهم إنساناً بارداً فقال:

كأن قيام فلان من عندنا سقوط جمرة في الشتاء

١٠٩٣- (هلال شوال): يضرب مثلاً للشيء السار الذي يسر به الناس ويختلفون في النظر إليه، قال ابن المعتز:

مر بنا تشرق الطريق به في قد غصن وحسن تمثال
فخلته والعيون تأخذه من كل فج هلال شوال

أخذه من قول ذي الرمة، حيث قال:

قياماً ينظرون إلى بلال كأنهم يرون به الهلالا

وقال الطائي:

رمقوا أعـالي جذعـه فكأنمـا رمقوا الهلال عشـية الإفطـار

وقال كشاجم:

بحر علم غداة حجـة خصـم طود حلم هـلال ليلـة عيـد

١٠٩٤- (حد الأحد): كان قدار بن سالف ومن تابعه من ثمود عقروا ناقة الله يوم الأربعاء فصبحهم العذاب يوم الأحد، فأهلكهم. وفي الحديث: «**تعوذوا بالله من شر الأحد**». وفيه «**وإياكم والشخوص يوم الأحد فإن له حداً كحد السيف**».

ولما ولي يزيد بن معاوية سالم بن زياد خراسان، كتب إلى عبيد الله بن زياد وهو على البصرة، بأن يوجه عبد الله بن خازم في أربعة آلاف من أهل البصرة في تقوية سالم بن زياد، فقال عبيد الله: أخرجوا ابن خازم يوم الأحد إذا ضرب الناقوس حتى لا يرجع أبداً؛ وجعل يردد الرسل والشرط إليه ليخرج، وابن خازم يتربص ويعتل بالعوام إلى أن زاغت الشمس، فركب بالعشي، فقال للموكل به: أعلم صاحبك أنه قد ذهب حد الأحد.

وقال أبو تمام في محمد بن يوسف وقد أوقع بقوم في يوم الأحد:

من كان أنكأ حداً في كنائسهم أأنت أم سيفك الماضي أم الأحد

وقال إسماعيل الناشئ:

تجنب حـدة الأحـد ولا تركب إلى أحـد

فما بالدير من أحـد يؤمـل ثم لا أحـد

١٠٩٥- (ثقل الأربعاء): يقال: إن الأربعاء أثقل الأيام، وفيه قيل: من مزدوجة:

الأربعا يـوم وحـش النحس فيه مـنكمش

الأخذ فيـه والعطـا من ذي المودات خطا

ولابن الحجاج من قصيدة يرثي ا أبا الفتح بن العميد:

أقول ليوم الأربعاء وقد غـدا علي بوجه أغبر اللـون قـاتم

بعثت على الأيام نحساً مؤيـداً بشؤمك يا يوم الندى والمكارم

وقرأت في أخبار مزبد أن رجلاً جاءه فقال له: أحب أن تخرج معي وتصل جناحي في حاجة لي، فقال: هذا يوم الأربعاء أستثقله، ولست أبرح من منـزلي، فقال الرجل: وما تكره من يوم الأربعاء، وفيه ولد يونس بن متى فقال: لا جرم وقد بانت بركته في اتساع موضعه وحسن كسوته، حتى وصل على ورق القرع قال: وفيه ولد يوسف، قال: ما أحسن ما فعل به إخوته حتى طال حبسه وغربته قال: وفيه أوحي إلى إبراهيم عليه السلام.

قال: فما كنت أبرد الأتون الذي أوقدوه له حتى خلصه الله تعالى منه: قال: وفيه نصر الله رسوله ﷺ يوم الأحزاب، قال: أجل، بأبي أنت وأمي ولكن بعد أن زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، وظنوا بالله الظنونا، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً

فهذا في الأربعاء عامة، وأما الأربعاء التي لا تدور، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه عن النبي ﷺ أنه قال: «**آخر أربعاء** في **الشهر** **نحس مستمر**».

وتمثل به من قال:

لقاؤك للمبكـر يـوم سـوء ... ووجهـك أربعـاء لا تـدور

الباب الثامن والخمسون

في الآثار العلوية سوى ما تقدم منها

شمس العصر. لعاب الشمس. كلف البدر. عادة القمر. قمر المقنع. صحبة الفرقدين. مناط العيوق. نجوم الشباب، سحابة الصيف. مر السحاب. ظل الغمام. برق خلب. مطر الربيع. مطر مصر. ريق المزن. عيث الغيث. نسيم الصبا. أنفاس الرياح.

الاستشهاد

١٠٩٦- (شمس العصر): تضرب مثلاً للشيخ المسن ذي السن العالية الذي خرف وبلغ ساحل الحياة؛ فيقال: ما هو إلا شمس العصر على القصر.

١٠٩٧- (لعاب الشمس): لعاب الشمس عند العرب هو ما يتراءى كالخيوط في الجو عند شدة الحر، قال الراجز:

وذاب للشمس لعاب فنــزل وقام ميزان النــهار فاعتــدل

وقد يشبه به الشيء الباطل الذي لا أصل له. ويقال له أيضاً: مخاط الشيطان وخيط الشيطان، وخيط الشمس، وكما يقال: لعاب الشمس يقال: بصاق القمر للحجر الأبيض الذي يقال له حجر المها.

١٠٩٨- (كلف البدر): يشبه به ما يعرض في المحاسن من القبح، وقد تقدم طرف من ذكره، قال الشاعر:

إن يكــن أثــر في عارضــه ذلك الشعر ففي البدر كلــف

١٠٩٩- (عادة القمر): تضرب مثلاً لمن لا يجيء إلا ليلاً، قال ابن الرومي:

لا تعجب من سرانا فالســرى عادة الأقمار والنــاس هجــود

وقال آخر:

هكذا البدر في الظلام يواتي

وقال أبو إسحاق الصابي:

سرى إلي وجنح الليل معتكــر كذلك البدر في ظلمائه ســار

١١٠٠- (قمر المقنع): كان رجلاً من أهل مرو أعور يقول بالحلول والتناسخ، ويدعي الإلهية، ويضرب في السحر والنيرنجيات بسهم وافر، فاتخذ وجهاً من ذهب، واشتدت شوكته بما وراء النهر، وتفاقم أمره وأجابه قومه المبيضة الذين بقيت منهم إلى الآن بقية في حدود كش ونسف ومن مخاريقه أنه احتال حتى أظهر في الجو قمراً يقال أنه من عكس شعاع عين الزئبق التي بتلك الأرض، وهو حتى الآن منسوب إليه، ولما كان سنة ثلاث وستين ومائة استعمل المهدي المسيب على خراسان وأمره بمحاربة المقنع، فناصبه الحرب، وتحصن المقنع، فلما أحس باستيلاء المسيب على الحصن جمع نساءه كلهن. وقال: أنا صاعد إلى السماء فمن أراد أن يصحبني فليشرب من هذا الشراب، وسقاهن شراباً مسموماً، وشرب هو أيضاً منه فمات ومتن جميعاً.

١١٠١- (صحبة الفرقدين): يضرب ا المثل في طول الصحبة والتساوي والتشاكل، كما قال البحتري:

كالفرقــدين إذا تأمــل نــاظر لم يعل موضع فرقد عن فرقــد

وقال آخر:

شغلي بمعتــدل القــوام ظلــوم لحــظ المقلــتين

أفنيتــه عضــا وتقبــيلاً وإني بــ ــــين ذيــ ــــن

وكـــأنني وكـــأن مـــن أهوى اجتماع الفرقدين

١١٠٢- (مناط العيوق): يضرب به المثل في البعد، فيقال: أعز من بيض الأنوق، وأبعد من مناط العيوق. ويقال أيضاً: أبعد من مناط الثريا.

قال الشاعر:

وأبعد من هذا الذي قد أردتــه مناط الثريا من يــد المتنــاول

١١٠٣- (نجوم الشيب): قال ابن الرومي:

رب ليل تراه كالــدهر طــولاً قد تناهى فلــيس فيــه مزيــد

ذي نجوم كأ ن نجوم الشـيب ليست تغـور لا بـل تزيـد

١١٠٤- (سحابة الصيف): يضرب مثلاً لمن يقل لبثه ويخف مكثه، ويشبه ا أيضاً غضب العاشق. وقال أحد الحكماء الذين وقفوا على تابوت الإسكندر الرومي وتكلم كل واحد منهم بحكمة بالغة: انظر إلى حلم النائم كيف انقضى، وإلى سحاب الصيف كيف انجلى! وكان ابن شبرمة إذا نـزلت به نازلة يتمثل بقول الشاعر:

سحابة صيف عن قليل تقشع

ومن فصل للصاحب: سحائب الصيف أثبت من قولك، والخط في الماء أقوى من عهدك.

وفي الكتاب المبهج: إقبال الدنيا كإلمامة طيف، أو زيارة ضيف، أو سحابة صيف.

١١٠٥- (مر السحاب): يتمثل به في السرعة، قال بعض الحكماء: الفرص تمر مر السحاب قال الشاعر:

الدهر أقصـر مـدة من أن يمحق بالعتاب

فتغنم الساعات منـه فمرها مر السـحاب

وقد شبه به الأعشى مشي المرأة حيث قال:

كان مشيتها من بيت جارتـا مر السحابة لا ريث ولا عجـل

١١٠٦- (ظل الغمام): يضرب مثلاً لما لا يدوم بل يسرع انقضاؤه، قال كثير:

وإني وتيامي بعـزة بعـد مـا تخليت عمـا بيننـا وتخلـت

لكا لمرتجي ظل الغمامة كلمـا تبوأ منها للمقيـل اضـمحلت

وقال ابن المعتز:

إلا إنما الدنيا كظـل غمامـة إذا ما رجاها المستظل أضمحلت

فلا تك مفراحاً إذا هي أقبلـت ولا تك مجزعاً إذا هـي ولـت

١١٠٧- (برق خلب): يقال له: برق خلب، وبرق خلب.

قال الشاعر:

وقول بلا فعل كبارق خلب

وقال آخر:

لا يكن وعدك برقاً خلباً إن خير البرق ما الغيث معه

والبرق الخلب هو الذي لا غيث معه، يضرب مثلاً لمن يخلف كما يخلف ذلك البرق، والخلب من الخلابة، قال الليث عن الخليل: البرق الخلب الذي يومض ويطمع في المطر، ثم يعد ويخلف.

وللصاحب من رسالة: وعده برق خلب، وروغان ثعلب.

١١٠٨- (مطر الربيع): الدهاقون يقولون: مطر الربيع ماء كله أي نفع كله، وذلك أن الماء حياة كل شيء، فمطر الربيع هو الماء الذي تحيا به الأرض بعد مو ا، ولا يضيع منه شيء كما تضيع أمطار سائر الفصول، وقد أحسن من قال لشارب دواء:

وجال نفع الدواء فيـك كمـا يجول مـاء الربيـع في المطـر

١١٠٩- (مطر مصر): يضرب مثلاً للشيء النافع يتضرر منه، لأن من عيوب مصر أ ا لا تمطر، فإذا أمطرت كره أهلها ذلك أشد كراهة؛ قال الله تعالى: ﴿**وهو الذي يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته**﴾[1]، يعني المطر، فهذه رحمة موجهة لهذا الخلق، وهم لها كارهون، وهي لهم غير موافقة، ولا تزكو عليها زروعهم، قال الشاعر:

يقولون مصر أخصب الأرض كلها فقلت لهم بغداد أخصب من مصر

وما مصر إلا بلدة مثل غيرهـا تعاقبها الأيام بالعسر واليسـر

ولكـنكم تطرو ـا ـواكم ولم تخل أرض من محب ومن مطـر

---

(١) سورة الأعراف٥٧

وإلا فأين الخصب من معشر ا يقاسون أنواع العذاب مـن الفقـر
وما خير قوم تجدب الأرض عندهم بما فيه خصب العالمين مـن القطـر
إذ بشروا بالغيث ريعت قلو م كما ريع في الظلماء سرب القطا الكدر

قال الجاحظ: وإذا هبت ا الريح المريسية - وهي ريح الجنوب - ثلاثة عشر يوماً تباعاً، اشترى أهلها الأكفان والحنوط، وأيقنوا بالوباء القاتل.

١١١٠- (ريق المزن): يدخل في باب الاستعارات، قال بعض أهل العصر:

ريق الحبيب بريق المزن والعنب أذاقني ثمرات اللهو والطـرب
وقد سرفت من الأيام صـفوتا فكيف أهرب منها وهي في طلبي

١١١١- (عيث الغيث): يضرب مثلاً لما يعم خيره ويخص شره، وذلك أن الغيث على إغاثته الخلق، وإحيائه الأرض بعد مو ا، ربما ضر الخلق دم البيوت وتخريب العمران، وتعويق المواعيد، وإيذاء المسافرين. وقد أنشد الشيخ أبو الفتح البستي:

لا ترج شـيئاً خالصـاً نفعـه فالغيث لا يخلو مـن العيـث

١١١٢- (نسيم الصبا): الصبا مخصوصة من بين الرياح برقة النسيم وطيب الهبوب، لانخفاضها عن برد الشمال، وارتفاعها عن حر الجنوب، وقد أكثر الناس من ذكرها، قال امرؤ القيس:

نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

وقال ابن طباطبا:

أتاني قريض كـنظم الجمـان وروض الجنان وأمـن الفـؤاد
وعهد الصبا ونسـيم الصـبا وبرد الفؤاد وطيـب الرقـاد

وقال ابن الرومي في وصف اللوزينج:

مسـتكثف الحـر ولكنـه أدق جرماً من نسـيم الصـبا

١١١٣- (أنفاس الرياح): من إحدى الاستعارات الحسنة السائرة.

قال إسحاق بن خلف في وصف السيف:

ألقى بجانب خصـره أمضى من الأجل المتاح
وكأنمـــا ذر الهبـــاء عليه أنفاس الريـاح

وقال السري في وصف القصيدة:

أتتك وقد أعدت خلالك لفظها خلالاً ففيه من خلالـك رونـق
معان كأنفاس الرياح بسـحرة تمر بـأنوار الريـاض فتعبـق

الباب التاسع والخمسون

في الأدب وما يتعلق به

أدب النفس. حرفة الأدب. حلية الأدب. بيت القصيدة. طريق القافية. غذاء الروح. سير المثل. طغيان القلم. عنوان الخير. توراة الثمانين. آخر الصك. جواب الجواب.

الاستشهاد

١١١٤- (أدب النفس): قالوا: أدب النفس خير من أدب الدرس، ونظمه من قال:

يا مغرقـا في أدب الـدرس أفضل منـه أدب الـنفس

وأهدى أبو غسان التميمي إلى الأمير نصر بن أحمد في يوم نيروز كتابا من تأليفه؛ فقال له: ما هذا يا أبا غسان؟ فقال: كتاب أدب النفس، قال: وكيف لا تعمل بما فيه! وكان أبو غسان التميمي من سيء الأدب في ا الس، ويعد ممن يسيء الأدب.

١١١٥- (حرفة الأدب): قال الخليل: حرفة الأدب آفة الأدباء وفي الكتاب المبهج: حرفة الأدب حرفة وفي غيره: حرفة الأدب حرقة.

ويروى لنفر من الأدباء والشعراء، منهم الخليل والحموي قولهم:

ما ازددت في أدبي حرفاً أسر به إلا تزيدت حرفاً دونـه شـوم

إن المقدم في حـذق بصـنعته أنى توجه منـها فهـو محـروم

وقال ابن بسام في مرثية ابن المعتز:

ما فيه لو ولا ليـت فتنقصـه وإنما أدركتـه حرفـة الأدب

١١١٦- (حلية الأدب): قيل: لكل شيء حلية، وحلية الأدب الصدق، قال الصاحب:

الـزم الصـدق إنـه حلية العلـم والأدب

كذب المرء شينه   لعن الله من كذب

١١١٧- (بيت القصيدة): يضرب مثلاً في تفضيل بعض الشيء على كله، وقد تقدم ذكر مثله، يقال: فلان فارس الكتيبة، وأول الجريدة، وبيت القصيدة، قال المتنبي:

ذكر الأنام لنا فكان قصيدة   أنت البديع الفرد في أبياتها

وهذا البيت بيت القصيدة التي عرضها.

١١١٨- (طريق القافية): لما قال أبو إسحاق إبراهيم الموصلي في وصف الخمر:

وصافية تعشي العيون رقيقة   سليلة عام في الدنان وعام

أدرنا بها الكأس الروية بيننا   من الراح حتى انزاح كل ظلام

فما بان قرن الشمس حتى كأننا   من الغي نحكي أحمد بن هشام

قال له أحمد بن هشام: لم هجوتني مع الصداقة التي بيننا قال: لأنك قعدت على طريق القافية.

١١١٩- (غذاء الروح): يقال: إن الأدب غذاء الروح، كما أن الطعام غذاء الجسم، وفي الكتاب المبهج: الكلام الفائق بالخط الرائق، نزهة العين وفاكهة القلب وريحانة الروح. انتهى.

١١٢٠- (سير المثل): يضرب به المثل فيقال: أسير من مثل، وقال أبو عثمان الخالدي:

إني لأملأ للآماق من قمر   بدر وأسير في الآفاق من مثل

١١٢١- (طغيان القلم): طغيان كل شيء مجاوزته حده، وطغيان القلم إنما يجري بما لا يقصده الكاتب، فكأنه يطغى في ذلك.

١١٢٢- (عنوان الخبر): قال ابن الرومي في أبي الصقر:

له محيا جميل يستدل به   على جميل وللبطنان ظهران

وقل من ضمنت خيراً طويته   إلا وفي وجهه للبشر عنوان

وقيل لإنسان وسيم جسيم: ما هذه الجسامة؟ قال: عنوان نعمة الله.

١١٢٣- (توراة الثمانين): هي التي ترجمها ثمانون حبراً لبعض ملوك الروم، وذلك أنه أوردهم وفَرق بينهم، وأمرهم بترجمة التوراة ليأمن تواطؤهم على تغيير شيء منها؛ وهي الآن أصح تراجم التوراة.

١١٢٤- (آخر الصك): يشبه به ما وصفه ابن الرومي وسبق إليه في قوله:

لك وجه كآخر الصك فيه ... لمحات كثيرة من رجال

كخطوط الشهود مشتبهات ... معلمات أن لست بابن حلال

١١٢٥- (جواب الجواب): كان الصاحب يقول: جواب الجواب، من الخطط الصعاب.

الباب الستون

في فنون مختلفة الترتيب على توالي حروف الهجاء

الألف: إرجاف العوام، أيام الشباب. أخبار الآحاد. أنفاس الحبيب، أنفاس الرياض. أسارى الثرى. أثافي الشر.

الباء: بكاء السرور. باب السماء. باب الآخرة. بكر بكرين. بيدق الشطرنج. بغلة الشطرنج.

التاء: تحلة القسم. ترهات البسابس. تقسيمات إقليدس

الثاء: ثقل الفيل. ثقل الدين. ثقل الرصاص.

الجيم: جهد البلاء. جهد المقل. جلسة الأمن. جلسة الخطيب. جهل الصبا.

الحاء: حكم الصبي. حلم النائم. حب الظرف. حاسي الذهب. حمي الروح.

الخاء: خدعة الصبى. خطيب القدر. خبط الفيل.

الدال: دار القرار. داء الكرام. دينار يحيى. دعوة المظلوم.

الذال: ذل الفقر. ذل الهوى. ذل العز. ذل السؤال.

الراء: رشاء الحاجة. راكب الفيل. راكب التنين. ريق الدنيا. رقية الزنا.

الزاي: زكاة الجاه. زغب الحسن.

السين: سقاية الحاج. سر الزجاجة. سوس المال. سر الفلك. سوط عذاب. سلم الشوق. سفاتج الأحزان. سقط الجند.

الشين: شريكا عنان.

الصاد: صحبة السفينة. صدع الزجاج. صبغة الشباب. صولة الكريم. صابون الهموم.

الضاد: ضمير الغيب. ضربة الخائف. ضربة لازب.

الطاء والظاء: طعم الحياة. ظل الموت.

العين والغين: عرق القربة. عرق الموت. عز التقى. غفلة الرقيب. غضب العاشق. غبار العسكر. غبار الولاية. غصص الموت.

الفاء والقاف: فتنة الدجال. فقاع القلى. فطنة الأعراب. فتح الفتوح. قبور

الأحياء. قبلة الحمى. قرن الكركدن. قمع الفؤاد. قطب السرور.

الكاف واللام: كتاب النثار. كيمياء الفرح. كف الجواد. كرب الدواء. لمع السراب. لعاب المنية. لزوم الدبق. لذة الخلسة.

الميم والنون: مجالس الكرام. ميزان القوم. مصباح السرور مفتاح النجاح. مفتاح باب الرزق. مفتاح الأمصار. مفتاح الفتن. مطية الجهل. مودة السوق. مولى الموالي. معترك المنايا. مدرجة الشرف. نقد البلد. نور الهموم.

الواو والياء. وقار الشيب. وقاحة العميان. ينبوع الأحزان.

الاستشهاد

١١٢٦- (إرجاف العوام): كان محمد بن عبد الملك الزيات يقول: إرجاف العوام مقدمة الكون، فنظمه جحظة، فقال:

أرى الإرجاف متصلاً ببذل ... ولابس حلتي كبر وتيه

وإرجاف العوام مقدمات ... لأمر كائن لا شك فيه

وخفف العوام وحقها التشديد، وإنما جاء ا عامية بغدادية.

١١٢٧- (أيام الشباب): يشبه ا ما يوصف بالحسن والطيب، قال ابن أبي البغل:

مداد مثل خافية الغراب ... وقرطاس كرقراق السراب

وأقلام كمرهفة الحراب ... وخط مثل موشي الثياب

وألفاظ كأيام الشباب

١١٢٨- (أنفاس الحبيب): يشبه ا كل شيء طيب، قال أبو بكر الخوارزمي:

وطيب لا يحل لكل طيب ... يحيينا بأنفاس الحبيب

متى يشممه أنف جن قلب ... كأن الأنف جاسوس القلوب

١١٢٩- (أنفاس الرياض): من أحسن ما قيل فيها قول ابن الرومي:

كذلك أنفاس الرياض بسحرة تطيب وأنفاس الأنام تغير

١١٣٠- (أخبار الآحاد): هي التي لم يروها إلا الآحاد، ولا يحكم بها أكثر الفقهاء. ومن فصل للصاحب: مولاي يعرف أخبار الآحاد، وكم أهلكت من العباد وله من نتفة:

لا تعبأن بما جاءك الوشاة به فإن هذي أخبار آحاد

وعد إلى الرسم في مواصلتي واعطف على عبدك ابن عباد

١١٣١- (أسارى الثرى): كان محمد بن عبد الملك بن صالح إذا ذكر عنده قوم موتى بسوء قال: كفوا عن أسارى الثرى.

وفي معناه يقول ابن المعتز في الفصول القصار: لا تذكر الميت بشر فتكون الأرض أكتم عليه منك.

١١٣٢- (أثافي الشر): قال الأصمعي: كان جرير والفرزدق والأخطل يسمون أثافي الشر، تهاجوا أربعين سنة.

١١٣٣- (بكاء السرور): السرور إذا أفرط أبكى، والغم إذا أفرط أضحك.

قال أبو الطيب: ومن السرور بكاء. وقال آخر:

ومن فرح النفس ما يقتل

وقال آخر: ومن الشدائد ما يضحك. وقال بعض العصريين:

وكنت أبكي قرير العين من فرح والآن من عجب في ضحك مكروب

وكنت أولع بالتصفيق من طرب فالآن أوهى يدي تصفيق محروب

١١٣٤- (باب السماء): قلت في الكتاب المبهج: لا يقرع باب السماء بمثل الدعاء.

١١٣٥- (باب الآخرة): قال ابن المعتز في الفصول القصار: والموت باب الآخرة.

١١٣٦- (بكر بكرين): البكر أول ولد الرجل، والعرب تتشاءم به إذا كان ذكراً؛ فإذا كان كل من أبويه كذا قيل له: بكر بكرين، وهو النهاية في الشؤم.

وكان قيس بن زهير بكر بكرين، وكان أزرق، ويقال: بكر بكرين شيطان، قال الشاعر في غلام كان بكر بكرين:

يا بكر بكرين ويا خلب الكبد **أصبحت** مني **كذراع من عضد**

١١٣٧- (بيدق الشطرنج): يشبه به القصير الدنيء الساقط، وأظن الناظم أول من شبهه به حيث قال:

ألا يا بيـدق الشـطرنج في **القيمــة والقامــه**

لقد صغر منـك الكـل **غـير الـدبر والهامـه**

١١٣٨- (بغلة الشطرنج): يشبه ا من يستغنى عنه ولا يحتاج إليه، ويكون دخيلاً في القوم، إذ ليس للبغل مكان في دواب الشطرنج، وله يقال في المثل: من أنت في الرفعة قال بعض العصريين:

يا كاتباً أقبل من زرنـج **مبرقع الوجه بلون الزنج**

اذهب فأنت بغلة الشطرنج

١١٣٩- (تحلة **القسم):** أحسن ما سمعت فيها قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

حلف الأمير **بقطعه يـده** **إذا مس من يهواه بـالأ**لم

حتى **إذا ضاق الفضاء به** **جعل الفصاد** تحلة **القسم**

١١٤٠- (ترهات البسابس): ذكر الأصمعي أن الترهات الطرق الصغار المتشعبة من الطريق الأعظم، والبسابس جمع بسبس، وهو الصحراء الواسعة التي لا شيء فيها، يقال لها: بسبس وسبسب، هذا أصل الكلمة، ثم يقال لمن جاء بكلام محال: أخذ في ترهات البسابس، وجاء بالترهات؛ ومعنى المثل أنه أخذ في غير القصد وسلك الطريق الذي لا ينتفع به؛ كقولهم: وركب بسبسات الطريق، قال الشاعر:

تطاول ليلي واعترتني وساوسي **لآت أتى بالترهات البسـابس**

١١٤١- (تفسيمات إقليدس): حكى أبو القاسم الآمدي قال:

سمع بعض الشيوخ من نقدة الشعر قول العباس بن الأحنف:

وصالكم هجر وحـبكم قلـى **وعطفكم صد وسلمكم حرب**
وأنتم بحمد الله فـيكم فظاظـة **وكل ذلول من مراكبكم صعب**

فقال: هذا والله أحسن من تقسيمات إقليدس.

١١٤٢- (ثقل الفيل) يضرب به المثل. وكان أبو حنيفة رضي الله عنه كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

ومـا الفيـل تحملـه ميتـا **بأثقل مـن بعـض جلاسـنا**

وأنشد الميداني:

ومـا الفيـل تحملـه مـوقراً **رصاصـاً بأثقـل مـن معبـد**

وقال بعض الظرفاء:

أنـــت والله ثقيـــل **وثقيـــل وثقيـــل**
أنت في **المنظـر إنسـان** **وفي المخـــبر فيـــل**

١١٤٣- (ثقل الدين): يضرب به المثل؛ كما قال ابن الرومي:

وثقيل كأنه ثقـل ديـن **يتعداه طالعاً كـل عـين**
حمل الله ثقلها ثقلـها ثم **بـراه عـلاوة الـثقلين**

ويروى أن لقمان قال لابنه: يا بني، حملت الصخر والحديد فلم أحمل أثقل من الدين، وأكلت الطيبات، وعانقت الحسان؛ فلم أصب ألذ من العافية، وذقت المرارات؛ فلم أذق أمر من الحاجة إلى الناس.

١١٤٤- (ثقل الرصاص): أنشد الجاحظ لابن دوست:

لي **جـيران ثقـال كلـهم** **فأخف القوم** في **ثقل الرصـاص**
قلت لما قيل لي **قـد غضـبوا** **غضب الخيل على اللجم الدلاص**

١١٤٥- (جهد البلاء): اختلفت الآراء والأقاويل فيه، فيروى أن الأحنف كان يقول فيه: جهد البلاء خادم يدمدم، وبيت يكف، وحطب يفرقع، وخوان ينتظر به غائب.

وأتى عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب برجل قد استحق القتل فأقيم ليضرب عنقه، ودعا بالسياف، فقال رجل من جلسائه: هذا والله جهد البلاء؛ فقال عبد الله: لا تقل هذا، فوالله ما هذا وشرط حجام بمشرطة إلا سواء، ولكن جهد البلاء فقر مدقع بعد خير موسع.

ويروى أن المأمون قال يوما لجلسائه: ما جهد البلاء؟ فقال عمرو بن مسعدة: طول الليلة الساهرة، من خوف ذي البطشة القادرة؛ فقال: إن هذا الجهد لم يبلغ أن يكون كل الجهد؛ فقال صالح العباسي: جهد البلاء زوال النعمة، وانتهاك الحرمة، والأمر الغمة، فقال المأمون: إن الأمر الغمة لناهيك به، فقال الحجاج بن خيثمة: بل جهد البلاء على من غضب عليه أمير المؤمنين فلا يقبل له عذراً، ولا يعده صفحاً، فالأرض لا تقله، والسماء لا تظله: فقال ثمامة: جهد البلاء جرى حكم جاهل على عالم، فقال المأمون: ينبغي أن يكون لحديثك قصة، قال: نعم، يا أمير المؤمنين؛ حبسني الرشيد ووكل بي مسروراً، فمنعني النعاس، وقرب الناس، ثم دخل علي وهو يقرأ: ﴿**والمرسلات عرفاً**﴾ ويقول: ﴿**ويل للمكذ**بين﴾؛ فقلت: إن المكذبين هم الرسل والمكذبين قومهم، فقال: قد قيل لي إنك قدري ولكنني لم أصدق إلى الآن فأي جهد يكون أجهد من هذا فقال المأمون: صدقت يا ابن معن.

وحكى الأصمعي عن المعتمر بن سليمان أنه قال: لم يعالج جهد البلاء من لم يعالج الأيتام.

وقال الجاحظ: ليس جهد البلاء مد الأعناق، وانتظار وقوع السيوف؛ لأن الوقت قصير، والحس مغمور، ولكن جهد البلاء أن تظهر الخلة، وتطول المدة، وتعجز الحيلة، فلا تجد صديقاً مؤنساً إلا ابن عم شامتاً، وجارا حاسداً، ووولياً قد تحول عدواً، وزوجة مختلفة، وجارية مضيعة، وعبداً لا يحترمك، وولداً ينهرك.

وقال في مكان آخر: قد علمنا أن المخنوق يجد الترفيه وإرخاء الوتر وأن صاحب الحصر وصاحب الأسر يجدان عند التطلق وانفتاح المخرج ما يجده آكل الرطب، وكذلك المصبور على ضرب العنق؛ هو الذي يسمى جهد البلاء؛ فإنه إذا سلم وقد عاين بريق السيف يجد لتلك السلامة من اللذة ما لا يجد لشيء من الفواكه والحلوى.

١١٤٦- (جهد المقل): أحسن ما سمعت فيه قول الشاعر:

قد بعثنا إليك أصلحك الله بشيء فكن له ذا قبول
لا تقسه إلى ندى كفك الغمر وإفضالك الجسيم الجزيل
واغتفر قلة الهدية مني إن جهد المقل غير قليل

وكتب بعضهم في ذكر قصيدة: هي جهد المقل، لا دعوى المستقل.

١١٤٧- (جلسة الآمن): قيل لمحمد بن واسع: ألا تسكن؟ فقال: تلك جلسة الآمن ولست به.

١١٤٨- (جلسة الخطيب): تمثل ا في الخفة بعض الظرفاء فقال: جلسة فلان عندي أخف من جلسة الخطيب فيما بين الخطبتين.

وفي الكتاب المبهج: جلسة العيادة خلسة.

١١٤٩- (جهل الصبي): يضرب به المثل فيقال: أجهل من صبي، ويقال: الصبي صبي ولو لقى النبي، قال الشاعر:

ولا تحكما حكم الصبي فإنه كثير على ظهر الطريق مجاهله

١١٥٠- (حكم الصبي): يضرب به المثل لمن يشط في الاقتراح على صاحبه. وكان أبو سفيان بن حرب إذا نزل به جار يقول له: يا هذا إنك قد اخترتني جار فجناية يدك على دونك، وإن جنت عليك يد فاحكم على حكم الصبي على أهله، وقال قدير بن منبع لجديع بن علي: لك علي حكم الصبي على أهله.

١١٥١- (حلم النائم): يشتبه به ما يسرع انقضاؤه وقال حكيم: كان مكتوباً على تابوت الإسكندر: انظر إلى حلم النائم كيف انقضى، وإلى سحاب الصيف كيف انجلى وقال الشاعر في وصف الدنيا:

أحلام نوم أو كظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يخدع

وقال إبراهيم بن المهدي:

وما المرء في دنياه إلا كهاجع رأى في غرار النوم أضغاث أحلام

١١٥٢- (حب الظرف): هو الجرب عند فتيان الشام والعراق ومتظرفيهما، قال الصنوبري:

الشيب عندي والإفلاس والجرب — هذا هلاك وذا شؤم وذا عطب
إن دام ذا الحال لا ظفر يدوم ولا — جلد يدوم ولا لحم ولا عصب
ولقبوه بحب الظـرف ليتـهم — يا نفس ضاعوا كما قد ضاع ذا اللقب

وقال آخر:

يا صروف الدهر حسبي — أي ذنـب كـان ذنـبي
علة عمـت وخصـت — في حبيـب ومحـب
دب في كفيـه ظـرف — حبـه دب بقلـبي
فهو يشكو حـر حـب — واشتكائي حـر حـب

ومن أحسن ما سمعت في الجرب قول الآخر:

سيدي ليس ذا جـرب — هـذه حكـة الطـرب
كلما قلت هـذا ذهـب — دب في الجلد والتـهب
مـا أراه مزايلـي — ما رأى التين والعنـب

١١٥٣- (حاسي الذهب): هو عبد الله بن جدعان؛ يسمى حاسي الذهب، لأنه كان يشرب في إناء ذهب. وكانت قريش تتمثل بقولها: أقرى من حاسي الذهب، لجوده وكثرة قراه.

١١٥٤- (حمى الروح): كان بختيشوع يقول للمأمون: يا أمير المؤمنين، لا تجالس الثقيل، فإنا نجد في كتبنا أن مجالسة الثقيل حمى الروح.

١١٥٥- (خدعة الصبي): من أمثال العرب: إ ا خدعة الصبي عن اللبن، يقال للشيء اليسير يخدع به الإنسان عن الشيء الخطير، وإنما يشبه بما يعطى الصبي عند فطامه من طعام أو غيره فيعلل به ليسلو عن اللبن.

١١٥٦- (خطيب القدر): سمعت الأمير السيد أدام الله تأييده يقول: سأل أعرابي أهله فقال: أين بلغت قدركم؟ فقالت: قد قام خطيبها - تكني عن الغليان.

١١٥٧- (خبط الفيل): يضرب به المثل في ثقل الوطأة. وكانت الأكاسرة ربما قتلت الرجل بوطء الأفيلة، وكانت قد دربت على ذلك وعلمت فإذا ألقي

الرجل تركت العلف وقصدت نحوه فضربته بخراطيمها وخبطته بقوائمها حتى يموت؛ وكان ممن ألقي تحت أرجل الفيلة النعمان بن المنذر.

١١٥٨- (دار القرار): قال الله عز من قائل: ﴿**وإن الآخِرَةَ هِيَ دَار القَرَار**﴾، قال علي بن الجهم:

من وراء الشباب شيب حثيث	**السير والليل مزعج بنهار**
ومع الصحة السقام وحال العز	**مقرونة بحال الصغار**
ليس دار الدنيا بدار قرار	**فتزود منها لدار القرار**

١١٥٩- (دينار يحيى): يحيى هذا بلي بالعباس المصيصي الخياط المعروف بالمشنوق لما أعطاه ديناراً خفيفاً؛ كما بلي ابن حرب بالحمدوني إذا خلع عليه طيلساناً خلقاً، فصار دينار يحيى مثلاً في الخفة كما صار طليسان ابن حرب مثلاً في الخلوقة، فمن ملح العباس في دينار يحيى قوله:

دينار يحيى **ذلك النرجس**	**كأنما جاء من الحبس**
وفي **هبوب الريح** يحكي **لنا**	**تقلب الرقاص** في **العرس**
كأنه في **الكف من خفة**	**مقداره من صفرة الورس**

وله أيضاً رحمه الله تعالى:

دينار يحيى **زائد النقصان**	**فيه علامة سكة الحرمان**
قد دق منظره ودق خياله	**فكأنه روح بلا جثمان**
أهداه مكتتماً إلي برقعة	**فوجدته أخفى من الكتمان**

١١٦٠- (داء الكرام): كناية عن الدين؛ لأن الكرام كثيراً ما يبتلون به، وربما يراد به رقة الحال، كما قال الشاعر:

وافق المهرجان والعيد مني	**رقة الحال وهي داء الكرام**
فاقتصرنا على الدعاء وفيه	**صدق عون على وفاء الذمام**

وقال آخر:

أحمد ربي اللطيف حمد فـتى في **كدر العيش** غير **مغبـون**
إن كان داء الكرام يعـروني **فـإن داء الملـوك يعـ**دوني

١١٦١- (دعوة المظلوم): جاء في الخبر: (**اتقوا دعوة المظلوم ولو كان كافراً**) وفيه: (**اتقوا دعوة المظلوم فإنها لينة الحجاب**) وقال الشاعر:

كنت الصحيح وكنا منك في **سقم** **فإن سقمت فإنا الظالمون غـداً**
دعت عليك أكف طالما ظلمت **ولن ترد يـد مظلومـة أبـداً**

وبات أبو العيناء عند ابن مكرم في بيت فتأذى بفسائه، فتحول إلى الصفة فلحقه النتن، فصعد غرفة فوجد تلك الرائحة فقال له: يا ابن الفاعلة، ما أشبه فساءك بدعوة المظلوم، والريح العقيم؛ ليس دونها حجاب.

١١٦٢- (ذل السؤال): من أحسن ما سمعت فيه قول القائل:

يقول الناس كسب فيه عار **فقلت العار** في **ذل السؤال**
لنقل الصخر من قلل الجبال **أخفَ علي من منن الرجال**

وقول أبي تمام:

ذل السؤال شجا في **الحلق معترض** **من فوقه شرق من** تحته **جـرض**
ما ماء كفك إن جادت وإن بخلت **من ماء وجهي إذا أفنيته عوض**

١١٦٣- (ذل الفقر): من دعاء بعض السلف: اللهم إني أعوذ بك من ذل الفقر وبطر الغنى، قال ابن أبي السرح:

صحبتكم حولين في **حال عـزة** **أرجي نداكم والجنـون فنـون**
فما نلت منكم طائلاً غير **أنـ**ني **تعلمت ذل الفقر كيف يكـون**

١١٦٤- (ذل الهوى): لما قصد أبو تمام البصرة شق ذلك على عبد الصمد ابن المعذل، فكتب إليه يقول:

أنت بين اثنتين **تبرز للناس** **وكلتاهما بوجـه مـذال**
لست تنفك طالباً لوصال **من حبيب أو طالباً لنوال**

أي ماء لحر وجهك يبقى بين **ذل الهوى وذل السؤال**

١١٦٥- (ذل العزل): كان بعض الولاة يقول: لا يقوم عزّ الولاية بذل العزل. وقال ابن المعتز:

وذل العزل يضحك كل يـوم **ويضرب** في **قفا الـوالي** المـ**دل**

١١٦٦- (رشاء الحاجة): من فصول أبي الفتح البستي القصار: الرشوة رشاء الحاجة.

١١٦٧- (راكب الفيل): سمع البحتري قول الشاعر:

ومغـــن يـــتغنى **بطعــام وشــراب**

فإذا رمنا ســكوتا **فبمـــال وثيـــاب**

فقال: مثل هذا مثل راكب الفيل، يركب بدانق وينـزل بدرهم.

١١٦٨- (راكب اثنين): يضرب مثلاً لمن يعمد لشيئين اثنين فما يتحصل منهما على شيء، ويتضرر بذلك، قال الشاعر

أضحى حريث أدام الله صرعته **كراكب** اثنين **يرجو قوة** ا**ثـ**نين

حتى إذا أخذا في **حال شوطهما** **تفرقا فهو** في **بـين الطـريقين**

طال الزمان و**لم يظفر** **بحاجتـه** **كذاك حال الذي يدعو إلهـين**

١١٦٩- (ريق الدنيا): أول من قال ذلك للنبيذ ابن الرومي في قوله:

فتى **هجر الدنيا وحرم ريقهـا** **وما ريقها إلا الشراب المصـرد**

وفي الكتاب المبهج: الدنيا معشوقة، ريقها الراح.

١١٧٠- (رقية الزنا): قال المدائني: لما نزل الحطيئة بيتي فسمع شباناً يتغنون فقال: جنبوني تغنيكم فإن الغناء رقية الزنا.

وكان سليمان بن عبد الملك يقول: إن الفرس يصهل فتنق له الحجر، وإن الفحل يهدر فتضع له الناقة، وإن التيس لينب فتستحرم له العنـز، وإن الرجل يغني فتشتاق له المرأة.

١١٧١- (زكاة الجاه): سأل سائل رئيساً كتاب وصاة فمنعه إياه فقال له: إن الله تعالى قد أمرنا بإيتاء الزكاة، وزكاة الجاه الكتب؛ فأمر له بما سأل.

ومما يستحسن لأبي أحمد بن أبي بكر الكاتب قوله لأبي الفضل البلعمي:

يا أبا الفضل لك الفضل المبين ... وبما تكنى به أنت قمين

ليس تخلو من زكاة نعمة ... أوجبت شكراً لرب العالمين

فزكاة المال من أصنافه ... وزكاة الجاه رفد المستعين

١١٧٢- (زغب الحسن): أول من قال ذلك لخط عارض الغلام الصاحب في قوله:

قلت وقد قيل بدا شعره ... بمثل ذاك الشعر لا يشعر

هل زغب الحسن له ضائر ... ذا القمر التم به يقمر

١١٧٣- (سقاية الحاج): كانت من مكارم قريش ومآثرها إذ كانت تسقي الحاج نبيذ الزبيب طول أيام الموسم. وكانت تسمى تلك المكرمة سقاية الحاج، ويتولاها أكابرهم، ويتوارثونها كابراً عن كابر؛ حتى استقرت للعباس بن عبد المطلب، وسمي ساقي الحجيج.

ويروى أن مفاخرة وقعت بين طلحة بن شيبة والعباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فقال العباس: أنا صاحب السقاية، والقائم عليها وقال ابن شيبة: أنا صاحب البيت، ومعي مفتاحه، فقال علي: ما أدري ما تقولون؟ أنا صليت إلى هذه القبلة قبلكما وقبل الناس أجمعين بستة أشهر، فنـزلت آية: ﴿**أَجَعَلْتُم سِقَايَةَ الحَاجِّ وعِمَارَةَ المَسجِدِ الحَرَامِ كَمَن آمَنَ بِاللهِ والْيومِ الآخِرِ**﴾.

١١٧٤- (سر الزجاجة): يضرب مثلاً لما لا يكتم من الأسرار، لأن الزجاجة جوهر لا يكتم فيه شيء لما في جرمه من الضياء.

وكتب ابن المعتز إلى صديق له: أقلل من فلان نصيبك، فإنه أنم من زجاجة على ما فيها.

وللسري في هذا المعنى ملح لم أر مثلها حسناً وبراعة، فمنها قوله وهو يعاتب صديقاً له أسر له حديثاً فأذاعه:

لسانك السيف لا يخفى له أثر ... وأنت كالصل لا تبقي ولا تذر

سري إليك كأسرار الزجاجة لا ... يخفى على العين منها الصفو والكدر

فاحذر من السر كسراً لا انجبار له ... فللزجاجة كسر ليس ينجبر

ومنها قوله:

رأيتك تبدي للصديق نوافذاً ... عدوك من أمثالها الدهر آمن
وتكشف أسرار الأخلاء مازحاً ... ويا رب مزح راح وهو ضغائن
سألقاك بالبشر الجميل مداهناً ... فلى منك خل مذ عرفت مداهن
أنم بما استودعته من زجاجة ... يرى الشيء منها ظاهراً وهو باطن

وقوله:

أريد منك ثماراً لست أخفيها ... وأرتجي الحال قد حلت أواخيها
أستودع الله خلا منك أو سعة ... ودا ويوسعني غشا وتمويها
كأن سري في أحشائه لهب ... فما تطيق له طيا حواشيها
قد كان صدرك للأسرار جندلة ... ضنينة بالذي تخفي نواحيها
فصار من بث ما استودعت جوهرة ... رقيقة تستشف العين ما فيها

وللأمير السيد أدام الله تأييده في حل البيتين الأخيرين: قد كان في حفظ السر صخرة لا تنصدع، فأصبح زجاجة لا يحجب ما في ضمنه ولا يمتنع.

١١٧٥- (سر الفلك): قال بعض العصريين في صديق له منجم:

صديق لنا عالم بالنجوم ... يحدثنا بلسان الفلك
ويكتم أسرار إخوانه ... ولكن ينم بسر الملك

١١٧٦- (سوط عذاب): من استعارات القرآن قول الله تعالى: ﴿**فَصَبَّ عَلَيهِم رَبُّكَ سَوطَ عَذَابٍ**﴾، اقتبس منه كشاجم فقال:

يا رحمة الله التي قد أصبحت ... دون الأنام علي سوط عذاب

١١٧٧- (سلم الشرف): قال بعض الحكماء: التواضع سلم الشرف.

وقال آخر: التواضع من مصايد الشرف.

١١٧٨- (سوس المال): قال بعضهم: العيال سوس المال. ومن أبلغ ما قيل

في التمثل بالسوس قول خالد بن صفوان: والله لثلاثون في مالي أسرع من السوس في الصوف في الصيف.

وقال أبو نصر العتبي في فصوله القصار: للهم في وخز النفوس أثر السوس في خز السوس.

١١٧٩- (سفاتج الأحزان): قال بعض الأدباء: كتب الوكلاء سفائج الأحزان، فنظمه من قال:

طلب الثنـاء مجاهـداً ليعـزه فغـدا بـدار مذلـة وهـوان
ورأى رقاع وكيله فزهي ـا فإذا الرقاع سـفاتج الأحـزان

وفي الكتاب المبهج: الضياع مدارج الغموم، وكتب وكلائها سفاتج الهموم.

١١٨٠- (سقط الجند): هم الذين قد أسقطت أرزاقهم فلا أذل منهم ولا أضيع؛ يضرب م المثل في السقوط والذل، قال الشاعر:

وعاشق مـن سـقط الجنـد قد مات من شـهوة الشـهد
أهـدى إلى أحبابـه كامخـاً في زمـن النـرجس والـورد

١١٨١- (شريكا عنان): يضرب ما المثل، كقولهم: رضيعا لبان، في المتقاربين المتماثلين. وقد أحسن أبو تمام في الجمع بينهما وبين ما يذكر معهما من أشكالهما حيث قال:

شريكا عنـان، رضـيعا لبـان عتيقا رهـان، حليفـا صـفاء

١١٨٢- (صحبة السفينة): يضرب مثلاً في الصحبة التي لا صداقة معها، وذلك أن الناس ربما تصاحبوا في السفينة ثم لا يتصادقون بعدها.

قال الشاعر:

من غاب عنكم نسيتموه وروحه عنـدكم رهينـه
أظنكم في الوفـاء مـن صحبته صحبة السـفينة

١١٨٣- (صبغة الشباب): هي السواد، فإن الإنسان أحسن ما يكون في العين ما دام أسود الشعر؛ قال كشاجم في وصف مجللات بسواد:

كسيت من أديمها الحلل الجون غشاء أحسن به من غشاء

مشبهاً صبغة الشباب ولهات العذارى ولبسة الخلفاء

١١٨٤- (صدع الزجاج): يضرب مثلاً لما لا يجبر ولا يلتئم وأنشدني الأمير السيد أدام الله تمكينه لابن العلاف في الزجاج فقال:

قد ود قد جبرناه فأعيتنا صدوعه

فإذا ودك مما كنت بالأمس تبيعه

١١٨٥- (صولة الكريم): يقال: أتقوا صولة الكريم إذا جاع، وصوله اللئيم إذا شبع. ويقال: نعوذ بالله من صولة الكريم إذا جاع، وضربة الجبان إذا خاف.

١١٨٦- (صابون الهموم): كان كسرى يقول: النبيذ صابون الهموم. ومن أمثال التجار: النقد صابون القلوب، يعنون أنه يغسل ما خامرها من الموجدة بطول المطل.

١١٨٧- (ضمير الغيب): قال بعض فضلاء أهل العصر:

كم في ضمير الغيب من أسرار يهدي اليسار إلى ذوي الإعسار

فاستشعر الظن الجميل توقعاً لمناجح الأوطار والأطوار

١١٨٨- (ضربة الجبان): يقال: اتقوا ضربة الجبان إذا خاف، لأنه لا يبقي ولا يذر. ومن أمثالهم: عصا الجبان أطول. والله أعلم.

١١٨٩- (ضربة لازب): يضرب مثلاً في الشيء الواجب اللازم.

قال البحتري:

وإذا رأيت الهجر ضربة لازب يوماً رأيت الصبر ضربة لازب

١١٩٠- (طعم الحياة): سئل بعضهم عن طعم الماء، فقال: طعم الحياة، قال ابن المعتز:

هاك مني خذها ومنك فهات صفق مشمولة كطعم الحياة

كل يوم تعفو الحوادث حال فانتهز فيه فرصة الأوقات

١١٩١- (ظل الموت): قال أعرابي لابنه: يا بني، كن يداً لأصحابك على من

قاتلهم، ولكن إياك والسيف فإنه ظل الموت، واتق الرمح فإنه رشاء المنية، واحذر السهام فإ ا رسل الهلاك. قال: فبماذا أقاتل؟ قال: بما قال القائل:

جلاميد ترتاد الأكــف كأ ــا رءوس رجال حلقت بالمواســم

١١٩٢- (عرق القربة): من أمثال العرب في عرق القربة: لقيت من فلان عرق القربة، أي شدة ومشقة، وأصله أن حامل القربة يتعب في حملها وثقلها حتى يعرق جبينه؛ فاستعير عرقه في موضع الشدة والتعب.

١١٩٣- (عرق الموت): يضرب مثلاً لأشد الشدة. وكان الحسين الخادم خادم المعتضد والمكتفي الذي كان يتولى البريد يلقب بعرق الموت.

وقيل: إن المكتفي لقبه بذلك.

١١٩٤- (عز التقى): يقال: إنه لم يمدح عالم بأحسن من قول ابن الخياط في الإمام مالك بن أنس -رضي الله تعالى عنه:

يأبى الجواب فما يراجع هيبــة والسائلون نــواكس الأذقــان

هذا التقي وظل سلطان التقــى لهو المهيب ولــيس ذا ســلطان

١١٩٥- (غفلة الرقيب): يشبه ا ما يستحسن ويستلذ، كما قال العطوى:

أحسن من غفلة الرقيب وغمزة اللحظ من حبيب

وقال غيره:

يدير في **كفة مــداماً أحسن من غفلة الرقيب**

ومن فصل للأمير السيد أدام الله تأييده: ما زلت أسمع بوصل الحبيب وغفلة الرقيب، ونيل الوطر، ومخالسة النظر؛ وكل ذلك مستصغر في جنب سروري بكتابك، وإعجابي بثمرة خطابك.

١١٩٦- (غضب العاشق): تشبه به سحابة الصيف، وتشبه سحابة الصيف بغضب العاشق في سرعة الانحلال.

وكان الهمذاني يقول: غضب العاشق أقصر عمراً من أن ينتظر عذراً.

١١٩٧- (غبار العسكر): كان أبو السمط مروان بن أبي الجنوب يلقب

غبار العسكر، لقوله:

لما بدا لون المشيب سترته — وتركت منه ذوائباً لم تستر

قالت أرى شيباً برأسك قلت لا — هذا غبار من غبار العسكر

وفي رهج الخميس يقول أبو تمام:

من لم يقد فيطير في خيشومه — رهج الخميس فلن يقود خميسا

وفي كتاب المبهج: ناهيك بمن أدى حق الخميس، وطار في أنفه رهج الخميس.

١١٩٨- (غصص الموت): يشبه بها كل ثقل وكراهة، قال الشاعر:

وصديق كأنه غصص الموت — كثير المراء ويشجي الخليلا

يذكر الدين والخصومة في الدين — وقد حازت الكئوس العقولا

ويصلي في غير وقت صلاة — ليس إلا لأن يكون ثقيلاً

١١٩٩- (فتنة الدجال): كان النبي ﷺ يتعوذ بالله من فتنة الدجال وعذاب القبر، والأخبار في وصف الدجال وفتنته والاختلاف في أمره أعظم من أن يتسع لها هذا الباب.

١٢٠٠- (فقاع القلى): قال بعض المولدين:

شربت فقاع القلى بعدكم — لعارض من تخمة الحب

حتى تجشأت جميع الذي — قد كان من حبك في قلبي

١٢٠١- (فطنة الأعراب): يضرب بها المثل، وذلك لصفاء أذهانهم وجودة قرائحهم، قال شاعر في قوم:

لا دقة الخصر الرقيق غذتم — وتباعدوا عن فطنة الأعراب

١٢٠٢- (فتح الفتوح): فتح مكة يسمى فتح الفتوح، ويشبه به كل فتح جليل القدر، كما قال أبو تمام في فتح عمورية:

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به — نظم من الشعر أو نظم من الخطب

فتح تفتح أبواب السماء له — وتبرز الأرض في أثوابها القشب

١٢٠٣- (قبور الأحياء): يروى أن يوسف عليه السلام كتب على باب السجن: هذه منازل البلوى، وقبور الأحياء، وتجربة الأصدقاء، وشماتة الأعداء.

١٢٠٤- (قبلة الحمى): هي ما يثور بشفة المحموم من البثور، وتسميها أهل اللغة العقابيل؛ قال الشاعر:

ياليت حماك بي أو كنت حماك إني أغار عليها حين تغشاكا

حماك حاسدة، حماك عاشقة لو لم تكن هكذا ما قبلت فاكا

١٢٠٥- (قمع الفؤاد): قال بعض الحكماء: الأذن قمع الفؤاد.

ومن فصل للصاحب: زوج بنات صدرك من بني علمي، وأفرغ صوب عقلك في قمع أذني.

١٢٠٦- (قرن الكركدن): الكركدن حيوان لا يكون إلا بأرض الهند، يحكى عنه أعاجيب، ويذكر أن قرناً واحداً في جبهته في طول ذراع، وعرضه يضرب به المثل ويشبه به القرنان، قال ابن الرومي:

كان للكركدن قرن فأضحى وهو الآن عن قرنك مدرى

من يكن قرنه كقرنك هذا فليكن بابه كإيوان كسرى

١٢٠٧- (قطب السرور): هو النبيذ عند أصحابه، قال العطوي:

أنا بالقرب منك عند كريم لم أجد في نداه شبه شبيه

مجلس كالرياض حسناً ولكن ليس قطب السرور يا قطب فيه

وقال السري:

الكأس قطب السرور والطرب فاحظ ا قبل حادث النوب

١٢٠٨- (كتاب النثار): هم الكتاب الذين لم يختلفوا إلى الكتاب، وكان الخوارزمي يقول: فلان من أدباء الدار، وكتاب النثار.

وممن ذكرهم في شعره ابن عروس، حيث قال:

ولما أن رأيتهم وقوفا على الجسرين كالحدأ الضواري

سألت فقيل كتاب ولكن ألم تسمع بكتاب النثار

ثم قال:

وكم بغل على بغل وكم من حمار قد أناف على حمار
وبرذون تراه قد تثنى على برذونه مثل الجدار

١٢٠٩- (كيمياء الفرح): النبيذ كيمياء الفرح، وصابون الفرح وجام الكرام.

١٢١٠- (كف الجواد): قال العسكري في تشبيهه المطر ا:

حال بيني وبين بابك حالان وحول وقرب عهد عهاد
فكأن الوحول ليل محب وكأن السماء كف جواد

١٢١١- (كرب الدواء): كان المكتفي يلقب وزيره العباس بن الحسين: كرب الدواء، فلما قتل في أيام المقتدر، قيل فيه:

قد أرحنا من بلاء ومضى كرب الدواء
كان والله على الصحة غيظ العقلاء

١٢١٢- (لمع السراب): يضرب مثلاً لما لا حاصل له من الوعد الكاذب وغيره، قال المأموني:

يفتح بالوعد باب نائلها حتى يرى الوصل ثم ينطبق
وعد كلمع السراب تحسبه منك قريباً ودونه شفق

ومن فصل للصاحب: بعض الوعد كلمع السراب، وبعضه كنقع التراب؛ والأصل فيه قوله تعالى: ﴿**كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحسَبه الظمآنُ مَاءً حَتى إذَا جَاءَه لَم يَجِده شَيئًا**﴾[1].

١٢١٣- (لعاب المنية): كان لأبي حية النميري سيف ليس بينه وبين العصا فرق، وكان يسميه لعاب المنية، فحكى جار له قال: أشرفت عليه ليلة وقد انتضاه، وكان كلب قد دخل بيته فظنه لصاً، فجعل يقول: أيها المغتر بنا، وا تريء علينا،

---

(١) سورة النور: ٣٩.

بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل، وشر طويل، وسيف صقيل، ولعاب المنية الذي سمعت به مشهورة ضربته، ولا تخاف نبوته.

اخرج بالعفو عنك، أو لأدخلن العقوبة عليك؛ والله لئن أدع قيساً لتملأ الفضاء خيلاً ورجلاً، سبحان الله، ما أكثرها وأطيبها، ثم فتح الباب فخرج كلب فقال: الحمد لله الذي مسخك كلباً، وكفانا حرباً.

١٢١٤- (لزوم الدبق): وصف الحسين الجمل البصري ابن الخراساني فقال: يلزم لزوم الدبق إلى أن يأخذ شيئاً، ثم ينسل انسلال الزئبق.

١٢١٥- (لذة الخلسة): قال الجاحظ: قيل لرجل يعشق قينة: لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها فقال: كيف لي إذ ذاك بلذة الخلسة، ونيل المسارقة، وانتظار الوعد على الرقبة، وإيقاع الكشح على مولاها.

١٢١٦- (مجالس الكرام): كان أبو مسلم الخولاني يكثر الجلوس في المساجد، ويقول: المساجد مجالس الكرام.

١٢١٧- (ميزان القوم): كانت العرب تقول: السفر ميزان القوم، كأنه يز م بأوزا م ويفصح عن مقاديرهم في الكرم واللؤم، قال الشاعر:

ولا تكن كلئام أظهروا ضـجراً إن اللئام إذا ما سافروا ضجروا

١٢١٨- (مصباح السرور): في الكتاب المبهج: الخمر مصباح السرور، ولكنها مفتاح الشرور.

١٢١٩- (مفتاح النجاح): قال بعض الحكماء: مفتاح النجاح الصبر على طول مدته.

قال الشاعر:

مفتاح باب الفرج الصبر وكل عسر بعـده يسـر

وكل من أعياك أخلاقـه فإنمـا حيلتـه الهجـر

١٢٢٠- (مفتاح باب الرزق): قال الشاعر - وهو أحسن ما قيل في معناه:

قبل أنامله فلسن أنـاملاً لكنهن مفـاتح الأرزاق

١٢٢١- (مفتاح الأمصار): كان يقال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه:

مفتاح الأمصار، لأنه هو الذي فتح أكثرها، وهو أول من مصر الأمصار، ودون الدواوين في الإسلام.

١٢٢٢- (مفتاح الفتن): يقال إن ذلك كان قتل عثمان رضي الله عنه، وقيل: بل قتل الحسين رضي الله عنه، حدث الصولي قال: حدثني الحسين بن علي الكاتب، قال: دخلت يوماً على عبيد الله بن سليمان وعنده ابن الأشتب وحده، فحين وقعت عينه علي قال لي: يا أبا عبد الله، إنا رضينا في شيء قد تشاجرنا فيه بأول من يدخل علينا، فاحكم بيننا من غير أن تعرف ما قاله كل واحد منا لئلا تتبع قوله، ثم قال: تلاحينا على أشد ما كان في الإسلام على المسلمين؛ فقال أحدنا: أشده قتل عثمان لأنه مفتاح الفتن، وأول الاختلاف، وسبب الفرقة، وقال أحدنا: قتل الحسين، لأن المسلمين يئسوا بعد قتله من كل فرج يرتجونه، وعدل ينتظرونه، قال: فقلت: أيد الله الوزير الأمر في هذا الحكم أوضح سبيلاً، وأقرب متناولاً من أن يقع فيه لأحد شك. قال: أين ذلك؟ اشرحه لنا، فقلت: إن أشده على رسول الله ﷺ، فهو الأشد على المسلمين. فضحك عبيد الله، وقال: لله درك يا أبا عبد الله من صادع بالحق، حاكم بالعدل، أنت والله أحج في جوابك من قريش، فقال ابن الأشنب: لا يكون أشد على رسول الله من أمر عثمان رضي الله عنه وإن لم يكن عنده كالحسين لأمر الإسلام، فقال عبيد الله: اسكت يا هذا، فإنك عند الحجة عطفت عن المحجة.

١٢٢٣- (مطية الجهل): هي الشباب، قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿**إذ أنتم جاهلون**﴾، قال سفيان: قال الحسن: أي شبان، لأن الشباب مطية الجهل، قال النابغة:

فإن يك عامر قد قال جهلا … فإن مطية الجهل الشباب

ومن روى (مظنة) بالظاء والنون عني معدلة، قال أبو نواس:

كان الشباب مظنة الجهل … ومحسن الضحكات والهـزل

١٢٢٤- (مودة السوقة): يضرب ا المثل في الضعف والركاكة، قال بعضهم:

قد نرى يا بن أبي إسحاق في **ودك عهـــــده**
وكذا السوقي للإخـوان **ســـوقي المـــوده**

١٢٢٥- (مولى الموالي): يضرب به المثل في القلة والذلة، قال الحافظ: أنشدني أبو زيد وأبو عبيدة:

فلو كان عبد الله مولى هجوته **ولكن عبد الله مولى مواليا**

وأنشد:

من لقلب صد عن سلمى **علـى غـير مثـال**
صد عنها خشية الناس **ومـن قيـل وقـال**
رغبـت عـني لأني **كنت مولى لا أبـالي**

وأنشد: (مولى لموال)

ليتها قالت إذا ما **غيروها: لا أبالي**

١٢٢٦- (معترك المنايا): هو ما بين الستين إلى السبعين من أعمار الناس؛ لأن النبي ﷺ: قال: «**أكثر أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين**»، ولما أنافت سنو عبد الملك بن مروان على الستين وسئل عن مبلغ عمره قال: في معترك المنايا.

١٢٢٧- (مدرجة الشرف): قال أكثم بن صيفي: المناكح الكريمة مدارج الشرف.

١٢٢٨- (نقد البلد): يضرب مثلاً للإنسان المتوسط، ويشبه ما يتعامل به أهل البلاد من النقد المتوسط بين الجودة والرداءة، فيقال: فلان من نقد البلد، ومن الطبقة الوسطى.

١٢٢٩- (نور الهموم): هو الشيب، قال ابن المعتز:

أنكرت هند مشيبي وولت **بدموع في الرداء سـجوم**
فاعذري يا هند شيبي لهمي **أن شيب الرأس نور الهموم**

وقد شبه الشيب كثيراً بالنور، قال ابن الرومي:

قد يشيب الفتى وليس عجيباً ... أن يرى النور في القضيب الرطيب

وقال التميمي:

أقول ونوار المشيب بعارضي ... قد افتر عنه ناب أسود سالخ
أشيب وحاجات الفؤاد كأنما ... يجيش بها في الصدر مرجل طابخ

وقال آخر:

لم يعرف القوم الأولى شبهوا ... المشيب بالنوار ما شبهوا
الشيب نوار ولكنه ... يثمر بالموت فآها لها!

١٢٣٠- (وقار الشيب): يروى أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أول من شاب، وحلاه الله بالشيب ليميزه عن إسحاق، إذ كان من الشبه به مالا يكاد يميز بينهما، فلما وخطه الشيب قال: يارب ما هذا؟ قال: هو الوقار، قال: يا رب زدني وقاراً، وقال دعبل:

أهلاً وسهلاً بالمشيب فإنه ... سمة الوفور وهيبة المتحرج

وقال أبو نواس:

يقولون في الشيب الوقار لأهله ... وشيبي بحمد الله غير وقار

ومن فصل للبديع الهمذاني: الشباب هناء، والمشيب إناء، فالحمد لله الذي بيض القار، وسماه الوقار.

١٢٣١- (وقاحة العميان): من أمثال العامة: أوقح من الأعمى؛ لأن الحياء في العين وليست له. وأحسن ما سمعت في ذم الأعمى:

كيف يرجو الحياء منه صديق ... ومكان الحياء منه خراب

وقيل لأبي العيناء: ويحك ما أوقحك! فقال: أما علمت أن للحياء شرائط ليست معي واحدة منهن: قيل: فصفهن قال: أولهن في العينين، ولست أبصر، والثانية اجتناب الكذب، وأنا من اليمامة من رهط مسيلمة الكذاب، والثالثة أن النبي ﷺ قال: «**الحياء من الإيمان**» فأي إيمان ترون معي؟ ونظير هذا ما يحكى أن رجلاً سأل يحيى بن أكثم، فقال له يحيى: أخطأت باب الرزق من ثلاثة أوجه: أحدها أني امرؤ

مروزي، وبخل أهل مرو مضروب به المثل، والآخر أني تميمي، ومن لم يكن من التميميين بخيلاً فهو لغير رشده، والثالث أني قاض، والقاضي يأخذ ولا يعطي، ويرتزق ولا يرزق.

١٢٣٢- (ينبوع الأحزان): قال بعض الفلاسفة: القنية ينبوع الأحزان، قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

ألم تر أن الدهر يهدم مــا بــنى ... ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى

فمن سره ألا يرى ما يســوءه ... فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقــداً

الباب الحادي والستون

في الجنان

وهو آخر الأبواب

جنة الدنيا. جنة الرجل. جنة الفردوس. جنة الخلد. جنة عدن. جنة المأوى. جنة المنتهى. ظل طوبى. باب الجنة. روضة الجنة. كنوز الجنة. ريح الجنة.

الاستشهاد

١٢٣٣- (جنة الدنيا): كان يقال للشام جنة الدنيا. ولما أفرج هرقل عن بلاد الشام للمسلمين وخرج منها هارباً إلى الروم بكى حتى أخضلت لحيته، وغشي عليه، فلما أفاق قال: السلام عليك يا سوريا، يا جنة الدنيا، سلام غير ملاق.

١٢٣٤- (جنة الرجل): في الخبر: (جنة الرجل داره) وأنشدني المأموني لنفسه:

أجد صنع المباني حـين تـبني ... فليس لمن يحـل ـا حصـون

وأحسن جنـة الـدنيا إلى أن ... يكون من القيامة مـا يكـون

فمـا الإحسـان إلا مقلـة لا ... تغمض أن يكون لهـا جفـون

١٢٣٥- (جنة الفردوس): يضرب مثلاً للمكان يجمع الحسن والأمان والطيب، وممن ضرب به المثل في شعره أبو تمام حيث قال:

مالي أرى القبة الفيحاء مقفلة ... دوني وقد طال ما استفتحت مقفلها

كأ ا جنة الفردوس معرضـة ... ولـيس لي عمل زاك فأدخلهـا

١٢٣٦- (جنة الخلد): قال ابن طباطبا:

ومهما أنس لا أنس التـذاذي ... بجنـات كجنـات الخلـود

بنفسج عارضـي إلى أقـاحي ... ثغـور زا ـا ورد الخـدود

وأحسن جداً في قوله:

ووجنـة كجنـة عشقي فيها قد خلد

١٢٣٧- (جنة عدن): من الأبيات السائرات على وجه الأرض قول القائل:

الموت باب وكل الناس داخله ياليت شعري بعد الباب ما الدار!

الجواب:

الدار جنة عدن إن عملت بما يرضي الإله وإن خالفت فالنار

١٢٣٨- (جنة المأوى): قال بعض المفسرين: أخص الجنان وأعلاها جنة المأوى؛ لقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى**﴾[1]؛ فلما كانت السدرة غاية لتلك المواطن وعندها جنة المأوى، علمنا أنها أخص الجنان.

١٢٣٩- (جنة المنتهى): قال سعيد بن جبير:

لو كنت لا أهدي إلى أن أرى شيئا على قدرك أو قـدري

لم أهـد إلا جنـة المنتـهى ترفـل في أثوا ـا الخضـر

١٢٤٠- (ظل طوبى): أحسن ما ينشده القصاص على فروع المنابر قول محمود الوراق - ويروى لغيره:

من يشتري قبة في الخلد عاليـة في ظل طوبى رفيعات مبانيهـا

دلالها المصـطفى والله بائعهـا ممن أراد وجبريـل مناديهـا

١٢٤١- (باب الجنة): خطب علي رضي الله عنه فقال: في خطبته: أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله الذّل، وسيم الخسف، وديث الصغار.

١٢٤٢- (روضة الجنة): في الخبر «**ألا إن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**». وفيه «**إن منبري هذا على ترعة من ترع الجنة**» وفيه: «عائد المريض على مخارف الجنة حتى يرجع» وفيه: «**من سره أن يلزم بحبوحة الجنة فليلزم**

---

(١) سورة النجم: (١٣- ١٥).

الجماعة».

١٢٤٣- (كنوز الجنة): كان يقال: أربع من كنوز الجنة: كتمان المصيبة، وكتمان المرض، وكتمان الفاقة، وكتمان الصدقة.

١٢٤٤- (ريح الجنة): في الحديث: «**ريح الولد من الجنة**»، وقال ﷺ للحسين والحسن: «**إنكم لتنجبون، وإنكم لتنجلون، وإنكم من ريحان الجنة**».

وقال الجاحظ في قول أبي العتاهية:

إن الشباب حجة التصابي ... روائح الجنة في الشباب

يعني: كمغني الطرب الذي ترتاح له القلوب، ولا تقدر على وصفه الألسن

وقال بعض أهل العصر يصف ندا:

وند ماله ند ... تعاطيه من السنه

إذا ما دخل النار ... حكى رائحة الجنه

* * *

إلى هنا انتهى الكتاب ولله الحمد، والصلاة على النبي محمد وآله.

فهرس الأبواب